التلخيص في تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام العالم أبي العباس الكواشي

أحمد بن يوسف بن الحسن

المتوفى سنة ٦٨٠هـ

المجلد الأول

تحقيق

الدكتور

عمار قدري عياضي

دار البشير
الإمارات

دار ابن حزم

التلخيص
في
تفسير القرآن العزيز

تأليف
الإمام العالم أبي العباس الكواشي
أحمد بن يوسف بن الحسين
المتوفى سنة (٦٨٠هـ)

المجلد الأول

تحقيق
دكتور
عماد قدري العياضي

دار البشير
الإمارات

دار ابن حزم

التلخيص

في

تفسير القرآن العزيز

(١)

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

دار البشير
الإمارات العربية المتحدة
الشارقة - ميسلون - شارع الشيخ زايد
ت/ ٠٠٩٧١٦٥٦٣٢٩٨٠
موبايل/ ٠٠٩٧١٥٠٥٩٦٠٧٠٢

دار ابن حزم
بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

مقدمة المحقق

إن الحمد لله تعالىٰ نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإنَّ أولىٰ ما تنفق فيه الأوقات، كلام الله تعالىٰ، فشرف الكلام يعود دائمًا إلىٰ شرف قائله، ولذا فالقرآن أشرف كلام، فهو كلام الله تعالىٰ، ولقد أقبل العلماء قديما وحديثا علىٰ كلام ربهم، فمنهم من اعتنىٰ بأسباب النزول، والمكيِّ والمدنيِّ، ومنهم من اعتنىٰ بغريبه ومعانيه، ومنهم من اعتنىٰ بالناسخ والمنسوخ، ومنهم من اعتنىٰ برسم كلماته، وتجويده، ومنهم من اعتنىٰ بأحكام القرآن، إلىٰ غير ذلك من أنواع العلوم التي حواها القرآن الكريم، ولو نظرنا نظرة تأمل لوجدنا أنه ما من كتاب اهتم به العلماء منذ بداية الخليقة إلىٰ الآن كاهتمام علماء الإسلام بالقرآن الكريم، فقد أفنىٰ أناس منهم أعمارهم في خدمة كلام الله تعالىٰ، وقد تركوا

لنا تركة كبيرة، وميراثا عظيما من كتب التفسير وعلوم القرآن، ومن هذه الكتب هذا الكتاب الماتع الذي بأيدينا وهو «**التلخيص في تفسير القرآن العزيز**» لموفَّق الدين الكواشي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من الكتب الماتعة النافعة بإذن الله، وأصل هذا الكتاب هو كتاب آخر للمصنف وهو «**تبصرة المتذكِّر وتذكرة المتبصِّر**»، وقد أجاد المصنف وأحسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

منهج المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان منهجه في التفسير: أنَّه يقوم بداية بذكر السورة، وإن كان لها أسماء أخرىٰ ذكرها، كقوله: سورة النحل، وتسمَّىٰ سورة النِّعم، وكقوله: سورة السَّجدة، وتسمىٰ سورة المضاجع، وهكذا.

ثم يذكر المكيَّ والمدنيَّ: كقوله: سورة الفاتحة زعم بعضهم أنها سميت مثاني لأنها نزلت مرتين، والصحيح أنها مكيَّة.

ثم يذكر عدَّ الآي في كل سورة، وإن كان هناك اختلاف بيَّنه، كقوله: سورة البقرة مدنية وهي مائتان وثمانون وست أو وسبع آيات.

ثم يأخذ في تفسير الآيات، فإن كان هناك سبب نزول ذكره كقوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟...﴾ [البقرة:١٩٥].

قال: روي أن رجلًا حمل علىٰ صف الكفار، فقيل: ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاريُّ: إنما نزلت هذه الآية فينا حين أحببنا المقام في الأهل والمال وترك الجهاد[١]، قال ﷺ: «**من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بغزو، مات علىٰ شعبة من النفاق**».

ثم يذكر القراءات الواردة في كل كلمة، والمتواتر منها والآحاد والشاذ قال المصنف: وإذا قلت: القراءة كذا وكذا فهي السبعة، وإذا قلت: وقرئ بكذا فهي شاذة.

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٥٨).

والسبعة: ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خطَّ الإمام، وما لم يوجد فيه مجموع هذه الثلاثة أو التواتر وموافقة خطِّ الإمام فهو شاذ، وكثير استعمل أو بمعنىٰ، وقيل.

وقد يلجأ أحيانًا لتوجيه القراءات، ويذكر الوقف والابتداء، وما يجوز منه وما لا يجوز، قال المصنف: وقد ذكرت فيه ثلاثة وقوف: التام،والكافي، والحسن؛ لأنَّها أحسن الوقوف وأعجبها إليَّ، فللتام (تا)، وللحسن (حس)، وللكافي (كا)، وبعض يقدّم الكافي علىٰ الحسن.

ويذكر أحيانًا تفسير السلف الصالح ﭫ كابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم، ثم يختم السورة بعدة أحاديث من الأحاديث الواردة في فضلها، ويذكر شيئًا من تناسب الآيات والسور.

قال المصنف ﵀: «فلما رأيت الكتاب العزيز في غاية الإعجاز ونهاية الإيجاز، وأن لا سبيل إلىٰ معرفة ذلك إلا بتوفيق إلهي أو بتوقيف نبويّ؛ لخصت مختصرًا في تفسيره، ملتجئًا إلىٰ الله تعالىٰ في تيسيره، ويكون عونًا لطالب هذا الشأن، وراغبًا إليه أن يجعله خالصًا لوجهه بمنّه وكرمه، وأن ينفع به من صدر منه ومن وصل إليه، وسائلًا من يقف عليه الترحم علىٰ مصنّفه وكاتبه وقارئه ومستمعيه، وعلىٰ جميع المسلمين.....إلخ.

وإذا قلت: القراءة كذا وكذا فهي السبعة، وإذا قلت: وقرئ بكذا فهي شاذة.

والسبعة: ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط الإمام، وما لم يوجد فيه مجموع هذه الثلاثة أو التواتر وموافقة خط الإمام فهو شاذّ، وكثير استعمل أو بمعنىٰ، وقيل.

ولنذكر الآن عدة فصول مهمة يحتاجها طالب العلم عامة، وقارئ التفسير خاصة:

فصل في أسماء السور

ذكر العلماءُ في معنىٰ السورة عدة معانٍ، قال السيوطي: قَالَ الْقَتَبِيُّ: السُّورَةُ تُهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ فَمَنْ هَمَزَهَا جَعَلَهَا مِنْ أَسْأَرَتْ أَيْ أَفْضَلَتْ مِنَ السُّؤْرِ وَهُوَ مَا بَقِيَ مِنَ الشَّرَابِ فِي الْإِنَاءِ كَأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْهَا جَعَلَهَا مِنَ الْمَعْنَىٰ الْمُتَقَدِّمِ وَسَهَّلَ هَمْزَهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُهَا بسور الْبِنَاءِ، أَيْ الْقِطْعَةُ مِنْهُ أَي مَنْزِلَةٌ بَعْدَ مَنْزِلَةٍ، وَقِيلَ: مِنْ سُورِ الْمَدِينَةِ لِإِحَاطَتِهَا بِآيَاتِهَا وَاجْتِمَاعِهَا كَاجْتِمَاعِ الْبُيُوتِ بِالسُّورِ، وَمِنْهُ السُّوَارُ لِإِحَاطَتِهِ بِالسَّاعِدِ.

وَقِيلَ: لَارْتِفَاعِهَا لِأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ وَالسُّورَةُ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ قَالَ النَّابِغَةُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَىٰ كُلَّ مُلْكٍ حَوْلَهَا يَتَذَبْذَبِ

وَقِيلَ: لِتَرْكِيبِ بَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ التَّسَوُّرِ بِمَعْنَىٰ التَّصَاعُدِ وَالتَّرَكُّبِ، وَمِنْهُ: ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص].

وَقَالَ الْجَعْبَرِيُّ: حَدُّ السُّورَةِ قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ آيِ ذِي فَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ وَأَقَلُّهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: السُّورَةُ الطَّائِفَةُ الْمُتَرْجَمَةُ تَوْقِيفًا أَيِ الْمُسَمَّاةُ بِاسْمٍ خَاصٍّ بِتَوْقِيفٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَدْ ثَبَتَ جَمِيعُ أَسْمَاءِ السُّوَرِ بِالتَّوْقِيفِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ.

قال الزركشي: يَنْبَغِي النَّظَرُ فِي وَجْهِ اخْتِصَاصِ كُلِّ سُورَةٍ بِمَا سُمِّيَتْ بِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَرَبَ تُرَاعِي فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسَمَّيَاتِ أَخْذَ أَسْمَائِهَا مِنْ نَادِرٍ أَوْ مُسْتَغْرَبٍ يَكُونُ فِي الشَّيْءِ مِنْ خَلْقٍ أَوْ صِفَةٍ تَخُصُّهُ أَوْ تَكُونُ مَعَهُ أَحْكَمُ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَسْبَقُ لِإِدْرَاكِ الرَّائِي لِلْمُسَمَّىٰ، وَيُسَمُّونَ الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ أَوِ الْقَصِيدَةَ الطَّوِيلَةَ بِمَا هُوَ أَشْهَرُ فِيهَا، وَعَلَىٰ ذَلِكَ جَرَتْ أَسْمَاءُ سُوَرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَتَسْمِيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِهَذَا

الِاسْمِ لِقَرِينَةِ ذِكْرِ قِصَّةِ الْبَقَرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا وَعَجِيبِ الْحِكْمَةِ فِيهَا، وَسُمِّيَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ بِهَذَا الِاسْمِ لِمَا تَرَدَّدَ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِ النِّسَاءِ، وَتَسْمِيَةُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ تَفْصِيلِ أَحْوَالِهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَرَدَ لَفْظُ الْأَنْعَامِ فِي غَيْرِهَا إِلَّا أَنَّ التَّفْصِيلَ الْوَارِدَ فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ [الأنعام:١٤٢- ١٤٤] لَمْ يَرِدْ فِي غَيْرِهَا

كَمَا وَرَدَ ذِكْرُ النِّسَاءِ فِي سُوَرٍ إِلَّا أَنَّ مَا تَكَرَّرَ وَبُسِطَ مِنْ أَحْكَامِهِنَّ لَمْ يَرِدْ فِي غَيْرِ سُورَةِ النِّسَاءِ، وَكَذَا سُورَةُ الْمَائِدَةِ لَمْ يَرِدْ ذِكْرُ الْمَائِدَةِ فِي غَيْرِهَا فَسُمِّيَتْ بِمَا يَخُصُّهَا.

هذا وقد نجدُ للسورة اسمًا واحدا، وقد نجدُ لها عدَّةَ أسماء، ومن ذلك سورة الفاتحة قال السيوطي: قَدْ وَقَفْتُ لَهَا عَلَىٰ نَيفٍ وَعِشْرِينَ اسْمًا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ شَرَفِهَا فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَسْمَاءِ دَالَّةٌ عَلَىٰ شَرَفِ الْمُسَمَّىٰ.

وسُورَةُ الْبَقَرَةِ: كَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يُسَمِّيهَا فُسْطَاطَ الْقُرْآنِ.

والبقرة مع آل عمران ورد تسميتهما بالزهراوين، **وَالْمَائِدَةُ**: تُسَمَّىٰ أَيْضًا الْعُقُودُ وَالْمُنْقِذَة، **وَالْأَنْفَالُ**: أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جبير قال: قلت لابن عَبَّاسٍ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ: تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ.

وَبَرَاءَةٌ: تُسَمَّىٰ أَيْضًا التَّوْبَةُ، وَكَانَتْ تُسَمَّىٰ الْفَاضِحَةَ وَسُورَةُ الْعَذَابِ.

فصل في المكي والمدني

قال السيوطي: أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مَكِّيٌّ وَالْعِزُّ الدَّيْرِينِيُّ، وَمِنْ فَوَائِدِ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْعِلْمُ بِالْمُتَأَخِّرِ فَيَكُونُ نَاسِخًا أَوْ مُخَصِّصًا عَلَىٰ رَأْيِ مَنْ يَرَىٰ تَأْخِيرَ الْمُخَصَّصِ.

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ التَّنْبِيهِ عَلَىٰ فَضْلِ عُلُومِ الْقُرْآنِ: مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِ الْقُرْآنِ عِلْمُ نُزُولِهِ وَجِهَاتِهِ وَتَرْتِيبِ مَا نَزَلَ

بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَحُكْمُهُ مَدَنِيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَحُكْمُهُ مَكِّيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَكِّيِّ فِي الْمَدَنِيِّ، وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَدَنِيِّ فِي الْمَكِّيِّ، وَمَا نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ وَمَا نَزَلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا نَزَلَ بِالطَّائِفِ وَمَا نَزَلَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَمَا نَزَلَ لَيْلًا وَمَا نَزَلَ نَهَارًا وَمَا نَزَلَ مُشَيَّعًا، وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا وَالْآيَاتُ الْمَدَنِيَّاتُ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ وَالْآيَاتُ الْمَكِّيَّاتُ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ وَمَا حُمِلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا نَزَلَ مُجْمَلًا وَمَا نَزَلَ مُفَسَّرًا وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَدَنِيٌّ وَبَعْضُهُمْ: مَكِّيٌّ فَهَذِهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا وَيُمَيِّزْ بَيْنَهَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ. انْتَهَىٰ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي كِتَابِهِ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ: الَّذِي عَلِمْنَاهُ عَلَىٰ الْجُمْلَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّ مِنْهُ مَكِّيًّا وَمَدَنِيًّا وَسَفَرِيًّا وَحَضَرِيًّا وَلَيْلِيًّا وَنَهَارِيًّا وَسَمَائِيًّا وَأَرْضِيًّا وَمَا نَزَلَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَمَا نَزَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ فِي الْغَارِ.

وَقَالَ ابْنُ النَّقِيبِ فِي مُقَدِّمَةِ تَفْسِيرِهِ: الْمُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ مَكِّيٌّ وَمَدَنِيٌّ، وَمَا بَعْضُهُ مَكِّيٌّ وَبَعْضُهُ مَدَنِيٌّ، وَمَا لَيْسَ بِمَكِّيٍّ وَلَا مَدَنِيٍّ.

فصل في أسباب النزول

ومما يستعان به علىٰ فهم كلام الله تعالىٰ معرفة أسباب النزول، ولذا نرىٰ أنَّ العلماء قد اهتموا به قديمًا وحديثًا، ومنهم من أفرده بالتصنيف لأهميته.

قال الزركشي: وَقَدِ اعْتَنَىٰ بِذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ فِي كُتُبِهِمْ وَأَفْرَدُوا فِيهِ تَصَانِيفَ مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا تَصْنِيفُ الْوَاحِدِيِّ فِي ذَلِكَ، وَأَخْطَأَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ لِجَرَيَانِهِ مَجْرَىٰ التَّارِيخِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ لَهُ فَوَائِدُ مِنْهَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَىٰ تَشْرِيعِ الْحُكْمِ.

وَمِنْهَا تَخْصِيصُ الْحُكْمِ بِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَىٰ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

وَمِنْهَا الْوُقُوفُ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَتْحِ الْقُشَيْرِيُّ: بَيَانُ سَبَبِ النُّزُولِ طَرِيقٌ قَوِيٌّ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ أَمْرٌ تَحَصَّلَ لِلصَّحَابَةِ بِقَرَائِنَ تَحْتَفُّ بِالْقَضَايَا.

وَمِنْهَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ عَامًّا، وَيَقُومُ الدَّلِيلُ عَلَىٰ التَّخْصِيصِ، فَإِنَّ مَحَلَّ السَّبَبِ لا يجوز، إخراجه بالاجتهاد والإجماع كَمَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ فِي مُخْتَصَرِ التَّقْرِيبِ؛ لِأَنَّ دُخُولَ السَّبَبِ قَطْعِيٌّ، وَنَقَلَ بَعْضُهُمُ الِاتِّفَاقَ عَلَىٰ أَنَّ لِتَقَدُّمِ السَّبَبِ عَلَىٰ وُرُودِ الْعُمُومِ أَثَرًا وَلَا الْتِفَاتَ إِلَىٰ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ مِنْ تَجْوِيزِ إِخْرَاجِ مَحَلِّ السَّبَبِ بِالتَّخْصِيصِ لِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ وَلَا يَجُوزُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ فِيهِ عُدُولًا عَنْ مَحَلِّ السُّؤَالِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الشَّارِعِ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ عَلَىٰ السَّائِلِ، وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّهُ تُعْتَبَرُ النُّصُوصِيَّةُ فِي السَّبَبِ مِنْ جِهَةِ اسْتِحَالَةِ تَأْخِيرِ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ وَتُؤَثِّرُ أَيْضًا فِيمَا وَرَاءَ مَحَلِّ السَّبَبِ وَهُوَ إِبْطَالُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ قَوْلٍ وَالضَّعْفُ عَلَىٰ قَوْلٍ.

وَمِنَ الْفَوَائِدِ أَيْضًا دَفْعُ تَوَهُّمِ الْحَصْرِ قَالَ الشَّافِعِيُّ مَا مَعْنَاهُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الْآيَةَ [الأنعام:١٤٥]: إِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ، وَكَانُوا عَلَىٰ المضادة والمحادة جاءت الْآيَةُ مُنَاقِضَةً لِغَرَضِهِمْ فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا حَلَالَ إِلَّا مَا حَرَّمْتُمُوهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا أَحْلَلْتُمُوهُ نَازِلًا مَنْزِلَةَ مَنْ يَقُولُ: لَا تَأْكُلِ الْيَوْمَ حَلَاوَةً فَتَقُولُ: لَا آكُلُ الْيَوْمَ إِلَّا الْحَلَاوَةَ وَالْغَرَضُ الْمُضَادَّةُ لَا النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَلَّلْتُمُوهُ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَلَمْ يَقْصِدْ حِلَّ ما وراءه؛ إذ الْقَصْدُ إِثْبَاتُ التَّحْرِيمِ لَا إِثْبَاتُ الْحِلِّ.

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَلَوْلَا سَبْقُ الشَّافِعِيِّ إِلَىٰ ذَلِكَ لَمَا كُنَّا

نَسْتَجِيزُ مُخَالَفَةَ مَالِكٍ فِي حَصْرِ الْمُحَرَّمَاتِ فِيمَا ذَكَرَتْهُ الْآيَةُ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مِنَ الشَّافِعِيِّ أَجْرَاهُ مَجْرَىٰ التَّأْوِيلِ، وَمَنْ قَالَ بِمُرَاعَاةِ اللَّفْظِ دُونَ سَبَبِهِ لَا يَمْنَعُ مِنَ التَّأْوِيلِ.

وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ فِي مَوَاضِعَ اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَعْدِيَتِهَا إِلَىٰ غَيْرِ أَسْبَابِهَا كَنُزُولِ آيَةِ الظِّهَارِ فِي سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ، وَآيَةِ اللِّعَانِ فِي شَأْنِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَنُزُولِ حَدِّ الْقَذْفِ فِي رُمَاةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثُمَّ تَعَدَّىٰ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور:٤] فَجَمَعَهَا مَعَ غَيْرِهَا إِمَّا تَعْظِيمًا لَهَا؛ إِذْ إِنَّهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ رَمَىٰ أُمَّ قَوْمٍ فَقَدْ رَمَاهُمْ وَإِمَّا لِلإِشَارَةِ إِلَىٰ التَّعْمِيمِ وَلَكِنَّ الرُّمَاةَ لَهَا كَانُوا مَعْلُومِينَ فَتَعَدَّىٰ الْحُكْمُ إِلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ، فَمَنْ يَقُولُ بِمُرَاعَاةِ حُكْمِ اللَّفْظِ كَانَ الِاتِّفَاقُ هَهُنَا هُوَ مُقْتَضَىٰ الْأَصْلِ، وَمَنْ قَالَ بِالْقَصْرِ عَلَىٰ الْأَصْلِ خَرَجَ عَنِ الْأَصْلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِدَلِيلٍ، وَنَظِيرُ هَذَا تَخْصِيصُ الِاسْتِعَاذَةِ بِالْإِنَاثِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق:٤] لِخُرُوجِهِ عَلَىٰ السَّبَبِ وَهُوَ أَنَّ بَنَاتِ لَبِيدٍ سَحَرْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَفِيهِ نَظَرٌ فَإِنَّ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ هو لبيد بن الْأَعْصَمِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ.

وَقَدْ تَنْزِلُ الْآيَاتُ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ خَاصَّةً، وَتُوضَعُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَعَ مَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الْآيِ رِعَايَةً لِنَظْمِ الْقُرْآنِ وَحُسْنِ السِّيَاقِ، فَذَلِكَ الَّذِي وُضِعَتْ مَعَهُ الْآيَةُ نَازِلَةً عَلَىٰ سَبَبٍ خَاصٍّ لِلْمُنَاسَبَةِ إِذْ كَانَ مَسُوقًا لَمَّا نَزَلَ فِي مَعْنًى يَدْخُلُ تَحْتَ ذَلِكَ اللَّفْظِ الْعَامِّ أَوْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ الدَّاخِلَةِ وَضْعًا تَحْتَ اللَّفْظِ الْعَامِّ فَدَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ، هَلْ هِيَ كَالسَّبَبِ فَلَا يَخْرُجُ وَيَكُونُ مُرَادًا مِنَ الْآيَاتِ قَطْعًا؟ أولا ينتهي في القوة إِلَىٰ ذَلِكَ؟ لِأَنَّهُ قَدْ يُرَادُ غَيْرُهُ وَتَكُونُ الْمُنَاسَبَةُ مُشَبَّهَةً بِهِ؟ فِيهِ احْتِمَالٌ.

وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رُتْبَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ دُونَ السَّبَبِ وفوق العموم الْمُجَرَّدِ وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] فَإِنَّ مُنَاسَبَتَهَا لِلْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ

بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء] أَنَّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ كَانَ قَدِمَ إِلَىٰ مَكَّةَ وَشَاهَدَ قَتْلَىٰ بَدْرٍ وَحَرَّضَ الْكُفَّارَ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِثَأْرِهِمْ وَغَزْوِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: مَنْ أَهْدَىٰ سَبِيلًا النَّبِيُّ ﷺ أَوْ هُمْ؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ كَذِبًا مِنْهُ وَضَلَالَةً لَعَنَهُ اللهُ فَتِلْكَ الْآيَةُ فِي حَقِّهِ وَحَقِّ مَنْ شَارَكَهُ فِي تِلْكَ الْمَقَالَةِ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ يجدون عندهم في كتابهم بعث النَّبِيِّ ﷺ وَصِفَتَهُ وَقَدْ أُخِذَتْ عَلَيْهِمُ الْمَوَاثِيقُ أَلَّا يَكْتُمُوا ذَلِكَ وَأَنْ يَنْصُرُوهُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَمَانَةً لَازِمَةً لَهُمْ فَلَمْ يؤدوها وخانوا فيها وذلك مناسب لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨] قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَجْهُ النُّظُمِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ كِتْمَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَوْلِهِمْ: إِنِ الْمُشْرِكِينَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا فَكَانَ ذَلِكَ خِيَانَةً مِنْهُمْ فَانْجَرَّ الْكَلَامُ إِلَىٰ ذِكْرِ جَمِيعِ الْأَمَانَاتِ انْتَهَىٰ.

وَلَا يَرِدُ عَلَىٰ هَذَا أَنْ قِصَّةَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ كَانَتْ عَقِبَ بَدْرٍ وَنُزُولُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾ فِي الْفَتْحِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَبَيْنَهُمَا سِتُّ سِنِينَ لِأَنَّ الزَّمَانَ إِنَّمَا يُشْتَرَطُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْمُنَاسَبَةِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا وَضْعُ آيَةٍ فِي مَوْضِعٍ يُنَاسِبُهَا وَالْآيَاتُ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَىٰ أَسْبَابِهَا وَيَأْمُرُ النَّبِيُّ ﷺ بِوَضْعِهَا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي عَلِمَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهَا مَوَاضِعُهَا.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْعِلْمِ إِزَالَةُ الْإِشْكَالِ فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ بَعَثَ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ تَلَا ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٧٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ ﴾ [آل عمران:١٨٨].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ

أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ فَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ انْتَهَىٰ

فصل في معرفة غريب القرآن الكريم

قال الزركشي:

وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْمَدْلُولِ وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ كِتَابَ الْمَجَازِ وَأَبُو عُمَرَ غُلَامُ ثَعْلَبٍ ياقوتة الصراط ومن أشهرها كتاب ابن عزيز والغريبين لِلْهَرَوِيِّ، وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ الْمُفْرَدَاتِ لِلرَّاغِبِ.

وَهُوَ يَتَصَيَّدُ الْمَعَانِيَ مِنَ السِّيَاقِ لِأَنَّ مَدْلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ خاصة قال الشيخ أبو عمرو بن الصَّلَاحِ: وَحَيْثُ رَأَيْتَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: فَالْمُرَادُ بِهِ مُصَنِّفُو الْكُتُبِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ كَالزَّجَّاجِ وَمَنْ قَبْلَهُ وَفِي بَعْضِ كَلَامِ الْوَاحِدِيِّ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَعَانِي الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالُوا كَذَا انْتَهَىٰ.

وَيَحْتَاجُ الْكَاشِفُ عَنْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ عِلْمِ اللُّغَةِ اسْمًا وَفِعْلًا وَحَرْفًا فَالْحُرُوفُ لِقِلَّتِهَا تكَلَّمَ النُّحَاةُ عَلَىٰ مَعَانِيهَا فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ.

وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ وَأَكْثَرُ الْمَوْضُوعَاتِ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ كِتَابُ ابْنِ سَيِّدٍ فَإِنَّ الْحَافِظَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الْفَارِسِيَّ ذَكَرَ أَنَّهُ فِي مِائَةِ سِفْرٍ بَدَأَ بِالْفَلَكِ وَخَتَمَ بِالذَّرَّةِ، وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُطَوَّلَةِ: كِتَابُ الأزهري، والموعب لابن التياني، والمحكم لابن سيده، وكتاب الجامع للقزاز، والصحاح للجوهري، والبارع لأبي علي القالي، ومجمع الْبَحْرَيْنِ لِلصَّاغَانِيِّ.

وَمِنَ الْمَوْضُوعَاتِ فِي الْأَفْعَالِ كِتَابُ ابْنِ الْقُوطِيَّةِ وَكِتَابُ ابْنِ طَرِيفٍ وَكِتَابُ السَّرَقُسْطِيِّ الْمَنْبُوزِ بِالْحِمَارِ وَمِنْ أَجْمَعِهَا كِتَابُ ابْنِ الْقَطَّاعِ.

وَمَعْرِفَةُ هَذَا الْفَنِّ لِلْمُفَسِّرِ ضَرُورِيٌّ وَإِلَّا فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْإِقْدَامُ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ نَضْلَةَ الْمَدِينِيُّ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: لَا أُوتَىٰ بِرَجُلٍ

يُفَسِّرُ كِتَابَ اللهِ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ.

وَرَوَىٰ عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ فَالْتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ الْعَرَبِ.

وَعَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الانشقاق] قَالَ: مَا جَمَعَ وَأَنْشَدَ:

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حقائقا مستوثقات لَوْ يَجِدْنَ سَائِقَا

وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف]. حَتَّىٰ سَمِعْتُ ابْنَةَ ذِي يَزَنَ الْحِمْيَرِيِّ وَهِيَ تَقُولُ: أُفَاتِحُكَ يَعْنِي أُقَاضِيكَ، وَفِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾ [السجدة] يَعْنِي مَتَىٰ هَذَا الْقَضَاءُ وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ] وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ [الفتح].

وَقَالَ أَيْضًا: مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فاطِرُ السمواتِ والأرضِ حتىٰ أتاني أعرابيان يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا يَعْنِي ابْتَدَأْتُهَا.

وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ قَالَ: مَاتَ وَتَرَكَ أَرْبَعَةً مِنَ الْوَلَدِ وَثَلَاثَةً مِنَ الْوَرَاءِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود] قَالَ: وَلَدُ الْوَلَدِ.

فصل في معرفة الناسخ والمنسوخ

أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ وَأَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَمَكِّيٌّ وَابْنُ الْعَرَبِيِّ وَآخَرُونَ قَالَ الْأَئِمَّةُ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَ كِتَابَ اللهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ مِنْهُ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ

وقد قال علي لقاض: أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا قَالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ.

وَفِي هَذَا النَّوْعِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: يَرِدُ النَّسْخُ بِمَعْنَىٰ الْإِزَالَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢] .

وَبِمَعْنَىٰ التَّبْدِيلِ وَمِنْهُ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل:١٠١].

وَبِمَعْنَىٰ التَّحْوِيلِ كَتَنَاسُخِ الْمَوَارِيثِ بِمَعْنَىٰ تَحْوِيلِ الْمِيرَاثِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَىٰ وَاحِدٍ.

وَبِمَعْنَىٰ النَّقْلِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، وَمِنْهُ نَسَخْتُ الْكِتَابَ إِذَا نَقَلْتُ مَا فِيهِ حَاكِيًا لِلَفْظِهِ وَخَطِّهِ.

قَالَ مَكِّيٌّ: وَهَذَا الْوَجْهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي الْقُرْآنِ وَأَنْكَرَ عَلَىٰ النَّحَّاسِ إِجَازَتَهُ ذَلِكَ مُحْتَجًّا بِأَنَّ النَّاسِخَ فِيهِ لَا يَأْتِي بِلَفْظِ الْمَنْسُوخِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْتِي بِلَفْظٍ آخَرَ.

وَقَالَ السَّعِيدِيُّ: يَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ النَّحَّاسُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية] .

وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف] وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا نَزَلَ مِنَ الْوَحْيِ نُجُومًا جَمِيعُهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة] .

الثَّانِيَةُ: النَّسْخُ مِمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ لِحِكَمٍ مِنْهَا التَّيْسِيرُ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ جَوَازِهِ وَأَنْكَرَهُ الْيَهُودُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ بَدَاءٌ كَالَّذِي يَرَىٰ الرَّأْيَ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ وَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ بَيَانُ مُدَّةِ الْحُكْمِ كَالْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْإِمَاتَةِ وَعَكْسِهِ وَالْمَرَضِ بَعْدَ الصِّحَّةِ وَعَكْسِهِ وَالْفَقْرِ بَعْدَ الْغِنَىٰ وَعَكْسِهِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ بَدَاءً، فَكَذَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فَقِيلَ: لَا يُنْسَخُ الْقُرْآنُ إِلَّا بِقُرْآنٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦] قَالُوا: وَلَا يَكُونُ مِثْلَ الْقُرْآنِ وَخَيْرًا مِنْهُ إِلَّا قُرْآنٌ.

وَقِيلَ: بَلْ يُنْسَخُ الْقُرْآنُ بِالسُّنَّةِ لِأَنَّهَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ اللهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم] وَجُعِلَ مِنْهُ آيَةُ الْوَصِيَّةِ الْآتِيَةُ.

وَالثَّالِثُ: إِذَا كَانَتِ السُّنَّةُ بِأَمْرِ اللهِ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ نَسَخَتْ، وَإِنْ كَانَتْ بِاجْتِهَادٍ فَلَا حَكَاهُ ابْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: حَيْثُ وَقَعَ نَسْخُ الْقُرْآنِ بِالسُّنَّةِ فَمَعَهَا قُرْآنٌ عَاضِدٌ لَهَا وَحَيْثُ وَقَعَ نَسْخُ السُّنَّةِ بِالْقُرْآنِ فَمَعَهُ سُنَّةٌ عَاضِدَةٌ لَهُ لِيَتَبَيَّنَ تَوَافُقِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ بُسِطَتْ فُرُوعُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ جَمْعِ الْجَوَامِعِ فِي الْأُصُولِ.

الثَّالِثَةُ: لَا يَقَعُ النَّسْخُ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَوْ بِلَفْظِ الْخَبَرِ، أَمَّا الْخَبَرُ الَّذِي لَيْسَ بِمَعْنَىٰ الطَّلَبِ فَلَا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ وَمِنْهُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ عَرَفْتَ فَسَادَ صُنْعِ مَنْ أَدْخَلَ فِي كُتُبِ النَّسْخِ كَثِيرًا مِنْ آيَاتِ الْإِخْبَارِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

الرَّابِعَةُ: النَّسْخُ أَقْسَامٌ:

أَحَدُهَا: نَسْخُ الْمَأْمُورِ بِهِ قَبْلَ امْتِثَالِهِ وَهُوَ النَّسْخُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ كَآيَةِ النَّجْوَىٰ.

الثَّانِي: مَا نُسِخَ مِمَّا كَانَ شَرْعًا لِمَنْ قَبْلَنَا كَآيَةِ شَرْعِ الْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ أَوْ كَانَ أُمِرَ بِهِ أَمْرًا جُمْلِيًّا كَنَسْخِ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْكَعْبَةِ وَصَوْمِ عَاشُورَاءَ بِرَمَضَانَ وَإِنَّمَا يُسَمَّىٰ هَذَا نَسْخًا تَجَوُّزًا.

الثَّالِثُ: مَا أُمِرَ بِهِ لِسَبَبٍ ثُمَّ يَزُولُ السَّبَبُ كَالْأَمْرِ حِينَ الضَّعْفِ وَالقِلَّةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّفْحِ ثُمَّ نُسِخَ بِإِيجَابِ الْقِتَالِ وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ نَسْخًا بَلْ هُوَ مِنْ قِسْمِ الْمُنْسَأ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْنُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] فَالْمُنْسَأُ هُوَ الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ إِلَىٰ أَنْ يَقْوَىٰ الْمُسْلِمُونَ وَفِي حَالِ الضَّعْفِ يَكُونُ الْحُكْمُ وُجُوبَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَذَىٰ، وَبِهَذَا يَضْعُفُ مَا لَهِجَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنْ أَنَّ الْآيَةَ فِي ذَلِكَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هِيَ مِنَ الْمُنْسَأ بِمَعْنَىٰ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ وَرَدَ يَجِبُ امْتِثَالُهُ فِي وَقْتٍ مَا لِعِلَّةٍ يقتضي ذَلِكَ الْحُكْمَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ بِانْتِقَالِ تِلْكَ الْعِلَّةِ إِلَىٰ حُكْمٍ آخَرَ وَلَيْسَ بِنَسْخٍ إِنَّمَا النَّسْخُ الْإِزَالَةُ لِلْحُكْمِ حَتَّىٰ لَا يَجُوزَ امْتِثَالُهُ.

وَقَالَ مَكِّيٌّ: ذَكَرَ جَمَاعَةٌ أَنَّ مَا وَرَدَ فِي الْخِطَابِ مُشْعِرٌ بِالتَّوْقِيتِ وَالْغَايَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٠٩] مُحْكَمٌ غَيْرُ مَنْسُوخٍ لِأَنَّهُ مُؤَجَّلٌ بِأَجَلٍ، وَالْمُؤَجَّلُ بِأَجَلٍ لَا نَسْخَ فِيهِ.

الْخَامِسَةُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: سُوَرُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ أَقْسَامٌ: قِسْمٌ لَيْسَ فِيهِ نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ وَهُوَ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ: سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَيُوسُفَ وَيس وَالْحُجُرَاتِ وَالرَّحْمَنِ وَالْحَدِيدِ وَالصَّفِّ وَالْجُمُعَةِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْمُلْكِ وَالْحَاقَّةِ وَنُوحٍ وَالْجِنِّ وَالْمُرْسَلَاتِ وَعَمَّ وَالنَّازِعَاتِ وَالِانْفِطَارِ وَثَلَاثٍ بَعْدَهَا وَالْفَجْرِ وَمَا بَعْدَهَا إِلَىٰ آخِرِ الْقُرْآنِ إِلَّا التِّينَ والعصرَ والكافرين، وَقِسْمٌ فِيهِ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ الْبَقَرَةُ وَثَلَاثٌ بَعْدَهَا وَالْحَجُّ وَالنُّورُ وَتَالِيَاهَا وَالْأَحْزَابُ وَسَبَأٌ وَالْمُؤْمِنُ وَالشُّورَىٰ وَالذَّارِيَاتُ وَالطُّورُ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُجَادَلَةُ وَالْمُزَّمِّلُ وَالْمُدَّثِّرُ وَكُوِّرَتْ وَالْعَصْرِ وَقِسْمٌ فِيهِ النَّاسِخُ فَقَطْ وَهُوَ سِتٌّ الْفَتْحُ وَالْحَشْرُ وَالْمُنَافِقُونَ وَالتَّغَابُنُ وَالطَّلَاقُ، وَالْأَعْلَىٰ.

وَقِسْمٌ فِيهِ الْمَنْسُوخُ فَقَطْ وَهُوَ الْأَرْبَعُونَ الْبَاقِيَةُ كَذَا قَالَ وَفِيهِ نَظَرٌ يُعْرَفُ مِمَّا سَيَأْتِي.

السَّادِسَةُ: قَالَ مَكِّيٌّ: النَّاسِخُ أَقْسَامٌ فَرْضٌ نَسَخَ فَرْضًا، وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْأَوَّلِ

كَنَسْخِ الْحَبْسِ لِلزَّوَانِي بِالْحَدِّ وَفَرْضٌ نَسَخَ فَرْضًا، وَيَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْأَوَّلِ كَآيَةِ الْمُصَابَرَةِ وَفَرْضٌ نَسَخَ نَدْبًا كَالْقِتَالِ كَانَ نَدْبًا ثُمَّ صَارَ فَرْضًا، وَنَدْبٌ نَسَخَ فَرْضًا كَقِيَامِ اللَّيْلِ نُسِخَ بِالْقِرَاءَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

السَّابِعَةُ: النَّسْخُ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ:

أَحَدُهَا: مَا نُسِخَ تِلَاوَتُهُ وَحُكْمُهُ مَعًا قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ «**عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ فَنُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُنَّ مِمَّا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ**»، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي قَوْلِهَا: «**وَهُنَّ مِمَّا يُقْرَأُ**» فَإِنَّ ظَاهِرَهُ بَقَاءُ التِّلَاوَةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَأُجِيبُ بِأَنَّ الْمُرَادَ: قَارَبَ الْوَفَاةَ أَوْ أَنَّ التِّلَاوَةَ نُسِخَتْ أَيْضًا وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ كُلَّ النَّاسِ إِلَّا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ وَبَعْضُ النَّاسِ يَقْرَؤُهَا.

وَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ: نَزَلَتْ ثُمَّ رُفِعَتْ.

وَقَالَ مَكِّيٌّ: هَذَا الْمِثَالُ فِيهِ الْمَنْسُوخُ غَيْرُ مَتْلُوٍّ وَالنَّاسِخُ أَيْضًا غَيْرُ مَتْلُوٍّ، وَلَا أَعْلَمُ لَهُ نَظِيرًا انْتَهَىٰ.

الضَّرْبُ الثَّانِي: مَا نُسِخَ حُكْمُهُ دُونَ تِلَاوَتِهِ، وَهَذَا الضَّرْبُ هُوَ الَّذِي فِيهِ الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ وَهُوَ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ قَلِيلٌ جِدًّا، وَإِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ تِعْدَادِ الْآيَاتِ فِيهِ فَإِنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ بَيَّنَ ذَلِكَ وَأَتْقَنَهُ.

وَالَّذِي أَقُولُهُ: إِنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمُكْثِرُونَ أَقْسَامٌ قِسْمٌ لَيْسَ مِنَ النَّسْخِ فِي شَيْءٍ وَلَا مِنَ التَّخْصِيصِ وَلَا لَهُ بِهِمَا عَلَاقَةٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة] و ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٤] وَنَحْوِ ذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ بَاقٍ، أَمَّا الْأُولَىٰ فَإِنَّهَا خَبَرٌ فِي مَعْرِضِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِالْإِنْفَاقِ، وَذَلِكَ يَصْلُحُ أَنْ يُفَسَّرَ بِالزَّكَاةِ وَبِالْإِنْفَاقِ عَلَىٰ الْأَهْلِ وَبِالْإِنْفَاقِ فِي الْأُمُورِ الْمَنْدُوبَةِ كَالْإِعَانَةِ وَالْإِضَافَةِ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا

نَفَقَةٌ وَاجِبَةٌ غَيْرُ الزَّكَاةِ، وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ يَصْلُحُ حَمْلُهَا عَلَىٰ الزَّكَاةِ وَقَدْ فُسِّرَتْ بِذَلِكَ.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين] قِيلَ: إِنَّهَا مِمَّا نُسِخَ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ أَبَدًا لَا يَقْبَلُ هَذَا الْكَلَامُ النَّسْخَ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ الْأَمْرَ بِالتَّفْوِيضِ وَتَرْكِ الْمُعَاقَبَةِ وَقَوْلُهُ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣] عَدَّهُ بَعْضُهُمْ مِنَ الْمَنْسُوخِ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَقَدْ غَلَّطَهُ ابْنُ الْحَصَّارِ بِأَنَّ الْآيَةَ حِكَايَةٌ عَمَّا أَخَذَهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِيثَاقِ فَهُوَ خَبَرٌ لَا نَسْخَ فِيهِ وَقِسْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَقِسْمٌ هُوَ مَنْ قِسْمِ الْمَخْصُوصِ لَا مِنْ قِسْمِ الْمَنْسُوخِ، وَقَدِ اعْتَنَىٰ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بِتَحْرِيرِهِ فَأَجَادَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر:٢،٣] ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤﴾ [الشعراء] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء:٢٢٧] ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي خُصَّتْ بِاسْتِثْنَاءٍ أَوْ غَايَةٍ، وَقَدْ أَخْطَأَ مَنْ أَدْخَلَهَا فِي الْمَنْسُوخِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة:٢٢١] قِيلَ: إِنَّهُ نُسِخَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة:٥] وَإِنَّمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِ.

وَقِسْمٌ رَفَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ فِي شَرَائِعِ مَنْ قَبْلَنَا أَوْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَنْزِلْ فِي الْقُرْآنِ كَإِبْطَالِ نِكَاحِ نِسَاءِ الْآبَاءِ وَمَشْرُوعِيَّةِ الْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ وَحَصْرِ الطَّلَاقِ فِي الثَّلَاثِ، وَهَذَا إِدْخَالُهُ فِي قِسْمِ النَّاسِخِ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ عَدَمَ إِدْخَالِهِ أَقْرَبُ وَهُوَ الَّذِي رَجَّحَهُ مَكِّيٌّ وَغَيْرُهُ وَوَجَّهُوهُ بِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ عُدَّ فِي النَّاسِخِ لَعُدَّ جَمِيعُ الْقُرْآنِ مِنْهُ إِذْ كُلُّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ رَافِعٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْكُفَّارُ وَأَهْلُ الْكِتَابِ قَالُوا: وَإِنَّمَا حَقُّ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ أَنْ تَكُونَ آيَةٌ نَسَخَتْ آيَةً انْتَهَىٰ.

فصل في معرفة الوقف والابتداء

الإمام الداني: معرفةُ ما يتمُّ الوقفُ عليه وما يحْسُنُ وما يقبحُ من أجلِّ أدواتِ

القُراءِ المُحققين والأئمة المتصدِّرين، وذلك مما تلزم معرفتُه الطالبين وسائرَ التالين؛ إذ هو قطبُ التجويدِ، وبه يوصلُ إلىٰ نهايةِ التحقيقِ انتهىٰ.

ولأنه يتوصل بهذا العلم لفهم القرآن جعل الأئمة تعلمه أمرًا لا بد منه لمن أراد معرفة معاني القرآن واستنباط الأدلة منه، وجعلوا ذلك مما يعين علىٰ الغوص علىٰ فرائد القرآن ودرره.

وقال علم الدين السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ففي معرفة الوقف والابتداء الذي دونه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم وتعريف مقاصده وإظهار فوائده، وبه يتهيأ الغوص علىٰ درره وفرائده.

وقال السيوطي: أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِق مِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَالزُّجَاجُ وَالدَّانِيُّ وَالْعُمَانِيُّ وَالسَّجَاوَنْدِيُّ وَغَيْرُهُمْ. وَهُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ بِهِ يُعْرَفُ كَيْفَ أَدَاءُ الْقِرَاءَةِ، وَالْأَصْلُ فيه ما أخرج النَّحَّاسُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْأَنْبَارِيُّ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ العلاء بن أُبَيٍّ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عمر الزُّرَقِيُّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ الْبَكْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ ابن عُمَرَ يَقُولُ: لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيُؤْتَىٰ الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ وَتَنْزِلُ السُّورَةُ علىٰ محمد فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَتَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ الْيَوْمَ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَىٰ أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، قَالَ النَّحَّاسُ: فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْأَوْقَافَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ.

وَقَوْلُ ابْنِ عُمَرَ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا» يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ إِجْمَاعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ثابت أَخْرَجَ هَذَا الْأَثَرَ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، قَالَ: التَّرْتِيلُ تَجْوِيدُ الْحُرُوفِ وَمَعْرِفَةُ الْوُقُوفِ.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مِنْ تَمَامِ مَعْرِفَةِ الْقُرْآنِ مَعْرِفَةُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ فِيهِ.

وَقَالَ النِّكْزَاوِيُّ: بَابُ الْوَقْفِ عَظِيمُ الْقَدْرِ جَلِيلُ الخطر لأنه لايتأتىٰ لِأَحَدٍ مَعْرِفَةُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَلَا اسْتِنْبَاطُ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْفَوَاصِلِ.

وَفِي النَّشْرِ لِابْنِ الْجَزَرِيِّ: لَمَّا لَمْ يُمَكِّنِ الْقَارِئُ أَنْ يَقْرَأَ السُّورَةَ أَوِ الْقِصَّةَ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ وَلَمْ يَجُزِ التَّنَفُّسُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ حَالَةَ الْوَصْلِ بَلْ ذَلِكَ كَالتَّنَفُّسِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلِمَةِ وَجَبَ حينئذ اختيارُ وقفٍ لِلتَّنَفُّسِ وَالِاسْتِرَاحَةِ وَتَعَيَّنَ ارْتِضَاءُ ابْتِدَاءٍ بعده، وتحتم أَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا يُحِيلُ الْمَعْنَىٰ، وَلَا يُخِلُّ بِالْفَهْمِ إِذْ بِذَلِكَ يَظْهَرُ الْإِعْجَازُ وَيَحْصُلُ الْقَصْدُ؛ وَلِذَلِكَ حَضَّ الْأَئِمَّةُ عَلَىٰ تَعَلُّمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ.

وَفِي كَلَامِ عَلِيٍّ دَلِيلٌ عَلَىٰ وُجُوبِ ذَلِكَ وَفِي كَلَامِ ابْنِ عُمَرَ بُرْهَانٌ عَلَىٰ أَنَّ تَعَلُّمَهُ إِجْمَاعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَصَحَّ - بَلْ تَوَاتَرَ - عِنْدَنَا تَعَلُّمُهُ وَالِاعْتِنَاءُ بِهِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ كَأَبِي جَعْفَرٍ يَزِيدَ بْنِ الْقَعْقَاعِ أَحَدُ أَعْيَانِ التَّابِعِينَ وَصَاحِبِهِ الْإِمَامِ نَافِعٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَيَعْقُوبَ وَعَاصِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَكَلَامُهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ وَنُصُوصُهُمْ عَلَيْهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْكُتُبِ وَمِنْ ثَمَّ اشْتَرَطَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلَفِ عَلَىٰ الْمُجِيزِ ألا يحيز أحدا إلا بعد معرفته الْوَقْفَ وَالِابْتِدَاءَ وَصَحَّ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

إِذَا قَرَأْتَ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾ [الرحمن] فَلَا تَسْكُتْ حَتَّىٰ تَقْرَأَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن].

قُلْتُ: أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

فصل: في أنواع الوقف

اصْطَلَحَ الْأَئِمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ لِأَنْوَاعِ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ أَسْمَاءً وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْوَقْفُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: تَامٌّ، وَحَسَنٌ، وَقَبِيحٌ.

فَالتَّامُّ: الَّذِي يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ وَالِابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ كقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ [البقرة] وَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ [البقرة].

وَالْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ وَلَا يَحْسُنُ الِابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة] لِأَنَّ الابتداء بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة] لَا يَحْسُنُ لِكَوْنِهِ صِفَةً لِمَا قَبْلَهُ.

وَالْقَبِيحُ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِتَامٍّ وَلَا حَسَنٍ، كَالْوَقْفِ عَلَىٰ «بِسْمِ» مِنْ قَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [الفاتحة:١] .قَالَ: وَلَا يَتِمُّ الْوَقْفُ عَلَىٰ الْمُضَافِ دُونَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَلَا الْمَنْعُوتِ دُونَ نَعْتِهِ وَلَا الرَّافِعِ دُونَ مَرْفُوعِهِ وَعَكْسِهِ وَلَا النَّاصِبِ دُونَ مَنْصُوبِهِ وَعَكْسِهِ وَلَا الْمُؤَكَّدِ دُونَ تَوْكِيدِهِ وَلَا الْمَعْطُوفِ دُونَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَلَا الْبَدَلِ دُونَ مُبْدَلِهِ وَلَا إِنَّ أَوْ كَانَ أَوْ ظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا دُونَ اسْمِهَا وَلَا اسْمِهَا دُونَ خَبَرِهَا وَلَا الْمُسْتَثْنَىٰ مِنْهُ دُونَ الِاسْتِثْنَاءِ وَلَا الْمَوْصُولِ دُونَ صلته اسميا أو حرفيا وَلَا الْفِعْلِ دُونَ مَصْدَرِهِ وَلَا حرف دُونَ مُتَعَلَّقِهِ وَلَا شَرْطٍ دُونَ جَزَائِهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الْوَقْفُ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: تَامٍّ مُخْتَارٍ، وَكَافٍ جَائِزٍ، وَحَسَنٍ مَفْهُومٍ، وَقَبِيحٍ مَتْرُوكٍ.

وَقَالَ السَّجَاوَنْدِيُّ: الْوَقْفُ عَلَىٰ خَمْسِ مَرَاتِبَ: لَازِمٌ، وَمُطْلَقٌ، وَجَائِزٌ، وَمُجَوَّزٌ لِوَجْهٍ، وَمُرَخَّصٌ ضَرُورَةً.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الْوَقْفُ فِي التَّنْزِيلِ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَضْرُبٍ تَامٍّ وَشَبِيهٍ بِهِ وَنَاقِصٍ وَشَبِيهٍ بِهِ وَحَسَنٍ وَشَبِيهٍ بِهِ، وَقَبِيحٍ وَشَبِيهٍ بِهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ النَّاسُ فِي أَقْسَامِ الْوَقْفِ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَا مُنْحَصِرٍ، وَأَقْرَبُ مَا قُلْتُهُ فِي ضَبْطِهِ: أَنَّ الْوَقْفَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ اخْتِيَارِيٍّ وَاضْطِرَارِيٍّ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِمَّا أَنْ يَتِمَّ أَوْ لَا، فَإِنْ تَمَّ كَانَ اختياريا، وكونُه تامًّا لا يخلو إِمَّا أَلَّا يَكُونَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَا بَعْدَهُ الْبَتَّةَ - أَيْ لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَىٰ - فَهُوَ الْوَقْفُ الْمُسَمَّىٰ بِالتَّامِّ لِتَمَامِهِ الْمُطْلَقِ يُوقَفُ عَلَيْهِ ويبتدأُ بِمَا بَعْدَهُ ثُمَّ مَثَّلَهُ بِمَا تَقَدَّمَ فِي التَّامِّ.

قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الْوَقْفُ تَامًّا فِي تَفْسِيرٍ وَإِعْرَابٍ وَقِرَاءَةٍ غَيْرَ تَامٍّ عَلَىٰ آخَرَ نَحْوُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] تَامٌّ إِنْ كَانَ مَا بَعْدَهُ مُسْتَأْنَفًا غَيْرُ تَامٍّ إِنْ كَانَ مَعْطُوفًا. وَنَحْوُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ الْوَقْفُ عَلَيْهَا تَامٌّ إِنْ أُعْرِبَتْ مُبْتَدًا وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَوْ عَكْسُهُ أَيْ الم هَذِهِ أَوْ هَذِهِ الم، أَوْ مَفْعُولًا بِـ«قُلْ» مُقَدَّرًا، غَيْرُ تَامٍّ إِنْ كَانَ مَا بَعْدَهَا هُوَ الْخَبَرُ.

وَنَحْوُ: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:١٢٥] تَامٌّ عَلَىٰ قِرَاءَةِ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ [البقرة:١٢٥] بِكَسْرِ الْخَاءِ، كَافٍ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْفَتْحِ وَنَحْوُ: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم] تَامٌّ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ رَفَعَ الِاسْمَ الْكَرِيمَ بَعْدَهَا، حَسَنٌ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ خَفَضَ.

وَقَدْ يَتَفَاضَلُ التَّامُّ نَحْوَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] كِلَاهُمَا تَامٌّ إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ أَتَمُّ مِنَ الثَّانِي لِاشْتِرَاكِ الثَّانِي فِيمَا بَعْدَهُ فِي مَعْنَىٰ الْخِطَابِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ بَعْضُهُمْ شَبِيهًا بِالتَّامِّ.

وَمِنْهُ ما يتأكدُ استحسانُه لِبَيَانِ الْمَعْنَىٰ الْمَقْصُودِ بِهِ وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ السَّجَاوَنْدِيُّ بِاللَّازِمِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ تَعَلُّقٌ فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَىٰ فَقَطْ وَهُوَ الْمُسَمَّىٰ بِالْكَافِي لِلِاكْتِفَاءِ بِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَمَّا بَعْدَهُ وَاسْتِغْنَاءِ مَا بَعْدَهُ عَنْهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة] وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ ـ وَقَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] .

أو يتفاضل في الكفاية كتفاضل التام نَحْوُ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠] كَافٍ: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠] أَكْفَىٰ مِنْهُ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة:١٠] أَكْفَىٰ مِنْهُمَا.

وَقَدْ يَكُونُ الْوَقْفُ كَافِيًا عَلَىٰ تَفْسِيرٍ وَإِعْرَابٍ وَقِرَاءَةٍ غَيْرَ كَافٍ عَلَىٰ آخَرَ، نَحْوُ

قَوْلِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] كَافٍ إِنْ جُعِلَتْ (مَا) بَعْدَهُ نَافِيَةً حَسَنٌ إِنَّ فُسِّرَتْ مَوْصُولَةً.

﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة] كَافٍ إِنْ أُعْرِبَ مَا بَعْدَهُ مُبْتَدًا خَبَرُهُ: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة:٥] حَسَنٌ إِنْ جُعِلَ خَبَرَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] أَوْ خَبَرَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة:٤].

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۝١٣٩﴾[البقرة] كَافٍ عَلَىٰ قِرَاءَةِ أَمْ تَقُولُونَ بِالْخِطَابِ، حَسَنٌ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْغَيْبِ.

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] كَافٍ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ رَفَعَ: ﴿فَيَغْفِرُ﴾ [البقرة:٢٨٤] وَ: ﴿وَيُعَذِّبُ﴾[البقرة:٢٨٤] حَسَنٌ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ جَزَمَ.

وَإِنْ كَانَ التَّعَلُّقُ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَهُوَ الْمُسَمَّىٰ بِالْحُسْنِ لِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ حَسَنٌ مُفِيدٌ يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ دُونَ الِابْتِدَاءِ بِمَا بَعْدَهُ لِلتَّعَلُّقِ اللَّفْظِيِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَأْسَ آيَةٍ فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِي اخْتِيَارِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْأَدَاءِ لِمَجِيئِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ الْآتِي.

وَقَدْ يَكُونُ الْوَقْفُ حَسَنًا عَلَىٰ تَقْدِيرٍ، وَكَافِيًا أَوْ تَامًّا عَلَىٰ آخَرَ نَحْوُ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة] حَسَنٌ إِنْ جُعِلَ مَا بَعْدَهُ نَعْتًا كَافٍ إن جعل خبر مقدر أو مفعول مقدر عَلَىٰ الْقَطْعِ تَامٌّ إِنْ جُعِلَ مُبْتَدًا خَبَرُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [البقرة:٥].

وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ الْكَلَامُ كَانَ الْوَقْفُ عَلَيْهِ اضْطِرَارِيًّا وَهُوَ الْمُسَمَّىٰ بِالْقَبِيحِ، لَا يَجُوزُ تَعَمُّدُ الْوَقْفِ عَلَيْهِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ مِنِ انْقِطَاعِ نَفَسٍ وَنَحْوِهِ لِعَدَمِ الْفَائِدَةِ أَوْ لِفَسَادِ المعنىٰ نحو: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ [الفاتحة:٧].

وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُ أَقْبَحَ مِنْ بَعْضٍ نَحْوُ: ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ [النساء:١١] لإبهامه أَنَّهُمَا مَعَ الْبِنْتِ شُرَكَاءَ فِي النِّصْفِ.

وَأَقْبَحَ مِنْهُ نَحْوَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ [البقرة:٢٦] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾

[الماعون] ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣].

فَهَذَا حُكْمُ الْوَقْفِ اخْتِيَارِيًّا وَاضْطِرَارِيًّا.

وَأَمَّا الِابْتِدَاءُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا اخْتِيَارِيًّا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَالْوَقْفِ تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ فَلَا يَجُوزُ إِلَّا بِمُسْتَقِلٍّ بِالْمَعْنَىٰ مُوفٍ بِالْمَقْصُودِ وَهُوَ فِي أَقْسَامِهِ كَأَقْسَامِ الْوَقْفِ الْأَرْبَعَةِ وتتفاوت تَمَامًا وَكِفَايَةً وَحُسْنًا وَقُبْحًا بِحَسَبِ التَّمَامِ وَعَدَمِهِ وَفَسَادِ الْمَعْنَىٰ وَإِحَالَتِهُ.

ثناء العلماء على الكتاب

للإمامِ الكواشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيران:

الأول: «تبصرةُ المتذكِّر وتذكرةُ المتبصِّر» وهو كتابٌ مطَّول.

والتفسير الثاني: هو «التلخيصُ في تفسيرِ القرآن العزيز»، وهو كتابُنا، وقد وجدتُ اهتمامًا كبيرًا من العلماء وطلبة العلم بهذا الكتاب، يظهرُ هذا من كثرةِ النُّسخِ المخطوطةِ له، واعتمادِ كثيرٍ من المفسرين عليه كأبي حيان في «**البحر المحيط**»، ونظامِ الدينِ الحسنِ بنِ محمدِ بن حسينِ القُمي النيسابوري في تفسيره «غرائبِ القرآنِ ورغائبِ الفرقانِ»، وأبي السعود في «تفسيره»، وشهابِ الدين أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عمرَ الخفاجيِّ المِصريِّ الحنفيِّ في «حاشيتِهِ علىٰ البيضاوي»، وغيرِهم من العلماءِ.

هذا وقد أثنىٰ علىٰ التفسير جماعة كبيرة من العلماء:

قال ابن العديم في «بُغْيَة الطلب»[1] في ترجمته، وهو عَرَفَ المُتَرْجَمَ ولَقِيَه وتكرَّرَ منه الزيارةُ له في بلده المَوْصِل، واستجازه فأجازه: «وصنف للقرآن تفسيرين: مطوَّلًا ومختصرًا، وقفتُ علىٰ المختصر منهما، وهو حسن مفيد».

وقال اليُونِيني في «ذيل مرآة الزمان» [2] في ترجمة المصنف: «صاحب التفسير

(١) «بُغْيَة الطلب» (٣/ ١٢٦١).

(٢) «ذيل مرآة الزمان» (٤/ ١٠٥).

الكبير والتفسير الصغير، قد أجاد فيهما، وأحسن ما شاء، وغير ذلك».

قال ابن تغري بردي[١]: وفيها -أي في سنة ٦٨٠- توفي الشيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالكواشي، الإمام العالم المفسر، صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير، وهما من أحسن التفاسير.

وقال صاحب كشف الظنون[٢]: التلخيص في التفسير: للشيخ موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي الشافعي، المتوفىٰ سنة ٦٨٠ ثمانين وستمائة، وهو تفسيره الصغير، ذكر فيه ثلاثة وقوف بالرمز، فرمز (تا) إلىٰ التام، و(حسن) إلىٰ الحسن، و(كا) إلىٰ الكافي، وأورد القراءات أيضًا، فرغ من تأليفه في ربيع الآخر سنة ٦٤٩، تسع وأربعين وستمائة.

وكان عملنا في الكتاب:

أولًا: قمت بنسخ الكتاب، وقد اعتمدنا علىٰ نسخة المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما جاء علىٰ غلافها كنسخة أصل للكتاب.

ثانيًا: قمت بضبط النص وتوثيقه، وقد ضبطت الكتاب علىٰ ثلاث نسخ خطية كاملة، ولله الحمد والمنة، رمزنا للنسخة الأولىٰ بالرمز (أ)، والنسخة الثانية رمزنا لها بالرمز (ب)وقد انتهىٰ الناسخ منها في سنة تسع وأربعين وستمائة - يعني في حياة المصنف-، والنسخة الثالثة رمزنا لها بالرمز (جـ)، وقد انتهىٰ الناسخ منها سنة ثلاث وخمسن وسبعمائة.

ثالثًا: ضبط الآيات بالرسم العثماني، وتخريجها من المصحف.

رابعًا: تخريج الأحاديث.

خامسًا: تخريج الآثار الواردة في الكتاب، فإن وقفت عليها مسندة قلت: أخرجه، وإن وقفت عليها غير مسندة قلت: انظر كتاب كذا، وقد وجدت أنَّ

---

(١) «النجوم الزاهرة» (٧/ ٣٤٨).

(٢) «كشف الظنون» (١/ ٤٨٠).

المصنف في نقله للآثار اعتمد علىٰ عدة كتب وهي «تفسير الطبري»، و«تفسير ابن أبي حاتم»، و«الكشف والبيان» للثعلبي، و«تفسير البغوي»، و«الكشاف» للزمخشري وقد بدا تأثر المصنف بالكشاف جدا.

سادسا: ترجمت للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سابعا: عملت مقدمة بينت فيها اسم الكتاب وأهميته، وفصول يحتاجها طالب العلم، وثناء العلماء علىٰ الكتاب، ومنهج مؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهج التحقيق.

وكتبه
دكتور/
عماد قدري العياضي

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن يوسف بن الحسين أبو العباس الكواشي.

قال ابن العديم: وكواشا قلعة حصينة من قلاع الموصل.

قال: وهو رجلٌ من الصالحين الأخيار، والأولياء الأبرار، عالمٌ فاضلٌ، فقيهٌ كاملٌ، عارفٌ بالنحو والتفسير، وسمعَ الحديثَ اليسيرَ.

قال الذهبي: وُلِدَ سنةَ تسعين وخمسمائة، وقرأ علىٰ والده، وقدم دِمَشْقَ، وأخذ عن السخاوي وغيره، وسمع من ابن روزبة، وتقدم في معرفة القراءات والتفسير والعربية.

وكان منقطِعَ القرين عديمَ النظير، زهدًا وصلاحًا وصدقًا وتبتلًا وورعًا واجتهادًا، صاحبَ أحوالٍ وكرامات.

كان السلطانُ فمن دونه يزورونه، فلا يقومُ لهم ولا يعبأُ بهم، ولا يقبلُ صِلَّتهم، أضرَّ قبل موته بسنوات، صنَّف التفسيرَ الكبير والتفسيرَ الصغير.

وبلغنا أنه اشترىٰ قمحا من قرية الجابية لكونها من فتوح عمر رضي الله عنه، ثلاثةَ أمدادٍ وحملها إلىٰ الموصل، فزرعها بأرض البقعة، وخدمها بيده، ثم حصده وتقوت منه.

وخبَّأ بذرا ثم زرعه فنما وكثر، إلىٰ أن بقي يدخل عليه من ذلك القمح ما يقوم به، وبجماعة من أصحابه، وكان إذا أرسل يشفع في شيء عند صاحب الموصل لا يردُّه.

حدثني الشيخُ تقيُّ الدين المقصاتي، قال: قرأت علىٰ الشيخ موفَّق الدين

تفسيره، فلما بلغنا إلىٰ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ منعني من إتمام الكتاب، وقال: أنا أجيزه لك ولا تقول: قرأتُه كلَّه علىٰ المصنِّف، يعني أن للنفس في ذلك حظا.

قال: وغبت عنه سنة ونصفا، فجئت ودققت الباب، وكان قد أضرَّ فجاء ليفتح، وقال: من ذا أبو بكر، فاعتدتها له كرامة.

شيوخه:

حدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، وقرأ النحو علىٰ والده يوسف، وأبي الحرم مكي بن ريان الماكسيني.

قال ابن العديم: وقدم علينا حلب، وأقام بالمسجد المنسوب إلينا، واجتمعت به ولم أسمع منه شيئا لنزول سنده، وعاد من حلب الىٰ الموصل، وانقطع إلىٰ الله في دويرة الصوفية بالجامع العتيق، لزم العبادة بها، وصنف للقرآن تفسيرين مطولًا ومختصرًا، وقفت علىٰ المختصر منهما، وهو حسن مفيد.

وقدمت الموصل رسولا وزرته بالدويرة المذكورة، وجددت العهد برؤيته، وطلبت أن أسمع منه حديثًا فلم يكن عنده شيء من أصوله، فذكر لي حديثًا من حفظه، رواه عن شيخنا ابن الأثير من كتاب الترمذي بإسناده إلىٰ رسول الله ﷺ، وذكره مقطوعًا، وأجاز لي ولولديّ رواية جميع ما يروىٰ عنه؛ ثم قدمت الموصل مرة أخرىٰ في شهور سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وجددت العهد بزيارته، والتبرك به، فاجتمعت به بالجامع العتيق بعد صلاة الجمعة وقد أضرَّ، ووجدت بين يديه علىٰ سجادته منديلا قد وضعه وهو يسجد عليه، لما فرغ من صلاته قال لي معتذرًا: هذا المنديل أضعه بين يدي في الصلاة، وأسجد عليه خوفًا من أن أميل عن القبلة في حالة السجود.

تلامذته:

لقد تتلمذ علىٰ يديه جماعةٌ كبيرة، منهم: مُحَمَّد بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، الإِمَامُ

الْكَبِيرُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَوصِلِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، ابْنُ خَرُوفٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْوَرَّاقِ.

قال الذهبي(١): قَرَأَ تَفْسِيرَ الْكَوَاشِيّ عَلَىٰ الْمُصَنِّف.

وأَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْمُشَيِّعِ الْمُقْرِئُ الأُسْتَاذُ تَقِيُّ الدِّينِ خَطِيبُ الْمُسْلِمِينَ شَيْخُ الْقُرَّاءِ الْجَزَرِيُّ الْمِقْصَّاتِيُّ.

قال الذهبي(٢): قَرَأَ التَّفْسِيرَ عَلَىٰ الشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ الْكَوَاشِيّ.

ومُوسَىٰ بن عَليّ بن مُوسَىٰ بن يُوسُف بن مُحَمَّد الزرزاري القطبي ضِيَاء الدّين.

قال ابن حجر(٣): قَرَأَ علىٰ الكواشي التَّفْسِيرَ الصَّغِيرَ وَسمع مِنْهُ التَّفْسِيرَ الْكَبِيرَ.

ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي(٤): العلامة الزَّاهِد موفق الدّين أحْمَد بن يُوسُف بن حسن الكواشي الْموصِلِي الْمُفَسّر.

وقال الصفدي(٥): الإِمَام الْعَلامَة الزَّاهِد الْكَبِير موفق الدّين أَبُو الْعَبَّاس الْموصِلِي الكواشي المفسّر نزيل الْموصل.

وقال ابن الجزري(٦): أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الإمام أبو العباس الكواشي الموصلي المفسرُ عالمٌ زاهدٌ كبيرُ القدرِ.

مؤلفاته:

له تفسيران: كبير وسماه «تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر»، وصغير وسماه

(١) «المعجم المختص بالمحدثين» (ص/ ٢٤٧).
(٢) « معجم الشيوخ الكبير» (٢/ ٤١٣).
(٣) «الدرر الكامنة» (٦/ ١٤٣).
(٤) «المعين في طبقات المحدثين» (ص/ ٢١٦).
(٥) «الوافي بالوفيات» (٨/ ١٩٠).
(٦) «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ١٥١).

بـ«**التلخيص في شرح القرآن العزيز**»، المطالع في المبادي والمقاطع في مختصر كتاب الوقوف، والتبصرة في النحو.

وفاته:

تُوُفيَّ في سابعَ عشرَ جمادىٰ الآخرة سنة ثمانين وستمائة.

وصف النسخ الخطية

النسخة الأولىٰ (أ):

هي نسخة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كذا كتب علىٰ غلافها، وهي نسخة جيدة حسنة الخط ملونة، وهي نسخة محفوظة بمكتبة راغب باشا بتركيا تحت رقم٦٨/ تفسير.

عدد لوحاتها: مائتان وسبع وسبعون لوحة، عدد الأسطر في كل صفحة: ثلاثة وثلاثين سطرًا، متوسط عدد الكلمات في كل سطر: خمس وعشرون كلمة، بها بعض الحواشي.

تاريخ نسخها: ٦٤٩ هـ.

النسخة الثانية (ب):

وهي نسخة جيدة

عدد لوحاتها: خمس وأربعون وأربعمائة لوحة، عدد الأسطر: ثمانية وعشرون سطرًا، عدد الكلمات في كل سطر سبع عشرة كلمة تقريبًا.

وهي نسخة محفوظة بمكتبة فاضل أحمد باشا تحت رقم (١٣٥).

تاريخ نسخها: ٧٠٦ هـ.

النسخة الثالثة (جـ):

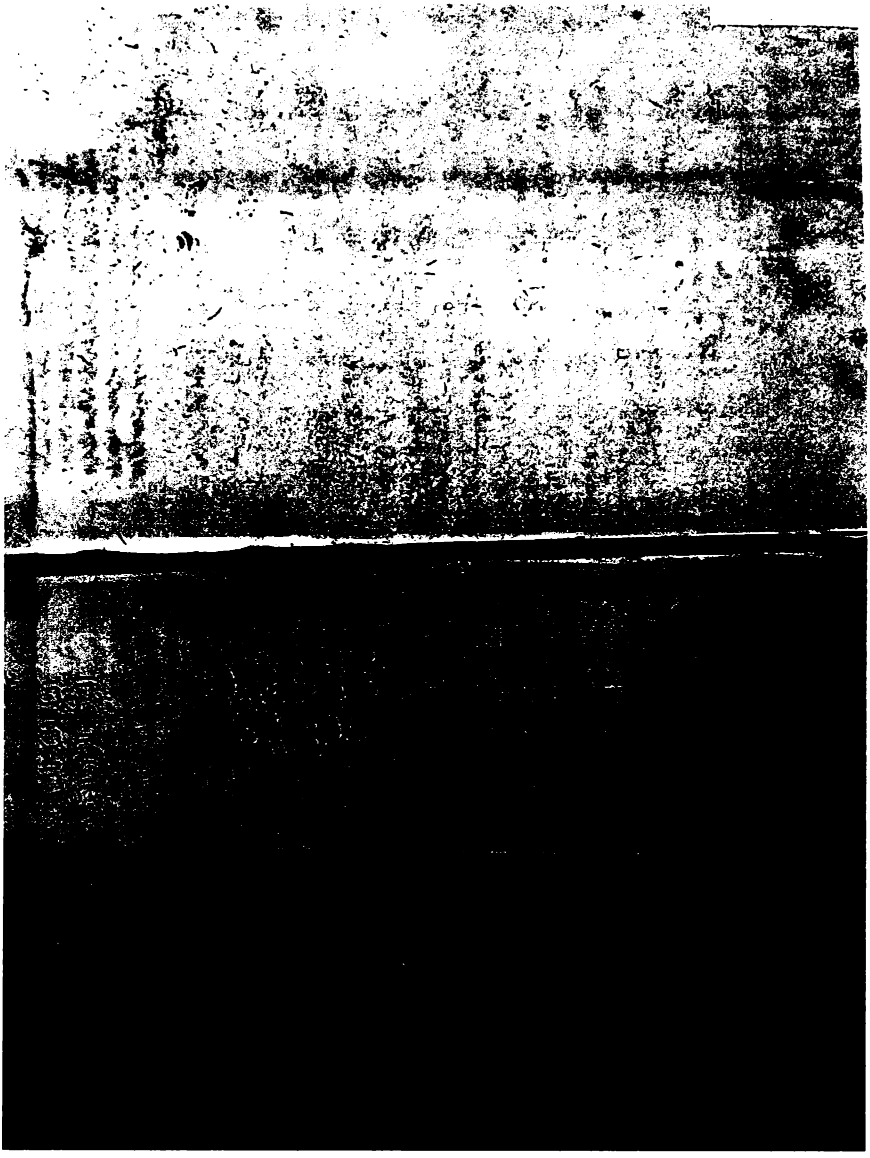
وهي أيضًا نسخة جيدة

عدد لوحاتها: ثلاثمائة وثماني عشرة لوحة، عدد الأسطر: ثلاثة وثلاثون سطرًا، عدد الكلمات في كل سطر سبع عشرة كلمة تقريبًا.

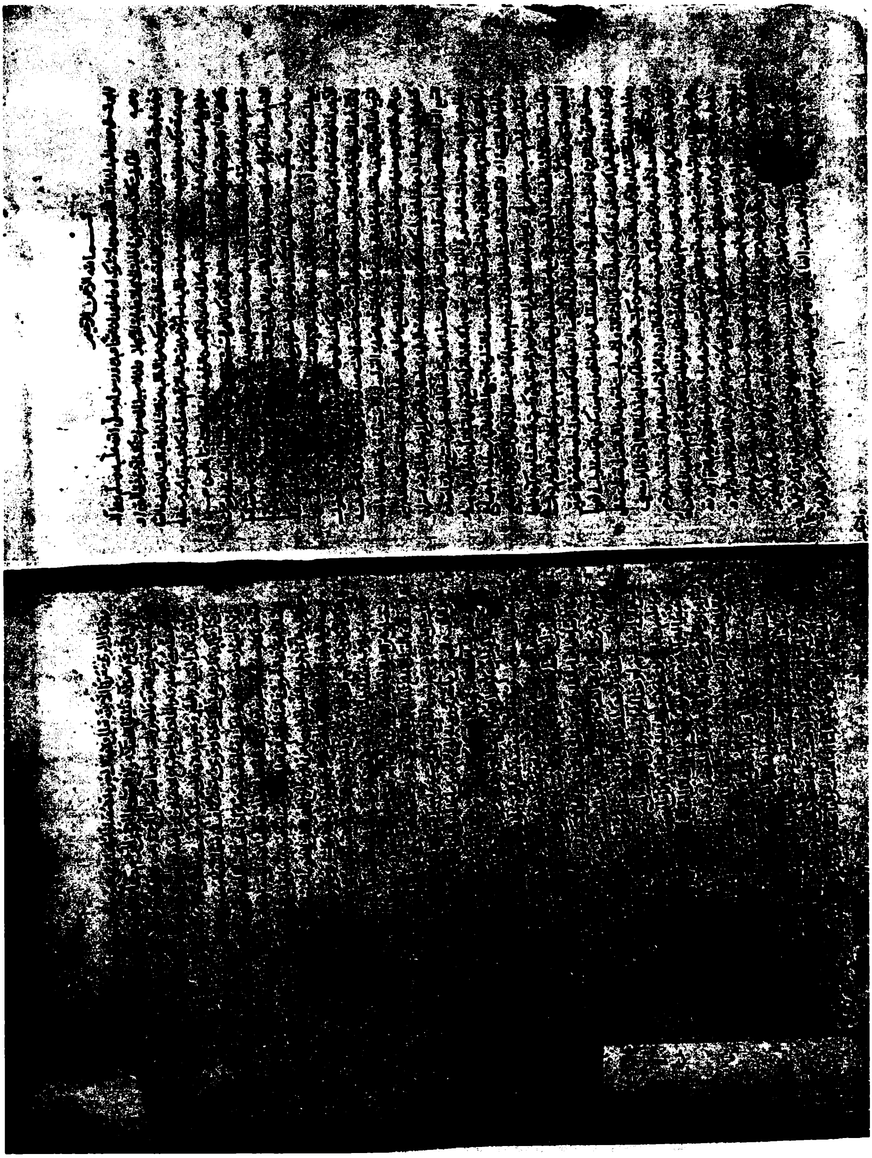
وهي نسخة محفوظة بمكتبة فاضل أحمد باشا تحت رقم (١٣٦).

تاريخ نسخها:٧٥٣ هـ.

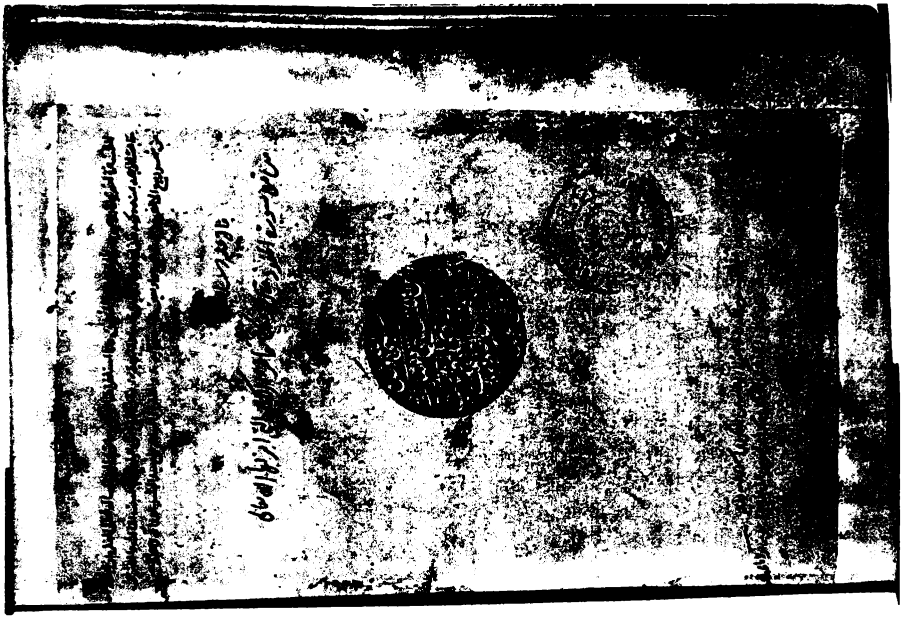
نماذج من صور المخطوطات

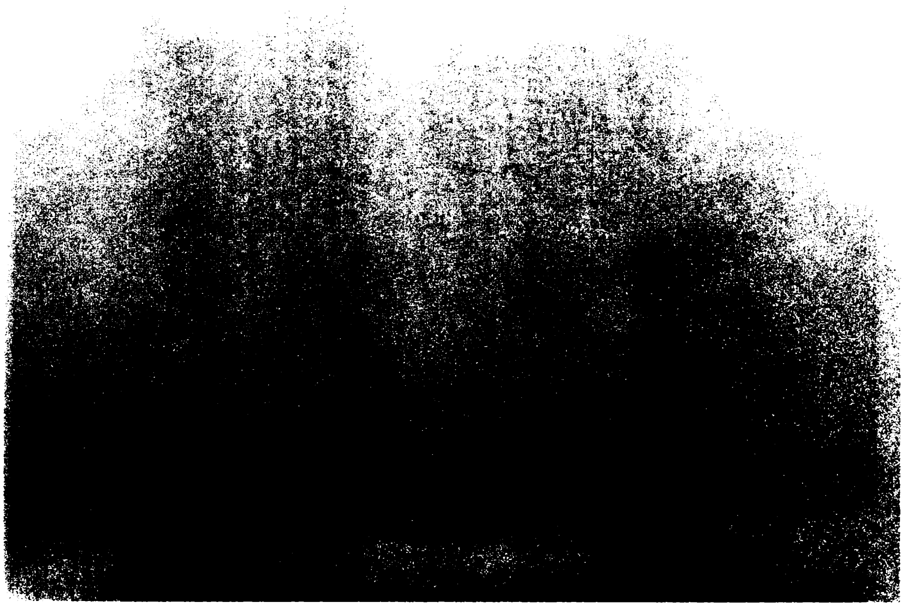


لوحة الغلاف (أ)

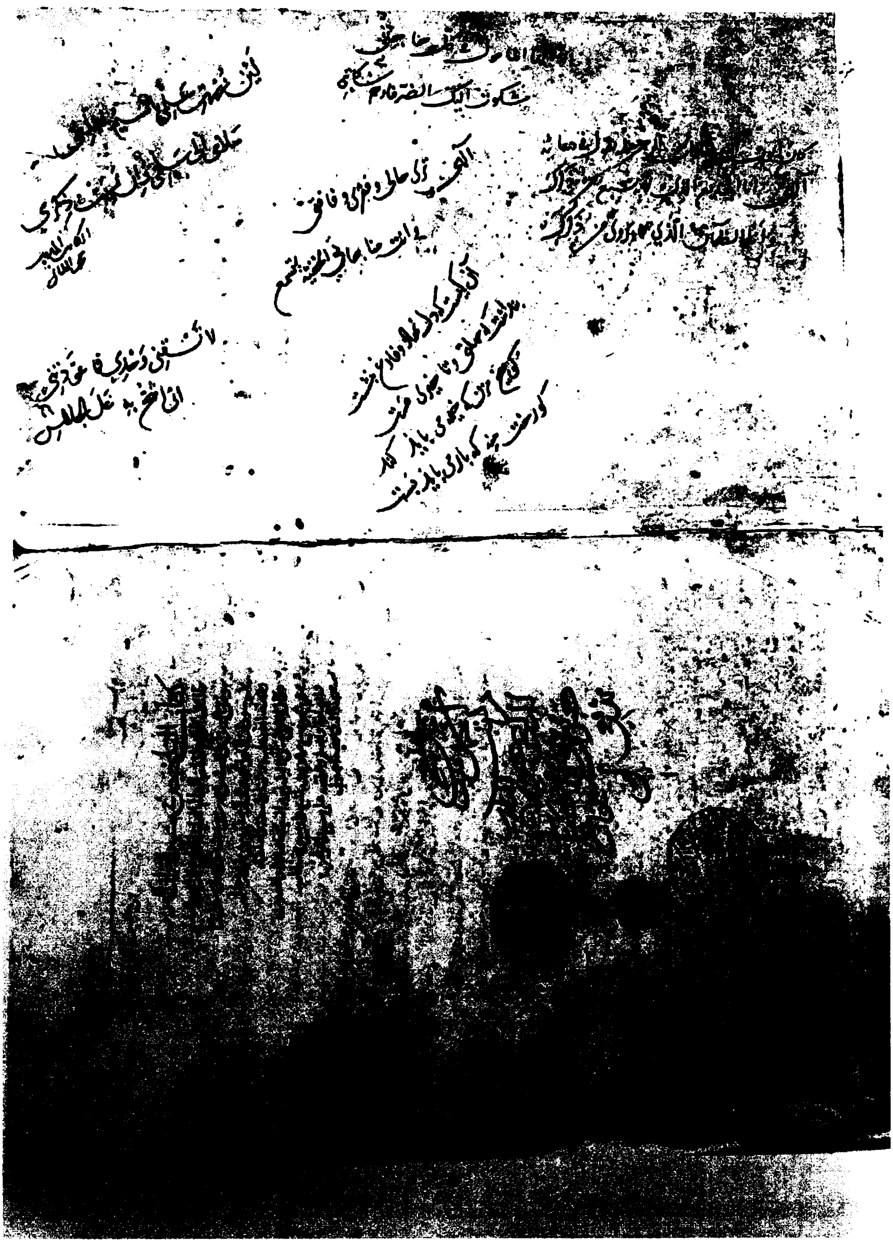


اللوحة الأولى (أ)

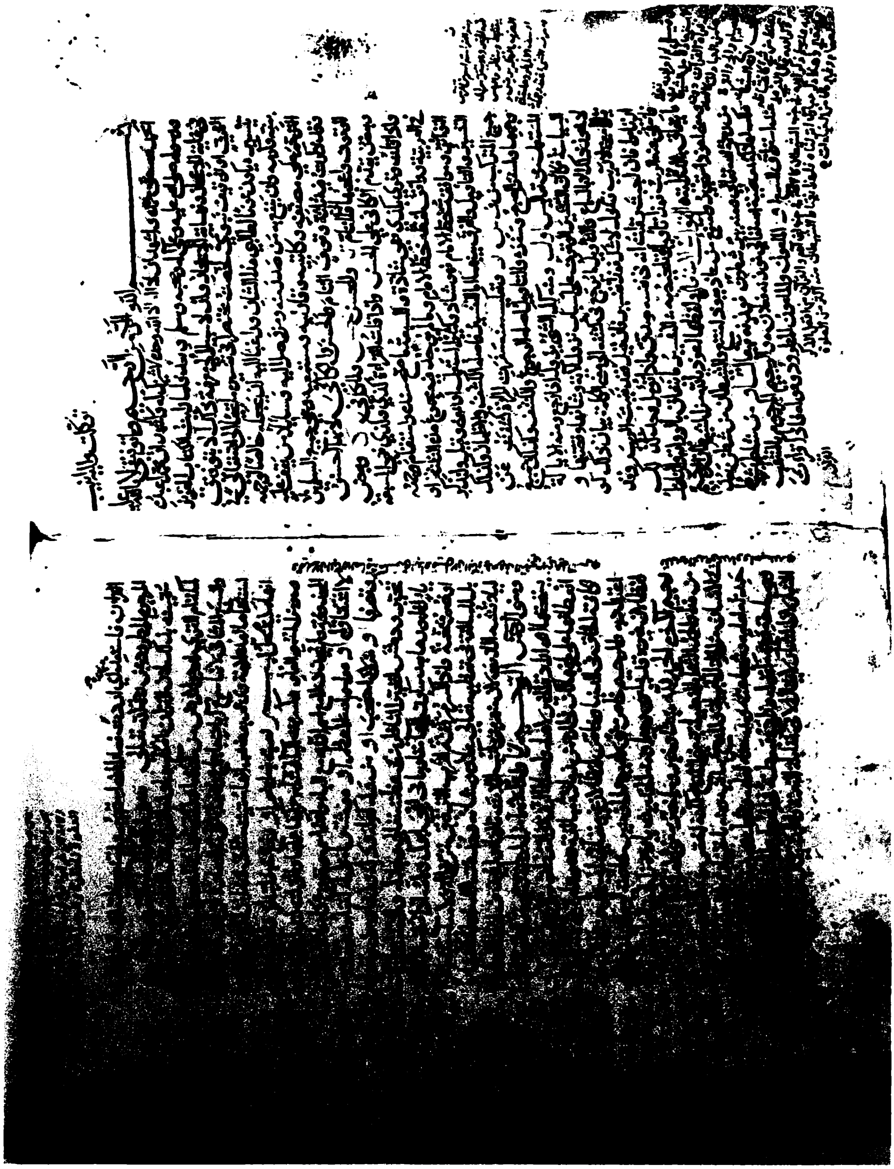




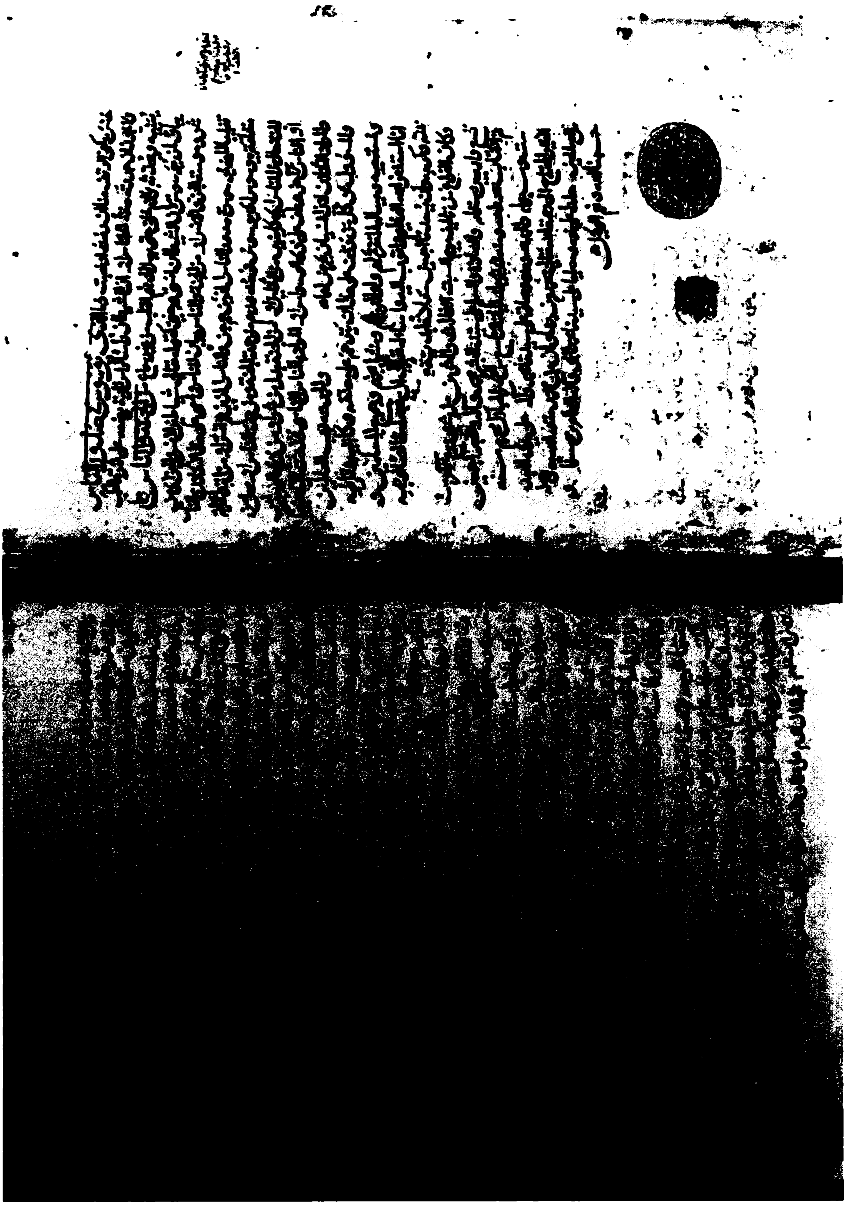
اللوحة الأخيرة (أ)



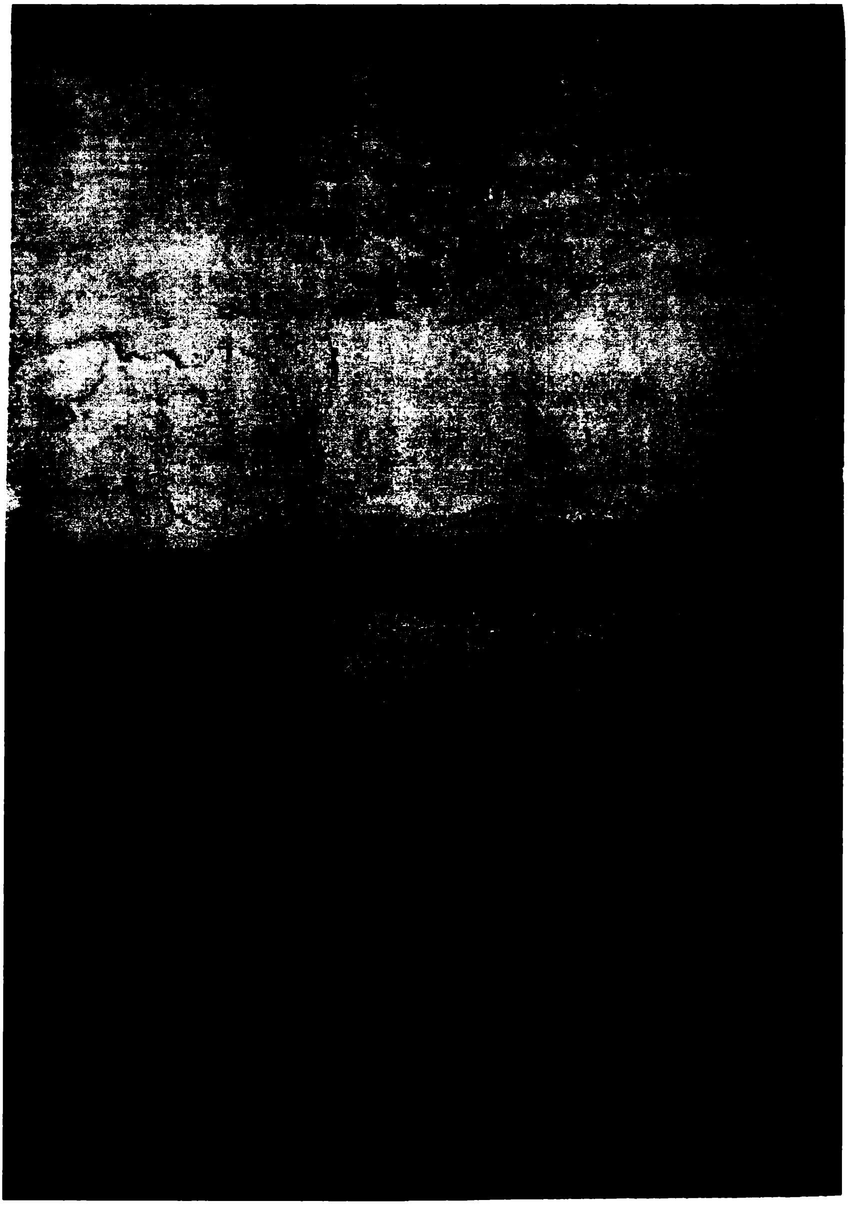
لوحة الغلاف (ب)



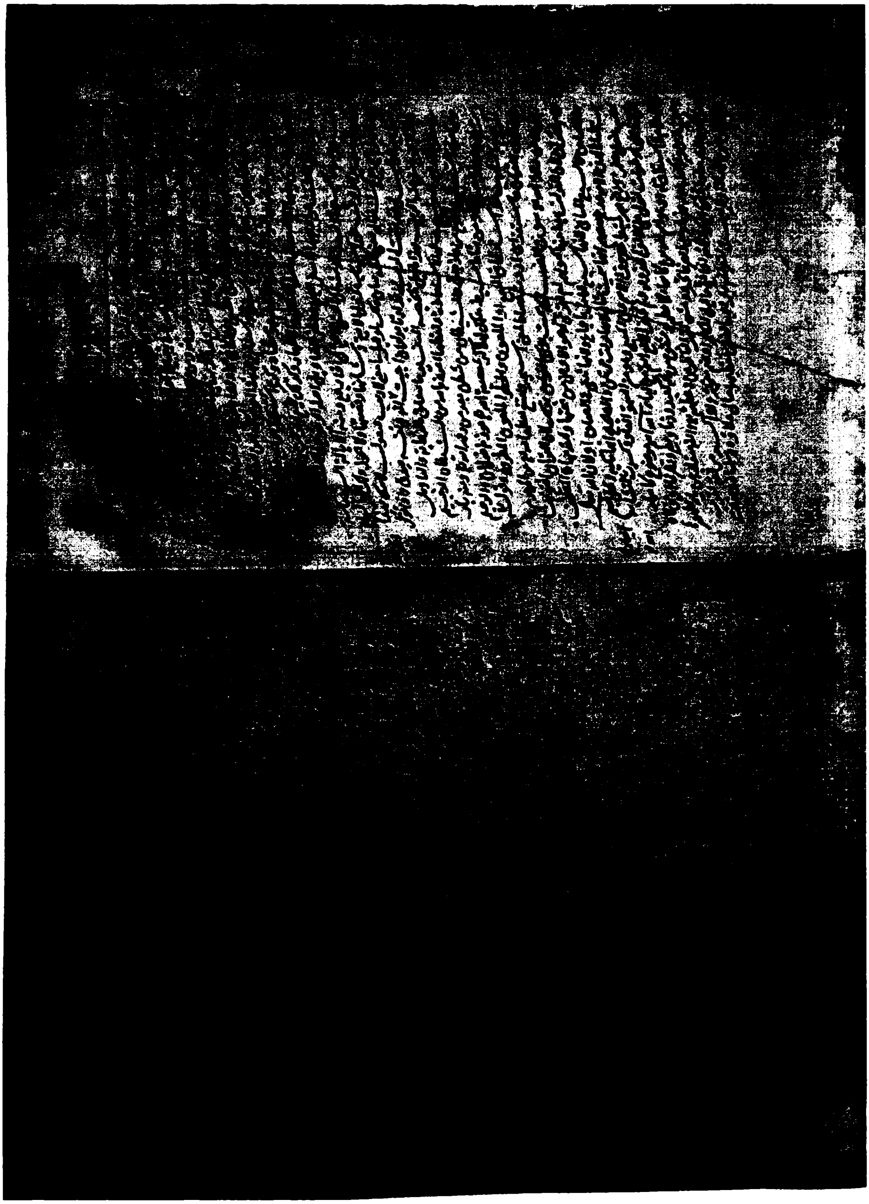
اللوحة الأولى (ب)



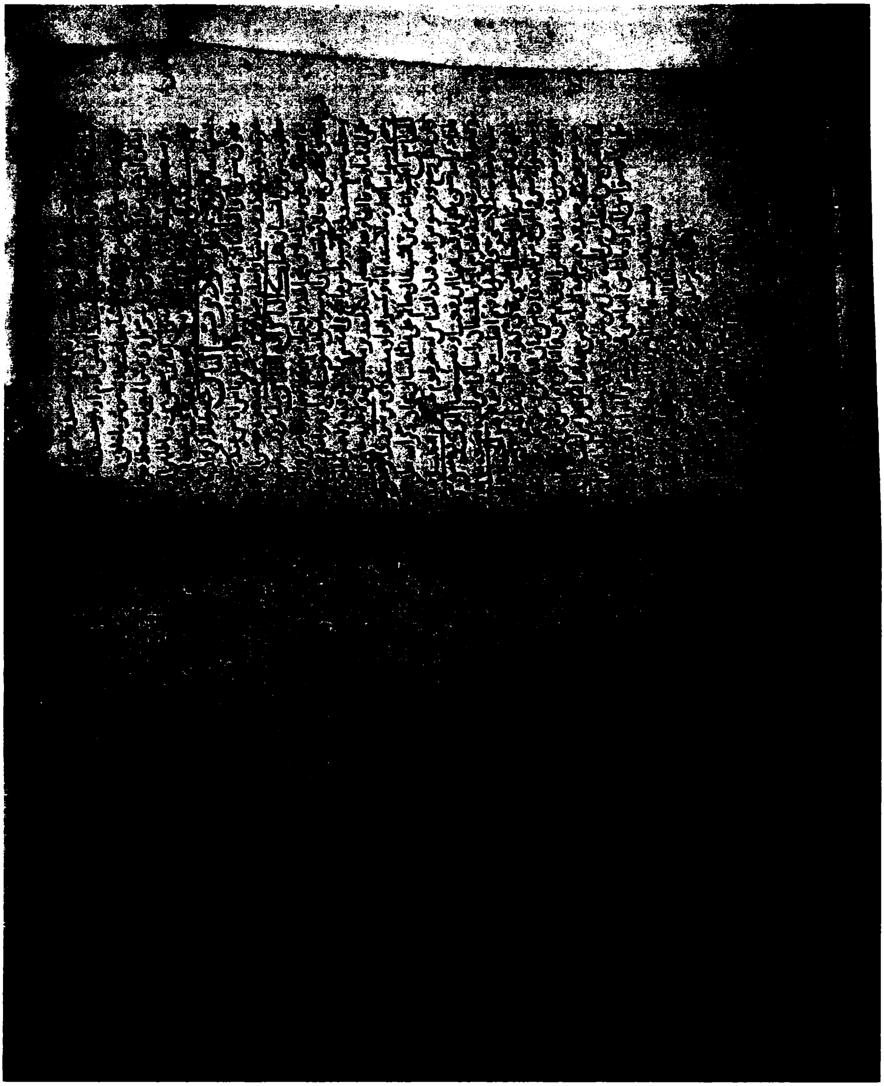
اللوحة الأخيرة (ب)



لوحة الغلاف (ج)



اللوحة الأولى (ج)



اللوحة الأخيرة (ج)

النص المحقق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب][١]

الحمد لله حقّ حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم.

[وبعد][٢]

فلما رأيت الكتاب العزيز في غاية الإعجازِ ونهايةِ الإيجازِ، وأن لا سبيلَ إلىٰ معرفة ذلك إلا بتوفيقٍ إلهي أو [بتوقيف][٣] نبويّ؛ لخصت مختصرًا في تفسيره، ملتجئًا إلىٰ الله تعالىٰ في تيسيره، ويكون عونًا [لطالبي][٤] هذا الشأن،وراغبًا إليه أن يجعله خالصًا لوجهه بمنّه وكرمه، وأن ينفع به من صدر منه ومن وصل إليه، وسائلًا من يقف عليه الترحُّمِ علىٰ مصنّفه [وكاتبه وقارئه][٥] ومستمعه، وعلىٰ جميع المسلمين، وقد ذكرت فيه ثلاثة وقوف: التام، [والكافي، والحسن][٦]؛ لأنَّها أحسن الوقوف وأعجبها إليَّ، فللتام: (تا)، وللحسن (حس)، وللكافي: (كا)، وبعض يقدّم الكافي علىٰ الحسن.

وإذا قلت: القراءة كذا وكذا فهي السبعة ، وإذا قلت:وقرئ بكذا فهي شاذة.

والسبعة: ما صح سنده واستقام وجهُه في العربية ووافق لفظهُ خطَّ الإمام، وما لم يوجد فيه مجموعُ هذه الثلاثة أو التواتر وموافقة خط الإمام فهو شاذٌّ، وكثيراً

(١) زيادة من ب، جـ.

(٢) بياض في أ.

(٣) في ب، جـ: توقيف، والمثبت من أ.

(٤) في ب: لطالبه، والمثبت من أ، ب.

(٥) في جـ: وكاتبيه وقارئيه، والمثبت من أ، ب.

(٦) في ب، جـ: والحسن والكافي، والمثبت من أ.

أستعمل أو بمعنىٰ وقيل، ولنذكر التفسير والتأويل والفرق بينهما:

أما التفسير: فأصله الكشف والإظهار، وكذلك جميع [المركب][1] من (ف س ر) وتعكيسه، منه سفرت المرأة كشفت عن وجهها، وأسفر الصبح وسفر.

والتأويل: أصلُه الرجوعُ والكشفُ، وكذلك جميع المستعمل من تعاكيس، أول، ومنه آل الشيء [يؤول][2] إذا رجع، ومنه الإيالة: السياسة، فكأنَّ التفسير الوقوف علىٰ أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها،ولا يجوز ذلك إلا بالسماع، والتأويل ما يرجع في كشفه إلىٰ معنىٰ الكلمة، بيان ذلك لو قيل: ما معنىٰ «لا ريب»؟ فنقول: لا شك، فهذا تفسير.

فإن قيل: فقد نفيت الريب، وقد ارتابوا؟! فإن أجبت وقلت: إنَّه في نفسه صدق، وإذا تؤمل وجد كذلك [فانتهىٰ][3] عنه الريب، فهذا تأويل.

تلخيصه: التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية.

القول في الاستعاذة:

ولفظها: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ومعنىٰ أعوذ:أستجير وأمتنع، من عاذ يعوذ إذا امتنع.

و«الشيطان»: من شطن بَعُدَ من رحمة الله تعالىٰ، ومنه بئر شطون، فوزنه فيعال، أو من شاط يشيط: هلك لهلاكه بمعصية الله تعالىٰ، فوزنه فعلان.

و«الرجيم»: المرجوم بالشهب عند استراق السمع، أو الملعون، والملعون: المطرود ، وقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ ﴾ [النحل:٩٨]: أي أردت،فصار المعنىٰ أستجير وأمتنع بعظمة الله تعالىٰ من المرجوم المطرود عن رحمة الله تعالىٰ.

---

(١) في ب، جـ: المتركب والمثبت من أ.

(٢) في أ، جـ: يؤل، والمثبت من ب.

(٣) في ب، جـ: فانتفىٰ، والمثبت من أ.

سورة الفاتحة

سميت بذلك لأنَّ القرآن افتتح بها، وأمَّ القرآن لأنَّ القرآن يبدأ منها كقولهم لمكة: أمّ القرىٰ لدحو الأرض من تحتها، ولتقدمها في المصحف وفي الصلاة، والسبع المثاني؛ لأنَّها سبع آيات بإجماع، ولأنَّها [تثنىٰ][١] في الصلاة، أو لأنَّ الله تعالىٰ استثناها لهذه الأمة، وزعم بعضهم أنها سميت مثاني لأنَّها نزلت مرتين، والصحيح أنها مكية.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ .

ومحل﴿بِسْمِ﴾: نصب بفعل مضمر، أو رفع خبر ابتداء، والاسم غير المسمىٰ، وهو من السموّ العلوّ، وكسرت الباء لتشابه حركتها عملها، وطوّلت لتدل علىٰ الألف المحذوفة، ولم [تحذف][٢] إلا مع اسم الله مع الباء.

و﴿ٱللَّهِ﴾: اسم موضوع كالأسماء الأعلام لا اشتقاق لهُ أو هو اسم الله الأعظم، أو هو مشتق من (أله) كعبد وزنًا ومعنىٰ وتصرفًا، أو من (لاه): احتجب، أو من (وله) [كَعَلِهَ][٣] و(دله) وزنًا ومعنىٰ وتصرفًا تحير ودهش؛ لتحير الناظرين في عظمته تعالىٰ وجلاله.

وألفه منقلبة عن ياء لظهورها بعد سكون الهاء مقلوبًا في لهي أبوك ولا مد إذا فتح ما قبل الكلمة [ق/ ٢جـ] [أو ضم][٤] مفخمة، وإذا كسر مرققة [القرب

(١) في أ: يثنىٰ، والمثبت من ب، جـ.
(٢) في ب: يحذف، والمثبت من أ، جـ.
(٣) في ب، جـ: كعله، والمثبت من أ.
(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

الترقيق][1] من الإمالة، ولامه ليست لتعريفه بل للمبالغة في تعظيمه [تعالىٰ علاؤه وشأنه][2]، وحذفت ألفه خطًّا تخفيفًا ولئلا [يشبه][3] اللات؛ لأنَّ منهم من يكتب اللات بالهاء، ولم [تحذف][4] لفظًا إلا شاذًّا.

ومعنىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:(تا) واحد لأنَّهما من الرحمة، وهي ترك عقوبة من يستحقها، أو إرادة الخير لأهله، وأصلها الرقة والتعطف من الرحم لرقتها وانعطافها علىٰ ما فيها، لكن في الرحمن زيادة مبالغة، وهو عام معنىٰ؛ لأنَّه الرازق لكافة الخلق في الدنيا، وخاص لفظًا؛ لأنَّ غيره تعالىٰ لم يسم رحمن، وما شذّ فلا اعتداد به.

والرحيم خاص معنىً؛ لأنَّه يرحم المؤمنين خاصَّة يوم القيامة، وعام لفظًا؛ لأنَّ غيره تعالىٰ قد يسمىٰ رحيمًا، ومنه الحديث:«**يا رحمنَ الدنيا والآخرةِ ويا رحيمَ الآخرة**»[5].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر وهما خبر بمعنىٰ الأمر، وكذا كل ما ورد في القرآن من هذا.

والحمد: الثناء بالفضيلة بمعنىٰ المدح، لكنَّه أخص منه؛ لأنَّ الحمد يكون بما في الإنسان من [الخصال][6] الجميلة، والمدح بما فيه ومنه باختياره وبغير اختياره، تقول: حمدته لعلمه وشجاعته، ومدحته لعلمه وشجاعته، ومدحته [لطول][7] قامته وصباحة وجهه، كقوله: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

(١) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.
(٢) سقط أ، والمثبت من ب، جـ.
(٣) في ب: تشبه، والمثبت من أ، جـ.
(٤) في ب: يحذف، والمثبت من أ، جـ.
(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٦) في ب، جـ: الخلال، والمثبت من أ.
(٧) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.

والحمد أعمُّ من الشكر؛ لأنَّ الشكر لا يقال إلا في مقابلة النعمة، والحمد يقال في مقابلة النعمة[ق/ ٢ب] وغيرها، تقول: حمدته لإحسانه إليّ، وحمدته لعلمه، وشكرته لإحسانه إليّ، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكر، أو كل حمد مدح، وليس كل مدح حمدًا.

وقرئ: بنصب الحمد مصدرًا كمعاذ الله وسبحان الله، ينزلون هذه المصادر منزلة أفعالها، فلا يكادون يأتون بها مع أفعالها.

وقرئ: برفع الدال وضم اللام بعدها، وبكسرهما اتباعًا، والمعنىٰ قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾: أي مالك جميع الخلق ومربيهم؛ لأنَّ الربّ مصدر في الأصل يستعمل بمعنىٰ التربية والملك، ولا يقال: الرب معرَّفًا باللام إلا لله تعالىٰ، ولا يقال: لغيره إلا مضافًا، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:جمع عالم لا واحد له من لفظه، وهو كل موجود سوىٰ الله تعالىٰ، وجُمِعَ جَمْع العقلاء تغليبًا للعقلاء، وكفىٰ الوقف علىٰ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: (كا) قالوا:لأنَّ النبي ﷺ وقفه، ولأنَّ ما بعده فيه معنىٰ القوة والجبروت، وفيهما بُعد عن الرحمة وهو ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: (حس) القراءة: (مالك) و(ملك) جرًّا صفة بمعنىٰ واحد، وهو القادر علىٰ اختراع الأعيان من العدم إلىٰ الوجود، ولا يقدر علىٰ ذلك إلا الله، أو مالك أجمع من ملك، يقال: هو مالك العبيد والطير وغيرهم، ولا يقال هو ملكهم .

تلخيصه: الملاك أكثر من الملوك في الوجود، أو ملك أعم من جهة المعنىٰ لأنَّ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكًا.

وقرئ: بنصب الكاف ورفعها مدحًا، وبسكون اللام تخفيف ملك المكسور اللام وبجعْلِه فعلًا ماضيًا، ونصب يوم ومليك رفعًا ونصبًا وجرًّا، وإذا جعلت (مالك) اسم فاعل مستقبلًا أو حالًا جررته بدلًا لا صفة؛ لأنَّ النكرة لا توصف بها المعرفة؛ لأنَّ الإضافة هنا لم تفده تعريفًا لأنَّها في نيَّة الانفصال، وإن جعلته ماضيًا

جررته صفة؛ لأنَّ الإضافة أفادته التعريف، وإضافة اسم الفاعل إلىٰ الظرف اتساعًا كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار، أي أنَّه مالك الأمر كله في يوم الدين.

واليوم: هو المدة من طلوع الشمس إلىٰ غروبها عرفًا، ومن طلوع الفجر الثاني إلىٰ غروبها شرعًا، وهو الوقت لغة ليلًا كان أو نهارًا، طويلًا كان أو قصيرًا، والمراد في الآية الوقت لعدم الشمس ثَمَّ.

والدين: الجزاء في الخير والشر، وسُمي به يوم القيامة لأنَّ الجزاء فيه يقع، وخص يوم القيامة بالذكر، وإن كان مالكًا جميع الأيام لأنَّه لا مُلكَ ظاهرًا لأحد إلا الله تعالىٰ، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ [غافر:١٦].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ ثم انصرف بعد حمد الله ووصفه بالربوبية [ق/ ٣جـ] تفضلًا، والملك الذي لا ينبغي إلا له من الغيبة إلىٰ الخطاب مقدمًا لمفعول، وهو ضمير منصوب منفصل، ولا محل للمتصل به من الإعراب لضرب من البيان وتعريفًا أنَّه المختص بذلك حقيقة، وتأكيدًا في الطلب فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أي نوحِّد، والعبودية [ق/ ٢جـ]: التذلُّل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنَّها غاية التذلل، فلا يستحقها إلا من هو في غاية الإفضال، وكرر ﴿إِيَّاكَ﴾ فقال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: [(تا)]نطلب منك المعونة علىٰ جميع أمورنا، لنفي احتمال ونستعين بغيرك، وقدمت العبادة علىٰ الاستعانة وقرنت بها تقديمًا للوسيلة علىٰ الطلب، وللجمع بين ما يتقربون به إلىٰ ربهم، وبين ما يطلبون لحوائجهم.

تلخيصه: نخصك بالعبادة، وطلب المعونة.

وقرئ: ﴿وَإِيَّاكَ﴾ بحذف الياء الساكنة تخفيفًا، وبفتح الهمزة وتشديد الياء، وهِيَّاك، وبكسر أوّل (نستعين)، ثم جاء بما هو بيان الطلب في المعنىٰ، كأنَّه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: ﴿ ٱهْدِنَا﴾:أي ثبتنا أو أرشدنا.

وقرئ: بهما، **والمعنىٰ**: أَمِتْنا علىٰ الهداية؛ لأنَّهم كانوا مهتدين، والهداية:

الإيصال إلىٰ المطلوب وهدَىٰ يتعدىٰ بنفسه كهذه الآية وبإلىٰ وباللام، تقول: هديته لكذا أو إلىٰ كذا وتنصب.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾: مفعولًا ثانيًا لـ﴿ٱهۡدِنَا﴾ وهو الإسلام، أو هو القرآن وما فيه من الآداب والأحكام، وأصله الطريق الواضح الذي لا عوج فيه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

وتبدل من (الصراط) ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي مننت ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: بالهداية والاستقامة، وهم كل من ثبته الله تعالىٰ علىٰ الإيمان.

القراءة: بالسين فيهما؛ لأنَّها الأصل، وبإشمام الصاد الزاي، وبالصاد الخالصة؛ لأنَّ السين يجوز أن تبدل صادًا إذا وقع بعدها خاء أو طاء أو قاف أو غين.

وقرئ: بالزاي الخالصة ولا يوقف هنا لكون، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: وهم اليهود لقوله تعالىٰ: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة:٦٠]، وأصل الغضب: الشدة، وغضب الله تعالىٰ: هو إرادة الانتقام من عصاة الكفار، نعوذ بجلال وجهه من غضبه، ونسأله رضاه بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ﴾، أو نعتًا لهم لأنَّ «غير» وإن أضيفت إلىٰ معرفة لا تتعرف؛ لأنَّ المغاير كثير.

وقرئ: (غيرَ) نصبًا حالًا، وذو الحال في (عليهم)، والعامل (أنعمت)، ولا تقف علىٰ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الثانية؛ لأنَّ ما بعدها معطوف عليها وهو: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: (تا) هم النصارىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة:٧٧]، وأصل الضلال: الغيبوبة والهلاك، من ضل اللبن في الماء غاب وهلك.

روي: أن النبي ﷺ سُئِل [بوادي][1] القرىٰ: من هؤلاء الذين يقاتلونك؟ قال:

(١) في جـ: بواد، والمثبت من أ، ب.

«المغضوب عليهم»، وأشار إلىٰ اليهود، وقيل: فمن هؤلاء الطائفة الأخرىٰ؟ قال: «الضالون»، وأشار إلىٰ النصارىٰ، ويقوي هذا دخول حرف التعريف علىٰ ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ وعلىٰ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، أو [هو عام](١) في جميع ملل الكفر.

تلخيصه: اسلُكْ بنا طريقًا يوصلنا إلىٰ رضاك، لا نضل فيه أبدًا.

ومحل ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الأولىٰ: نصب مفعول ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾، ومحل الثانية: رفع بـ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ ارتفاع الفاعل بفعله، و﴿غَيۡرِ﴾ هنا: بمعنىٰ لا، ﴿وَلَا﴾:بمعنىٰ غير، ولذلك جاز العطف [ويعضد](٢) هذا ما قرئ:[ق/ ٣ب] ﴿غَيۡرِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، والسنة أن يقول القارئ بعد الفاتحة: (آمين) مفصولة عنها.

الشافعي(٣): يجهر بها الإمام والمأموم.

الحسن(٤): لا يقولها الإمام لأنَّه الداعىٰ:

وعن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ روايتان، المشهور عنه وعن أصحابه أنَّه يقولها سرًّا، وليست من الفاتحة ولا من القرآن؛ لأنَّها لم تكتب في الإمام، ولم ينقل أحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ﷺأنها قرآن، ولا ينكر قولنا: إنها ليست من الفاتحة،فإنَّه قد وجد في زماننا خلق كثير يعتقدون [ق/ ٤جـ] أنها من القرآن[ق/ ٢أ] [فإنها](٥) قديمة، حتىٰ بلغ من جهلهم أنهم يعتقدون قدم النقط والشكل،[وأنهما](٦) من القرآن، ويبرهنون علىٰ ذلك، وقد أفتىٰ علماء زماننا رضي الله تعالىٰ عنهم أنَّ حكم هؤلاء حكم المرتدين عن الدين لا تصح

---

(١) بياض في أ.

(٢) بياض في أ.

(٣) انظر «الكشاف» (١/ ١٨).

(٤) انظر «الكشاف» (١/ ١٨).

(٥) في ب، جـ :وأنها، والمثبت من أ، ب.

(٦) في جـ: وأنها، والمثبت من أ، ب.

أنكحتهم، ولا تحل ذبيحتهم إلىٰ غير ذلك.

(وآمين): [يمد ويقصر][(١)] مع التخفيف، وهو مبنيٌّ علىٰ الفتح؛ لأنَّه صوت سمي به الفعل؛ لأنَّ معناها استجب، وعن النبي ﷺ أن معناها افعل، [أو هي اسم من أسماء الله تعالىٰ][(٢)]،أوطابع الدعاء كخاتم الكتاب، يمنعه من الفساد، وظهور ما علىٰ ما فيه، في الحديث:«**إذا دعا أحدُكم بدعاء فليختمه بآمين، فإنَّ آمين في الدعاءِ مِثلَ الطابعَ في الصحيفة**»[(٣)].

قال ﷺ:«**قالَ الله تعالىٰ: قَسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نِصفَين فنصفُها لي ونصفُها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾،يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، يقول تعالىٰ:أثنىٰ عليَّ عبدي، يقول العبد:﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، يقول الله تعالىٰ: مجَّدني عبدي، يقول العبد:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، يقول الله تعالىٰ: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [يقول الله:][(٤)]فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل**»[(٥)].

---

(١) في جـ: تمد وتقصر، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) أخرجه أبو داود (٩٣٨) عن أبي زهير النميري .

(٤) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٥) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وجاء في حاشية أ: عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لأبي بن كعب: ألا أخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والإنجيل و القرآن مثلها،قلت: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

سورة (البقرة)

مدنية وهي مائتان وثمانون وست أو سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

﴿الٓمٓ﴾: (تا) إن رفعته ابتداء، أو خبر ابتداء، أو نصبته بمضمر تقديره: هذا ﴿الٓمٓ﴾، أو ﴿الٓمٓ﴾ [هذا][1] أو اقرأ﴿الٓمٓ﴾؛ لأنَّه يصير جملة مستقلة، وكذلك يتم إن جعلت كل حرف منها من كلمة تقديره أنا الله أعلم؛ لأنَّ منهم من يقول: إن كل حرف من الحروف المقطعة في أوائل السور مفتاح اسم من أسمائه تعالىٰ، فالكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من حليم، والعين من عليم، والصاد من صادق، والألف من الله، واللام من اللطيف، والميم من المجيدِ، أو هي سرُّ القرآن، وفائدةُ ذكرِها الإيمانُ بها، أو لو علم النَّاسُ تأويلَها لعلموا اسم الله الأعظم، أو هي أقسامٌ أقسم الله تعالىٰ بها لشرفها، أو هي حسابٌ، وسمِّيت هذه الحروفَ حروفًا مجازًا، وإنما هي أسماء، قالوا: وإنما لم تُعرَب لعدم العامل فيها، ودل علىٰ اسميتها ما حكي عن الخليل أنَّه قال لأصحابه: كيف تلفظون بالكاف في لك، والباء في ضرب؟ فقيل: (كاف) (با) فقال: إنما أتيتم بالاسم ولم تأتوا بالحرف، وقال: أقول (كه) به [وهكذا][2] الكلام علىٰ جميع الحروف المقطعة في أوائل السور، وغير جائز إن رفعت ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ : (تا) خبره، **تلخيصه**: الحروف المقطعة ذلك الكتاب،

---

(١) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.

(٢) في جـ: وكذا، والمثبت من أ، ب.

[فالكتاب][(١)] بيانٌ لذلك؛ لأنَّ أسماء الأجناس تتبين بها المبهمات، وكذلك إن جعلت ﴿الٓمٓ﴾ خبرًا مبتدؤه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ لأنَّه ﷺ كان قد وُعِد أن ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء، ولا يخلق على كثرة الردِّ ومرِّ الأيام، فلمَّا نزل القرآن قيل له: هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بإنزاله، أو منهم من يجعل ذلك بمعنىٰ هذا، وذا الاسم، واللام فصل، والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب، مثلها في إياك.

و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾: بمعنىٰ المكتوب، كقولهم: درهم ضرب الأمير،أي مضروبه وأصل الكتب الجمع، وسمي كتابًا لاجتماع حروفه بعضها إلىٰ بعض.

﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾:(تا) أنَّه من عند الله تعالىٰ، أصل الريب: الشك مع تهمة وسوء ظن، والشك: التوقف بين نقيضين لا مَزِيَّة لأحدهما علىٰ الآخر.

وقرئ: ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾، أو هو خبر معناه النهي،أي لا ترتابوا، و﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ مبني علىٰ الفتح مرفوع المحل مبتدأ، خبره ﴿فِيهِۛ﴾، فعلىٰ هذا الوقف علىٰ ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾، أو في موضع رفع خبر ذلك فتقف علىٰ هذا علىٰ ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾، و تقف أيضًا علىٰ ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾إذا جعلته مبتدأ وخبرًا، تقديره هو لا ريب، ثم تبتدئ. ﴿فِيهِۛ هُدٗى﴾:مبتدأ وخبر، أو هدىٰ [ق/ ٥ جـ] خبر مبتدأ محذوف،أي هو هدىٰ، أي رشد وبيان.

والهدىٰ: كل ما يهتدىٰ به.

﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾:(تا) وإن نصبت (هدىٰ) حالًا من ذا، أو من الكتاب، والعامل فيها معنىٰ الإشارة لم تقف علىٰ ﴿لَا رَيۡبَ﴾ ولا علىٰ ﴿فِيهِ﴾، وإن نصبته حالًا من الضمير في ﴿فِيهِ﴾العامل فيه الاستقرار وقفت علىٰ ﴿رَيۡبَۛ﴾ دون ﴿فِيهِ﴾.

والمتقون: هم أهل التقوىٰ الذين يجعلون امتثال أمر الله تعالىٰ وقاية بينهم وبين

(١) في جـ: والكتاب، والمثبت من أ، ب.

العذاب، وأصل الاتقاء الحجز، ومنه اتقىٰ بترسه إذا جعله حاجزًا بينه وبين ما يقصده.

والتقوىٰ: الاقتداء بالنبيّ ﷺ، في الحديث: جماع التقوىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾ الآية»[1] [النحل/ ٩٠]، أو هي ترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وخُصَّ المتقون بالذكر لأنَّهم هم المنتفعون بالهدىٰ إن نصبت أو رفعت.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾:[أي][2] يصدقون ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: أي ما غاب من البعث والجنة وغير ذلك، أو الغيبُ: الله تعالىٰ، أو القرآن مدحًا وقفت علىٰ المتقين، وإن جررته وصفًا لم تقف عليهم.

والإيمان: التصديق بالقلب يكون معه أمن وطمأنينة لغة، أوفي الشريعة: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

والإسلام: الخضوع والانقياد، فكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانًا إذا لم يكن معه تصديق، فقد يكون الرجل مستسلمًا ظاهرًا، غير مصدق باطنًا، ولا يكون مصدقًا باطنًا غير منقاد ظاهرًا، و سمي المؤمن مؤمنًا لأنَّه يؤمن نفسه من العذاب بفعله، والله تعالىٰ مُؤمِن؛ لأنَّه يؤمن عباده من عذابه بفضله.

والغيب: مصدر سمي به الغائب توسعًا [ق/ ٣جـ]، كقولهم للزائر: زور، فيكون صلة للإيمان، أي يؤمنون بما غاب عن العيون، ويكون الغيب حالًا، أي يؤمنون في حال غيبتهم عن العيون، ثم عطف علىٰ المؤمنين بالغيب ما هو من جملة صفاتهم جملة بعد جملة.

[فقال:][3] ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يقال اقام بالأمر وأقام الأمر أتىٰ به معطي حقوقه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١/ ١٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٨٢) بلا سند.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

والصلاة: الدّعاء لغة،[كقوله][(١)] تعالىٰ:﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [التوبة:١٠٣]، أي أدع لهم.

وفي الشريعة: قراءة وقيام وركوع وسجود وغير ذلك مع النية، من صليت العود إذا لينته؛ لأنَّ المصلي يلين ويخشع في صلاته، والمراد الصلوات الخمس كقوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة:٣٣]، أي الكتب، والمعنىٰ أنهم يديمون الصلاة الخمس معطاة حقوقها.

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾: أي أعطيناهم، والرزق: اسم لكل ما ينتفع به، وأصله الحظ والنصيب.

﴿يُنفِقُونَ﴾:أي يخرجون عن أيديهم ما فيها في طاعة الله تعالىٰ، وأصل الإنّفاق: الإخراج عن اليد، وهذه الآية نازلة في مؤمني العرب، ونزل في مؤمني أهل الكتاب:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾: أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾:أي التوراة والإنجيل.

﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ﴾:أي بالدار الآخرة، وهي تأنيث الآخر نقيض الأول، وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا.

﴿هُمۡ يُوقِنُونَ﴾: (تا) يعلمون أنها كائنة بالاستدلال والإيقان، واليقين:علم بلا شك بعد أن لم يكن، ولذلك لا يقال لعلم الله يقين، وجاء بالماضي من الفعل في قوله:﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ وإن كان إيمانهم سابقًا لنزول جميع القرآن؛ لأنَّ القرآن شيء واحد في الحكم، ولأنَّ المؤمن ببعضه مؤمن بكله.

---

(١) في جـ: لقوله، والمثبت من أ، ب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾: أي رشد وبصيرة ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: (تا) الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النَّار، وأصل الفلح: القطع، ومنه الفلاح لقطعه الأرض وجوبها فهم المقطوع لهم بخيري الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:الكفر: الجحود، وأصله الستر، وكل ساتر كافر، ومنه الليل والزراع كافران، فالكافر يستر الحق بجحوده، وهؤلاء [هم][1] مشركو العرب، أو اليهود حيي بن أخطب وأصحابه.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: خبر مبتدؤه ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: (تا) الجملة، أو (سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ) مبتدأ، وما بعده الخبر [ق/ ٦ جـ] عكس الأول، وهما على القولين خبر ﴿إِنَّ﴾.

تلخيصه ومعناه: مستوٍ لديهم الإنذار وتركه، فعلىٰ هذا يتم الوقف علىٰ ﴿تُنذِرۡهُمۡ﴾ والإنذار: إعلام مع تخويف.

القراءة:(أأنذرتهم) بتحقيق الهمزة الأولىٰ، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما، وبتحقيقهما، وبتحقيق الأولىٰ وإبدال الثانية ألفًا لأنَّه ألف استفهام دخل علىٰ ألف قطع نحو أأنت.

وقرئ: بحذف همزة الاستفهام وإرادتها لغات كلها، وزعم بعضهم أن من قلب الهمزة الثانية ألفا لحن لجمعه بين ساكنين علىٰ غير حده، وفي زعمه نظر؛ لأنَّ من قلب الهمزة ألفًا يشبع المد إشباعًا تامًّا ليكون الإشباع الزائد علىٰ مقدار الألف الخارجة عادة فاصلًا بين الساكنين، وهما الألف المقلوبة والنون، كإجماعهم علىٰ الجمع بين [ساكنين][2] وقفًا مع مد يفصل بينهما، وأجمعوا علىٰ الجمع بين ساكنين في خويصة ونحوها، وليست ياؤها من حروف المد وجمعوا بين ساكنين في «نعمّا» وليس عينها بحرف مد ولا لين، وجمع بين ثلاثة سواكن وصلًا ووقفًا

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الساكنين، والمثبت من أ، ب.

في [ماست واارد]، فيجوز الجمع بين ساكنين مطلقًا إذا صح نقله، وقد صح، ومتىٰ اجتمعت همزتان في كلمة والثانية ساكنة والأولىٰ متحركة بأي حركة كانت فأجمع القراء أنَّ الأولىٰ محققة والثانية مسهلة تبدل واوًا إذا انضم ما قبلها وألفًا إذا انفتح وياءً إذا انكسر كآدم وأوتي وإيمان، وإن جعلت الذين اسم إنَّ والخبر ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) لا يصدقون بما جاء به محمد ﷺ، [فما][1] بينهما اعتراض، وهذا عام دخله تخصيص بدليل إسلام من أسلم، ومن هو مسلم إلىٰ يوم القيامة وقفت علىٰ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وإن علقت.

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿خَتَمَ﴾: أي طبع ﴿ٱللَّهُ﴾: بـ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ونصبت ﴿خَتَمَ﴾ حالًا، المعنىٰ لا يؤمنون في حال الختم.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: لم تقف علىٰ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وأصل الختم الشد والاستيثاق، في الحديث: «**من ترك الجمعة ثلاثًا طبع الله علىٰ قلبه**»[2]، والقلب قطعة سوداء في الفؤاد، وزعم بعضهم أنَّه الشكل الصنوبرىٰ المعلق بالوتين مقلوبًا، والمعنىٰ حكم علىٰ قلوبهم بالكفر فهي لا تعي خيرًا [ق/ ٥ب] و لا [تفهمه][3].

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾: (تا) مواضع سمعهم ووحد لأنَّه مصدر.

---

(١) في جـ: وما، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٥٢) والنسائي (١٣٦٩) وفي «السنن الكبرىٰ» (١٦٥٦) والدارمي (١٥٧١) وابن خزيمة (١٨٥٨) وابن حبان (٢٧٨٦) والحاكم (١٠٣٤) والشافعي في «مسنده» (٣٠٤) وأبو يعلىٰ (١٦٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٦٥) حديث (٩١٥) والبيهقي في «الشعب» (٣٠٠٣) وفي «السنن الكبرىٰ» (٥٣٦٦) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

(٣) في جـ: يفهمه، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (أسماعهم)، وتكرير «علىٰ» يؤذن بشدة الختم علىٰ القلوب وعلىٰ الأسماع، فهم لا يسمعون الحق ولا ينتفعون به.

﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾: خبر ومبتدأ، وأبصار جمع بصر،وهو نور العين تبصر به الأشياء، كالبصيرة نور القلب تدرك به الأشياء.

والغشاوة: الغطاء.

القراءة: برفع التاء.

وقرئ: بنصبها بفعل مضمر، وبفتح الغين وضمها ورفع التاء ونصبها مع الألف، وبفتح الغين من غير ألف، مع رفع التاء ونصبها، وعشاوة بعين مهملة رفعًا من العشا داء في العين.

تلخيصه: من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلىٰ هنا عذاب للكافرين في الدنيا، أو القتل والأسر في الدنيا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:(تا) قوي في غاية القوة دائم في الآخرة، والعذاب كل ما يشق علىٰ الإنسان ويمنعه مراده، أصله المنع، ومنه الماء العذب لمنعه العطش.

لمَّا كان المنافقون عبد الله بن أبي ابن سلول [ق/ ٣أ] وأصحابه يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ليسلموا من المؤمنين كمن يظهر الكفر في الشقاوة نزل فيهم معطوفة قصتهم علىٰ قصة أولئك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أصله أناس حذفت همزته تخفيفًا أبدلوا من همزته ألفًا ولامًا، ولا يكادون يقولون: أناس، ووزنه فعال مراعاة لأصله كقه وزنه افعل، وليس غير العين واحدة إنسان، أو لا واحد له من لفظه، واشتقاقه من الأنس والظهور بخلاف الجن،فإنَّهم من الوحشة والكمون، أو من النسيان، ومحل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رفع خبر مبتدؤه ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾:أي يوم القيامة لأنَّه آخر الأيام ووحد يقول نظرًا إلىٰ لفظة من، وجمع﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [ق/ ٧جـ]: نظرًا إلىٰ معناها؛ لأنَّ (مَنْ) لفظ مفرد

للعقلاء يعم الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ، وجيء بالياء لتأكيد النفي مثلها في خبر ليس، المعنىٰ بعض الناس وهم المنافقون يدعون الإيمان وهم كاذبون، يوضحه قوله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: [(تا)][1] أي يظهرون الإيمان للنبي ﷺ ويبطنون الكفر؛ إذ أصل الخدع الستر، والمفاعلة هنا من واحد كعاقبت اللص، وذكر الله تعالىٰ تحسين، أو تكون المخادعة من اثنين بأن أجرىٰ عليهم حكم الإيمان لقولهم هذه الكلمة [بحقن][2] الدماء وحفظ الأموال، مع علم الله تعالىٰ بهم ورسوله [كقوله][3]: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [آل عمران:١٧٨].

القراءة: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾: بغير ألف وبألف مفاعلة من واحد.

وقرئ: (يُخدعون) بضم الياء مجهولًا وتنصب علىٰ هذا ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾: بمضمر تقديره وما ينتقصون **لأنَّ** في الخدع نقصًا، والنفس ذات الشي وحقيقته.

المعنىٰ: وبال خداعهم راجع عليهم؛ لأنَّ الله تعالىٰ يطلع نبيه ﷺ علىٰ نفاقهم فيفتضحون في الدنيا، ويعاقبون في الآخرىٰ.

﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: (كا) لا يعلمون بخدعهم أنفسهم، شعَرت بفتح العين شِعره بكسر الشين علمت، ومنه مشاعر الإنسان حواسه، وأصله العلم الدقيق المستنبط.

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: أي شك ونفاق وما يضمرون من الشر؛ لأنَّ ذلك يمرض قلوبهم وأصله الضعف.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾: زاد الشيء يزيد زيدًا نمىٰ وكثر، وزدته أنا، والمعنىٰ

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: حقن، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: لقولهم، والمثبت من أ، ب.

أمدهم الله بمرض آخر تنمية لمرضهم؛ لأنَّ الآيات كانت تنزل عليهم، فكلما نزلت آية كفروا بها وازدادوا شكًّا ونفاقًا.

وقرئ: بإسكان الراء منهما لغتان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾:(تا) بتكذيبهم، الكذب: إخبار بما لم يكن.

القراءة: مخففًا،أي بكذبهم في قولهم: «آمنا» ومشددًا أي بتكذيبهم غيرهم، وسموا الوقف هنا وعلىٰ ﴿يَشْعُرُونَ﴾ بعد بالتمام، وأراه حسنًا [لأن][1] ﴿وَإِذَا﴾: نصب ظرف العامل فيها جوابها، وهو قالوا [بعده][2] وفاعل.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: مصدر أي قول [يفسره][3] ما بعده؛ لأنَّ الفاعل لا يكون جملة، ولا يقع موقعه (وإذا) الجملة عطف علىٰ ما قبل وحكاية حال المكذبين، وكذا الحكم في مثله.

المعنىٰ: قال المؤمنون للمنافقين أو اليهود.

﴿لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالكفر وتعويق النَّاس عن الإيمان، والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال والانتفاع قل أو كثر نقيض الصلاح.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: (كا) كذبًا منهم.

المعنىٰ: أنَّ الإصلاح خالص لنا، ثم أدخل همزة الاستفهام علىٰ لا النفي فأفادت التنبيه وتحقيق ما بعدها، وهكذا كل استفهام دخل علىٰ نفي كقوله:﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة:٤٠] فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾: [(تا)][4] أنفسهم بالكفر وتعويق النَّاس عن الإيمان.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بعدُ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في ب: تفسيره، والمثبت من أ، جـ.

(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾: [(تا)][1] أي بعذابهم غدًا.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ أي لهؤلاء: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: أي كإيمان عبد الله بن سلام وأصحابه، أو جميع المؤمنين؛ لأنَّ النَّاس في الحقيقة هم المؤمنون، والباقي كالبهائم في تمييز الإيمان من الكفر، [ثم][2] ﴿قَالُوٓاْ﴾ منكرين ﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾: (كا) أي الجهال، وأصل السفه: الخفة والطيش وهو نقيض الحلم، ومنه ثوب سفيه، ويقال للصبيان والأحداث والجهال لخفة عقولهم، ولا يقال للجاهل الساكن اللازم سفيه؛ وإنما [ق/ ٤ جـ] يقال للسليط.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾: (تا) [أي][3] لا يدرون، وأصل العلم الظهور، وهو ما تدرك [ق/ ٦ ب] به الأشياء، ونزل في المنافقين والمؤمنين.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ﴾: لقيته ولاقيته استقبلته.

وقرئ: ﴿لاقوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ : [أبا بكر وأصحابه][4] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: أي كإيمانكم.

﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾: أي مضوا، أو انفردوا وإلىٰ بمعنىٰ الباء، أو مع علىٰ هذا.

﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾: أي رؤسائهم وكهنتهم وكانوا خمسة من اليهود، أو هم أصحابهم من المشركين والمنافقين [ق/ ٨ جـ]، والشيطان: العاتي والمتمرد من [الجن والإنس][5] والدواب، ونونه أصلية من شطن بَعُدَ لبعده من رحمة الله

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٥) في جـ: من الإنس والجن، والمثبت من أ، ب.

تعالىٰ، أو زائدة من شاط يشيط: احترق.

تلخيصه: إذا لقوا المؤمنين خدعوهم بقولهم: آمنا، وإذا لقوا أصحابهم المنافقين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾: أي علىٰ دينكم.

﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾: [(كا)][(١)] الاستهزاء: التجهيل والسخرية.

﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

المعنىٰ: إنا نجهل محمدًا وأصحابه ونسخر بهم بإظهارنا الإسلام، فرد تعالىٰ عليهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾: [أي][(٢)] يجازيهم جزاء استهزائهم بأن يعذبوا، وبأن يفتح لهم باب إلىٰ الجنة، فإذا وصلوا إليه سُدّ عليهم وردوا إلىٰ النَّار.

﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾: وقرئ (ويمدهم) مده وأمدّه واحد: زاده، و[مد][(٣)] له أيضًا، والمد [كثيرًا][(٤)] ما يستعمل في الخير، والإمداد في الشر.

﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾: وقرئ بكسر الطاء لغتان، طغا يطغو ويطغىٰ وطغي يطغىٰ كلقي يلقىٰ طغيانًا وطغوانًا تجاوز الحد.

المعنىٰ: يمهلهم ويذرهم في تجاوزهم الحد.

﴿يَعۡمَهُونَ﴾: (تا) يترددون في ضلالتهم متحيرين في قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: أي الجور عن القصد.

﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾: أي الاهتداء، **المعنىٰ**: استبدلوا الكفر بالإيمان؛ لأنَّ الباء تصحب المتروك إيذان بتمكنهم من الهدىٰ؛ لأنَّ الإنسان لا يستبدل بما لا يقدر عليه، فشبه

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في ب: وأمده، والمثبت من أ، جـ.

(٤) في ب، جـ: أكثر، والمثبت من أ.

الاستبدال بالشرىٰ الذي هو معاوضة.

وقرئ: بكسر الواو وفتحها لالتقاء الساكنين، أو (ٱشۡتَرَوُاْ): باعوا إيمانهم بموسىٰ بكفرهم بمحمد: عليهما الصلاة والسلام.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾: أي ما ربحوا فيها، ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنىٰ الشرط، تقديره: إذا اشتروا فما ربحوا، والربح: الزيادة علىٰ الأصل، والتجارة: صنعة التاجر، ونسبة الرّبح إلىٰ التجارة مجاز.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: (تا) ناجين من الضلالة، أو مصيبين في التجارة، ثم إنّه تعالىٰ شبّه المنافقين وإيمانهم، أو اليهود واستفتاحهم علىٰ المشركين بالنبيﷺ وكفرهم به بعد مجيئه بمن أوقد نارًا في مفازة مظلمة فقال: ﴿مَثَلُهُمۡ﴾:أي شبههم، والمثل والمثيل قول سائر في عرف النّاس، يعرف به معنىٰ الشيء مع غرابة ما.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي﴾:أي الذين بدليل سياق الآية، وسياقها ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾:أي أوقد ﴿نَارٗا﴾:هي جوهر لطيف محرق من نار ينور تحرك ونفر؛ لأنّ في النّار حركة، وتنكيرها مؤذن بعظمتها، وفي السين زيادة ترسخ إلىٰ الإيقاد.

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾:أي أفطرت إنارتها.

﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾: ضاء وأضاء واحد، وما نصب﴿ أَضَآءَتۡ ﴾، و﴿حَوۡلَهُۥ﴾: ظرف(١)، وأضاء متعدٍّ ولازم، وجواب (لما) وإن كانت ظرفًا.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾: ذهبت بالشيء استصحبته معي، وأذهبته جعلته ذاهبًا، ولو قال: ذهب بضوئهم لاحتمل بقاء نورٍ ما، والغرض إزالة النور[عنهم](٢) بالكليّة وإبقاء الحرارة عليهم، أو جواب (لمّا) محذوف.

والمعنىٰ: أخذ تعالىٰ نورهم وأمسكه عنده، فلا مطمع في هدايتهم، ويؤكده أن

---

(١) في جـ: الذي في حوله.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

عقَّبه بقوله: ﴿وَتَرَكَهُمۡ﴾: أي طرحهم.

﴿فِي ظُلُمَٰتٍ﴾: وقرئ: بسكون اللام، وقرئ: (ظلمة) موحدة، وهي عدم النور.

﴿لَّا يُبۡصِرُونَ﴾: (تا) حجة ولا يبصرون طريق الهداية إن أريد الكفار، ولا يبصرون ما حولهم إن أريد المستوقد، ولم يذكر مفعول ﴿يُبۡصِرُونَ﴾ لدلالة الحال عليه، [فالظلمة][(1)] مجازاتهم على كذبهم، والإضاءة إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والردى، ثم وصفهم بعدم الهداية فقال:

﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾.

﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾: الصَّمَمُ: فقدان السمع وبه شبّه من لا يقبل الحق، والبكم: أن يولد أخرس، والعمى فقدان البصر أو البصيرة.

والمعنى: هم صم عن قبول الحق، وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه، خرس عن قول الحق؛ لأنَّهم أبطنوا خلاف ما أظهروا، عمي لا بصائر لهم.

وقرئ: (صمًا بكمًا عميًا) نصبًا ذمًّا.

﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾: عن ضلالتهم.

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾: أو هنا للشك [ترجع][(2)] إلى الناظر إلى المنافقين.

المعنى: أنَّه لا يدرى أيشبههم بأصحاب [ق/ ٩جـ] الصيّب أو بالمستوقد لتساوي أصحاب الصيّب والمستوقد أو للتخيير، أي إن شئت شبههم بأصحاب

---

(١) في جـ: والظلمة، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: يرجع، والمثبت من أ، ب.

الصيّب أو بالمستوقد، أو الإبهام أي أبهم أمرهم فبعض يشبههم بأصحاب الصيب وبعض بالمستوقد [وكل][1] ما نزل من علو إلىٰ سفل صيّب، والمراد المطر، والكاف مرفوعة المحل عطفًا علىٰ الكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾، أو خبر ابتداء محذوف، تقديره ومعناه: كمثل أصحاب صيّب، وأصله صيوب، أي مطر يصوب أي ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي السحاب ﴿فيه﴾: أي في الصيّب، أو في الليل وإن لم يجر له ذكر.

﴿ظُلُمَٰتٌ﴾: مبتدأ، خبره ﴿فِيهِ﴾، وهما في موضع خبر نعتًا لصيّب [ق/ ٧ب].

﴿وَرَعۡدٌ﴾: [هو][2] الصوت الذي يسمع من السحاب.

﴿وَبَرۡقٌ﴾: هو النَّار التي تخرج منه، أو الرعد: ملك يسوق السحاب.

والبرق: لمعان سوط من نار يزجر به الملك السحاب.

وروي أنَّ الملك إذا اشتد غضبه علىٰ السحاب طارت من فِيه النَّار، وهي الصواعق.

والتقدير: فيه رعد قاصف وبرق خاطف وهما مصدرا [رعد وبرق][3]، وتقف علىٰ ﴿وَبَرۡقٌ﴾ إن رفعت الجملة التي بعد استئنافًا، وإن جررتها صفة لأصحاب صيّب لم تقف علىٰ ﴿وَبَرۡقٌ﴾ وهي ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ﴾: جمع إصبع بحركات ثلاث للهمزة.

﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: متعلق ﴿يَجۡعَلُونَ﴾، وهي جمع الصاعقة، وهي قطعة عذاب مهلك ينزلها الله علىٰ ما يشاء، وكل عذاب مهلك صاعقة، أو هي نار لطيفة جديدة لا تمر بشيء إلا أحرقته، لكنَّها سريعة الخمود.

وقرئ: (الصواقع) لغتان.

---

(١) في جـ: فكل، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: برق ورعد، والمثبت من أ، ب.

كان النبي ﷺ إذا سمع الرعد وصواعقه قال: « **اللهم لا تَقْتُلْنا بغضبك، ولا تُهلِكْنا بعذابِك، وعافِنا قبل ذلك** »(١)، وعبر عن بعض الأصابع بالأصابع مبَالغة في الاحتياط وشدة [في](٢) الاحتراز.

والمعنىٰ: يدخلون أناملهم في أذانهم إدخالًا شديدًا لئلا يسمعوا صوت الصواعق[ق/ ٤أ].

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾: [(حس)](٣) نصب مفعول له، والموت: فساد بنية الحيوان، أو زوال قوة الإحساس.

تلخيصه: يفعلون ذلك مخافة الهلاك.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ﴾: أي محدق بعلمه وقدرته.

﴿بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا) فيحشرهم يوم القيامة ويعذبهم، وأصل الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع جهاته، ومنه الحائط،[وتم](٤) الوقف علىٰ ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ لأنَّه آخر آية، ولأنَّ ما بعده استئناف، كأنَّه قيل: كيف حالهم مع البرق؟ فقيل:﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾:أي يقرب، ووضع كاد لمقاربة وقوع الفعل، ولذلك لم يأتوا بعده بأن إلا شاذًا تشبيهًا له يعني لأنَّ «أن» تخلص الفعل للاستقبال، وكاد لمقاربة وقوع الفعل وموضع ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ﴾: يستلبها بسرعة، نصب خبر كاد، وشرط خبرها أن يكون فعلًا مضارعًا متأوَلًا باسم الفاعل.

المعنىٰ: قارب البرق خطف أبصارهم.

وقرئ: بكسر الطاء مستقبل خطف بفتحها، ويكفي الوقف علىٰ ﴿أَبْصَٰرِهِمْ﴾إن

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢١)، والترمذي (٣٤٥٠)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٧٦٤)، وأحمد (٥٧٦٣)، والحاكم(٧٧٧٢)، وأبو يعلىٰ (٥٥٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٣٢٣٠) والبيهقي في «الكبرىٰ» (٦٢٦٢) من حديث ابن عمر.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٤) في جـ: وتمم، والمثبت من أ، ب.

استأنفت ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾: كلما هنا ظرف، وكذلك كل موضع يكون لها جواب، والعامل فيها جوابها، وجوابها ﴿مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾: المعنىٰ كلما أنار البرق [لهم][1] الطريق ساروا في ضوئه، و(ما) مصدرية، وفي الكلام حذف .

تلخيصه: كل وقت إضاءة يسيرون.

﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ﴾: أي الموضع ﴿عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾: أي وقفوا متحيرين، فشبّهوا لكفرهم ونفاقهم بمن كان في ليلة مظلمة في مفازة، أصابه مطر فيه ظلمات لا يمكن [للساري][2] المشي فيها، ورعد يجعل السامعون أصابعهم في آذانهم من هوله، وبرق يقرب من خطف أبصارهم لشدته، قالوا: فالمطر القرآن؛ لأنَّه حياة القلب، كالمطر حياة النبات والظلمات ما في القرآن من ذكر الشرك و[الرعد ما فيه من][3] الوعيد، والبرق ما فيه من الهدىٰ وذكر الجنة، فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن خوف ميل القلب إليه؛ لأنَّ الإيمان عندهم كفر،ثم أخبر تعالىٰ أنَّه قادر علىٰ إذهاب أسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب [أسماعهم وأبصارهم][4] [ق/ ١٠ جـ] الباطنة [فقال][5]: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾:ومفعول (شاء) محذوف لدلالة جواب لو عليه وهو ﴿لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾: بصوت الرعد، وقرئ: (بأسماعهم).

﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾:(كا) وقلما برز مفعول شاء وأراد.

المعنىٰ: لو شاء أن يذهب بأسماعهم وأبصارهم لفعل [ق/ ٥ جـ].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: (تا) فاعل لمَّا يشاء علىٰ قدر ما تقتضيه الحكمة لا زائدًا ولا ناقصًا، ولهذا يمتنع وصف غير الله تعالىٰ بالقدير، ومقتدر قريب منه،

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في جـ: الساري، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: أبصارهم وأسماعهم، والمثبت من أ، ب.

(٥) سقط من جـ، واالمثبت من أ، ب.

لكنَّه يوصف به البشر، والشيء هو ما يعلم ويخبر عنه، وهو مصدر شاء، فإذا وصف به الله تعالىٰ فمعناه شاء، وإذا وصف به غيره فمعناه المشئ ،فمن جعلها في اليهود قال: مثلهم في انتظارهم خروج محمد ﷺ كالمستوقد نارًا، فلما خرج كفروا به، كما أذهب نور من أضاءت النَّار ما حوله، ثم قال: ومثلهم أيضا كمثل من هو في صيّب، ثم جاء بما [هو][1] الدلالة علىٰ ثبوت الوحدانية والنبوة، وهما أصل الإيمان فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾:الآيات خطاب أهل مكة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: خطاب أهل المدينة، وهو هنا عام لكنَّ الصغار والمجانين لا يدخلونه، وأي اسم مبهم لوقوعه علىٰ كل شيء [وبني][2] لأنَّه منادىٰ مفرد، وأتىٰ به في النداء،وصلة إلىٰ نداء ما فيه ألف ولام وهاء زائدة للتنبيه ولئلا يباشر ما قبلها الألف واللام كما جيء بذو، والذي وصلة إلىٰ الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمل والإبهام أي افتقر إلىٰ ما يوضحه ويزيل إبهامه، ولذلك اتبع باسم الجنس أو ما [يجري][3] مجراه حتىٰ يتضح المقصود بالنداء، والتابع له مرتفع لأنَّه صفته وهي النَّاس، ولعدم انفكاكه عن الصفة لم يجز نصب صفته كما جاز يا زيد الظريف علىٰ الموضع إلا عند المازني.

ومعنىٰ ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: وحدوه أو أطيعوه، ويجوز أن يكون أمرًا للمؤمنين

---

(١) في جـ: فيه، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: وبنيت، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: جرىٰ، والمثبت من أ، ب.

بالمداومة علىٰ التوحيد والطاعة، وللكافرين علىٰ الدخول فيهما، ثم نعته بما يوجب عبادته فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾:أي اخترعكم علىٰ غير مثال سبق.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: وقرئ: (وخلق من قبلكم)، وقرئ: (والذين [ق/ ٨ب] من قبلكم) علىٰ إقحام من بين الذي وصلته تأكيدًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي علىٰ رجاء أن [توجد][(١)] منكم التقوىٰ فتنجوا بسببها من العذاب، ولعلَّ للترجي والإطماع، وهي من الله تعالىٰ واجب لأنَّ الكريم لا يطمع إلا فيما يفعل، والأولون والآخرون مخاطبون بالأمر بالتقوىٰ، وخص المخاطبين بالذكر تغليبًا لهم علىٰ الغائبين، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ إحسانه إليهم ووجوب شكره عليهم فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: أي وطاءً [يفترش][(٢)] ويستقر عليه، **المعنىٰ**: ذللها ولم يجعلها حزنة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: أي سقفًا كالقبَّة، و(فراشًا) و(بناءً) نصب حال؛ لأنَّ جعل متعدٍّ إلىٰ واحد، وإن قدرت جعل بمعنىٰ صيَّر نصبتهما مفعولًا ثانيًا.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أي من أنواع الثمرات [وألوان][(٣)] النبات.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: أي طعامًا لكم:وعلفًا لدوابكم، إلىٰ هنا (من) تمام صلة الذي إن جعلت (من) الثانية تبعيضًا نصبت (رزقًا) مفعولًا له، وإن جعلتها مبينِّة نصبته بأخرج، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾: متعلق ﴿ ٱعْبُدُوا۟﴾، تقديره يأمركم بالعبادة.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: [أي][(٤)] أمثالًا تعبدونهم [كعبادته][(٥)] تعالىٰ، زعم

---

(١) في جـ: يوجد، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: يفرش، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: وأنواع، والمثبت من أ، ب.
(٤) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.
(٥) في ب: كعبادة، والمثبت من أ، جـ.

بعضهم أنَّه لا يقال نِدَّ إلا للمثل المخالف المناوئ، والند: أيضًا الضد من الأضداد، والله تعالىٰ منزه عنهما.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا) ذلك وأنه واحد خالق هذه الأشياء، ومحل ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ نصبت حال، أو المعنىٰ أنكم أصحاب علم وعقل، ومع ذلك فتكفرون به، ثم عطف علىٰ ما هو حجة علىٰ ثبوت الوحدانية ما هو حجة علىٰ ثبوت معجزة محمد ﷺ، وهو القرآن فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: أي [في][1] شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾:من القرآن (ما): بمعنىٰ الذي والعائد محذوف أي نزلناه﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾:أي محمّد ﷺ.

وقرئ: (عبادنـــا) أي محمد وأصحابه، وإن بمعنىٰ إذ؛ لأنَّه أعلم أنهم شاكون، وجواب الشرط ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾: أي قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر، من أسأرت في الإناء إذا أفضلت فيه، ومنه فأسئروا، قالوا: وأقلها ثلاث آيات، أو من المنزلة الرفيعة لارتفاع قارئها بها في الدارين، ولإحاطتها علىٰ ما فيها من المعاني، ومنه سور المدينة لارتفاعه وإحاطته علىٰ ما فيه.

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: أي مثل القرآن، فتكون من زائدة، أو مثل محمد ﷺ من بشر يشبهه، فتكون من لابتداء الغاية متعلق (بسورة) صفة لها،أي بسورة كائنة من مثله.

﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾: جمع شاهد وشهيد بمعنىٰ الحاضر والقائم، والمراد آلهتهم، أو ناس يشهدون، وقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي دون أوليائه متعلق بادعوا، أو بشهدائكم.

تلخيصه ومعناه: [استعينوا][2] بآلهتكم التي تعبدونها، وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة.

ومعنىٰ دون: الانخفاض والقرب؛ لأنَّه أخفض مكان من غيره، ومنه الشيء

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٢) في جـ: فاستعينوا، والمبثت من أ، ب.

الدون، ومنه قولهم: دونك كذا، أي خذه من مكان هو أخفض منك ، ثم كثر استعماله للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل: زيدٌ دون عمرو في العلم والشرف .

وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (تا) في أن محمَّدًا ﷺ يقول القرآن، وأن آلهتكم شهداؤكم شرط جوابه محذوف تقديره: فافعلوا، يدل عليه قوله تعالىٰ لهم بعد عجزهم عن التحدي:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾: [فيما][(١)] مضىٰ والجزم بلم دون إن لأنَّها أصل الجزم، لأنها أوغل في الاختصاص لا تدخل إلا علىٰ مستقبل لفظًا [و][(٢)] ماضٍ معنىٰ، وإن قد تدخل علىٰ الماضي لفظًا، ويليها الاسم كقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة:٦] ولم مختصة بنفي الماضي معنىٰ وإن شرط، وحق الشرط الدخول علىٰ المستقبل معنىٰ، وبين الماضي والمستقبل منافاة، فبعضهم يجعل أن بمعنىٰ إذ، وإذ تكون للماضي، ويقول: متىٰ عرض ما يحيل معنىٰ الشرط جعلت إن بمعنىٰ إذ، وبعضهم يتركه علىٰ أصله شرطًا، وتقديره:إن يثبت لكم في المستقبل أنكم لم تفعلوا فيما مضىٰ ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾: فيما يستقبل أبدًا، وذلك لظهور إعجاز القرآن، فإنَّه معجزً النبي ﷺ اعتراض بين الشرط وجوابه، [وتكون][(٣)] واوها استئنافية ولا محل [لها][(٤)] من الإعراب؛ لأنَّ الجمل المعربة محلًّا إنما تعرب لوقوعها موقع المفرد؛ لأنَّ أصل الإعراب [للاسم][(٥)] المتمكن

(١) في جـ: في ما، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٣) في جـ: ويكون، والمثبت من أ، ب.
(٤) في أ، ب: له، والمثبت من جـ.
(٥) في ب: الاسم، والمثبت من أ، جـ.

فلم تقع موقعه، ولا هي مستحقة للإعراب في نفسها، و«لن» أخت «لا» في نفي المستقبل، لكن في «لن» زيادة تأكيد ليس في «لا»، تقول: لا أقيم غدًا، فإذا أنكر ذلك عليك أكدت فقلت: لن أقيم، وأصلها لا أن فخففت بالحذف، أو هي لن وضعًا، وإن علقت ﴿لن تفعلوا﴾ بـ﴿ادعوا﴾ تقديره أدعوا شهداءكم ولن تفعلوا أو بـ﴿فأتوا﴾، تقديره: فأتوا بسورة من مثله ولن تفعلوا، [فيكون](١) ﴿لن تفعلوا﴾من تمام الشرط، وتكون واوها عاطفة لم يتم الوقف على ﴿صَـٰدِقِينَ﴾ وجواب الشرط ﴿فَٱتَّقُواْ﴾: أي بالإيمان.

﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾: بالفتح هو ما توقد به النَّار.

وقرئ: بالضم مصدر، والمراد اللهب، والمعنى سبب وقودها.

﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: [أي](٢) حجارة الكبريت، أو الأصنام لأنَّ أكثر أصنامهم كانت حجارة، والمراد أنَّ أكثر وقودها النَّاس والحجارة، وقرن النَّاس بالحجارة لأنَّهم نحتوها واتخذوها أربابًا من دون الله، قالوا: وتلك النَّار تنفذ في الحجارة كما تنفذ هذه النَّار في الخشب.

﴿أُعِدَّتْ﴾: أي هيئت ﴿لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: [(كا)](٣) في هذا دلالة على خلق النَّار؛ لأنَّ المعد لا يكون إلا مخلوقًا، وليس في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ دليل على اختصاص الكافرين بها، بل يجوز أن يدخلها غيرهم، لكن أوعدهم بما أعد لهم دليله قوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ولا شك أنَّ الحور والولدان والمجانين [ق/ ٩ب] يدخلونها .

واختلفوا في جهة إعجاز القرآن، فأكثرهم على أنَّه معجز في نفسه بنظمه ومعناه، [ووجه](٤)ثبوت النبوة أنَّه ﷺ تحداهم بالإتيان بسورة مثله فعجزوا حتى بذلوا

---

(١) في ب: فتكون، والمثبت من أ، ج.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) في ج: تا، والمثبت من أ، ب.

(٤) في ج: ووجهه، والمثبت من أ، ب.

دماءهم وأموالهم دون ذلك، وهم من الفصاحة بحيث لا يخفىٰ، قالوا: ومعجزات الأنبياء ما تعجز أهل كل صنعة ظاهرة في كل زمانهم، ولهذا لم تكن التوراة والإنجيل معجزة؛ لأنَّ الغالب في زمن موسىٰ وعيسىٰ السحر والطب، فكانت المعجزة ما يتعاطاه أهل ذلك الزمان، [فبعد](١) ذكر وعيد الكافرين ذكر وعد المؤمنين تطييبًا لقلوبهم معطوفة جملة وصفهم علىٰ جملة وصفهم مخاطبًا رسوله ﷺ فقال: ﴿وَبَشِّرِ﴾: أي يا محمد.

البشارة: كل خبر صدق [تتغير](٢) به بشرة الوجه، واستعمالها في الخير أكثر، أي أخبر.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾:أي فعلوا الفعلات.

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:وهي كل ما كان لله تعالىٰ.

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: أي بساتين [ق/ ٦ جـ]، سميت بذلك لتسترها، وجمعت الجنة؛ لأنَّ الجنات كثيرة، ونكرت؛ لأنَّ لكل طائفة من العالمين جنات من الجنان الثمانية.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾:أي تحت أشجارها.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي المياه في الأنَّهار، وفي الحديث:«**أنهار الجنة تجري في غير أخدود**»(٣).

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾: أي متىٰ ما أطعموا من الجنة [ق/ ٥أ].

﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾: أي ثمرة و(مِنْ) زائدة، أو للجنس.

(١) في ب: وبعد، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: يتغير، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٥) عن مسروق رَحِمَهُ اللهُ من قوله.

﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا﴾: أي أطعمناه.

﴿مِن قَبۡلُۖ﴾: أي قبل هذه الثمرة؛ لأنَّ الثمار في الجنة مشتبهة لونًا مختلفة طعمًا، فإذا أطعموا ثمرة بعد أخرىٰ ظنوها الأولىٰ.

﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾: أي جيئوا بالرزق.

﴿مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾: جودة ولونًا مختلفة طعمًا أو متشابهًا اسمًا لا طعمًا.

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾: أي نساء وحور.

﴿مُّطَهَّرَةٞۖ﴾: من كل قذرٍ.

﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: (تا) دائمون أحياءٌ لا يموتون، قال ﷺ: «**أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ كحلىٰ لا يفنىٰ شبابهم ولا تبلىٰ ثيابهم**»[(١)].

لمَّا ضرب تعالىٰ المثل بالذباب بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ [الحج/ ٧٣] أو بالعنكبوت بقوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت/ ٤١] قالت اليهود: ماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة ،وضَرْبُ مثل هذا مما يستحيىٰ منه [نزل][(٢)] ردًّا عليهم علىٰ سبيل المقابلة وإطباق [السؤال علىٰ الجواب][(٣)] كقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود:١٣].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣٩) والدارمي (٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في جـ: نزله، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: الجواب علىٰ السؤال، والمثبت من أ، ب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾: الحياء تغيرٌ وانكسارٌ يلحق الشخصَ خوفًا مما يعابُ به، يقال: حيي يحيىٰ حَيَاء اعتلت أعضاؤه كنسي اشتكا النسا[١]، وهو عرق فكأن الحييَّ لمَّا يعتريه من التغير قد ضعفت قواه فترك مراده لذلك، والله تعالىٰ منزه عن ذلك، بل لابد من حمل هذا وما شاكله علىٰ ما هو اللائق بعظمته وجلاله.

وموضع: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: [أن][٢] يذكر شبهًا نصب بحذف الجار، و﴿مَّا﴾ زائدة في قوله: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾: كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [النساء:١٥٥]، و﴿بَعُوضَةً﴾ نصب مفعول ثان ﴿ليضرب﴾ الأول ﴿مَثَلًا﴾ لأنَّ (يضرب) هنا بمعنىٰ يجعل، كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام:٩٦]، ومنه ضربت الطين لبنًا أو ما إبهامية إذا أقرنت باسم نكرته وزادته شياعًا، كقولك: أعطني كتابًا ما تريد أي كتاب كان، وموضعها نصب مفعول ثان و﴿مَثَلًا﴾ أول و﴿بَعُوضَةً﴾ نصبت صفة «لما»، أو تنصب بعوضة عطف بيان لـ ﴿مَثَلًا﴾.

وقرئ: ﴿بَعُوضَةً﴾ رفعًا، فما موصولة علىٰ هذا أي يضرب الذي هو بعوضة مثلًا، فحذف العائد علىٰ الذي، ومثله ما قرئ ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام:١٥٤] رفعًا، أي هو أحسن. والبعوض: صغار البق صفة في الأصل علىٰ فعول بمعنىٰ القطع، وجميع المستعمل من تعكس (ب ع ض) يشمله معنىٰ القطع والبينوية، وما معطوفة بالفاء علىٰ ﴿مَا﴾ الأولىٰ، فتكون نكرة موصوفة، أو بمعنىٰ الذي في قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: (تا) أزيد منها كصغار الذباب والعنكبوت، أو الضمير في فوقها للعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت:٤١]؛ لأنَّها مؤنثة وربما ذكرت، أو فوقها دونها، قالوا: من الأضداد، ودونها دابة يضمرها السكون وتظهرها الحركة، ولمَّا كان أمَّا [حرف][٣] فيه معنىٰ الشرط ويذكر

(١) قال الأصمعي: النسا بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم تمر بالعرقوب حتىٰ يبلغ الحافر.
(٢) في ب، جـ: أي، والمثبت من أ.
(٣) في جـ: حرفًا، والمثبت من أ، ب.

تفصيلًا لمَّا أجمل، وكان فيه زيادة تأكيد تقول: زيد ذاهب، فإذا أردت توكيد ذلك قلت: أمَّا زيد فذاهب، ومعناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، والاسم بعده مبتدأ، وتلزم خبره الفاء بمعنىٰ الشرط قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي المثل ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الحق وضع الشيء موضعه، وأصله ثبوت، وأمر محقق: ثابت محكم.

ومحل: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: نصب حال، وإن جعلت ﴿مَا﴾ استفهامًا وذا بمعنىٰ الذي و(أراد) صلته والعائد محذوف فمحله رفع مبتدأ خبره الذي وصلته وإن جعلت ﴿مَاذَآ﴾ اسمًا واحدًا فمحله نصب بأراد تقديره أي شيء ﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: أي المثل.

﴿مَثَلًا﴾: (كا) نصب تمييز، كقولك لمن لبس سلاحًا رديئًا: كيف تنتفع بهذا سلاحًا؟ أو حال كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف:٧٣]، والإرادة نقيضة الكراهة مصدر أردت الشيء إرادة طلبته، ولإرادة معنىٰ يوجب للحي حالًا يقع منه الفعل علىٰ وجه دون وجه، ثم أجابهم مستأنفًا فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾: أي بالمثل.

﴿كَثِيرًا﴾: (كا) من الكفار لتكذيبهم به، فيزدادون ضلالًا.

وقرئ: (يضل به كثير) رفعًا.

﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾: أي بالمثل ﴿كَثِيرًا﴾: [(كا)][(١)] من المؤمنين لتصديقهم به ووصف المهتدون بالكثرة، وإن كانوا [ق/ ١٠ب] قد وصفوا بالقلة في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤]، وأيضًا فالمهتدون أقل من غيرهم؛ لأنَّ المهتدين أكثر منهم حقيقة؛ لأنَّ هؤلاء علىٰ

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

الحق وأولئك على الباطل، ابن مسعود[1]: السواد الأعظم هو الواحد على الحق.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ﴾: أي بالتكذيب.

﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: (تا) الكافرين، وأصل الفسوق: الخروج والبينونة من فسقت الرطبة والفأرة خرجتا، وكذلك جميع المستعمل من تعاكيسه، والفاسقين: نصب مفعول بـ﴿يضل﴾ لا بالاستثناء؛ لأنَّ ﴿يضل﴾ لم يستوف مفعوله.

وقرئ: (وَمَا يُضَلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُون) مجهولًا، وتم الوقف هنا؛ لأنَّك ترفع ما بعده أو تنصبه ذمًا، وإن كان وصفًا للفاسقين معنىً، ولمَّا قيل للعهد حبل حسن وصفهم بنقض العهد [فقيل][2]: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾: أي يفسخون وينكثون، ومنه نكث البناء.

﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾: الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وعلى جميع النبيين وأممهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، أو العهود ثلاثة: عهد على الأمم يوم الميثاق، وعهد على الأنبياء أن يبلغوا الرسالة، ويقيموا الدين ولا يتفرقوا، وعهد على العلماء أن يعلموا النَّاس، والضمير في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: أي توكيده وتسديده من الوثيقة لله تعالى أو للعهد.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾: وهو الإيمان بجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وصلة الرحم.

ومحل ﴿أَن يُوصَلَ﴾: جر بدل من الهاء، وهذا من بدل النكرة من المعرفة، أو نصب بدل اشتمال من ما تقديره: ويقطعون وصل ما، أو رفع تقديره هو أن يوصل.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: (كا) بالمعاصي وتعويق النَّاس عن الإيمان، وكفى الوقف هنا لرفعك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: ابتداء وخبره ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: (تا) المغبونون لاستبدالهم النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، وعقابها بثوابها،

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ١٢٥).

(٢) في جـ: فقال، والمثبت من أ، ب.

ثم استفهم خطابًا توبيخًا لهم وتعجيبًا من كفرهم بعد نصب الدلائل علىٰ وجوب الإيمان، وهي تنقلهم من الصلب إلىٰ الرحم إلىٰ الدنيا إلىٰ الموت إلىٰ الحياة يوم القيامة إلىٰ الحساب والجزاء فقال:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كَيْفَ﴾: ومحله نصب حال من الضمير في ﴿تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: و﴿تكفرون﴾ هو العامل في الحال تقديره: أمعاندين تكفرون، ومن قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾: أي نطفًا في أصلاب آبائكم لا إحساس لكم.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: أي في الأرحام، ثم في الدنيا، وهذا إلزام لهم بالبعث، ومن الكفار من كان يعترف بالبعث وينكره عنادًا، وعقب بالفاء لسرعة انتقال النطفة من الصلب إلىٰ الرحم، ولمَّا كان المكان في الدنيا قد يطول جاء بثم حرف التراخي فقال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: (كا) عند انقضاء آجالكم، وكفىٰ الوقف هنا تنبيهًا علىٰ طول مدة اللبث تحت التراب.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: للبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (تا) إلىٰ هنا نصب حال، وقد مضمرة بعد الواو، وهذا كقوله: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١]، وهذا لا يمنع موتة ثالثة، وهذه للعامة، وفي الخواص من له موتة ثالثة كقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦]، و﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣]، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة:٢٥٩]، والرجوع هنا بمعنىٰ الصيرورة كقولكم للميت: رجع إلىٰ ربه، ويقال: رجع أمرنا إلىٰ فلان، ﴿تُرْجَعُونَ﴾: إلىٰ موضع الحساب.

والمعنىٰ: ترجعون إلىٰ إرادته ومشيئته لا أنَّه في جهة فيرجعون إليها تعالىٰ

علاؤه وشأنه، ثم أومأ إلىٰ منته وقدرته بقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: نصب حال من «ما»، قد يستدل بهذا علىٰ أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة، ويقال: إن اللام قد تكون للتعريف دون التخصيص.

المعنىٰ: خلق لكم الأرض وما فيها لتعملوا لمعاشكم ومعادكم، وتستدلوا بها وبما فيها علىٰ صانعكم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: استواءً يليق بعظمته وجلاله، لا الاستواء الصادر عن المركبات [كقيام][1] أو قعود أو اضطجاع، تعالىٰ علاؤه وشأنه، أو المعنىٰ استوىٰ إلىٰ خلق السماء؛ لأنَّه لم يكن ثَمَّ سماء، والسماء جمع سماوة كجرادة ثم جرادات ثم جراد [ق/ ٧جـ]، ولذلك أعاد الضمير إليهن في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: أي خلقهن مستويات من غير خلل فيهن، أو هي مفردة، والمراد الجهة العلوية فكأنَّ كل جزء منها سماء، ولا تناقض بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]؛ لأنَّ الدحو: البسط الحسن، خلق الله الأرض موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها، ثم أصعد الدخان وخلق منه السماوات، وأمسك الفهر في موضعها، ثم بسط منها الأرض.

وعن ابن عباس[2]: أنَّ الأرض كانت [خشفة][3] تحت الكعبة، أي أكمة، أو الضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ مبهم، وتنصب ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: تمييزًا، كقولهم: ربّه رجلًا، وإن جعلت ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ بمعنىٰ صيرهن نصبت ﴿سبع﴾ مفعولًا ثانيًا.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾: تفصيلًا ومجملًا.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) ابن عباس[4]: هو الذي يحمل علمه أو المعلم، ولم يقل وهو

---

(١) في جـ: لقيام، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٥).

(٣) في ب: حشفة، والمثبت من أ، جـ.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٥).

على كل شيء قدير؛ لأنَّه ذكر ما يجمع معنى العلم والقدرة من خلق الأرض والسموات، وما فيهما من المصالح الدينية والدنيوية.

ولمَّا خلق تعالى الأرض أسكن فيها الجن، وأسكن في السماء الملائكة، فأفسدت الجن في الأرض، فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورؤوس الجبال، وأقاموا مكانهم فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يذكر قصتهم ليتعظ بها، وعادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التذكير فيها فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾: نصب بـ«اذكر» مقدرة.

﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: جمع ملاك [كالشمائل][1] جمع شمال.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾: أي مصيّر متعدٍّ إلى مفعولين وهما ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: (كا) من يخلقكم بدلًا منكم ورافعكم إلي، قالوا: فكرهوا ذلك؛ لأنَّ العبادة كانت قد خففت عنهم، والمراد بالخليفة آدم عليه السلام؛ لأنَّه خلف الجنّ وجاء بعدهم، ولأنَّه خليفة الله تعالى [ق/ ١١ب] في أرضه لتنفيذ أحكامه، ولمَّا علمت الملائكة أنَّ الذين يخلفونهم بوحي أو بإلهام يعصون الله تعالى استعظامًا لذلك وطلبًا لحكمة ذلك ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾: بالمعاصي.

﴿وَيَسْفِكُ﴾: أي يصب ﴿ٱلدِّمَآءَ﴾: ظلمًا كفعل بني الجانّ واحدها دم، وأصلها دمي، والمراد: القتل.

وقرئ: و(يُسْفِكُ) من أسفك و(يُسَفِّكُ) مشددًا.

---

(١) في جـ: كشمائل، والمثبت من أ، ب.

والواو في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: أي نقول: سبحان الله وبحمده للحال، كقولك: أتحسن إلىٰ فلان وأنا أحق منه بإحسانك.

والتسبيح: تبعيد الله عن السوء، وأصله المرّ بسرعة، من سبح في الماء والأرض ذهب، ثمَّ عمَّ جميع العبادات قولًا وفعلًا ونية، أو المراد بالتسبيح الصلاة، فعلىٰ هذا محل ﴿بِحَمْدِكَ﴾ نصب حال أي ﴿نُسَبِّحُ﴾ حامدين لك ومتلبسين بحمدك.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: (كا) أصل التقديس: التطهير والبعد عن الأنجاس، من قدَّس في الأرض ذهب فيها فأبعد.

والمعنىٰ: نثني عليك بالطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك، أو نطهر أنفسنا لطاعتك.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا) من المصلحة باستخلافي آدم، وأنَّ من ذريته [ق/ ٦أ] الطائع والعاصي، فيظهر الفضل والعدل، أو أعلم أنَّ فيكم من يعصيني - وهو إبليس- فيبعد عن رحمتي.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾: مشتق من الأدمة السمرة، أو من أديم الأرض وجهها، وكنيته أبو البشر، وزنه أفعل، ولو كان وزنه فاعلًا لانصرف، وفي هذا دليل علىٰ أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة.

وقرئ: (وعَلِم آدم الأسماء كلها)؛ لأنَّ الملائكة لمَّا قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: ليخلق الله ما يشاء، فلن يخلق خلقًا أكرم عليه منَّا، وإن فعل فنحن أعلم منه؛ لأنَّا قبله، ورأينا ما لم ير، فتحروا بالعلم، فبيَّن تعالىٰ عجزهم بأن خلق جميع المسميات، وعلم آدم أسماءها كلها بكل اللغات، حتىٰ القصعة والقصيعة.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: أي المسميات، وذكر تغليبا للعقلاء المذكرين.

وقرئ: (عرضهن) و(عرضها)، أي المسميات؛ لأنَّ عرض الأسماء لا يصح، والعرض: إظهارك الشيء، وأن تمر به عرضًا لتعرف حاله.

﴿عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾: تبكيتًا[1] وتعجيزًا للملائكة.

﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾: [أي][2] أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: الموجودات.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: (حس) في أني لا أخلق أفضل ولا أعلم منكم، أو صادقين عالمين، فثَمَّ ظهر عجزهم، ثم ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ﴾: أي تنزيهك نصب مصدر، ولا يكاد يستعمل إلا مضافًا.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾: ﴿مَا﴾ مصدرية، أي إلا علمًا علمتناه، ومحله رفع بدل من موضع ﴿لَا عِلْمَ﴾، كقولك: لا إله إلا الله، أو بمعنىٰ الذي، ويكون العلم بمعنىٰ المعلوم، أي إلا المعلوم الذي علمتناه.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقك.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: (حس) في صنعك، والحكيم الذي منع الخلل أن يتطرق إليه، وأصل الحكمة المنع، ومنه حكمة الدابَّة، فلمَّا عجزوا:

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾: [أي][3] أخبرهم ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾: (كا) بأسماء المسميات، فسمَّىٰ آدم كل شيء باسمه، وذكر منفعته التي لأجلها خلق.

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾: أي الله تعالىٰ تقريرًا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ

(١) بكته بالحجة: أي غلبه وألزمه .

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي ما غاب فيهما، ولا دليل عليه، ولا طريق إليه، وهذا دليل أنَّ ما أطلع الله عليه بعض عباده يسمىٰ غيبًا؛ لأنَّه دخل في ذلك ما علمّه آدم ﷺ.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: أي تظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا...﴾ الآية.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: (تا) تسرون من قولكم: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منَّا، أو ما تبدون من قولكم لإبليس لمَّا قال لكم: ماذا ترون إن أمرتم بطاعة آدم فقلتم: نمتثل أمر ربنا، وما كنتم تكتمون ما أسرَّه الخبيث من قوله: لئن سلطت علىٰ آدم لأهلكنه، ولئن سلط عليَّ لأعصينَّه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: [أي لجميعهم][١] جميعًا.

﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾: أي إلىٰ آدم فكان السجود لله عبادة، وإلىٰ آدم تكرمة له، كالصلاة إلىٰ الكعبة، وأصل السجود الميل، قالوا: لم يكن ثمَّ وضع الجباه علىٰ الأرض إنما كان انحناء.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: استثناء متصل إن كان من الملائكة، وإن لم يكن منهم فمنقطع، ولم ينصرف لعجمته وتعريفه، وإن جعلته عربيًّا لم تصرفه لتعريفه ولقلة مثاله في كلام العرب، إلا ما شذ من أصلت السيف فهو أصليت[٢] إذا مضىٰ، وأجفل الظليم فهو أجفيل[٣] إذا عدا.

ومحل ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾: أي امتنع وتعظم عن السجود، نصب حال.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) قال الجوهري: أَصْلَتَ سيفَه، أي جَرَّدَهُ من غِمده، فهو مصلت، وضربه بالسيف صلتًا، إذا ضربه به وهو مُصْلَتٌ، والصَّلت بالضم: السكِّين الكبير، والجمع أَصْلاَتٌ. «الصحاح» (١/ ٢٥٦).

(٣) قال الجوهري: الأجفيل: الجبان، وظليم أجفيل يهرب من كل شيء. «الصحاح» (٤/ ١٦٥٧).

﴿وَكَانَ﴾: أي صار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (كا) ولم يكن لآدم من يؤنسه في الجنَّة فخلقت [حواء][1] من ضلعه اليسرىٰ من قصير وهو نائم، فاستيقظ فرآها عنده فقال: من أنت؟ فقالت: زوجتك أسكن إليك وتسكن إليَّ، فقال له تعالىٰ: ﴿ٱسْكُنْ﴾: من السكون ضد الحركة والثبوت.

﴿أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾: أي [حواء][2].

﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: أي جنة الخلد، قالوا: هي في السماء السابعة.

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: وصف لمصدر محذوف، أي كلا رغدًا، أي واسعًا طيبًا.

﴿حَيْثُ﴾: للمكان المبهم، والمعنىٰ من كلأ، أي مكان من الجنة.

﴿شِئْتُمَا﴾: لا نضيق عليكما.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: بالأكل، ولو كان النهي عن الدنو لضمت الراء، تقول: قربت منه دنوت، وقربته قربًا وقربانًا: دنوت، إلا أنَّ مضموم الراء أبلغ في الدنو.

وقرئ: (تقربا) كسرًا، وبكسر شين (الشِّجرة) وهي الحنطة، أو العنب، أو التين، والمعنىٰ أبحتكما سكنىٰ الجنة والأكل من جميع أشجارها إلا هذه الشجرة، فلا تأكلا شيئًا منها.

﴿فَتَكُونَا﴾: جزم عطف علىٰ ﴿تَقْرَبَا﴾، أو نصبت جواب النهي.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) الضارِّين أنفسكما بمخالفتي، وأصل الظلم [ق/ ١٢ب]: وضع الشيء في غير موضعه، ولمَّا سكنا الجنة وأحباها حسدهما الخبيث، فمنع من دخول الجنَّة فأدخلته الحية، أو كان يدنو من الجنَّة فلمَّا رآهما بكىٰ وناح نياحة أحزنتهما، وهو أول من ناح، فقالا: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان نعيم الجنة، فاهتما لذلك، ثم قال لآدم: هل أدلك علىٰ شجرة

(١) في جـ: حوىٰ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: حوىٰ، والمثبت من أ، ب.

الخلد؟ فأبىٰ آدم ذلك فقاسمهما بالله أنَّه ناصح لهما فأكلت [حواء][(١)]، ثم ناولت آدم فأكل بعد امتناع.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

القراءة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ : أي دعاهما إلىٰ الزلة.

﴿عَنْهَا﴾: أي عن الجنة.

تلخيصه: أصدر زلتهما، أو أزلهما أذهبهما عن الجنة من زل عن مكانه ذهب، وأزاله غيره، و(فأزالهما) أي نحاهما.

وقرئ: (فوسوس لهما الشيطان عنها) أي صدرت وسوسته عن الشجرة.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ﴾: من النعيم فقال تعالىٰ: ألم يكن بك يا آدم مندوحة عن أكل هذه الشجرة؟ فقال: بلىٰ يا رب، ولكن زينته لي [حواء][(٢)]، وما كنت أعتقد أنَّ أحدًا يحلف بك كاذبًا.

ويدل علىٰ أنَّ القول كان من الله تعالىٰ قوله:﴿وَقُلْنَا﴾ لهما بعد الأكل، ولإبليس والحية.

﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: أي انزلوا مستخفًّا بكم، أو المراد آدم وحواء، وجمعا نظرًا إليهما وإلىٰ ذريتهما، ويدل عليه قوله: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ [طه:١٢٣].

وقرئ: بضم الباء إن جعلت قوله تعالىٰ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ [ق/ ٨جـ]: (كا) أعداء مبتدأ وخبرًا وقفت علىٰ ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾، وكان كافيًا، وإن نصبت محل ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ حالًا من الضمير في ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ لم تقف علىٰ

(١) في جـ: حوىٰ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: حوىٰ، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، تقديره: اهبطوا متعادين، والمراد العداوة التي بين المؤمنين وبين إبليس، أو التي بين بني آدم من ظلم بعضهم بعضًا وتضليل بعضهم بعضًا.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾: أي موضع قرار علىٰ وجهها، أو في القبور.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾: أي بلغة.

﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾: (تا) آخر أعماركم.

المعنىٰ: لكل إنسان مكان في الأرض يستقر فيه ويتمتع بما قسم له فيه مدة حياته وبعد مماته.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾: أي فتلقن وأخذ ﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾: وأصل التلقي القبول عن فهم وفطنة، ومنه الحديث: «**كان ﷺ يتلقىٰ الوحي من [جبريل]**[1] **تلقيًا**»[2].

القراءة: برفع ﴿آدم﴾ ونصب ﴿كلمات﴾ مفعولًا، وبرفع ﴿كلمات﴾ ونصب ﴿آدم﴾ مفعولًا.

الكلمات التي تلقاها وبسببها كانت التوبة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا...﴾ الآية [الأعراف:٢٣]، أو لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءًا، وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، أو لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب عملت سوءًا وظلمت نفسي فارحمني إنك أرحم الراحمين، أو هي الحياء والدعاء والبكاء.

المعنىٰ: إنَّ آدم ترك الخلق، وأَمَّ الحق ملتجئًا إليه باطنًا وظاهرًا باكيًا طالبًا منه التوبة[3].

---

(١) في جـ: جبرئيل، والمثبت من أ، ب.

(٢) لم أجده مسندًا بهذا اللفظ، وقد ذكره غير واحد من المفسرين بلا سند، كالواحدي في «التفسير الوسيط» (١/ ١٢٤).

(٣) في حاشية أ: والكلمات قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا.....﴾ الآية [الأعراف:٢٣]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أحب الكلام إلىٰ الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالىٰ جدّك، لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي أنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾: (كا) فتجاوز عن ذنوبه، وأصل التوبة [الرجوع والمراد][١] الرجوع عن الأحوال المذمومة إلىٰ الأحوال المحمودة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: أي الكثير التوب الذي يقبل التوبة مرة بعد مرة وإن كثرت، ولا يقال لغير الله التواب.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) بخلقه، وكرر الهبوط فقيل: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾: نصب حال تأكيدًا لشدة العناية بإنزالهم، أو لأنَّ الهبوط هبوطان:

الأول: من الجنَّة إلىٰ السماء الدنيا.

والثاني: من السماء الدنيا إلىٰ الأرض.

فهبط آدم بسرنديب بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة[٢]، والحية بأصفهان.

﴿فَإِمَّا﴾: هي «إن» شرط ضمت إليها «ما» تأكيدًا للفعل، وأدغمت إن فيها، وقلما وقع فعل الشرط بعد إما إلا مؤكدًا بما والنون فما تؤكد أول الفعل، والنون تؤكد آخر الفعل لقوله تعالىٰ: ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾: أي رشد وبيان شريعة.

وقوله: ﴿فَمَن﴾: شرط مرتفع [محلًّا][٣] مبتدأ خبره ﴿تَبِعَ هُدَايَ﴾: وقرئ: (هديَّ) مشددًا قلب الألف ياء، ثم أدغمها في الياء بعدها وفي ﴿تبع﴾ ضمير يرجع إلىٰ ﴿من﴾ وجواب ﴿فَمَن﴾: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: فيما يستقبلهم، والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ضد الأمن، ويستعمل في الأمور الدينية والدنيوية، و«فمن» وجوابها جواب «أما».

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: (تا) علىٰ ما خلفوا في الدنيا ولا في الآخرة إذا حزن النَّاس، وأصل الحزن: غلظ الهم ضد الفرح .

فبعد وعده المؤمنين أوعد الكافرين بأن عطف الخاص علىٰ العام لفظًا، ولو كان عطفًا معنويًا لمَّا تمَّ الوقف علىٰ ﴿يَحۡزَنُونَ﴾ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) الأبلة: مدينة إلىٰ جنب البصرة.

(٣) في جـ: المحل، والمثبت من أ، ب.

بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: أي القرآن، ولمَّا لم يكن لهم مقر في الأخرة سوىٰ النَّار فكأنهم قد ملكوها فصاروا أصحابها [فلذلك][1] قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾: ثم أكد ذلك بقوله: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: (تا) لا يموتون فيها ولا هم منها يُخرَجون.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: هو يعقوب.

﴿ٱذۡكُرُواْ﴾: أي اشكروا .

﴿نِعۡمَتِيَ﴾: أي نعمي ﴿ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: الإنعام: إيصال الإحسان إلىٰ سواك بشرط أن يكون ناطقًا، فلا يقال: أنعم فلان علىٰ فرسه.

تلخيصه: اشكروا إحساني الواصل إلىٰ أجدادكم من فلق البحر وإغراق فرعون والمنّ والسلوىٰ وغير ذلك؛ لأنَّ المنة علىٰ الآباء منَّة علىٰ الأبناء.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾: أوفيت بالشيء ووفيت بالغت في إتمامه ووفيت [أيضًا مخففًا][2]: أتممته، أو الإيفاء ضد الغدر، والغدر: الترك، والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالًا فحالًا.

الخليل: أصله الاحتفاظ بالشيء وإجداد العهد به، وسمي الموثق عهد اللزوم مراعاته، وعهد فلان إلىٰ فلان بعهد أي ألقاه إليه وأوصاه بحفظه.

والمعنىٰ: أتموا عهدكم الذي عاهدتموني بامتثال أمري والإيمان بمحمد.

﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾: أتمم جزاءكم بالقبول[والثواب][3] [ق/ ١٣ب]، كقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ [القصص:٨٤].

---

(١) في جـ: وذلك، والمثبت من أ، ب.
(٢) في ب، جـ: مخففًا أيضًا، والمثبت من أ.
(٣) سقط من أ، والمثبت من جـ.

﴿وَإِيَّٰيَ﴾: نصب بمحذوف تقديره: وإياي ارهبوا.

﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾: [(كا)][(١)] خافون في نقض العهد لا بـ«ارهبون»؛ لأنَّ «ارهبون» قد أخذ مفعوله، وفي الكلام معنى الشرط، تقديره: إن كنتم راهبين شيئًا فارهبون.

ونزل في ابن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾: أي القرآن.

﴿مُصَدِّقٗا﴾: حال مؤكدة من الهاء المحذوفة من أنزلت أي موافقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمۡ﴾: أي التوراة من النبوة والتوحيد وأخبار محمد ﷺ، و﴿مَعَكُمۡ﴾ نصب ظرف العامل فيه الاستقرار.

تلخيصه: آمنوا بالذي أنزلته مصدقًا لمَّا في كتابكم.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ﴾: أي فريق.

﴿كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾: أي بالقرآن، أو بالتوراة؛ لأنَّ صفة محمد عليه السلام في التوراة، فبكتمهم صفته ﷺ كفروا بالتوراة، أو الهاء لمحمد، أي لا تكونوا أول من كفر [ق/ ٧أ] بمحمد ﷺ كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، ووزن أول أفعل، ومؤنثه أولى وأصلها وولى، قلبت الواو همزة، ففاؤها وعينها واو عند سيبويه، ولم يتصرف منها فعل لاعتلال فائها وعينها، وعند [الكوفي][(٢)] وزنه أفعل أيضًا، وأصله اوءل من واءل نجا، فأبدلوا من الهمزة الثانية واوًا مفتوحة، وأدغموا الأولى فيها، أو أغفل وأصله أاول من آل يؤول ففصل بينهما بالواو بعد سكونها، وفتح الهمزة بعدها، ثم قلبت واوًا أدغمت فيها الواو.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: لا تستبدلوا.

﴿بِـَٔايَٰتِي﴾: أي بالقرآن والإيمان بمحمد ﷺ.

﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾: أي عرضًا يسيرًا من حطام الدنيا كانوا ينالونه من سفلتهم؛ لأنَّ

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الكوفيين، والمثبت من أ، ب.

الثمن ما ثبت في الذمة بدل المبيع، والقليل نقيض الكثير، الحسن[(١)]: هنا الدنيا بحذافيرها قليل، فلو اتبعوا محمدا ﷺ لفاتتهم الرياسة وتلك المآكل.

﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾: (تا) فاخشون[(٢)].

الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه لغة، وشرعًا: حفظ النفس عما يؤثمها، وقد تسمىٰ التقوىٰ خوفًا وخشية، ويسمىٰ الخوف تقوىٰ.

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: أصل اللبس: الستر، والباطل ضد الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه.

المعنىٰ: لا تخلطوا الحق الذي تعرفونه من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتمونه منها، بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر؛ لأنَّهم أقروا ببعض صفته، وأنكروا بعضها، وقالوا: لا نجد صفته عندنا ليصدقوا بذلك، أو الباء للاستعانة كقولك: كتبت بالقلم، فمعناه: لا تجعلوه متلبسًا بباطلكم، أو زائدة.

﴿وَتَكْتُمُواْ﴾: جزم عطف [علىٰ ﴿تَلْبِسُواْ﴾][(٣)]، أو نصب جواب النهي بإضمار أن، والواو للجمع.

والمعنىٰ: لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمان الحق كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

وقرئ:(تكتمون) أي: كاتمين ﴿ٱلْحَقَّ﴾: أي نعت محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٥٩).

(٢) قال الإمام الراغب: إنما ذكر في الآية الأولىٰ ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠] وفي الآية الآخرىٰ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾[البقرة:٤١]، لأنَّ الرهبة دون التقوىٰ، فحينما خاطب الكافة عالمهم ومقلدهم، وحثهم علىٰ ذكر النعمة التي يشركون فيها، أمرهم بالرهبة التي هي مبادئ التقوىٰ، وحينما خاطب العلماء منهم، وحثهم علىٰ مراعاة آياته، والتنبيه لمَّا يأتي به أولو العزم من الرسل، أمرهم بالتقوىٰ التي هي منتهىٰ الطاعة.
انظر «فتوح الغيب» (٢/ ٤٥٤).

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا) أنَّه نبي مرسل نصب حال.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي أديموا الصلوات الخمس بشروطها.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: من زكا الشيء يزكو زاد، وهي زيادة في المال ببركة من الله تعالىٰ، وزكت نفسه: طهرت، والطهارة أيضًا زيادة فيها.

المعنىٰ: أعطوا المفروض في أموالكم.

﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: (تا) الركوع: الانحناء، ويكون بمعنىٰ التذلل والانخفاض. **المعنىٰ**: صلوا صلاة ذات ركوع؛ لأنَّ اليهود لم يكن في صلاتهم ركوع، أو صلوا مع من في صلاتهم ركوع وهم المسلمون، وهذا حث علىٰ الصلاة جماعة، وذكره الركوع دليل علىٰ ركنيته، كان الرجل من علماء اليهود يقول لقرينه من المسلمين: اثبت علىٰ دين محمد، فإنَّ أمره حق، ودينه صدق، فنزل إنكارًا وتعجيبًا منهم:

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾: أصله الاتساع، ومنه البرُّ ضد البحر، ثم جعل اسمًا لفعل الخيرات من الدين والتقوىٰ وغيرهما.

والمعنىٰ: أتأمرون باتباعه ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: أي تتركون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: فلا تتبعونه، النسيان: السهو، وأصلها الترك؛ لأنَّ السهو يكون لمَّا علمه الإنسان ولمَّا لم يعلمه، والنسيان: ما غرب بعد حضوره، ثم وبخهم فقال: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ﴾: أي تقرؤون التوراة وفيها نعته، وأصل التلاوة: الاتباع.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (تا) أنَّه حق فتتبعونه، يقال للقوة المتهيئة للعلم: عقل، وللعلم المستفاد بتلك القوة أيضًا: عقل، وأصلها المنع والإمساك، ومنه عقال البعير لمنعه إياه من الشرود.

وروي أنهم كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون، وهذا توبيخ علىٰ ترك الفعل لا علىٰ الأمر به؛ لأنَّ الأمر بالحسن حسن، وقلما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه.

تلخيصه: تنصحون غيركم، وتنسون نفوسكم، عن محمد بن واسع أن ناسًا من أهل الجنة اطلّعوا علىٰ ناس من أهل النَّار، فقالوا لهم: قد كنتم تأمروننا بأشياء [ق/ ٩ جـ] [علمناها][1]، فدخلنا الجنَّة قالوا: كنا نأمركم بها ونخالف إلىٰ غيرها.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾: أي اطلبوا في قضاء حوائجكم المعونة.

﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: (كا) بأن تصلوا صابرين علىٰ مشاق العبادة وغيرها، وأصل الصبر: الإمساك في ضيق، ومنه النهي عن المصبورة، والصبر: الصوم، ومنه شهر الصبر لرمضان، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلىٰ الصلاة[2].

﴿وَإِنَّهَا﴾: أي الاستعانة، أو الصلاة.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: لشاقة عظيمة من كبر الشيء عظم.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: (تا) الخائفين، وأصل الخشوع السكون مثل الضروع، لكن الضروع أكثر ما يستعمل في القلب، والخشوع في الجوارح.

الخليل: خشع ببصره رمىٰ به إلىٰ الأرض، وأخشع طأطأ رأسه للسجود، ولم تثقل الصلاة علىٰ الخاشعين لتوقعهم ما ادخر لهم من ثوابها، وثقلت علىٰ غيرهم لأنَّهم لا يتوقعون ثوابها، إن جعلت ما بعد ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ صفة لها لم تقف علىٰ ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، ويتم الوقف علىٰ ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ إن رفعت [ق/ ١٤ ب] أو نصبت مدحًا.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: أي يتيقنون، وفي بعض المصاحف ﴿يعلمون﴾، والظن يكون يقينًا ويكون شكًّا من الأضداد، كالرجاء يكون أمنًا وخوفًا، ويكون لترجيح أحد النقيضين، وتجعل أنَّ واسمها وخبرها في ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ﴾: أي معاينو.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿رَبِّهِمْ﴾: وصائرون إليه يوم القيامة سادًّا مسد المفعولين لتضمنه ما يتعلق به الظن وهو اللقاء.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي إلىٰ حكمه وقضائه.

﴿رَاجِعُونَ﴾: ﴿تا﴾ يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

ومحل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾: أي ميزتكم نصب عطف علىٰ ﴿نِعْمَتِيَ﴾: أي اذكروا نعمتي وتفضلي إياكم.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) عالمي زمانهم، وبتفضيل الآباء يحصل تفضيل الأبناء.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾: نصبٌ مفعول لا ظرف؛ لأنَّ الأمر بالتقوىٰ لا يقع يوم القيامة، وحسن الوقف هنا لجواز أن يكون الواو في ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ استئنافية وعاطفة، تقديره: واخشوا عذاب يوم ﴿لَّا تَجْزِي﴾: لا تؤدي ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾: من الحقوق التي لزمتها، و﴿شيئًا﴾: نصب مفعول به، أو لوقوعه موقع المصدر، وهو جزاء وتنكيره النفس مؤذن أن لا نفس تجزئ عن نفس ما شيئًا ما إلا من شاء تعالىٰ.

وقرئ: (تجـزئ) من أجزأ عنه كفىٰ عنه.

الأخفش: جزاء وأجزاء لغتان، وأصل الجزاء: المقابلة.

وقرئ: (نسمة عن نسمة).

ومحل ﴿لَّا تَجْزِي﴾ وما اتصل بها نصب صفة ﴿ليومًا﴾، والعائد علىٰ الموصوف محذوف تقديره: لا تجزي فيه.

القراءة: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾: أي من النفس الأولىٰ.

﴿شَفَٰعَةٌ﴾: إن شفعت للنفس الثانية بالتاء لتأنيث الشفاعة، وبالياء مذكرًا؛ لأنَّ الشفاعة بمعنىٰ الشفيع.

وقرئ: ﴿لا يَقبَل﴾ بفتح الياء والباء ونصب ﴿شفاعة﴾ مفعولًا، الفاعل الله تعالىٰ، والشفاعة من الشفع ضد الوتر؛ لأنَّ الشفيع مع المشفوع له زوج، وحقيقتها ضم واحد إلىٰ آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام أعلىٰ إلىٰ من هو أدنىٰ رتبة منه.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾: أي من المشفوع لها.

﴿عَدْلٌ﴾: أي فــداء، أصل الأخذ حوز الشيء وتحصيله، وأصل المعادلة المماثلة.

والضمير في ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: (كـا) لا [يمنعون][(١)] من عذاب الله تعالىٰ، وأصل النصر: العون والمنع يرجع إلىٰ ما دلَّت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة بمعنىٰ العباد.

روي أنَّ اليهود كانوا يزعمون أن آباءهم يشفعون لهم فأيسوا بهذه الآية.

تلخيصه: لا نافع ولا شافع ثَمَّ إلا الله تعالىٰ ومن شاء من خلقه، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾: في محل نصب عطف علىٰ اذكروا، [أي][(٢)] ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾، واذكروا إذ نجيناكم.

والنجا من النجوة المكان المرتفع، **المعنىٰ:** جعلنا آباءكم بمكان حريز فنجوتم بنجاتهم.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: (تا) أهله وأتباعه، وأصل آل أهل أبدلت هاؤه همزة، وآل مختص بذوي الأقدار، فلا يقال: آل الزبال.

---

(١) في جـ: يمنعونه، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

وفرعون: اسم علم لمن ملك العماليق، وفرعون هذا اسمه الوليد بن مصعب، وتم الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعد مرفوع محلًّا، وإن نصبت ما بعد حالًا العامل فيه ﴿نَجَّيۡنَٰكُم﴾ تقديره: نجيناكم من آل فرعون سائمين لم تقف على ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾.

﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ﴾: أي يبغونكم ويذيقونكم أشد ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾: أصل السوم الذهاب والابتغاء منه: سامت الإبل ذهبت في المرعىٰ حيث شاءت، وسمته كذا أبغيته إياه وألزمته به، والسوء: قبح الشيء، وأصله ما يسوء، وسوء العذاب المفعول الثاني «ليسوموا»، والأول «كم»، وقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾: أصل الذبح الشق، والتشديد للتكثير.

وقرئ: (يَذْبَحُونَ) مخففًا بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾؛ ولهذا ترك العاطف.

وقرئ: (يقتلون).

﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾: أي يتركونهن طلبًا لحياتهن، وزعم بعضهم أنَّه من طلب الحياء الفرج، أي ينظرون هل هن حبالىٰ أم لا؟ والذي حمل فرعون علىٰ قتل الأولاد واستحياء النساء أن رأىٰ نارًا في نومه خرجت من بيت المقدس أحرقت جميع القبط، ولم تضر بإسرائيلي، فسأل عن ذلك؟ فقيل له: يولد في بني إسرائيل من يكون هلاكك علىٰ يده، فأمر بقتل الغلمان [فكثر][1] القتل منهم، فأمر بقتلهم سنة وتركهم سنة، فولد هارون في سنة لا قتل فيها، وموسىٰ في سنة فيها قتل.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: أي السوم، وما اتصل به من القتل.

﴿بَلَآءٞ﴾: أي امتحان ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾: (تا) والبلاء يكون بمعنىٰ الشدة، وبمعنىٰ النعمة، ويختبر تعالىٰ علىٰ النعمة بالشكر، وعلىٰ الشدة بالصبر.

---

(١) في جـ: فأكثر، والمثبت من أ، ب.

خرج موسىٰ ﷺ يومًا ليلًا هاربًا بجميع بني اسرائيل من فرعون وجنوده، فتبعهم بجنوده، فلما أبصرهم ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] قال موسىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]، فأوحىٰ إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فلم يطعه، فأوحىٰ إليه كِنِّهِ، فضربه وقال: انفلق أبا خالد فانفلق اثني عشر مسلكًا، ثم أرسلت عليه الرّيح والشمس فصار يبسًا، فدخله بنو إسرائيل، فلم ير بعضهم بعضًا، [فخاف بنو إسرائيل إذ ذاك فصار في الماء كوىٰ يرىٰ بعضهم بعضًا][1] فقال فرعون لأصحابه: انظروا كيف انفلق البحر لهيبتي ولأدرك عبيدي، وكان علىٰ فحل أدهم، فكان ينفر من البحر، فجاء جبريل علىٰ فرس أنثىٰ وديق[2]، وتقدمه إلىٰ البحر، فشمّ أدهم فرعون ريحها، فاقتحم خلفها البحر، وتبعته الخيول فدخلوا فيه، وخرج منه موسىٰ وأصحابه، ثم انطبق علىٰ فرعون وأصحابه فغرقوا أجمعون، وهو بحر قلزم أو بحر من بحار مصر يقال له [ق/ ١٥ب]: إساف، فذلك قوله:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ﴾: أي فصلنا ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: بسببكم، ومحله نصب حال، أي فرقناه ملتبسًا بكم.

وقرئ: (فرَّقنا) مشددًا، فرَقت بين الشيئين وفرَّقت مشددًا بين الأشياء مبالغة لكثرتها، وكذلك ما أشبه هذا.

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾: من الغرق.

﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أي فرعون وجيوشه، وبنو إسرائيل يشاهدون

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) يقال: أتان ودوق وفرس ودوق ووديق أيضًا إذا أرادت الفحل.

ذلك، فلذلك قال: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: (كا) إلىٰ مصارعهم، أو النظر بمعنىٰ العلم، ولمَّا دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون لم يكن لهم شريعة ينتهون إليها وعد الله تعالىٰ موسىٰ بالتوراة، وجعل [ميقات][(1)] ذلك بعد أربعين ليلة ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة[ق/ ٨أ] ويكون الميعاد بالطور.

القراءة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾: بغير ألف، وواعدنا مفاعلة من واحد كعاقبت اللّص، ﴿وَٰعَدْنَا﴾ متعدٍّ إلىٰ مفعولين ﴿مُوسَىٰٓ﴾ الأول، والثاني ﴿أَرْبَعِينَ﴾: وفي الكلام حذف أي تمام أربعين.

﴿لَيْلَةً﴾: تمييز، وقال: ليلة؛ لأنَّ أول الشهور ليلة، ولأنَّ الظلمة سابقة علىٰ النور، فذهب موسىٰ إلىٰ المناجاة واستخلف عليهم هارون، وصاغ السامري من الحلي التي كانوا قد استعاروها عند هربهم من فرعون بعلة عرس كان لهم عجلًا، وألقىٰ فيه ترابًا كان أخذه من حافر فرس جبريل، فخار ومشىٰ وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد، فعدوا اليوم مع الليلة يومين إلىٰ تمام العشرين، فقال السّامري: هذا ربكم نسيه هنا، وذهب يطلبه، فأقبلوا كلهم علىٰ عبادة العجل فعبدوه إلا هارون مع اثني عشر ألفا فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: أي إلهًا.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي بعد ذهاب موسىٰ إلىٰ الطور.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: بشرككم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: **المعنىٰ**: محونا ذنوبكم بعد شرككم لمَّا تبتم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (كا) إرادة أن تشكروا الله سرًّا وعلانية في مقابلة العفو؛ لأنَّ العفو يوجب الشكر، وأصل الشكر تصوّر النعمة وإظهارها، وحقيقته: **العجز** عن الشكر، ومن تسبيح داود ﷺ: سبحان من جعل العجز عن شكره شكرًا، كما

---

(١) في جـ: ميثاق، والمثبت من أ، ب.

جعل الاعتراف بالعجز عن معرفته معرفةً.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾: هما التوراة، أي أعطيناه الكتاب الجامع للفرق بين الحق والباطل، كقوله: رأيت الغيث والليث، يريدون الشخص الجامع بين الشجاعة والجود، أو الفرقان معجزات موسىٰ ﷺ كالحية واليد وانفراق البحر وغيرها؛ لأنَّها فرقت بين الحق والباطل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: (كا) لكي تهتدوا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾: أي الذين عبدوا العجل [ق/ ١٠ جـ].

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: معبودًا، قالوا: وما نصنع؟ قال: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾: أي ارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: أي خالقكم، قالوا: كيف نرجع؟

قال: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي ليقتل البريء منكم السقيم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾: (تا) القراءة: ﴿بارئكم﴾ و﴿ينصركم﴾ و﴿يأمركم﴾ و(يشعركم﴾ بالإسكان المحض والهمزة فيما فيه همز تخفيفًا لغة صحيحة محكية عن العرب، وبعضهم خَطَّأَ الإسكان، ونسبه إلىٰ الناقل، وفيه نظر؛ لأنَّ القرآن ثبت بالتواتر، وإذا كان الناقل جاهلًا أو غير ثقة فكيف يؤخذ المتواتر عنه؟ وبقلب همزة ما فيه همز ألفًا أو ياء تخفيفًا، وباختلاس الحركة، وبإشباع الحركة علىٰ الأصل، والفاء الأولىٰ للتسبيب؛ لأنَّ الظلم سبب التوبة، والثانية للتعقيب، تقديره: فاعزموا علىٰ التوبة، فاقتلوا.

والفاء في قوله: ﴿فَتَابَ﴾: متعلقة بشرط محذوف تقديره: إن فعلتم ذلك فقد تاب ﴿عَلَيْكُمْ﴾: (كا) تجاوز عنكم فجلسوا محتبين، وقيل لهم: من حل حبوته، أو مد طرفه إلىٰ قاتله فهو ملعون غير مقبول التوبة، وأصلت القوم عليهم الخناجر، فكان الرجل يرىٰ نسيبه وصديقه فلا يستطيع قتله، فغشيتهم سحابة فلم يبصر بعضهم بعضًا، فقتلوهم إلىٰ المساء، فثَمَّ تضرع موسىٰ وهارون وبكيا وقالا: يا رب البقية، فأمروا بالكف عن القتل، فقتل منهم سبعون ألفًا، فكان من قتل شهيدًا ومن بقي مغفورًا ذنوبه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: (حس) ثم أمر تعالىٰ موسىٰ أن يأتيه بناس من قومه يعتذرون إليه من عبادة العجل، فخرج بسبعين رجل إلىٰ الطور، فأسمعهم تعالىٰ خطابه، فثَمَّ قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾: أي لأجل قولك.

﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾: أي عيانًا لا ساتر بيننا وبينه، ونصبها مصدر؛ لأنَّها نوع من الرؤية، أو صفة مصدر محذوف كنصب قعد القرفصاء، أو حال.

وقرئ: (جهَرة) بفتح الهاء مصدر كالغلبة.

﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: لسؤالكم ما هو مستحيل علىٰ الله تعالىٰ في الدنيا.

وقرئ (الصعقة) بمعنىٰ الصاعقة وهي الموت، أو نار جاءتكم فأحرقتكم.

﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾: (كا) إلىٰ ما حلَّ بكم، أو تنظرون تعلمون ماتوا يومًا وليلة، قالوا: إن موسىٰ ﷺ لم يمت وإنما غشي عليه بدليل قوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وزعم بعضهم أنَّ السبعين لم يموتوا أيضًا، وإنما أخذتهم رجفة، وروي أنَّ الأطفال استغاثوا بموسىٰ فقالوا: يا موسىٰ العفو العفو، فبكىٰ موسىٰ وهارون وسألا الله تعالىٰ فأحيوا.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم﴾: أصل البعث إثارة الشيء عن محله، ومنه بعثت البعير: أثرته، أي أحييناكم.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾: لتستوفوا بقية آجالكم [ق/ ١٦ب]، قالوا: ولو ماتوا

بآجالهم لم يحيوا إلىٰ يوم القيامة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (كا) الله تعالىٰ حيث أحياكم وتاب عليكم، قالوا: وحلَّ بهم ما حلَّ لأنَّ سؤالهم كان تكذيبًا واجتراءً، بخلاف موسىٰ كان سؤاله اشتياقًا وافتقارًا، ولم يكن لبني إسرائيل في التِّيه ما يكِنُّهم، فغشيتهم غيم يقيهم حرَّ الشمس، وجعل لهم عمود من نور يضيء لهم الليل، وجعل لهم ما يقتاتون به، فقال تعالىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا﴾: أي جعلنا ﴿عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: جمع غمامة، وهي السحاب، وأصله التغطية، [والستر ومنه الغم][1] وليس هذا كقولك: ظللت زيدا بظل؛ لأنَّه يقتضي أن يكون مستورًا بظل آخر.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾: هو شيء يشبه الترنخبين[2] حلو الطعم.

﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾: (حس) هو السماني، أو طير يشبه السماني، فكان ينزل عليهم المنّ من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس، وتأتيهم السلوىٰ فيأخذ كل إنسان منهما كفايته إلىٰ الغد، إلا يوم الجمعة يأخذ ليومين؛ لأنَّه لم يكن ينزل يوم السبت، وحسن الوقف هنا لأنَّك تنصب موضع ﴿كُلُوا﴾: بمضمر، تقديره: وقلنا لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: أي حلالات.

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: (حس).

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: بكفرهم [هذه النعم][3]، وبادخارهم الرزق بعد ما نهوا عنه.

﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: (كا) فقطع الرزق عنهم، قال ﷺ: **«لولا بنو إسرائيلَ لم يخبُثْ الطعام ولم يخْنَزْ اللحم، ولولا حَواءُ لم تَخُنْ أنثىٰ زوجَها الدَّهر»**[4].

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بهذه للنعم، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: بهذه للنعم، والمثبت من أ، ب.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٥٢)، ومسلم(١٤٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: لهم لمَّا رجعوا من التيه أو وهم في التيه.

﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: نصب نعت لهذه، وهي بيت المقدس، وسميت قرية لجمعها أهلها كالمقرأة: [الحوض][(١)] لجمعه الماء.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعًا عليكم طيبًا.

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: أي باب القرية، أو باب القبَّة التي كانوا يصلون فيها، قالوا: لأنَّهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسىٰ.

﴿سُجَّدًا﴾: منحنين نصب حال، فإذا دخلتم فاسجدوا شكرًا لله.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: رفع خبر مبتدأ، أي مسألتنا حطة.

وقرئ: (حطةً) نصبًا علىٰ الأصل، أي حُط عنا ذنوبنا حطة، والرفع يعطي معنىٰ الثبات، كقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨] والأصل صبرًا أي اصبر صبرًا.

﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾: جزم جواب الأمر، وأصل الغفر: الستر، أي نستر ﴿خَطَايَاكُمْ﴾: جمع خطيئة فعيلة، وأصلها ضد الصواب.

المعنىٰ: نستره عليكم ذنوبكم فلا نجازيكم بها.

القراءة: (يغفر) بالياء والتاء مضمومتين وفتح الفاء مذكرًا ومؤنثًا، وبالنون وكسر الفاء هنا، وفي الأعراف بالتاء وضمها وفتح الفاء مؤنثًا، وبالنون وكسر الفاء وبإدغام الراء في اللام.

[عن الزجاج أنَّه قال: أجمع سيبويه والخليل وجميع علماء البصرة علىٰ أنَّه يجوز إدغام اللام في الراء، ولا يجوز إدغام الراء في اللام ما خلا أبا عمرو فإنَّه

---

(١) في جـ: للحوض، والمثبت من أ، ب.

أدغم الراء في اللام، قال: وما أظنه قرأها إلا بعد ما سمعها][1]، وزعم بعضهم أنَّ مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأً فاحشًا، وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين؛ لأنَّه يلحن وينسب اللحن إلىٰ أعلم النَّاس بالعربية.

قال: والسبب في التجويز هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، وفي زعمه نظر؛ لأنَّه إذا حكم بتخطئة الرواة في هذا الحرف جاز خطؤهم في غيره، وإذا جاز في غيره فلا اعتماد [إذن][2] عليهم، وكيف يجوز أخذ القرآن عن غير ضابط للرواية؟ والقرآن إنما يثبت بالتواتر، ولو نقل شعر آحاد العرب بل آحاد المحدثين عن غير ضابط للرواية لاستقبح ذلك.

والصحيح أنَّ العلماء الثقات [نقلوها][3] عن العلماء الثقات وجاز إدغام الراء معها فيها من القوة والتكرار في اللام معها فيها من الضعف؛ لأنَّ الراء لمَّا سكنت ضعفت فصارت كالميت لا اعتداد به، ومما يدل أنَّ السّاكن عندهم كالميت اتباعهم ضمة الذال ضمة الميم في (منذ)، ولو اعتدوا بها حاجزًا لمَّا أتبعوا الضم الضم، فصارت اللام المتحركة بالنسبة إلىٰ الراء في حال سكونها قوية، ونحن نجد المتحرك الضعيف الخلق في حال حركته أقوىٰ من الساكن الميت الذي كان قويًّا قبل موته.

وأيضًا فإن المدغم لا يدغم حتىٰ يبدل بمثل المدغم فيه، فكأنه إنما أدغم لامًا في لام، وحقيقة جزم ﴿يَغْفِرُ﴾ [آل عمران:١٢٩] يغفر بشرط محذوف تقديره: أن تقولوا ذلك نغفر لكم ذنوبكم.

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (حس)، **المعنىٰ**: سنطلب الزيادة لمن أحسن من فضلنا، والمحسنون هنا من أحسن في فعله [وإلىٰ][4] نفسه وغيره، الإبدال

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: إذا، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: نقلوه، والمثبت من أ، ب.
(٤) في جـ: إلىٰ، والمثبت من أ، ب.

والتبديل والتبدل والاستبدال: هو جعل شيء مكان غيره، وهو أعم من العوض؛ لأنَّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل يكون بمعنىٰ التغيير، وإن لم يوجد بدله كقوله تعالىٰ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: لأنَّهم أمروا بدخول القرية منحنين متواضعين مستغفرين، وأن يقولوا: حطة أو ما يقوم مقامها مما يدل علىٰ طلب التوبة، فخالفوا ودخلوها يرجفون علىٰ أستاههم، وقالوا بلغتهم: حطا سمقاثا، استهزاءً أي حنطة حمراء.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾: أي طاعونًا.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قالوا: فمات منهم بالطاعون في وقت واحد سبعون ألفًا.

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: (كا) بسبب خروجهم عن الطاعة.

وقرئ: بضم الباء وكسر السين.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

ولمَّا عطشوا في التيه سألوا موسىٰ الماء فسأل ربه تعالىٰ ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾: التي حملها آدم من الجنة وتوارثها الأنبياء إلىٰ أن وصلت إليك، واسمها ينعة، طولها عشرة أذرع كطولك من عليق[1] الجنة.

(١) قال ابن منظور : العُلَّيْقُ مثال القُبَّيْط نبت يتعلق بالشجر يقال له: «سَبرَنْد» وربما قالوا: العُلَّيْقَىٰ مثال القُبَّيْطَىٰ.
انظر «لسان العرب» (١٠/ ٢٦١).

﴿ٱلۡحَجَرَۖ﴾: كان خفيفًا مربَّعًا كرأس الرجل له أربعة أوجه، في كل وجه ثلاث أعين، يضعه في مخلاته، وهو الحجر الذي ضربه موسىٰ لمَّا فر بثوبه [ق/ ١٧ب] لمَّا رماه بنو إسرائيل بالأدرة فقال له جبريل: ارفعه فإن لله فيه قدرة ولك فيه معجزة، أو أن آدم أخرجه مع العصا من الجنة وكان رخامًا أو كدانًا، وفي الكلام حذف تقديره: فضرب ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾: أي انشقت وسالت ﴿مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾: (حس).

وقرئ: بكسر الشين وفتحها لغتان[ق/ ٩أ]، لكل سبط عين لا يدخل علىٰ سبط في شربه.

﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ﴾: أي سبط ﴿مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾: (حس) عينهم، والمشرب المصدر والمكان وقلنا لهم: ﴿كُلُواْ﴾: من المنّ والسلوىٰ ﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾: من الماء.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾: (كا) حال مؤكدة؛ لأنَّ العثىٰ أشد الفساد.

تلخيصه: ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم، فسئموا من أكل المنّ والسلوىٰ لكونهما غير متبدلين، والإنسان إذا داوم شيئًا واحدًا سئمه وطلبوا غيرهما [ق/ ١١جـ] فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾: قال: واحد لأنَّهم كانوا يخلطون المنّ بالسلوىٰ فيصيران طعامًا واحدًا ويأكلونهما، أو أريد بالواحد نفي التبدل والاختلاف(١).

وروي أنهم كانوا أصحاب فلاحة فطلبوا ما يجانسهم بقولهم: ﴿فَٱدۡعُ﴾: أي فسل ﴿لَنَا رَبَّكَ﴾: مفعول.

﴿يُخۡرِجۡ لَنَا﴾: أي يظهر، ويوجد محذوف تقديره: شيئًا.

---

(١) جاء في حاشية أ: من الكشاف: فإن قلت: هما طعامان فما لهم قالوا علىٰ طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدّل، ولو كان علىٰ مائدة الرجل ألوان عدّة يداوم عليها كل يوم لا يبدّلها، قيل: لا يأكل فلان إلا طعامًا واحدًا يراد بالوحدة نفي التبدّل والاختلاف.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾: ﴿مَا﴾ بمعنىٰ الذي، أو نكرة موصوفة.

ومحل ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا﴾: حال من الضمير، تقديره: مما تنبته كائنًا ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا﴾ و﴿مِنۢ﴾ لبيان الجنس، والمراد أصناف البقول التي يأكلها النَّاس.

﴿وَقِثَّآئِهَا﴾: المعروف.

وقرئ: بضم القاف.

﴿وَفُومِهَا﴾: أي الحنطة، ومنه: فوموا لنا أي اخبزوا، أو هو الثوم المعروف.

وقرئ: (وثومها).

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾: (حس) المعروفان فقال موسىٰ منكرا عليهم، أو الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيّ: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾: أي أخس وأردأ، وهو ما طلبوه من بقول الأرض ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾: (كا) أشرف وأسنىٰ وهو المنّ والسّلوىٰ، وأصله الدنو والقرب؛ لأنَّ قيمته قريب لخساسته.

وقرئ: (أدنأ) من الدناءة، فقال تعالىٰ أو موسىٰ: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾: أي انزلوا من التيه مصرًا من الأمصار، وإن أريد بمصر العلم والبقعَة فصرفه علىٰ هذا لسكون وسطه كنوح، وفي بعض المصَاحِف[1] : ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ بغير تنوين، إن جعل الكلامان جميعًا من موسىٰ كان الوقف علىٰ ﴿خَيۡرٌۚ﴾ كافيًا، وكذلك يكفي الوقف علىٰ ﴿خَيۡرٌۚ﴾ إن جعل الكلامان جميعًا من الله تعالىٰ، وإن جعل أحدهما من موسىٰ والآخر من الله تعالىٰ كان الوقف علىٰ ﴿خَيۡرٌۚ﴾ تامًّا.

وقرئ: (اهبُطوا) ضمًّا، يقال: هبط الوادي نزله، وهبط منه خرج منه.

﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾: (حس) طلبتم من بقول الأرض.

﴿وَضُرِبَتۡ﴾: أي جعلت ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: أي الذل والهَوَان.

﴿وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾: أي الفقر من السكون؛ لأنَّ الفقر سكنة عن الحركة.

---

(١) انظر «المصاحف» لابن أبي داود (ص/ ١٧٣).

والمعنىٰ: أن الذلة والمسكنة قد علَتهم وأحاطت بهم، فترىٰ اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء.

﴿وَبَآءُو﴾: أي رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: (كا) وغضب الله تعالىٰ: ذمه إياهم في الدنيا، وعقوبتهم في الأخرىٰ، وزعم بعضهم أنَّه لا يقال: باءَ إلا بالشر، وفي الدعاء: «**أبوء بنعمتك وأبوء بذنبي**»(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي المتقدم الذكر من الذلة والمسكنة والغضب وهو مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هي صفة محمد ﷺ وآية الرجم والقرآن والإنجيل.

تلخيصه ذلك البلاء يستحقهم بكفرهم.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: كشعيب وزكريا ويحيىٰ.

القراءة: بهمز النبي وبابه من الأنبياء الأخيار، وبترك الهمز من النبوة للمكان المرتفع، أو مخفف الأبناء.

ومحل ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾: (كا) بغير جر نصب حال من الضمير في ﴿يَقْتُلُونَ﴾ أي يقتلونهم مبطلين.

وقرئ: (يقِّتلون) مشددًا مبالغة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: تكرير للإشارة المتقدمة الذكر زيادة في التوبيخ.

﴿بِمَا عَصَواْ﴾: أي سبب ارتكابهم المعاصي.

﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: (تا) يتجاوزون أمرَ الله تعالىٰ، ويرتكبون محارمه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤٧) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي من المنافقين بألسنتهم دون قلوبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: أي تهوّدُوا وهم اليهود، هاد يهود، وتهود: دخل في اليهودية فهو هايد، وجمعه هود.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: جمع نصراني رجل نصران وامرأة نصرانة، وياؤه للمبالغة كأحمري، سموا بذلك لنصرهم عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو لنزولهم قرية يقال لها: نصرة.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: جمع صابئ، لخروجه من الدين أصله الخروج من صبأ ناب البعير خرج.

القراءة: بهمز الصابئين والصابئون علىٰ الأصل، وبترك الهمز تخفيفًا، وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة.

وقوله: ﴿مَنۡ﴾: شرط محله رفع مبتدأ خبره ﴿ءَامَنَ﴾: أي من الكفار ﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: وجواب الشرط.

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾: الذي يستوجبونه ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: أو من شرط مبتدأ خبره جوابه، والشرط وما اتصل به خبر ﴿إِنَّ﴾، أو ﴿مَنۡ﴾ بمعنىٰ الذي، ومحله نصب بدل من اسم ﴿إِنَّ﴾ والمعطوفة عليه والخبر ﴿فَلَهُمۡ﴾ الجملة والعائد محذوف، تقديره: آمن منهم، والفاء لتضمن من معنىٰ الشرط ووحّد ﴿عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [النحل:٩٧] نظرًا إلىٰ لفظ من، وجمع [في][1] ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ نظرًا إلىٰ معناها.

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: (تا) في الآخرة.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: من أخلص إيمانه وأصلح عمله دخل الجنة، لما نزلت التوراة أمر بنو إسرائيل [ق/ ١٨ب] أن يعملوا بما فيها، فلم يفعلوا لمَّا فيها من التكاليف الشاقة، فقطع جبريل جبلًا علىٰ قدر عسكرهم، وجعله علىٰ رؤوسهم كالظلة قدر قامة الرجل، أو هو الطور، وجعل نارًا من قبلهم وبحرًا من خلفهم، وقال لهم: إن قبلتم وإلا رضختكم بالجبل وغرقتكم في البحر وأحرقتكم بالنَّار، فقبلوا وسجدوا علىٰ أنصاف وجوههم وهم يلاحظون الجبل لئلا ينزل عليهم، وقالوا: بهذا السجود رفع عنا العذاب، فمن ثَمَّ أخذ اليهود سجودهم اليوم، فحكيت قصتهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾: أي عهدكم بالعمل بما فيه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: أي الجبل بالسريانية وفي القرآن غير العربية[1]،

---

(١) قال الزركشي : اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف:٢] وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ الآية [فصلت:٤٤] يدل علىٰ أنه ليس فيه غير العربي لأن الله تعالىٰ جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام ودلالة قاطعة لصدقه، وليتحدىٰ العرب العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته، فلو اشتمل علىٰ غير لغة العرب لم تكن له فائدة، هذا مذهب الشافعي وهو قول جمهور العلماء منهم أبو عبيدة ومحمد بن جرير الطبري والقاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب التقريب وأبو الحسين بن فارس اللغوي وغيرهم.

وقال الشافعي في الرسالة في باب البيان الخامس ما نصه: وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولىٰ به وأقرب من السلامة له، فقال قائل منهم: إن في القرآن عربيا وأعجميا، والقرآن يدل علىٰ أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليدا له وتركا للمسألة له عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم هذا كلامه.

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول قال: ومعناه أتىٰ بأمر عظيم، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتىٰ بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه وإن كان كذلك فلا وجه لقول من يجيز القراءة في الصلاة بالفارسية لأنها ترجمة غير معجزة، وإذا جاز ذلك لجازت الصلاة بكتب التفسير وهذا لا يقول به أحد انتهىٰ =

=

وممن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة لكن صح رجوعه عن ذلك، ومذهب ابن عباس وعكرمة وغيرهما أنه وقع في القرآن ما ليس من لغتهم

فمن ذلك الطور جبل بالسريانية، و(طفقا) أي قصدا بالرومية، والقسط والقسطاس العدل بالرومية، ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] تبنا بالعبرانية، والسجل الكتاب بالفارسية، والرقيم اللوح بالرومية، والمهل عكر الزيت بلسان أهل المغرب، والسندس الرقيق من الستر بالهندية، والإستبرق الغليظ بالفارسية بحذف القاف السري النهر الصغير باليونانية، (طه) أي طأ يا رجل بالعبرانية، (يصهر) أي ينضج بلسان أهل المغرب (سينين) الحسن بالنبطية، المشكاة الكوة بالحبشية، وقيل: الزجاجة تسرج، الدري المضيء بالحبشية، الأليم المؤلم بالعبرانية، ﴿نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٥٣] أي نضجه بلسان أهل المغرب، ﴿ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ص:٧] أي الأولىٰ بالقبطية والقبط يسمون الآخرة الأولىٰ والأولىٰ الآخرة، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾[الكهف:٧٩] أي أمامهم بالقبطية اليم البحر بالقبطية، بطائنها ظواهرها بالقبطية الأب الحشيش بلغة أهل المغرب، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل:٦] قال ابن عباس: نشأ بلغة الحبشة قام من الليل، ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] قال أبو موسىٰ الأشعري ﷺ: ضعفين بلغة الحبشة، (القسورة) الأسد بلغة الحبشة

واختار الزمخشري أن التوراة والإنجيل أعجميان ورجح ذلك بقراءة الأنجيل بالفتح ثم اختلفوا، فقال الطبري: هذه الأمثلة المنسوبة إلىٰ سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد، وحكاه ابن فارس عن أبي عبيد وقال ابن عطية: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسن بتجارات وبرحلتي قريش وبسفر مسافرين كسفر أبي عمرو إلىٰ الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلىٰ أرض الحبشة، وكسفر الأعشىٰ إلىٰ الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت في تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتىٰ جرت مجرىٰ العربي الفصيح ووقع بها البيان، وعلىٰ هذا الحد نزل بها القرآن فإن جهلها عربي فكجهله الصريح بما في لغة غيره، وكما لم يعرف ابن عباس معنىٰ فاطر إلىٰ غير ذلك قال: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه، قال: وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظه فذلك بعيد بل إحداهما أصل والأخرىٰ فرع في الأكثر؛ لأنا لا ندفع أيضا جواز الاتفاقات إلا قليلا شاذا .

=

وبعضهم يزعم أنَّه إنما وقع اتفاقًا فيها، وقلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: أي بجد واجتهاد.

﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾: أي اعلموا وادرسوا ﴿مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: (تا) المعاصي، أو لينجوا من هلاك الدارين.

وقرئ: (خذوا ما آتيتكم وتذكروا).

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم﴾: أي أعرضتم عن الإيمان والطاعة.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ﴾: أي [من][(١)] بعد أخذ الميثاق وقبول التوراة.

﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾: بالإحسان والتوبة.

﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: (كا) المغبونين.

تلخيصه: لولا لم يتب عليكم لخسرتم في الدارين، ثم أنذر اليهود وذكرهم ما

= وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك: إنما وجدت هذه في كلام العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلىٰ هذه الألفاظ، وقد ثبت أن النبي ﷺ مبعوث إلىٰ كافة الخلق قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وحكىٰ ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه حكىٰ الخلاف في ذلك ونسب القول بوقوعه إلىٰ الفقهاء والمنع إلىٰ أهل العربية ثم قال أبو عبيد: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلىٰ العرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلىٰ ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق قال: وإنما فسر هذا لئلا يقدم أحد علىٰ الفقهاء فينسبهم إلىٰ الجهل ويتوهم عليهم أنهم أقدموا علىٰ كتاب الله بغير ما أراده الله جل وعز فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيما للقرآن .

قال ابن فارس: وليس كل من خالف قائلا في مقالته ينسبه إلىٰ الجهل، فقد اختلف الصدر الأول في تأويل آي من القرآن .

قال: فالقول إذن ما قاله أبو عبيد وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلىٰ غيره.

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

جرىٰ لمن تقدمهم منهم - وهم أصحاب أيلة - حين حرَّم عليهم الصيد يوم السبت فكان الصيد يأتيهم يوم سبتهم شرعًا، ويوم لا يسبتون لا يأتيهم، فاتخذوا مصائد، فكان يقع فيها الصيد ليلة السبت ويومه، ويأخذونه يوم الأحد فقال تعالىٰ متهددًا: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾: أي عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟﴾: أي تجاوزوا الحد ظلمًا.

ومحل: ﴿مِنكُمْ﴾: أي من أسلافكم نصب حال.

﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾: مصدر سبت، ثم سمي به، وأصله القطع؛ لأنَّ اليهود أمروا بقطع الأعمال فيه، وفىٰ هذا حجة لمالك في إبطال الحيل، وجوزها أكثرهم ما لم يكن فيه إبطال حق أو إحقاق باطل، قالوا: إنما لم تجز هذه؛ لأنَّها ليست بحيلة، وإنما هي عين المنهي عنه؛ لأنَّهم إنما نهوا عن أخذها فاقتسموا ثلاثة: قسم لم يصد ولم ينه عن الصيد، وقسم لم يصد ونهىٰ، وقسم اصطاد.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟﴾: أي صيروا ﴿قِرَدَةً﴾: جمع قرد وأصله التلبُّد واللصوق، ومنه القراد، والمكان القَرِد: المتلبد، وهذا أمر تحويل؛ لأنَّهم لم يكن لهم قدرة علىٰ التحول من صورة إلىٰ صورة، فمسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهم أذناب يتعاوَوْن.

مجاهد: إنما مسخت قلوبهم دون صورهم، وهذا خلاف الإجماع.

وقوله: ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾: (كا) ذليلين مبعدين، أصل [الخسء][1] الطرد والإبعاد، يستعمل متعديًا ولازمًا خسأتهُ خسئا، وخسأ خسوء كرجعته رجعًا ورجع رجوعًا، [و﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾][2] خبر ثان «لكان»، أو حال، أو نعت للقردة، فبقوا بعد المسخ ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالد مسخ قط، وإنما مُسخوا علىٰ صور هؤلاء القردة.

﴿فَجَعَلْنَـٰهَا﴾: أي مسخة تلك الأمة وعقوبتها.

﴿نَكَـٰلًا﴾: أي عقوبة مانعة من اعتبر بها أن يُقدم علىٰ مثل صنيعهم من النكل القيد.

---

(١) في جـ: الخسؤ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: خاسئين، والمثبت من أ، ب.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: أي من تقدم عليها؛ لأنَّ قصة هؤلاء مذكورة في كتب الأولين.

﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: من تأتي بعدها فإذا علموا بها اتعظوا، أو جعلناها عقوبة لمَّا عملت من الذنوب ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: (حس) من أمة محمد ﷺ، أو للمتقين الذين نهوهم، كان في بني إسرائيل رجل فقير وله ابن عم غني فقتله ليرثه، ثم جاء بناس إلىٰ موسىٰ يدعي عليهم القتل، [وهذا كان][1] قبل نزول القسامة، فسألوا موسىٰ أن يدعو ليتبين ذلك فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾: سميت بقرة لبقرها الأرض، والهاء ليست للتأنيث، وإنما هي لتدل علىٰ أنها واحدة كالبطة والدجاجة والأوزة والحمامة.

﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: أي أهل هزؤ، أو مهزوءًا بنا، أو المراد الهزء نفسه، والهزء المزح في خفية.

القراءة: بإسكان الزاي والفاء من كفؤا مع الهمز، وبضم الزاي والفاء من غيرهم، وبضم الزاي والفاء لغات كلها.

المعنىٰ: أتستهزئ بنا؟! نسألك عن أمر القتيل، وتأمرنا بذبح بقرة، ولا جامع [ق/ ١٢ جـ] بيْنهما.

---

(١) في جـ: وكان هذا، والمثبت من أ، ب.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: (كـا) المستهزئين؛ لأنَّ الهزؤ من فعل الجاهلين، أو من الجاهلين بالجواب لا علىٰ وفق السؤال، وكان في بني إسرائيل شاب بارّ بأمه وكان يحتطب ويبيعه، ويعطي أمه ثلث ثمنه، ويتصدق بثلثه، ويأكل بثلثه، ويقسم ليله أثلاثا ثلاثًا: ثلثًا ينام فيه، وثلثًا يصليه، وثلثًا يقعد عند رأس أمه، فقالت له: إنَّ والدك استودع الله لك عجلة هي في غيضة كذا، فاذهب فأت بها فبعها، فذهب إلىٰ الغيضة وناداها فخرجت إليه، فلزم بعنقها فقالت له: اركبني، فقال: [لم][(١)] تأمرنىٰ أمي بذلك، فقالت: لو ركبتني لم يكن تقدر عليَّ أبدًا، ولكن انطلق فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله ويتبعك لفعل لبرك بأمك، فجاء بها أمه، فقالت: اذهب فبعها بثلاثة دنانير بمشورتي، فذهب فجاءه ملك في زي آدمي، فأعطاه ستة دنانير علىٰ ألَّا يشاور أمه فلم يفعل، فأخبر أمه بذلك فقالت: اذهب فبعها بستة دنانير[ق/ ١٠أ] بمشورتي [ق/ ١٩ب]، فجاءه ذلك الملك [وأعطاه][(٢)] اثني عشر دينارًا علىٰ أن لا يشاور أمه فلم يفعل، [وأخبر][(٣)] أمه بذلك فقالت: إنَّ الذي يأتيك ملك فقل له: هل نبيع البقرة أم لا؟ فقال: لا فإنَّه يقتل في بني اسرائيل قتيل ويشتريها منك موسىٰ عليه السلام، فلا تبيعوها إلا بملء مَسكها ذهبًا، [ولما][(٤)] تحققوا أنَّ ذبح البقرة عزْمة من الله تعالىٰ عجبوا من ذلك.

ثم قالوا: يا موسىٰ ﴿ٱدْعُ﴾: وقرئ: (فسل) ﴿لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن﴾: أي يوضح ﴿لَّنَا مَا هِيَ﴾: أي صفتها وما سنها.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾: أي الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: أي مسنة، (فرُضت) بضم

---

(١) في جـ: ما، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: فأعطاه، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: فأخبر، والمثبت من أ، ب.
(٤) في جـ: فلما، والمثبت من أ، ب.

الراء وفتحها طعنت في السن، وسميت فارضًا؛ لأنَّها فرضت سنها وقطعتها، أي بلغت آخرها، أو لأنَّها تفرض الأرض أي تشقها.

﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾: (كا) فَتيَّة صغيرة لم تلد قط، أو ولدت مرة، مأخوذ من أول الشيء وباكره، ومنه باكورة الفاكهة، وحذفت الهاء منهما للاختصاص بالإناث كالحائض، وارتفاعهما بإضمار مبتدأ وكذلك ﴿عَوَانُۢ﴾: أي نَصفٌ، وجمعها عون.

﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾: (كا) بين الشيئين الكبر والصغر؛ لأنَّ كل واحد منهما شيء، [لأنَّ ذلك][1] يدل عليهما، وحسن ذلك في أسماء الإشارة؛ لأنَّ تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليس بحقيقة، ومثله لمَّا سئل رؤبة عن قوله:

فيها [خطوط من سواد][2] كأنه في [الجلد][3] توليع البهق

فقيل له: إن أردت الخطوط فقل: كأنها، وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنهما، فقال: أردت كان [ذاك][4][5].

ومحل ﴿مَا تُؤۡمَرُونَ﴾: (كا) به من ذبح البقرة وغيرها، نصب مفعول «افعلوا»، وقوله: ﴿مَا لَوۡنُهَاۚ﴾: (كا).

﴿بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ﴾: (كا) الصفرة: لون بين البياض والسواد، وهي إلىٰ السواد

(١) في جـ: وذلك، والمثبت من أ، ب.
(٢) في أ، ب: سواد من خطوط، والمثبت من جـ.
(٣) في أ، ب: الجسم، والمثبت من جـ.
(٤) في جـ: ذلك، والمثبت من أ، ب.
(٥) في حاشية أ: فإن قلت: (بين) يقتضي شيئين فصاعدًا فمن أين جاز دخوله علىٰ (ذلك): قلت: لأنَّه في معنىٰ شيئين حيث وقع مشارا به إلىٰ ما ذكر من الفارض والبكر، فإن قلت: كيف جاز أن يشار به إلىٰ مؤنثين، وإنما هو للإشارة إلىٰ واحد مذكر؟ قلت: جاز ذلك علىٰ تأويل ما ذكر وما تقدّم، للاختصار في الكلام، كما جعلوا «فعل» نائبًا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل: نعم ما فعلت، وقد ذكر لك أفعالًا كثيرة وقصة طويلة، كما تقول له: ما أحسن ذلك، وقد يجري الضمير مجرىٰ اسم الإشارة في هذا.

أقرب، ولذلك يعبّر عنها بالسواد، قالوا: كانت صفراء حتىٰ ظلفها وقرنها، أو كانت سوداء وردّ هذا لقوله بعد: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: (كا) مبتدأ وخبر، والجملة صفة البقرة، أي صادق الصفرة خالصها، قالوا: لأنَّه لا يقال: أسود فاقع، وإنما يقال: أسود حلكوك[1]، فعلىٰ هذا لا تقف علىٰ ﴿صَفْرَآءُ﴾ لئلا تفصل بين الصفة والموصوف، وإن جعلت الصفراء بمعنىٰ سوداء وقفت عليها، [ويكون][2] الفقوع صفة اللون في المعنىٰ، كأنه قال: لونها خالص.

وعن الحسن أنها كانت سوداء شديدة السواد، وأكثر ما يستعمل الأصفر بمعنىٰ الأسود في الإبل.

ومحل ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: (كا) إليها أي يعجبهم حسنها فتلتذّ قلوبهم بذلك، والسرور: لذة تحصل في القلب عند حصول موجبها رفع خبر مبتدأ محذوف.

ثم سألوه أسائمة هي أم عاملة فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ﴾: **المعنىٰ**: أنَّ جنس البقر المنعوت بهذه النعوت كثير، وقد اشتبه ﴿عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: (كا) إلىٰ هذه البقرة وإلىٰ ذبحها، قال رسول الله ﷺ «**وايم الله لو لم يستثنوا لمَّا بينت لهم إلىٰ الأبد**»[3].

وقرئ: (الباقر) و(تشَّابه)، أي تتشابه فأدغمت التاء في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

(١) قال الزمخشري: وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه، ومنه الغراب «الكشاف» (٣/ ٦٠٩).

(٢) في جـ: وتكون، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٦).

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾: أي مذللة بالعمل، وهو بناء مبالغة، وفعول إذا كان وصفًا لم تدخله الهاء كصبور وشكور.

ومحل ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: أي تقلبها للزراعة نصب حال.

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: (حس) ليست بسانية.

وقرئ: (تسقىٰ) من أسقىٰ.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي هي بريئة من العيوب.

﴿لَّا شِيَةَ﴾: أي لا عيب ﴿فِيهَا﴾: (حس) ولا لون سوىٰ لونها وأصلها وشية؛ لأنَّها في الأصل مصدر، وشاه وشياه وشيه إذا خلط لونه بلون آخر، ومنه ثوب موشىٰ فوزنها بعد الحذف علة، فبعد تحققهم البقرة.

﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ﴾: مبني لتضمنه معنىٰ الإشارة عند الزجاج تقديره هذا الوقت، أو لتضمنه معنىٰ التعريف المقدر؛ لأنَّ الألف واللام لم تفد تعريفًا ولا هو مضمر ولا علم، فلزم أن يكون تعريفه بلام مقدرة ولامه لازمة له كلام الذي هذا عند أبي عليّ [الفارسي](١)، والآن هو حد الزمانين الماضي والمستقبل.

ومعنىٰ ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾: (كا) بالبيان التام الذي تحققنا به البقرة، فطلبوها فوجدوها عند الفتىٰ فاشتروها بملء مسكها ذهبًا.

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: (كا) لغلاء ثمنها واضطرابهم فيها، أو لخوف فضيحة القاتل، ذبحوها بعد توقف وبُطء، يحتج بهذه القصة أصحاب الخصوص لأنَّهم أمروا بذبح بقرة ما ثم خصّصت حتىٰ لم يقم غيرها مقامها؛ لأنَّهم أجازوا

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

الخصوص في كل عام لفظًا، ومن لم يقل بالخصوص قال: لا يطلق العام علىٰ الخاص إلا بدليل يقارنه: ثم خاطب الجماعة بالقتل، وإن وجد من بعضهم لملابسته لهم فقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: هذا مؤخر لفظًا مقدم معنىٰ؛ لأنَّه أول القصة ولم يقدم لفظًا؛ لأنَّ الغرض إنما هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل، فقدم ما هم بشأنه أعنىٰ، ثم ذكر القتل بعد ذلَك ليكون أبلغ في توبيخهم عليه، واسم القتيل عاميل.

﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾: (كا) اختصمتم وتدافعتم في شأنها، وأصل الدرء: الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه ويحيل علىٰ صاحبه.

ومحل ما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ﴾: أي مظهر.

﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: (كا) من القتل خطاب لهم، وإن كان بعضهم القاتل نصب مفعول ﴿مُخۡرِجٞ﴾ وهي مصدرية، أو موصولة أو خطاب لمن في زمن النبي ﷺ من اليهود وكتمانهم شأنه، ولم تعمل «مخرج» وهي ماضية، وإنما عملت وهي مستقبلة، فحكيت تلك الحال كقوله: ﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ [الكهف:١٨]، وهذه الآية اعتراض بين المعطوف عليه والمعطوف، وهو قوله: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ﴾: أي المقتول.

﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾: (كا) بلسانها، أو عجب ذنبها لأنَّه آخر ما يبلىٰ وأول ما يخلق، أو الفخذ الأيمن، أو عضو غير معين، وفي الكلام حذف تقديره: فضرب فحيىٰ فقام وأوداجه تشخب دمًا، وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه، ثم مات فحرما الميراث وقتلا.

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ كيفيه إحيائه الموتىٰ عند البعث مخاطبًا من حضر ثَمّ، أو مخاطبًا منكري البعث زمن النبي ﷺ بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ﴾: ومحل الكاف نصب صفة مصدر محذوف.

تلخيصه: فضرب فحيي إحياء مثل إحياء الله.

﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: علىٰ البعث والجزاء.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: (كا) المراد منكم فتمنعون نفوسكم عن هواها فتعلمون أنَّ القادر علىٰ إحياء نفس واحدة قادر علىٰ إحياء نفوس [كثيرة][1].

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾: أي غلظت ويبست من قولهم: حجر قاس صلب، وقسوة القلب خروج الرحمة منه.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: أي بعد ما تقدم من أمر القتيل والآيات المعدودة.

﴿فَهِيَ﴾: أي القلوب ﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾: ولم تشبه بالحديد وإن كان أصلب؛ لأنَّه قابل للتليين، وقد لان لداود.

﴿أَوۡ أَشَدُّ﴾: رفع عطف علىٰ الكاف.

تلخيصه ومعناه: فالقلوب في قسوتها وشدتها مثل الحجارة.

﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾: نصب تمييز وهو مصدر قسا في الأصل، و«أو» هنا كـ«أو» في ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾ [البقرة:١٩]، أو تقديره: أو هي أشد.

وقرئ: (أشدَّ) فتحًا عطفًا علىٰ ﴿ٱلۡحِجَارَةِ﴾ لكنها لا تنصرف، ثم فضَّل الحجارة علىٰ القلب القاسي فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾: **وقرئ**: بتخفيف (إنَّ) علىٰ أنها المخففة من الثقيلة، والفارق بينها وبين النافية لزوم اللام لها في قوله: ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ﴾: أي ينفتح بكثرة.

وقرئ: (ينفجر) ﴿مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾: (كا) أراد جمع الأنهار.

﴿وَإِنَّ مِنۡهَا﴾: أي الحجارة ﴿لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ﴾: (كا) يعني عيونًا دون الأنهار.

﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ﴾: أي ينزل من أعلىٰ الجبل إلىٰ أسفله.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: (حس) وقلوبكم يا يهود لا تلين ولا تخشع، وهذا تمثيل، ويجوز أن [تكون](١) لها خشية يعلمها الله تعالىٰ ومن شاءَ من خلقه، أو منها أي القلوب لما يذل ويخضع لعظمة الله تعالىٰ.

واللام في ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ﴾ و﴿لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ و﴿لَمَا يَهْبِطُ﴾ توكيد، ومحل (ما) نصب اسم (إنَّ)، والظرف خبرها، ثم تهددهم بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: بساهٍ ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: (تا) القراءة: بالتاء خطابًا [ق/ ١٣ جـ] وبالياء غيبة.

ثم خاطب تعالىٰ النبي ﷺ والمؤمنين معجبًا من طلبهم إيمان اليهود المعاندين بالتحريف مع العلم والاستيقان، ثم أردفهم بالعوام الذين قلدوهم، فهم مشاركوهم في الوزر سواء؛ لأنَّه علىٰ العالم أن يعمل بما علم، وعلىٰ الجاهل أن يطلب العلم فقال:

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾: أصل الطمع: نزوع النفس إلىٰ شيء ما شهوة.

المعنىٰ: أتطلبون أن يصدقكم اليهود ويجددوا لأجل قولكم إيمانًا.

والواو في ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: أي طائفة من اليهود واو الحال.

﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: أي التوراة.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: أي يغيرون ما فيها من الأحكام لتغييرهم صفة محمد ﷺ وآية الرجم.

وما في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: أي فهموه مصدرية.

---

(١) في جـ: يكون، والمثبت من أ، ب.

وموضع ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: (حس) أَنَّهم كاذبون مفترون نصب حال، أو نزلت في السبعين الذين كانوا مع موسىٰ ﷺ.

أمَّا الصادقون منهم فأخبروا بما سمعوا، وأمَّا الكاذبون فقالوا: سمعنا الله يقول آخر ما قال: إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا.

تلخيصه: إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم بذلك سابقة.

ثم أخبر عن صنع منافقي اليهود بالمؤمنين فقال: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: كإيمانكم.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ﴾: الذين لم ينافقوا ﴿إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾: الذين نافقوا وهم رؤساء اليهود لاموهم ثم ﴿قَالُوٓاْ﴾: منكرين عليهم وعاتبين: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ﴾: أي منَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: وأعطاكم من العلم بنبوة محمد وصدقه، وبيان صفته في كتابكم، وحكم بذلك عليكم، ويقال للقاضي: الفتاح، وأصل الفتح إزالة الإغلاق.

﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾: أي ليحتج عليكم ويخاصمكم أصحاب محمد في أنَّه نبي في كتابكم، فتثبت الحجة عليكم ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾: أي في الدارين، أو لمَّا قال النبي ﷺ: «**يا إخوة القردة والخنازير**»، قالوا بينهم: من أخبر محمدًا بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: (تا) أنهم إذا علموا ذلك احتجوا به عليكم، الحسن: هذا خطاب المؤمنين.

المعنىٰ: إنكم تعلمون أنهم إذا كانوا كذلك فإنَّهم لا يرجعون، ثم استفهم فقال: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: أي يخفون[ق/ ١١أ] من الإيمان وغيره.

﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾: (كا) يظهرون من الكفر، وهذا عام.

تلخيصه: يعلم كل شيء، ومن علم أنَّ الله يعلم ما يبديه ويخفيه منعه ذلك عما لا ينبغي.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: مبتدأ وخبر جمع أميّ، وهو لا يحسب ولا يكتب منسوب إلىٰ الأم، كأنه باق علىٰ أصل الخلقة، ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي الكتب فيطالعون التوراة، أو أنهم كانوا يقرؤونها ولا يعرفون معناها.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: استثناء منقطع؛ لأنَّ الأمانيّ ليس من جنس العلم، واحدها أمنية أفعولة من التمني كأضحوكة، وأصلها التقدير والنظر من منىٰ يمنىٰ قدّر، والمراد ما كانوا يختلقونه تخرصًا من تغيير نعته ﷺ، وأنَّ آباءهم يشفعون لهم، وأنهم لا يعذبون في النَّار إلا أيامًا معدودة، ثم ينقطع العذاب عنهم، ولا صحة لذلك.

القراءة: بتشديد ياء «أماني».

وقرئ: بتخفيفها تخفيفًا.

﴿وَإِنْ هُمْ﴾: أي ما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: ظنًّا من غير تيقن لشيء مما [اختلقوه][1].

﴿فَوَيْلٌ﴾: كلمة يقولها كل واقع في هلكة بمعنىٰ الدعاء علىٰ النفس بالعذاب، وهو [ق/ ٢١ب] مصدر في الأصل، ولم يستعمل له فعل؛ لأنَّ فاءه وعينه معتلتان، أو هو وادٍ في جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت ولذابت من حره.

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: المحرف.

---

(١) في جـ: أخلقوا، والمثبت من أ، ب.

وقوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم﴾: تأكيد، ويزعمون أنَّه كذلك في التوراة لئلا تفوتهم مآكلهم التي كانوا ينالونها من سفلتهم.

واللام في ﴿لِيَشْتَرُوا۟﴾: متعلقة بـ ﴿يَقُولُونَ﴾، و﴿مَا﴾ مصدرية، أو موصولة في ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ﴾: وكذلك في قوله: ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: (تا) من الرشوة والمعاصي، وأصل الكسب الفعل لجر نفع أو دفع ضر، ولهذا لا يوصف به تعالىٰ.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: نصب ظرف إلا بالاستثناء؛ لأنَّ الفعل لم يتعد بإلا إلىٰ ظرف ما؛ لأنَّهم زعموا أنهم إنما يعذبون أربعين يومًا مدة ما عبد آباؤهم العجل، ثم يزول عنهم العذاب، أو أنَّهم قالوا: إن الله عتب علينا وأقسم ليعذبنا أربعين يومًا، ثم يزول فأكذبهم تعالىٰ بقوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾: أي موثقًا فإنكم لا تعذبون، أو أقلتم لا إله إلا الله، وفي الكلام حذف تقديره: إن اتخذتم عنده عهدًا.

﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾: الذي عهده إليكم.

و«أم» في قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: منقطعة، أو معادلة بالهمزة بمعنىٰ أي الأمرين كائن علىٰ سبيل التقرير؛ لأنَّ العلم واقع [بكون](١) أحدهما.

وما في قوله: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) موصولة أو نكرة موصوفة.

تلخيصه: إن كان لكم عنده عهد فلا ينقض، ولكنكم تتخرصون.

ولمَّا قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾: ردَّ ذلك عليهم بقوله:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) في جـ: يكون، والمثبت من أ، ب.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿بَلَىٰ﴾: لأنَّها إثبات لمَّا بعد النفي «كبل»، ولو كان بدل بلىٰ نعم لكان اعترافًا بالنفي.

والمعنىٰ: بلىٰ تمسكم النَّار.

وموضع ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ﴾: أي لحدقت أصل الإحاطة الإحداق بالشيء من كل جانب.

القراءة: ﴿خطيئاته﴾: و(خطيئته).

وقرئ: (خطاياه).

قالوا: هي الشرك يموت عليه الشخص [أو][1] السيئة الكبيرة، وإحاطة الخطيئة به أن يموت مُصرًّا عليها من غير توبة .

الحسن: الخطيئة كل ما نهىٰ الله عنها، وأخبر أنَّه من عمل بها دخل النَّار، رفع مبتدأ بمعنىٰ الشرط، ولذلك دخلت الفاء في خبره، فإن كان جوابًا للشرط وهو: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ﴾: (تا) وكذلك ترفع من إذا جعلتها بمعنىٰ الذي، ثم بشر المؤمنين بالجنة.

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: (تا).

القراءة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ﴾: بالتاء والياء خطابًا وغيبة، وبإثبات النون؛ لأنَّه جواب قسم يدل عليه ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَ﴾: لأنَّ معناه أحلفناهم وقلنا بالله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: (تا) أو أراد ألَّا تعبدوا.

وقرئ بها، فلما حذفت أن رفع الفعل كقوله[2]:

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) القائل هو طرفة بن العبد، والبيت في «خزانة الأدب» (١/ ٤٦٣).

ألا أيهذا الزاجري أحضر [الوغا](١) ....

أو هو خبر بمعنىٰ النهي، كقولك: تذهب إلىٰ فلان، تقول كذا وكذا، تريد الأمر وهو أبلغ من الأمر؛ لإرادتك المسارعة إلىٰ الامتثال.

وقرئ: (لا تعبدوا) نهيًا وأحسنوا.

﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: برًا بهما.

﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: صاحب القرابة مصدر عطف علىٰ ﴿ بالوالدين ﴾، ووحد ﴿ذي﴾ إرادة للجنس.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: جمع يتيم وهو من لا أب له، وفعيل علىٰ فعالىٰ قليل.

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: أي اصدقوهم في شأن محمد ونعته، ومروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وألينوا لهم القول.

القراءة: بفتح الحاء والسين، أي قولًا حسنًا، وبضمها وسكون السين.

وقرئ: إحسانا مصدر وحسنىٰ فعلىٰ.

تلخيصه: أخذنا عهدكم يا بني إسرائيل بجميع المذكور، فقبلتم وأقبلتم عليه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي أعرضتم عن العهد.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: لأنَّ قوما آمنوا ﴿مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: (كـا) صادّون عن الإيمان كإعراض آبائكم.

القراءة: ﴿قَلِيلًا﴾ نصبًا استثناء.

وقرئ: بالرفع أي امتنع قليل، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي قليل منكم لم يتول ولا يرتفع بدلًا؛ لأنَّه يصير المعنىٰ [ثم يتولىٰ](٢) قليل، أخذ تعالىٰ عهدًا علىٰ بني إسرائيل ألَّا يقتل بعض بعضًا، ولا يخرج بعض بعضًا من داره، ومن وجدوه أسيرًا

---

(١) في حاشية أ: وَأَن أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْت مُخْلِدِي.

(٢) في جـ: لم تول، والمثبت من أ، ب.

اشتروه وأعتقوه، فذلك قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ ثم قلنا لكم: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: أي لا يريق بعضكم دم بعض؛ لأنَّ من أراق دم غيره فكأنما أراق دمه، والمراد القتل، وأصل السفك الإراقة والصب.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾: أي لا يخرج بعضكم بعضًا من داره، وارتفاع ﴿تَسْفِكُونَ﴾ و ﴿تُخْرِجُونَ﴾ علىٰ تقدير أن وحذفها كتعبدون، أو لا تسبوا جيرانكم فتلجئوهم إلىٰ الخروج فقبلتم.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: اعترفتم علىٰ أنفسكم بهذا العهد.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: (كا) تعترفون عليها بهذا الإقرار، كقولك: فلان مقرٌّ بالحق علىٰ نفسه، أو أنكم تشهدون اليوم يا يهود علىٰ أسلافكم بهذا الإقرار، ثم وبخهم علىٰ فعلهم بقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾: مبتدأ خبره ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: تقديره أنتم مثل هؤلاء، فحذف مثل وأقيم هؤلاء مقامه كقولهم: أبو يوسف أبو حنيفة فعلىٰ هذا ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾: أي يقتل بعضكم بعضًا حال، أو الخبر تقتلون فعلىٰ هذا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوبة بإضمار فعل أو منادىٰ.

القراءة: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾: هنا و﴿تَظَٰهَرَا﴾ [التحريم:٤] في التحريم بتخفيف الظاء فيهما وبتشديدها فيهما، وأصل الظهير: العون.

وقرئ: (تظاهرون) و(تظهرون) أي تتظهرون.

المعنىٰ: تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾: أي بالمعصية، والإثم كل فعل بطأ عن خير.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلم، وأصله تجاوز الحد.

القراءة: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾: وأسرىٰ جمع أسير بمعنىٰ.

أبو عمرو: ما صار في اليد فهم أسارىٰ [ق/ ٢٢ب]، وما جاء مستأسرًا فهم أسرىٰ، أو إذا قيدوا فهم أسارىٰ، وإذا حصلوا في اليد من غير قيد فهم أسرىٰ، وأصله السد والإيثاق، ومحله نصب حال.

القراءة: ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾: و(تفدوهم) بمعنىٰ، أي تبادلوهم الأسير بالأسير، وأصل الفداء حفظ الشيء بما تبذله [ق/ ١٤جـ] عنه صيانة له.

﴿وَهُوَ﴾: الإخراج، أو هو ضمير الشأن [وهو][1] مبتدأ خبره ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وقوله: ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مرتفع بـ﴿مُحَرَّمٌ﴾ ، أو مبتدأ خبره (إِخْرَاجُهُمْ) أو هو مبهم تفسيره إخراجهم][2]؛ لأنَّ قريظة كانت حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسروا أحدًا من الفريقين جمعوا له وفدوه، فعيروا بذلك، فقالوا: أمرنا بفدائهم، وما حرم علينا قتالهم، ونستحيي أن نذل حلفاءنا.

تلخيصه: أعرضتم عن الكل إلا الفداء.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ﴾: ما فرض عليكم في ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾: أي التوراة وهو الفداء.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: [(حس)][3] هو القتل والجلاء، و﴿مَا﴾ استفهام مبتدأ

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

خبره ﴿جَزَآءُ﴾ أو نفي ومحل (منكم) (من).

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾: يا يهود حال من الضمير في ﴿يَفۡعَلُ﴾.

﴿إِلَّا خِزۡيٞ﴾: أي عذاب فخزي قريظة القتل والسبي، وخزي النضير: الجلاء والنفي إلىٰ الشام.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: [(حس)][1].

القراءة: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾: بالياء.

وقرئ: بالتاء خطابًا.

﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾: هو عذاب النَّار.

القراءة: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: (تا) بالتاء والياء، ثم أخبرهم متهددًا أن عذابي الدنيا والآخرة لا يفتر عنهم، ولا مانع لهم منه بقوله:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾: [(تا)][2] لا يمنعون من العذاب.

﴿وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: أي موسىٰ.

﴿بِٱلرُّسُلِۖ﴾: [(كا)][3] قفاه يقفوه: تبعه من القفاء، كذنبه من الذنب، وردفه من الردف.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

المعنىٰ: وأتبعنا من بعده رسولًا بعد رسول مقتفين أثره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: أي الإنجيل وإحياءه الموتىٰ.

﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ﴾: من الأيد، والآد: القوة، أي قويناه.

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾: [(تا)][(١)] أي الروح المقدَّسة الطاهرة، وهو جبريل، سمي بذلك لأنَّه لم يقترف ذنبًا، أضيف الاسم إلىٰ الصفة كحاتم الجود، أو الروح جبريل، والقدس: القدوس وهو الله، وأضيف إلىٰ القدس تشريفًا له؛ لأنَّه الذي نفخ الروح في عيسىٰ بإرادة الله تعالىٰ، أو روح القدس: اسم الله الأعظم الذي كان به يحيي الموتىٰ، ويري العجائب.

القراءة: بسكون الدال وضمها لغتان، ثم جاء بفاء العطف [لتعطف][(٢)] المظهر علىٰ المضمر المقدر فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا﴾: تقديره: ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم، فكلما ﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾: أي من الحق.

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: أي تعظمتم عن الإيمان، ثم وسّط همزة الاستفهام بين الفاء وما تعلقت به توبيخًا لهم، وتعجيبًا من شأنهم، ثم جاء بفاء العطف في ﴿فَفَرِيقًا﴾ [لتعطف][(٣)] ما بعدها علىٰ ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

[**تلخيصه**: استكبرتم][(٤)] فكذبتم فريقًا، ونصبَ «فريقًا» بـ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ في الآية فقال: ﴿فَفَرِيقًا﴾: أي طائفة.

﴿كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسّلام.

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: (كا) كزكريا ويحيىٰ وشعيب، ولم يقل قتلتم وإن أريد

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: ليعطف، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: ليعطف، والمثبت من أ، ب.

(٤) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

الماضي لهذه الحالة، فكأنها وإن مضت حاضرة لشناعتها، ولثبوت عارها عليهم وعلىٰ ذريتهم بعدهم، أو المراد يقتلون فيما يأتي؛ لأنَّهم أرادوا قتل النبي ﷺ ولذلك سَمّوا الشاة.

القراءة: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: بالإسكان جمع غلاف، وهو الوعاء.

وقرئ: بالضم أي قلوبنا أوعية للعلوم، ومع ذلك فلا تعي علمك ولا تفهمه [ق/ ١٢أ]، ولو كان فيه خيرًا لوعته، أو جمع أغلف كأحمر، وهو الذي عليه غشاوة، فعلىٰ هذا لا يجوز ضم اللام.

المعنىٰ: قلوبنا في غشاوة، فلا تفهم حديثك، فأضرب تعالىٰ عن دعواهم مثبتًا أنَّ قلوبهم خلقت علىٰ الفطرة السليمة القابلة للإيمان لولا ما عرض لها من الكفر فقال: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾.

المعنىٰ: أبعدهم الله عن رحمته بسبب جحودهم الحق.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾: (تا) و﴿مَّا﴾: زائدة، و«قليلًا»: نصب صفة مصدر محذوف تقديره فإيمانًا قليلًا يؤمنون؛ لأنَّ [مؤمن][(١)] المشركين أكثر من [مؤمن][(٢)] اليهود، أو ﴿مَّا﴾: نافية، أي فما يؤمنون قليلًا ولا كبيرًا، وفيه نظر؛ لأنَّ النفي له صدر الكلام، فلا يعمل ما بعده فيما قبله كالاستفهام، ولا [تكون][(٣)] (مَّا) مصدرية لبقاء «قليلًا» بلا ناصب.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾﴾

---

(١) في جـ: مؤمني، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: مؤمني، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: يكون، والمثبت من أ، ب.

﴿ولمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي قرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾: رفع وصف لـ﴿كِتَٰب﴾.

وقرئ: (مصدقًا) حالًا من ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ لأنَّه لمَّا وُصف تخصَّص، فقرب من المعرفة فحسنت الحال منه، أو مصدقًا حال من الظرف، والعامل فيه الظرف، وجواب لمَّا محذوف تقديره كفروا، ولا يكون فلمَّا الثانية الجواب لوجود الفاء فيها؛ لأنَّ لمَّا لا تجاب بالفاء عند أكثرهم.

كان اليهود يقولون: إذا حزبهم أمر أو رحمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، وكانوا يقولون لأعدائهم: إنَّ نبيا يبعث قد أظل زمانه يخرج بتصديق ما قلناه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: أي يستنصرون.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾: من الحق، وهو محمد ﷺ.

﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾: (حس) حسدًا وحرصًا علىٰ الرياسة.

﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾: مصدر مضاف.

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: (تا) وما في ﴿بِئۡسَمَا﴾: نكرة منصوبة مفسرة لفاعل [ق/ ٢٣ب] ﴿بِئۡسَ﴾ بمعنىٰ شيئًا ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ أي باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ وبئس فعل غير متصرف موضوع للذم كنعم للمدح، والمخصوص بالذم.

﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾: أو ﴿ما﴾ مرفوعة محلًّا ﴿بِئۡسَ﴾ و﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ بدلًا منها، أو ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ مجرورة بدل من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، أو مرفوعة خبر مبتدأ محذوف أي هو ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾.

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: أي القرآن.

﴿بَغۡيًا﴾: نصب مفعول له، وهو علة الشراء، وأصل البغي الطلب، والمراد الفساد والظلم هنا.

تلخيصه: حسدًا لأجل البغي.

عليّ[1]: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي النبوة والكتاب.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: أي محمّد ﷺ؛ لأنَّ الله تعالىٰ يضع النبوة والرسالة حيث شاء لا اعتراض لأحد عليه.

القراءة: نزل وينزل مستقبلًا مخففًا ومشددًا، وكلهم شدّد: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١].

وقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: حال أي مغضوبًا عليهم.

وقوله: ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: صفة «لغضب» الأول، وتنكيره الغضب مؤذن بشدته وعظمته.

المعنىٰ: فصاروا أجفاء بغضب شديد متصل لكفرهم بمحمد بعد عيسىٰ -عليهما الصلاة والسّلام-، ولتضييعهم التوراة، وعبادتهم العجل، وغير ذلك.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: (تا) مخزٍ كنون فيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

والمراد ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: القرآن وكل كتاب نزل.

﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: أي التوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: أي سواه، أو بعده وهو القرآن، وتقديره: وهم يكفرون، والجملة حال العامل فيها ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ﴾، وهمزة ﴿وَرَآءَ﴾ بدل عن ياء كقولهم: تواريت، أو هي همزة لتصغيرها وريئه.

ومحل ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: نصب حال العامل فيها ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٤٢).

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ﴾: (كا) حال مؤكدة من الحق، والعامل فيها ما في الحق من معنىٰ الفعل، وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام.

والمعنىٰ: أنَّ القرآن إنما يكون هوالحق إذا كان مصدقًا لكتب الرسل، فإذا لم يصدقها ليس بحق، ولو قلت: هو زيد قائمًا تجعل قائمًا حالًا لم تجز؛ لأنَّه يلزم أنَّه إنما يكون زيدًا إذا كان قائمًا، فإذا ترك القيام فليس بزيد، ولو قلت: هو زيد معروفًا جاز.

تلخيصه: أنتم كاذبون في قولكم: نؤمن بما أنزل علينا لأنَّكم تكفرون بما يوافق كتابكم وهو القرآن، وإذا كفرتم به فقد كفرتم بكتابكم، ثم استفهم معترضًا عليهم بقتل الأنَّبياء حاذفًا الألف فرقًا بين الاستفهام والخبر فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: أي: قتل آباؤكم، ولمَّا رضيتم بفعلهم فكأنكم قد قتلتم.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: (تا) شرط محذوف الجواب.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾: (كا) بما صدر منكم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَٱسْمَعُوا۟ۖ﴾: (حس) أي أطيعوا.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾: قولك [بالآذان](١).

﴿وَعَصَيْنَا﴾: معناه بالقلوب.

---

(١) في جـ: بآذان، والمثبت من أ، ب.

﴿وَأُشۡرِبُواْ﴾: أي خولطوا، ثم بيَّن مكان الإشراب فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾.

المعنىٰ: أدخل حب العجل في قلوبهم كتداخل الصبغ الثوب.

﴿بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾: بسبب كفرهم.

﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾: بالتوراة أن تعبدوا العجل، وإضافة الأمر إلىٰ الإيمان استهزاءً بهم.

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (تا) بزعمكم قدح في صحة دعواهم؛ لأنَّهم قالوا: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة:٩١]، ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة:٨٠]، ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة:١١١]، ونحن أهلها، فقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾: أي الجنة.

﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ﴾: نصبٌ حال، و﴿عِندَ﴾ خبر «كان»، وهذا تهكّم بهم.

والمعنىٰ: إن صحت دعواكم أن لن يدخل الجنة إلا اليهود، فالجنة خاصة سالمة لكم.

﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ﴾: أي أحبوا ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾: وأصل التمني تقدير الشيء في النفس، وأكثر ما يستعمل فيما لا حقيقة له، ويعبر عن التمني باللسان.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: (تا) في قلوبكم؛ لأنَّ من يعلم أن الجنَّة مأواه يحنُّ إليها، ولا سبيل إليها إلا بالموت، ثم أومأ إلىٰ كذبهم فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾: أي [في][1] جميع الزمان المستقبل؛ لأنَّ [ق/ ١٥ جـ] أبدًا اسم لجميع مستقبل الزمان كقط لماضيه، وأصله الانفراد، ومنه أوابد الوحشي، روي أنَّ جماعة من المسلمين ومن تقدمهم أحبوا الموت، وفرحوا به عند قدومه لعلمهم مصيرهم، كيوسف ﷺ وحذيفة وعمار، ولم يحبه أحد من اليهود، ولو أحبه أحد منهم لاشتهر ونقل كغيره، وهذا من المعجز؛ لأنَّه إخبار نصيب، روي أنَّ اليهود لو

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

تمنوا الموت لغصّ كل واحد منهم بريقه، ولمَّا بقي على الأرض يهودي إلا مات[(١)].

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ﴾: أي بسبب تقديم.

﴿أَيۡدِيهِمۡۚ﴾: (كا) لأنَّهم كاذبون في دعواهم، وخص الأيدي بالذكر لأنَّ الأعمال غالبًا تكون بها.

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) تهديد شديد؛ لأنَّ علمه بهم كعلمه بغيرهم، ثم أدخل لام القسم على «تجد» التي بمعنى العلم المتعدية إلى مفعولين، فقال مخاطبًا نبيه ﷺ مخبرًا عن اليهود:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ﴾: وهم أحرص المفعولان، وأصل الحرص الظهور وفرط الشره، وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى جملة هو بعضها لم يحتج إلى ذكر من [كقولك][(٢)]: زيد أفضل النَّاس، ولا يضاف إلى جملة ليس [هو][(٣)] بعضها لأنَّه المراد تفضيل الشيء على جنسه، فلا يقال: زيد أفضل إخوته؛ لأنَّ إخوته غيره، بدليل أنَّه لو سئل عن إخوة زيد لقيل: بكر وعمرو وخالد، ولم يدخل زيد فيهم، ولو قلت: زيد أفضل الإخوة جاز؛ لأنَّه أحد الإخوة، وعليه قوله تعالى: ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾: (كا) لأنَّ اليهود من النَّاس، ونكَّر حياة إرادة لحياة مخصوصة متطاولة، وهي حياتهم التي هم فيها يؤكده ما قرئ: (على الحياة).

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في جـ: قولك، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

ثم بالغ في توبيخهم بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: (تا) أي وأحرص من الذين [ق/ ٢٤ب] أشركوا، فحذفت ﴿أَحۡرَصَ﴾ لدلالة أحرص النَّاس عليه، وإذا اختلف الجنسان في التفضيل بمن فقيل: زيد أفضل من إخوته، والخيل أفضل من الحمير، فعلىٰ هذا محل ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ جر لإضافة أحرص المحذوفة إليه، والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ : المجوس، أو اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، وأفرد المشركون بالذكر وإن كانوا من النَّاس لشدة حرصهم علىٰ الحياة، وإنما كان هؤلاء أحرص من المشركين علىٰ الحياة لعلمهم ما هم صائرون إليه من العذاب، فعلىٰ هذا يكفي الوقف علىٰ ﴿حَيَوٰةٍ﴾ ويتم علىٰ ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ إن جعلت ﴿يَوَدُّ﴾ مستأنفًا أي هؤلاء قوم.

﴿يَوَدُّ﴾: أي يتمنىٰ، وإن جعلت أشركوا كلامًا مبتدأ، أي ومنهم ناس يود أحدهم علىٰ حذف موصوف كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات:١٦٤] لم تقف علىٰ ﴿أَشۡرَكُواْ﴾، ووقفت علىٰ ﴿حَيَوٰةٍ﴾، وكذلك لا تقف علىٰ ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ إن جعلت ﴿يَوَدُّ﴾ حالًا من ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾، أي وادًّا أحدهم، فعلىٰ هذا﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: المجوس، وإن جعلتها حالًا من هم في ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ وادًّا ﴿أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾: فعلىٰ هذا ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: اليهود الذين قالوا: عزيرابن الله، فعلىٰ هذا لا [وقف][1] علىٰ ﴿أَشۡرَكُواْ﴾، ولا علىٰ ﴿حَيَوٰةٍ﴾ لئلا يفصل بين الحال وصاحبها، و ﴿لَوۡ﴾ هنا ليست [بمعنىٰ][2] التي يمتنع بها الشيء [له][3] لامتناع غيره، وإنما هي بمعنىٰ أن الناصبة للفعل ولم تنصبه، وفيها بمعنىٰ التمني.

والمعنىٰ: تمنىٰ أحدهم تعمير ألف سنة، وهي للمجوس يقولونها فيما بينهم

---

(١) في جـ: يوقف، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

عند العطاس وغيره عشر ألف سنة وألف نيروز وألف مهرجان، وهي بالعجمية «زي هزار سال».

تلخيصه: اليهود أحرص علىٰ الحياة من المشركين لعلمهم ما هم صائرون إليه من العذاب.

والضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾: لأحدهم.

وقوله: ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾: أي بمباعد ومنجّيه.

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: خبر (ما).

وقوله: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: (كا) رفع ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ارتفاع الفاعل بفعله.

تلخيصه: وما أحدهم بمنجيه من النَّار تعميره، أو هو ضمير التعمير، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل من هو.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: (تا) القراءة بالياء غيبة.

وقرئ: بالتاء.

قال ابن صوريا للنبي ﷺ: من الذي يأتيك بالوحي؟ فقال: «**جبريل**»، فقال: عدونا ولو كان غيره لآمنا بك؛ لأنَّه أنزل علينا أنَّ بيت المقدس سيخربه بخت نصر، فبعثنا من يقتله فوجده ببابل غلامًا مسكينًا[١]، فأخذه ليقتله، فدفعه [ق/ ١٣أ] عنه وقال: إن كانَ ربّه أمره بهلاككم فلا يسلّطكم عليه، وإن لم يكن هو فلم تقتلونه؟! فكبُر وخرّب بيت المقدس وأمر بوضع النبوة فينا، فوضعها في غيرنا، أو أنَّ اليهود قالوا لعمر: من صاحب محمد؟ قال: جبريل فقالوا: عدونا ويأتي بكل عذاب، وميكائيل يأتي بالخصب والسلم، فقال: أخبروني عن منزلتي جبريل وميكائيل من الله؟ فقالوا: جبريل عن يمين الله وميكائيل عن يساره وجبريل عدو لميكائيل، فقال عمر: أشهد أنَّه من كان عدوًّا لجبريل فإنَّه عدو

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٠).

لميكائيل، ومن كان عدوًّا لهما فإنَّه عدو لله، فنزل أمر للنبيِّ ﷺ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: جواب من محذوف، أي فليمت غيظًا.

﴿فإنَّه نَزَّلَهُۥ﴾: أي جبريل القرآن.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: حال من (نزله)، وكذلك ﴿وَهُدَى وَبُشْرَىٰ﴾: أي هداية وبشارة.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا).

القراءة: بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، [وبفتح الجيم والراء وهمزة][1] مكسورة [من غير][2] ياء، [وبفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء][3]، وبكسر الجيم والراء من غير همز، لغات كلها، وفي جبريل قريبًا [من][4] خمس عشرة لغة[5]؛ لأنَّه اسم أعجمي، والأسماء الأعجمية قلما وقعت في كلام العرب

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بعدها، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٥) **قال أبو حيان**: جبريل: اسم ملك علم له، وهو الذي نزل بالقرآن علىٰ رسول الله ﷺ، وهو اسم أعجمي ممنوع الصرف، للعلمية والعجمة، وأبعد من ذهب إلىٰ أنه مشتق من جبروت الله، ومن ذهب إلىٰ أنه مركب تركيب الإضافة، ومعنىٰ جبر: عبد وإيل، اسم من أسماء الله، لأن الأعجمي لا يدخله الاشتقاق العربي، ولأنه لو كان مركبا تركيب الإضافة لكان مصروفا، وقال المهدوي: ومن قال: جبر، مثل: عبد وإيل، اسم من أسماء الله، جعله بمنزلة حضرموت. انتهىٰ كلامه. يعني أنه يجعله مركبا تركيب المزج، فيمنعه الصرف للعلمية والتركيب. وليس ما ذكر بصحيح، لأنه إما أن يلحظ فيه معنىٰ الإضافة، فيلزم الصرف في الثاني، وإجراء الأول بوجوه الإعراب، أو لا يلحظ، فيركبه تركيب المزج، فما يركب تركيب المزج يجوز فيه البناء والإضافة ومنع الصرف، فكونه لم يسمع فيه الإضافة، ولا البناء دليل علىٰ أنه ليس من تركيب المزج، وقد تصرفت فيه العرب علىٰ عادتها في تغيير الأسماء الأعجمية، حتىٰ بلغت فيه إلىٰ ثلاث عشرة لغة، قالوا: جبريل: كقنديل، وهي لغة أهل الحجاز، وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو ونافع وحفص، وقال ورقة بن نوفل: =

إلا غيرتها.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾: خُصَّا بالذكر تفضيلًا لهما، ولم ينصرفا لعجمتهما وتعريفهما، ومعناهما عبد الله وعبد الرحمن وإل وإيل الله.

=

وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل

وقال عمران بن حطان:

والروح جبريل منهم لا كفاء له ... وكان جبريل عند الله مأمونا

وقال حسان:

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

وكذلك إلا أن الجيم مفتوحة، وبها قراءة الحسن وابن كثير وابن محيصن. قال الفراء: لا أحبها، لأنه ليس في الكلام فعليل، وما قاله ليس بشيء، لأن ما أدخلته العرب في كلامها علىٰ قسمين: منه ما تلحقه بأبنية كلامها، كلجام، ومنه ما لا تلحقه بها، كإبريسم، فجبريل، بفتح الجيم، من هذا القبيل، وقيل: جبريل مثل شمويل، وهو طائر.

وجبرئيل كعنتريس، وهي لغة: تميم، وقيس، وكثير من أهل نجد، حكاها الفراء، واختارها الزجاج وقال: هي أجود اللغات، وقال حسان:

شهدنا فما تلقىٰ لنا من كتيبة ... مدىٰ الدهر إلا جبرئيل أمامها

وقال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد ... وبجبرئيل وكذبوا ميكال

وهي قراءة الأعمش وحمزة والكسائي وحماد بن أبي زياد، عن أبي بكر، عن عاصم. ورواها الكسائي، عن عاصم، وكذلك، إلا أنه بغير ياء بعد الهمزة، وهي رواية يحيىٰ بن آدم، عن أبي بكر، عن عاصم، وتروىٰ عن يحيىٰ بن يعمر، وكذلك. إلا أن اللام مشددة، وهي قراءة أبان، عن عاصم ويحيىٰ بن يعمر، وجبرائيل وجبراييل، وقرأ بهما ابن عباس وعكرمة، وجبرال وجبرائل بالياء والقصر، وبها قرأ طلحة، وجبراييل بألف بعد الراء، بعدها ياءان، أولاهما مكسورة، وقرأ بها الأعمش وابن يعمر أيضا، وجبرين وجبرين، وهذه لغة أسد، وجبرائين، قال أبو جعفر النحاس: جمع جبريل جمع التكسير علىٰ جباريل علىٰ اللغة العالية.

«البحر المحيط» (١/ ٥٠٩-٥١٠).

القراءة: ميكال بلا همز ولا ياء، وبهمزة بعدها ياء بعد الألف، وبهمزة بعد الألف بلا ياء، ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: (كا) كان ينبغي أن يقول لهم لتقدم ذكرهم للإيذان: إنَّ العداوة إنما كانت لكفرهم وتهويلًا لشأنه.

تلخيصه: من عاداهم عاداه الله، ومن عاداه الله عذَّبه، فقال ابن صوريا: ما جئتنا بشيء يا محمد فنزل:

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ﴾: (كا) واضحات مفصلات بالحلال والحرام.

﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: (تا) الخارجون عن الطاعة، ثم أدخل همزة الاستفهام علىٰ واو العطف علىٰ محذوف دل عليه.

المعنىٰ: فقال: ﴿أَوَ كُلَّمَا﴾: وتقديره: أكفروا بالبينات وكلما ﴿عَٰهَدُوا۟﴾: أي اليهود.

﴿عَهْدًا﴾: نصب مصدر من غير لفظ الفعل المذكور، لئن خرج محمد ليؤمنن به، فلمَّا خرج كفروا به.

وقرئ: بسكون الواو، وتقديره إلا الذين فسقوا أو نقضوا العهد، فعلىٰ هذا يتم الوقف علىٰ ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وقرئ: (عوهدوا) و(عهدوا)، والمراد ما كان بين اليهود وبين رسول الله ﷺ من العهود ألَّا يعاونوا علىٰ المشركين، فنقضوا العهد كقريظة والنضير.

﴿نَّبَذَهُۥ﴾: أي ألقاه، وأصل النبذ: الإلقاء، والمراد هنا نبذ الذمام.

وقرئ: (نقضه).

﴿فَرِيقٌ﴾: أي طوائف.

﴿مِّنْهُمْۚ﴾: لأنَّ من اليهود من لم ينقض العهد.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ولمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾: (تا) بالتوراة، ولا [يبالون][1] بالدين، فلا يعتدون بنقض العهد.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ﴿أُوتُواْ﴾ ومفعول ﴿نَبَذَ﴾.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: أي التوراة أو القرآن.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: أي لم يعملوا بما [فيهما][2] كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (كا) ما فيها، ولم يتدبروا معانيها، وكفى الوقف هنا لعطف ما بعد على ﴿نَبَذَ﴾، تقديره: نبذوا كتابَ الله [ق/ ٢٥ب].

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾: أي اليهود ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ أي تلت أي قرأت وعملت به.

---

(١) في جـ: ينالون، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: فيها، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ﴾: أي زمن ملك ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾: فحذف المضاف، وذلك أنَّ الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون إلىٰ ما يسمعون كذبًا كثيرًا، ويلقونه إلىٰ الكهنة، والكهنة يعلمونه النَّاس، وفشا ذلك في زمن سليمان حتىٰ قالوا: إنَّ الجنَّ تعلم الغيب، فجمع سليمان الكتب ودفنها تحت كرسيه، فاستخرجت بعد موته، فوجد فيها السحر، وقالت الشياطين: إنما تم لسليمان ملكه بهذا، فبرأه الله تعالىٰ علىٰ لسان محمد ﷺ، وأكذب ذلك، لذلك كرر ذكره ظاهرًا تعظيمًا له بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾: بالسحر وعلمه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾: باستعمال السحر وكتبه.

القراءة: بتخفيف النون ورفع (الشياطين) مبتدأ، وبتشديد النون ونصب ﴿الشياطين﴾، ومثله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ﴾ [الأنفال/ ١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾: نصب حال من ضمير ﴿كَفَرُواْ﴾، أصل السحر: العلم والحذق بالشيء، وله وجود حقيقة عند أهل السنة، والعمل بالسحر كفر، قالوا: وكذلك تعلّمه للعمل به أيضًا كفر، [وتعلّمه][1] لاجتنابه ليس بكفر، وعن الشافعي أنَّه يخيّل ويمرض، ويقتل ويوجب القصاص علىٰ من قتل به.

ومحل ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾: نصب عطف علىٰ ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾، أي ويعلمونهم الذي أنزل، أو علىٰ ﴿مَا تَتۡلُواْ﴾.

وقرئ: (المليكين) بكسر اللام [ق/ ١٦ جـ].

ابن عباس[2]: كانا علجين[3] ساحرين يعلمان السحر ﴿بِبَابِلَ﴾: قالوا: الملك

(١) في جـ: ويعلمه، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (١/ ٢٤٨).

(٣) قال ابن منظور: العِلْج الرجل الشديد الغليظ، وقيل: هو كلُّ ذي لِحْية، والجمع أَعْلاج وعُلُوج ومَعْلُوجَىٰ مقصور ومَعْلُوجاء ممدود اسم للجمع يُجري مَجْرَىٰ الصفة عند=

لا يعلّم السّحر، وإنما يصفه فيتعلم السحر من صفته، أو أنَّه يعلم السحر فالشقي يتعلمه فيكفر، والسعيد يتركه فيبقىٰ علىٰ الإيمان وتجعل ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾: بدلين من ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، ولم ينصرفا لعجمتهما وتعريفهما.

وقرئ: برفعهما خبر ابتداء.

وقصتهما: أنَّ الملائكة رأت ما يصعد من ذنوب بني آدم فعيَّروهم، وقالوا: هؤلاء الذين اخترتهم يعصونك، فقال تعالىٰ: (لو ركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم لعصيتموني، قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال: فاختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من خيارهم، فأهبطا إلىٰ الأرض يقضيان بين النَّاس نهارًا ومساءً يذكران اسم الله الأعظم ويصعدان إلىٰ السماء، وكانا قد نهيا عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر، فجاءتهما الزهرة امرأة من أجمل النساء تخاصم زوجها إليهما، فوقعت في أنفسهما فسآلاها نفسها، فقالت: لا إلا أن تقضيا لي عليه ففعلا، ثم سآلاها فقالت: لا إلا أن تقتلاه [فقتلاه][(١)]، ثم سآلاها فقالت: لا إلا أن تصليا معي لصنمي ففعلا.

عليّ وغيره: قالت لهما: لن تقدرا عليّ حتىٰ تخبراني بم تصعدان إلىٰ السماء؟ فقالا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنتم بمدركي حتىٰ تعلمانيه ففعلا، فتكلمت به وصعدت إلىٰ السماء، فمسخت كوكبًا، قالوا: وهي الزهرة المعروفة[(٢)].

وأنكر هذا بعضهم وقال: الكوكب من الكواكب السبعة والتي فتنتهما كانت

= سيبويه، واسْتَعْلَجَ الرجل خرجت لحيته وغَلُظ واشتدَّ وعَبُل بدنه، وإذا خرج وجهُ الغلام قيل: قد اسْتَعْلَجَ واسْتَعْلَجَ جلد فلان أي غلُظ، والعِلْج الرجل من كفَّار العجم والجمع كالجمع والأُنثىٰ عِلْجة، وزاد الجوهري في جمعه عِلَجة، والعِلْج الكافر ويقال للرجل القويّ الضخم من الكفار: عِلْج.

«لسان العرب» (٢/ ٣٢٦).

(١) في جـ: ففعلاه، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي(١/ ٢٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥١).

تسمىٰ زهرة لخم، فلمّا علما ما حل بهما قصدا إدريس، فاستشفع لهما فخيرهما تعالىٰ بين عذابي الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه، وهما معلقان بشعورهما، أو منكوسان يضربان بسياط الحديد إلىٰ قيام الساعة.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾: أي الملكان.

﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾: له نصحًا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: أي اختبار من الله تعالىٰ، وأصل الفتنة الاختبار، ومنه فتنت الذهب، ووحدت الفتنة لأنَّها مصدر، والمصادر لا تثنىٰ ولا تجمع.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: (كا) بتعليمه معتقدًا أنَّه حق يقولان له: لا تكفر سبع مرات، فإن أبىٰ إلا التعليم علماه.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾: (حس) وهو أن يبغض كل واحد منهما إلىٰ صاحبه.

وقرئ: بفتح ميم ﴿ٱلْمَرْءِ﴾ وتثقيل الراء، وبضم الميم والهمز، وبكسر الميم والهمز.

﴿وَمَا هُم﴾: أي السحرة.

﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: أي بالسحر.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أي أحدًا.

وقرئ: [(بضاري)][1] بطرح النون إضافة إلىٰ أحد، والظرف فصل بينهما وأضيف إلىٰ أحد وإن كان مجرورًا بمن؛ لأنَّ الجار والمجرور كالشيء الواحد.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: (كا) بإرادته وعلمه فالسّاحر يسحر والله تعالىٰ يكون أو بتخلية الله تعالىٰ.

الحسن: من شاء الله منعه، فلم يضره السحر، ومن شاء الله خلىٰ بينه وبينه فضرّه.

---

(١) في جـ: بضارين، والمثبت من أ، ب.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾: ثم بيَّن أن لا نفع في السحر أصلًا فقال: ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾: (حس) ثم أكد عدم النفع بإدخاله اللام الموطئة للقسم علىٰ من الشرطية المرتفعة [بالابتداء][1] فقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾: أي اليهود ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: أي اختاره، وجواب القسم: ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: أي الجنة ﴿مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾: أي نصيب.

وقوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ﴾: أي باعوا بالسحر ﴿أَنفُسَهُمْۚ﴾: بأن أوجب لهم النَّار جواب قسم محذوف وجواب ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: محذوف، تقديره لو انتفعوا بعلمهم لامتنعوا من السحر، ومحل أنَّ وما عملت فيه رفع بفعل محذوف في قوله:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: تقديره: ولو أنَّ اليهود.

﴿ءَامَنُواْ﴾: أي بالقرآن ومحمد.

تلخيصه: لو وقع إيمانهم.

﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: [أي اليهود السحر، ولم تجزم (لو) وإن أشبهت الشرط؛ لأنها تعلق الفعل الماضي بالماضي بخلاف الشرط.

وقوله:][2] ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: أي ثواب مبتدأ، وهو جواب ﴿لَّوْ﴾.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: صفته، وخبر المبتدأ ﴿خَيْرٌۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: (تا) أنَّ ثواب الله خير مما هم فيه.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ كمشورة ومشورة لغتان، وهما مصدر من الثواب، والثواب: رد أجرة العمل والمجازاة على الفعل.

كان المسلمون يقولون: يا رسول الله راعنا من المراعاة، أي فرّغ سمعك لكلامنا، وكانت سبًّا بلغة اليهود بمعنى الحمق والرعونة، فسروا بذلك وقالوا: كنا نسبّ محمدًا سرًّا، فأعلنوا الآن، فكانوا يقولونها للنبي ﷺ ويضحكون، فسمعها سعد بن معاذ [ق/ ٢٦ب] فقال: لئن سمعت أحدًا يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فنزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[1]: أي انتظرنا، أو انظر إلينا برعايتك نظرته وانتظرته تأنيت به[2].

وقرئ: (أَنْظِرنا) أي أمهلنا.

وقرئ: (راعونا) خطاب جمع.

وقرئ: (راعنا) من الرعن الحمق، رجل أرعن وامرأة رعناء، وأصله: الميل، ومنه رعن الجبل أنفه لميل فيه.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾: (كا) ما تؤمرون به وأطيعوا.

﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (تا) كان المسلمون يقولون لليهود: آمنوا بمحمد فيقولون: ليس ما تدعوننا إليه خيرًا مما نحن عليه، ولوددنا إن كان خيرًا فينزل تكذيبا لهم.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ثم بين الكافرين فقال:

﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: أي اليهود.

﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: عطف على أهل [ق/ ١٤أ] الكتاب فلذلك جر.

وقرئ: (ولا المشركون) عطفًا على الفاعل، والمراد مشركو العرب كأبي سفيان

---

(١) في جـ: بضارين، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٣).

وغيره، والشرك وضع الشيء مع مثله.

ومحل ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: أي خير، و﴿مِّنْ﴾ زائدة، والمراد بالخير الوحي نصب بـ﴿يَوَدُّ﴾.

و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: [(حس)][1] لابتداء غاية الإنزال.

تلخيصه: يرون أنهم أحق بالوحي منكم، فلا يحبون نزوله علَيكم.

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾: أي يخص ويفرد.

﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾: أي نبوته ووحيه، وأصل الخصوص والاختصاص: الانفراد بالشيء.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: (تا) لابتدائه بالإحسان، طعن المشركون في النسخ، وقالوا: إنَّ محمدًا يأمر بأمر، ثم ينهي عنه ويأمر بخلافه، ما يأمر إلا من تلقاء نفسه، فنزل تيانا لحكمة النسخ:

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿مَا نَنسَخْ﴾: ننسخ جزم بـ﴿مَا﴾ لأنَّها شرطية، ومحلها نصب «بنسخ»، كقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ [الإسراء:١١٠] والنسخ: إزالة شيء بشيء يعتقبه، كنسخ الشمس الظل، فعلىٰ هذا القرآن بعضه ناسخ وبعضه منسوخ، ويكون النسخ بمعنىٰ التحويل والنقل، فعلىٰ هذا القرآن كله منسوخ؛ لأنَّه نقل من اللوح المحفوظ.

القراءة: ﴿ننسخ﴾ بفتح النون والسين من «نسخ»، وبضم النون الأولىٰ وكسر

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

السين من (النسخ)، نسخت الكتاب كتبته، وأنسخته غيري جعلته نسخة له.

ومحل ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾: نصب تمييزًا لما.

القراءة: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بفتح النون الأولىٰ والسين مهموزًا من التأخير، إنساء الله في أجله أخّر فيه، أي [نؤخرها][(١)] فلا [نبدلها][(٢)] بأن نرفع تلاوتها ونؤخر رفع حكمها كآية الرجم، أو نؤخرها بأن نتركها في اللوح المحفوظ فلا تنزل، وبغير همز مع ضم النون وكسر السين من النسيان ضد الذكر، أي أو ننسكها.

وقرئ: بها نقل الفعل بالهمزة، فتعدىٰ إلىٰ مفعولين، وهما النبي والهاء، لكن اسم النبي ﷺ متروك.

وقرئ: (ننسِّها) مشددًا و(تنسِّها) و(تنسَّها) خطابًا للنبيّ ﷺ.

وقرئ: (ما ننسك من آية أو ننسخها) وجواب الشرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: بما هو أنفع لمصالح العباد لا أنَّ آية خيرٌ من آية، والنَّاسخ غالبًا يكون أسهل من المنسوخ.

تلخيصه: كل آية نذهب بها، أو بمعناها، أو بهما نجيء بما هو أسهل وأكثر ثوابًا منها.

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾: (حس) في المنفعة، ثم استفهم مقررًا أنَّه لا يعجزه شيء فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: أي قد علمت ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: من النسخ أو غيره.

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا) ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: (تا) الْمِلك: بمعنىٰ الشيء المملوك، يقال: هذا مِلْك فلان أي مملوكه، و﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ زائدة، أي قربت.

ومحل ﴿وَلِيٍّ﴾ رفع مبتدأ خبره ﴿لَكُم﴾.

---

(١) في جـ: تؤخرها، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: تبدلها، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: (تا) مانع [يمنعكم][(١)] من العذاب، عطف على ﴿وَلِيٍّ﴾، قالت اليهود: يا محمد ائتنا بكتاب من السماء كما أتىٰ موسىٰ بالتوراة، فنزل كفًّا وردعًا لهم عن السؤال استفهامًا بـ﴿أَمْ﴾ المنقطعة بمعنىٰ الهمزة.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: أي أتريدون، وأصله أترودون من راد يرود.

﴿أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ﴾: أي محمدًا ﷺ.

﴿كَمَا سُئِلَ﴾: الكاف منصوبة محلًّا صفة مصدر محذوف، و﴿ما﴾ مصدرية، أي سؤالًا مثل سؤال ﴿مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: (تا) حين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، و﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨]، وغير ذلك.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ﴾: أي يستبدل.

﴿ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: بأن يقترح علىٰ الرسل تعنتًا بعد قيام المعجز.

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: (تا) [ق/ ١٧ جـ] أخطأ وسط الطريق، قال فنحاص بن عازوراء وأصحابه لحذيفة وعمار بعد أحد: ارجعوا إلىٰ ديننا فنحن علىٰ الحق، فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فقد عاهدت الله ألا أكفر بمحمد ما عشت، فقالوا: أمَّا هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانًا، ثم أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أصبتما الخير وأفلحتما**»، ونزل:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ....﴾ الآية[(٢)].

---

(١) في جـ: يمنعك، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٥).

ولو في قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾: (كا) نصب حال من (كم) بمعنىٰ المصدر كقوله: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة:٩٦].

﴿حَسَدًا﴾: مصدر، أي يحسدونكم.

إن علقت ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: بـ ﴿حَسَدًا﴾ ، أي يحسدونكم من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك وقفت علىٰ ﴿كُفَّارًا﴾، وإن علقته «بيود» تقديره: تمنىٰ الكفار أن ترتدوا عن دينكم من قبل أنفسهم وشهوتهم.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾: في التوراة.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: (كا) هو أن محمدًا وما جاء به صدق، لم تقف علىٰ ﴿كُفَّارًا﴾.

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾: (كا) أصل العفو: المحو، والصفح والتجاوز، وهذا كان قبل آية القتال.

تلخيصه: لا تنالوهم بسوء.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: (كا) عذابه القتل والسبي لقريظة، والجلاء والنفي للنضير، أو حتىٰ تؤمروا بالقتال، ومنع بعضهم هذا وقال: العفو والصفح من مكارم الأخلاق، أو حتىٰ يأتي الله بالقيامة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: (تا) [ق/ ٢٧ب].

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: (تا) ﴿وَمَا﴾: شرطية جزمت.

﴿تُقَدِّمُواْ﴾: ومحلها نصب بـ«تقدموا»، ﴿لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: أعمال البر كلها خير.

﴿تَجِدُوهُ﴾: أي ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: (كا) فتجدوا التمرة واللقمة في الآخرة مثل أحد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: (تا) قالت اليهود: لا دين إلا اليهودية، ولن يدخل الجنة إلا يهودي، وقالت النصارىٰ: لا دين إلا النصرانية، ولن يدخل الجنة

إلا نصراني فنزل:

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: جمع هائد كعائذ وعوذ و﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: (كا) جمع نصران كسكران، تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾؛ لأنَّ «أو» لأحد الشيئين.

وقرئ: (إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا.

ثم أشار إلىٰ تمنيهم ألَّا ينزل علىٰ المؤمنين خير، وأن يردوهم كفارًا، وأنَّ الجنَّة محرمة علىٰ غير اليهود والنصارىٰ فقال: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: (حس) جمع أمنية أفعولة من التمني، أي شهواتهم الباطلة، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ بطلان أقوالهم بقوله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَاتُواْ﴾: هات صوت بمعنىٰ هاء، أي أحضر.

الخليل: المهاتاة والهتاء مصدر هات، أو أصله أتوا.

﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾: أي حجتكم علىٰ دخولكم الجنة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (كا) في دعواكم و﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ اعتراض، ثم أثبت ما نفوه من دخول غيرهم الجنة بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾: ولا يوقف علىٰ ﴿بَلَىٰ﴾ وإن كانت جوابًا للجحد قبلها فهي إيجاب لما بعده، فلا يفصل بينه وبينه، والحرف الذي يؤدي معنىٰ الإيجاب يجب أن يكون موصولًا بالكلام الذي يوجبه؛ لأنَّ الفصل بينهما ينقض معنىٰ الإيجاب وإن كان (من) في ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾: أي أخلص أو صرف.

﴿وَجۡهَهُۥ﴾: أي عبادته أو دينه ﴿لِلَّهِ﴾: أو المراد حقيقة الوجه، والإسلام: الانقياد والخشوع، وخص بالذكر؛ لأنَّه إذا جاد بوجهه لم يبخل بجميع جوارحه، متضمنة معنىٰ الشرط، مرتفعة محلًّا ابتداء، وكذلك إن جعلت ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ﴾: فاعل فعل محذوف، تقديره: بلىٰ يدخلها من أسلم.

﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: أي مخلص فيما بينه وبين ربه، وبينه وبين النَّاس، أو مؤمن.

﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: جواب الشرط.

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: (تا) في الآخرة، وإلا فاليوم المؤمنون أشد خوفًا وحزنًا من غيرهم لنظرهم في مصيرهم.

قال يهود المدينة لنصارىٰ نجران عند النبي ﷺ: ما أنتم علىٰ شيء من الدين، وكفروا بعيسىٰ والإنجيل، وقالت النصارىٰ لليهود: ما أنتم علىٰ شيء وكفروا بموسىٰ والتوراة فنزل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾: الآية[1].

والواو للحال في ﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ﴾: أي الفريقان يقرؤون.

﴿ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾: (كا) والمراد جميع كتب المنزلة.

تلخيصه: قالوا وحالهم أنهم من أهل التلاوة للكتب والعلم، ومن آمن بواحد من كتب الله تعالىٰ يجب عليه الإيمان بكلها؛ لأنَّ كل واحد منها مصدق للآخر.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أي عوام اليهود، أو مشركو العرب؛ لأنَّهم قالوا: إن محمدًا وأصحابه ليسوا علىٰ شيء من الدين.

﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾: أي قول الذين تقدموهم.

تلخيص المعنىٰ: مثل ذلك الذي سمعت من هؤلاء الجهلة قال آباؤهم العالمون.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٦).

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ﴾: أي يقضي ﴿بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: أي بين اليهود والنصارىٰ.

﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾: (تا) من أمر الدين، فيدخل المحق الجنة، والمبطل النَّار، ولا أحبّ الوقف علىٰ ﴿كَذَٰلِكَ﴾، وإن تعمده بعضهم، غزا أضطيوس الرومي بيت المقدس، وألقيت فيه الجيف، وبقي خرابًا إلىٰ أن عُمِّر زمن عمر، وقتل مقاتلة بني إسرائيل، أو الذي فعل ذلك بختنصر، بسبب قتل يحيىٰ بن زكريا، أو منع المشركون رسول الله ﷺ دخول الحرم عام الحديبية فنزل:

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ﴾[1]: يتعدىٰ إلىٰ مفعولين:

الأول: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: أي بيت المقدس ومحاريبه، أو المسجد الحرام.

الثاني: ﴿أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾: بأن يسبح ويقدس ويصلىٰ له فيها.

﴿وَسَعَىٰ﴾: أي عمل ﴿فِي خَرَابِهَآۚ﴾: بمنع المصلين فيها، أو بأن هدمها، والخراب: اسم للتخريب كالسّلام للتسليم، وأصله الثَّلْمُ والتفريق، وقال: ﴿مَسَٰجِدَ﴾ و﴿خَرَابِهَآۚ﴾ جمعًا وإن أريد واحد؛ لأنَّ من خرّب مسجدًا واحدًا فكأنما خرب مساجد عدة؛ لأنَّها كلها لله، ويجوز أن يقال للإيذان بعظمته عند الله تعالىٰ، وإن أريد المسجد الحرام فتخريبه منع المصلين فيه والحجاج والمعتمرين عنه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي المانعون عن الدخول وهم النصارىٰ، أو مشركو العرب.

﴿مَا كَانَ﴾: أي ما ينبغىٰ ﴿لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ﴾.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٦).

وقوله: ﴿إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾: (كا) حال من ضمير ﴿يَدۡخُلُوهَآ﴾، ولم يدخلها بعد عمارتها رومي إلا خائفًا، لو علم به قتل.

وقرئ: (خيفًا) كركع، وبعضهم لم يجعله استثناءً حقيقة، ومعناه إذا دخلوها كانوا خائفين، كقولهم: ليس لك أن تفعل هذا إلا سفيهًا، أو هذا خبر بمعنىٰ الأمر، أي اقهروهم حتىٰ يدخلوها خائفين، أو المراد مكة؛ لأنَّ رسول الله ﷺ لمَّا فتحها نادىٰ مناديه: «**ألا لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجن بعد العام مشرك**»[1].

أبو حنيفة وأصحابه يجيزون دخول المسجد الحرام وغيره للمشركين بالإذن، ومنعه مالك مطلقًا [ق/ ١٥أ]، والشافعي لا يجيزه في المسجد الحرام، ويجيزه في غيره.

وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: هو القتل للحربي والجزية للذمي، أو هو فتح مدائنهم عمورية ورومية وقسطنطينية جملة استئنافية، وليست بحال لاستحقاقهم الخزي في كل حال.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: (تا) النَّار.

ونزل في قوم مسافرين صلوا إلىٰ غير القبلة، أو في المسافر يصلي حيث توجهت به راحلته، أو لمَّا عاب اليهود المسلمين وقالوا: ليست لهم قبلة ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾[2]: وفيه إيماء إلىٰ أنَّه ليس لأحد ملك حقيقة إلا له تعالىٰ علاؤه وشأنه.

وقوله: ﴿فَأَيۡنَمَا﴾: شرط.

﴿تُوَلُّواْ﴾: جزم به، وهو منصوب «بتولوا» وجواب الشرط ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ﴾: أي قبلة.

﴿ٱللَّهِۚ﴾: (كا) أو فَثَمَّ الله، والوجه صلة، وبني «ثم» لتضمنه معنىٰ حرف الخطاب؛ لأنَّك تقول للغائب: هناك، وللحاضر: هنا زيد، فثم نائب عن هناك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢)، ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٧).

تلخيصه: بلاد المشرق [ق/ ٢٨ب] والمغرب ملك لله تعالىٰ، فأي مكان صرفتم وجوهكم للصلاة فثم الجهة التي رضيها الله تعالىٰ قبلةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: جواد يعطي من السعة، أو واسع المغفرة.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) بنيّاتهم حيثما صلوا.

وقرئ: (تَولوا) بفتح التاء من التولي.

ونزل لمَّا قالت اليهود: عزير: بن الله، والنصارىٰ: المسيح ابن الله، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾(١).

القراءة: ﴿وَقَالُواْ﴾ بالواو عطفًا علىٰ ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ فعلىٰ هذا لا يتم الوقف علىٰ ﴿عَلِيمٌ﴾ ولا علىٰ ما بينهما، ولا يحسن بل يكفي، وبغير واو استئنافًا، فعلىٰ هذا الوقف كما وسمت.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: أي تنزيهه عن الولد، وكيف يوجد له الولد ولا مجانسة بينه وبين أحد؟، قال تعالىٰ: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدًا**»(٢).

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: (كا) عبيد أو ملكًا فالتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض من المضاف إليه، أي كل ما في السموات والأرض، أو جميع أهل طاعته.

﴿قَٰنِتُونَ﴾: (تا) طائعون مقرون بالعبودية، قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام، وجمع قانتون نظرًا إلىٰ معنىٰ كل، فالمؤمن يسجد طوعًا، والكافر يسجد ظله علىٰ كره منه، أو يكون ذلك يوم القيامة.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أي مبدعهما، كسميع بمعنىٰ مسمع، وفعله أبدع، أي خالقهما علىٰ غير مثال سبق، ومنه البدعة والإضافة علىٰ هذا حقيقية؛ لأنَّ الإبداع لهما ماضٍ، أو فعله بَدع فهو بديع، كشرف فهو شريف، فالإضافة علىٰ هذا من إضافة الصفة [ق/ ١٨جـ] المبهمة إلىٰ فاعلها، أي بديع سماواته وأرضه، وجميع المستعمل من تعاكيس (ب د ع) يشمله معنىٰ الحدوث والظهور.

وقرئ: (بديعِ) جرًّا بدلًا من الهاء في «له» ونصبًا مدحًا.

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾: أي أحكم ﴿أَمۡرٗا﴾: وأصل القضاء الفراغ والأحكام، و(إذا): ظرف ولها جواب، والعامل فيها ما دل عليه جوابها وهو: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾: (تا) أي أحدث.

﴿فَيَكُونُ﴾: (تا) فيحدث.

القراءة: ﴿فَيَكُونُ﴾ رفعًا استئنافًا بالفاء، [ويجوز أن يكون عطفًا علىٰ يقول بالفاء][(١)]، أي فهو يكون ونصبًا هنا وآل عمران، (فيكون ونعلمه) والنحل (فيكون) والذين هاجروا ومريم (فيكون) وإن الله ويس (فيكون) فسبحان والمؤمن فيكون ألم تر جوابًا للفظ (كن) بإضمار إن، وفيه نظر؛ لأنَّ كن ليس بأمر حقيقة؛ لأنَّه لا خطاب ثَمَّ؛ لأنَّ الخطاب لا يرد علىٰ الموجود؛ لأنَّ الموجود متكون، ولا علىٰ المعدوم، قالوا: لأنَّ المعدوم ليس بشيء، وإنما هو خبر تقديره: وإنما يقول له يكون فهو يكون، ومثله ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [الكهف:٢٦] ظاهره أمر ومعناه خبر، ويجوز أنَّه لمَّا كان مقدرًا حتما فكأنَّه موجود، فصح خطابه.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

تلخيصه: أن ما يتكون يحصل في الوجود سريعًا من غير توقف ولا إباء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: هم الجهلة المشركون [وأهل الكتاب][(١)]، ونفى العلم عنهم لعدم انتفاعهم به.

﴿لَوْلَا﴾: إذا دخلت على مستقبل كانت تخصيصًا، وإذا دخلت على الماضي كانت توبيخًا.

والمعنىٰ: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾: بأنَّك رسوله كما يكلم الملائكة.

﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ﴾: (كا) علامة دالة على صدقك، وهذا استهزاء منهم؛ لأنَّهم جاءتهم آيات فكذبوها كمن تقدمهم من الكفار.

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾: (كا) قلوب هؤلاء وقلوب من تقدمهم في العمى والقسوة كقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ﴾ [الذاريات:٥٣]، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ مجيء الآيات، وإلىٰ أنَّ من لم ينتفع بها شقي فقال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: (تا) أنها آيات يجب الاعتراف بها والإيمان، ثم أوضح الآيات فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي القرآن وشرائع الإسلام.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ﴾: (حس) حالان أي مبشرًا أوليائي ومنذرًا، أي مخوفًا أعدائي، لم نرسلك عبثًا وما عليك إلا البلاغ، روي أنَّه ﷺ قال: «**ليت شعري ما فعل أبواي فنزل** ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾» [(٢)].

القراءة: رفعًا نفيًا، والواو بعد استئنافية، أو عاطفة جملة علىٰ جملة ومحلها حال، أي أرسلناك بشيرًا ونذيرًا أو غير مسؤول، فعلىٰ هذا يكفي الوقف علىٰ ﴿وَنَذِيرًا ۖ﴾ ولا يحسن، وجزمًا نهيًا من الله تعالىٰ، فعلىٰ هذا أيضًا يكفي الوقف علىٰ ﴿وَنَذِيرًا ۖ﴾، وهذا تهويل لعذابهم، كما يقال لمن تسأل عنه وهو في هلكة: لا تسأل عن فلان، أي قد هلك.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٩).

وقرئ: (لن تُسْأل) وما تسأل.

﴿عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: (كا) كان يهود المدينة ونصارى نجران يسألونه الهُدنة، ويطمعونه في الإسلام فنزل:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: وإن بالغت في طلب رضاهم.

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾: (حس) دينهم وطريقتهم، وهذا إقناط لهُ ﷺ من طمعِهِ في إسلامهم، ثم بالغ في إقناطه بأن أمره أن يجيبهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾: الذي هو الإسلام.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾: الذي لا زيادة عليه وما تتخرصونه أنتم من عبادتكم الأصنام وغيرها، فإنما هو هَوىً، الدليل عليه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾: أي الإسلام وما فيه من الأحكام.

ومحل ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ نصب حال من ضمير ﴿جَآءَكَ﴾.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: (تا).

ونزل في الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، أوفي ابن سلام وأصحابه، أو [في][1] جميع المسلمين.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: صلته.

﴿يَتْلُونَهُۥ﴾: أي الكتاب حال مقدرة؛ لأنَّهم لم يكونوا تالين له وقت الإتيان.

---

(١) زيادة من جـ.

وتنصب ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: مصدرًا تقديره تلاوة حقًّا، فلما قدّم وصف المصدر عليه وأضيف إليه نصب نصب المصادر.

المعنىٰ: يقرؤونه ولا يغيرون ما فيه، ويتبعونه حق اتباعه، والهاء للنبي ﷺ، أي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم عنه.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ خبره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: (حس) والجملة خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: من المحرّفين.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: (تا) لاستبدالهم الضلالة بالهدىٰ.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا).

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: (كا).

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾: نصب بمضمر.

تلخيصه [ق/ ٢٩ب] ومعناه: واذكر وقت اختبار ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾.

القراءة: يجعل ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مفعولًا، ﴿ورَبُّهُۥ﴾ فاعلًا.

وقرئ: بجعل ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فاعلًا، ﴿ورَبُّهُۥ﴾ مفعولًا، فالابتلاء علىٰ هذا الدعاء والمسألة، ويكون الضمير في ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: لله تعالىٰ بأن أجاب مسألته، وعلىٰ القراءة لإبراهيم.

القراءة: ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ جميع ما في القرآن، وإبراهام جميع ما في هذه السورة، ومواضع أُخر جملتها ثلاثة وثلاثون موضعًا.

وقرئ: جميع ما في القرآن ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بكسر الهاء وضمها لغات كلها، وهو أعجمي وجمعه: أباره، أو براهم، أو براهمة أو أبارهة.

والكلمات: مناسك الحج وشرائع الإسلام، وهي قوله ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ...﴾ الآية [ق/ ٢٧جـ] [التوبة:١١٢] في التوبة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾ الآية [الأحزاب:٣٥] في الأحزاب، ومن ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُون...﴾ في «المؤمنون» الآيات العشر، أو هي الفطرة وهي: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء.

وهو أول من قص الشارب، واختتن، وقلم الأظافر، ورأىٰ الشيب في رأسه، أو ابتلىٰ بالكوكب والقمر والشمس، فأحسن فيها النظر، وعلم أنَّ ربه لا يزول أبدًا، وبالنَّار، وبالهجرة وبذبح ولده، وبالختان فصبر عليها، فثم الله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ﴾: يقتدىٰ بك في الدين.

وتعطف ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾: علىٰ الكاف في ﴿جَاعِلُكَ﴾، والمفعولان محذوفان، تقديره ومعناه: واجعل فريقا من أولادي إمامًا يقتدىٰ به بعدي؛ لأنَّ «جعل» هنا يتعدىٰ إلىٰ مفعولين.

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾: أي أماني من النَّار.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) المشركين، أو المعنىٰ من كان من ذريتك ظالمًا لا يناله ما عهدت إليك من النبوة والاستخلاف، وإنما يناله من كان بريئًا من الظلم، قالوا: في هذا دليل علىٰ أنَّ الفاسق لا يجوز أهلًا للإمامة، وكيف تجوز إمامة من لا يجوز حكمه ولا شهادته، ولا يقدم للصلاة، ولا يجب طاعته؟.

عن ابن عيينة: أنَّ الظالم لا يكون إمامًا قط؛ لأنَّ الإمام إنما هو لكف الظلمة، فكيف أن يكون ظالمًا.

وقرئ: (الظالمون) ؛ لأنَّ من نلته فقد نالك.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾: أي الكعبة ﴿مَثَابَةً﴾: مرجعًا يثوبون إليه، وأصل [الثوب][(١)]: الرجوع، وهي نصب مفعول ثان «لجعل»، وحالًا إن جعلت «جعل» بمعنىٰ وضع.

﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾: (حس) مأمنًا يأمنون فيه؛ لأنَّ المشركين ما كانوا يتعرضون [لأهل][(٢)] مكة، كقوله: ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، ولأنَّ رسول الله ﷺ حرّمه يوم فتح مكة، ونهىٰ عن عضد شجره، وتنفير صيده، والتقاط لقطته إلا لمعرفها، واختلاء خلاه إلا الإذخر[(٣)].

وقرئ: مثابات؛ لأنَّ لكل واحد مثابة لا تخصّ واحدًا دون غيره، كقوله: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥].

روي أنَّ عمر قال: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىٰ؟ فنزل: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾. القراءة: بكسر الخاء أمرًا استئنافًا، فعلىٰ هذا يحسن الوقف علىٰ (أمنا)، وبفتح الخاء ماضيًا عطفًا علىٰ (جعلنا)، فعلىٰ هذا لا يحسن الوقف علىٰ (أمنا)، أي واتخذ النَّاس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: (حس) موضع صلاة ومقام إبراهيم الحجر الذي [يصلىٰ][(٤)] عنده ركعتا الطواف، وهو الذي[ق/ ١٦أ] قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، وهو الذي اعتمد عليه برجله لمَّا غسل رأسه وهو علىٰ دابته لمَّا جاء زائرًا إسماعيل فلم يجده، ووجد امرأته فغسلت رأسه وضيّفته، فقال: اقرئ زوجك السّلام، وقولي: قد استقامت عتبة بابك فلا تغيرها، في الحديث: «**أن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، لولا ما مسته أيدىٰ المشركين لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب**»[(٥)]، أو هو جميع مشاهد الحج

---

(١) في جـ: التوبة، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: إلىٰ أهل، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في جـ: تصلي، والمثبت من أ، ب.

(٥) أخرجه الترمذي (٨٧٨)، وأحمد (٧٠٠٠)، وابن خزيمة (٢٧٣١)، وابن حبان(٣٧١٠)، والحاكم(١٦٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩٠١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

كعرفة ومزدلفة، أو جميع الحرم، ثم جاء مرة أخرىٰ فقال لإسماعيل: إنَّ الله أمرني ببناء بيت هنا أتعينني عليه؟ قال: نعم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: أي أمرناهما ﴿أَن﴾: أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: أي ابنياه علىٰ الطهارة والتوحيد، واجعلاه عريًّا من الأوثان والريب وقول الزور، أو بخراه وخلقاه.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: أي الدائرين حوله.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المتقين والمجاورين.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: (كـا) جمع راكع وساجد، وهم المصلون، أو الطائفون الغرباء، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: الأهلون.

عطاء(١): الطواف للغرباء أفضل [ق/ ١٩ جـ]، والصلاة للمكيين أفضل.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾: أي المكان ﴿بَلَدًا﴾: مفعول ثان لـ ﴿ٱجْعَلْ﴾.

وقوله: ﴿ءَامِنًا﴾: أي ذا أمن يأمن فيه أهله، أو أمنا فيه كليل نائم صفة بلد، أو [تبدل](٢) من قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: لأنَّهم لم يكن لهم ثمرة، قالوا: فنقلت الطائف من الشام، وجعلت مكانها الآن بدعاء إبراهيم ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: أي يوم البعث.

تلخيصه: وارزق المؤمنين من أهله خاصّة، ولمَّا خص إبراهيم المؤمنين بالدعاء بالرزق؛ لأنَّ بهم يقع الانتفاع والعبادة وهداية الخلق، رادًّا تعالىٰ عليه وعاطفًا علىٰ محذوف ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾: أي [وارزق](٣) من كفر.

﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾: أي أمد له ليتناول من لذات الدنيا إثباتًا للحجة، وأصل المتوع: الامتداد، ومنه متع النهار.

القراءة: بضم الهمزة مخففًا ومثقَّلًا بمعنىٰ فعلىٰ هذا (من) بمعنىٰ الذي، أو

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ١٦٦).
(٢) في جـ: يبدل، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: فارزق، والمثبت من أ، ب.

نكرة موصوفة محلها نصب بـ«ارزق» المقدرة، أو شرطية محلها رفع مبتدأ، وجواب الشرط محذوف، والخبر ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾، أو الجواب ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾: إلىٰ منتهىٰ أجله لأنَّه وعد تعالىٰ بالرزق كافة الخلق، وقيد بالقلة لأنَّ متاع الدنيا قليل لفنائه.

وقرئ: بسكون العين تخفيفًا، أو علىٰ زيادة الفاء وجعل (فَأُمَتِّعُهُۥ) جوابًا.

وقرئ: (فَأُمْتِعْهُ) أمرًا من إبراهيم، أي وأرزق الكافر شيئًا.

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾: أي ألجئه، وأصل الاضطرار عدم الامتناع عن الشيء [ق/ ٣٠ب] قهرًا.

القراءة: بضم الراء.

وقرئ: بفتحها ووصل الهمزة إذا ابتدأت أمرًا من إبراهيم أيضًا عطفًا علىٰ (أمتعه) أمرًا من إبراهيم، المعنىٰ ألجئه.

﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾: إلجاءً لا يمكنه الامتناع منه.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: (تا) المرجع تصير إليه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾: أي يبني.

﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: حكاية حال ماضية، القواعد: الأساس جمع قاعدة.

﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾: (كا) ولده عطف علىٰ إبراهيم، فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: بناءنا، ومحل «يقولان» المقدرة حال.

وقرئ: بإظهار «يقولان».

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لدعائنا.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (تا) بنيّاتنا، روي أنَّ البيت خلق قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء، فدحيت الأرض من تحتها، ولمَّا أهبط آدم إلىٰ الأرض أهبط إليه البيت المعمور ليأنس به، ويطوف حوله بباب شرقي وغربي علىٰ مواضع البيت، فحج آدم من الهند، وقيض الله ملكًا فأراه المناسك، وبقي في الأرض إلىٰ أيام الطوفان، فرفع إلىٰ السماء يدخله كل يوم سبعون ألف دحية[1]، مع كل دحية سبعون ألف ملك، واسمه ضراح وهو في السماء الرابعة، والكعبة بحياله علىٰ قدره ومثاله، وأول من بنىٰ الكعبة آدم ثم إبراهيم، أو أنَّه بقي موضع البيت المعمور بعد رفعه خاليًا إلىٰ أن بنىٰ إبراهيم وإسماعيل الكعبة موضعه قائلين: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: أي مطيعين خاضعين، أسلم له وسلم واستسلم: خضع وانقاد، و﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ مفعول ثان لـ﴿جْعَلْنَا﴾ جعلنا.

وقرئ: ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ جمعًا أرادهما وهاجر، وجوز بعضهم أن تكون «من» في ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: لابتداء غاية الجعل، فيكون مفعولًا ثانيًا وتجعل: ﴿أُمَّةً﴾: جماعة مفعولًا أولًا وتجعل: ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: خاضعة صفة أمة.

القراءة: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: جمع منسك بفتح السين وكسره، وهي شرائع الدين وأعلام الحج ومتعبداته، وأصل النسك: العبادة بسكون الراء، وباختلاس كسرتها وبكسرها.

وقرئ: (وأرهم مناسكهم).

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ﴾: أي تجاوز عن تفريطنا في الصغائر، أو استتاباه لذريتهما لأنَّه ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا).

---

(١) جاء في حاشية أ: رئيس الجند ومقدمهم كأنَّه من دحاه يدحوه إذا بسطه ومهده.

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾: أي في جماعة الأمة المسلمة من أولادهما، أو هم أهل مكة.

﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾: يعنىٰ محمدًا ﷺ كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة مع محمد عليهم الصلاة والسّلام أجمعين.

﴿يَتۡلُواْ﴾: أي يقرأ.

﴿عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾: جمع آية، وهي كلام متصل إلىٰ انقطاعه.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي القرآن.

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: أي مواعظه وما فيه من الأحكام، أو هي العلم والعمل.

﴿وَيُزَكِّيهِمۡۖ﴾: يطهرهم من الذنوب، ويشهد لهم بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: أي الذي يقهر ولا يناله شيء لعزته، وأصل العزة والعز: الشدة والامتناع.

(ٱلۡحَكِيمُ): (تا)ثم استفهم منكرًا بقوله:

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَمَن﴾: رفع مبتدأ خبره.

﴿يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ﴾: أي بترك شريعة.

﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: أصل الرغبة السعة في الشيء، [فإذا][1] قيل: رغب فيه وإليه اقتضىٰ الإرادة والحرص عليه، وإذا قيل: رغب عنه اقتضىٰ الزهد فيه.

---

(١) في جـ: وإذا، والمثبت من أ، ب.

وموضع ﴿إِلَّا مَن﴾: نصب استثناء، أو رفع بدل من الضمير في يرغب وجاز البدل؛ لأنَّ من يرغب غير موجب، كقولك: هل جاءك أحد إلا زيد؟

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: نصب مفعول سفه؛ لأنَّ سفه هنا بمعنىٰ جهل، في الحديث: «**الكبر أن تسفه الحق وتغمط النَّاس**»[1]، وكل من عبد غير الله فقد جهل نفسه.

وروي من عرف نفسه فقد عرف ربه، وأوحي إلىٰ داود: اعرفني واعرف نفسك، فقال: يا رب وكيف أعرفك وأعرف نفسي؟ [فقيل][2]:اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء، أو نصب بحذف حرف الجر، أي سفه في نفسه كقولك: زيد ظني مقيم، أو تمييز كقولك: ألم رأسه وغبن رأيه، وأصل السفه الخفة.

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ صلاح إبراهيم وكرامته عليه، وإلىٰ خطأ من رغب عن ملته بقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾: أي اخترناه.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: (كا) بالوحي والدين.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: أو تقديره اخترناه في الدارين، وأنَّه من الصالحين، ولا تقف هنا إن نصبت ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: (كا) أي استقم علىٰ الإسلام، واثبت عليه؛ لأنَّه كان مسلمًا، أو أسلم نفسك إلىٰ الله، وفوض أمورك إليه ظرفًا لـ﴿ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾، أي اخترناه في ذلك الوقت، ويكفي إن نصبته بـ«اذكر» مقدرة.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾: أي فوضت أموري.

﴿لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: (تا) وحقق ذلك حيث لم يستعن بأحد حين ألقي في النَّار.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾: أي بالملة، أو بكلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله، أو بقوله: ﴿أَسْلَمْتُ...﴾ الآية.

---

(١) أخرجه مسلم(٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في جـ: فقال، والمثبت من أ، ب.

﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾: الثمانية إسماعيل وإسحاق، قالوا: ومدين ومداين وزمران ويقشان ويشبق وشوخ.

القراءة: (أوصىٰ) بألف مخففًا وبغير ألف مشددًا، وأصل الوصية: الأمر والتقدم إلىٰ غيرك متصلًا بوعظ، ومنه تواصىٰ النبات: اتصل بعضه ببعض، وأرض واصية: متصلة النبات.

﴿وَيَعْقُوبُ﴾: (حس) رفع عطف علىٰ إبراهيم؛ لأنَّه أوصىٰ بنيه الاثني عشر كما وصىٰ إبراهيم بنيه الثمانية.

وقرئ: (يعقوب) نصبًا تقديره: وصىٰ بنيه ووصىٰ يعقوب أيضًا، وخص يعقوب بالذكر لأنَّه ابن ابنه، فكأنَّه خصه وحده بوصية، وأوصاه وصية أخرىٰ مع بنيه فقال:

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾: أي اختار.

﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: أي الإسلام.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾: ومحل ﴿وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: (كا) موحدون نصب حال، العامل فيها الفعل قبل إلا، وهذا نهي في الظاهر عن الموت، وفي الحقيقة عن ترك الإسلام، إذ الموت ليس إليهم، والمعنىٰ داوموا علىٰ الإسلام حتىٰ لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون.

تلخيصه: لا يوجد موتكم إلا علىٰ حال كونكم ثابتين علىٰ الإسلام، أو مسلمون محسنون الظن بربكم، قال ﷺ: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»**[1]، ثم جاء بـ﴿أَمْ﴾ المنقطعة بمعنىٰ الهمزة إنكارًا علىٰ اليهود، حيث قالوا للنبي ﷺ: **ألست تعلم أن يعقوب [ق/ ٣١ب] يوم مات أوصىٰ بنيه باليهودية**[2].

---

(١) أخرجه مسلم(٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي(١/ ٢٨١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧١).

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾: أي أكنتم.

﴿شُهَدَآءَ﴾: جمع شهيد بمعنىٰ الحاضر، ولم ينصرف شهداء لأجل ألف التأنيث، والمعنىٰ ما كنتم حاضرين.

﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أي أماراته وقرب منه، وزعم بعضهم إنما تكون ﴿أَمۡ﴾ منقطعة إذا كان الخطاب للمؤمنين، يعنىٰ أنَّ المؤمنين لم يحضروا يعقوب، وإنما علموا وصية يعقوب من حيث الوحي، وإذا كان الخطاب لليهود كان الوجه اتصال ﴿أَمۡ﴾، ويقدّر قبلها محذوف تقديره: أتدعون علىٰ الأنبياء اليهودية، أم كنتم شهداء عند موت يعقوب.

وقرئ: (حضِر) بكسر الضاد لغة.

وقوله: ﴿إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ﴾: بدل من ﴿إِذۡ﴾ قبلها العامل فيهما ﴿شُهَدَآءَ﴾، وروي أنَّه لمَّا دخل يعقوب مصر ورآهم يعبدون النَّار خاف علىٰ ولده فقال: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾: أي بعد موتي، و﴿مَا﴾ استفهامية نصب بـ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ تعبدون، وما تعم العقلاء وغيرهم، أو «ما» هنا بمعنىٰ «من»، ويدل عليه أن ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾: لأنَّ الجواب علىٰ وفق السؤال.

وقوله: ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾: عطف بيان لـ﴿آبائك﴾، أو بدل، وعد إسماعيل أبًا وإن كان عمًّا؛ لأنَّ العرب تسمىٰ العم أبًا، والخالة أمًّا.

وقرئ: (وإله أبيك) فيكون مفردًا لفظًا، جمعًا معنىٰ، أو مفردًا لفظًا ومعنىٰ، فيكون إبراهيم وحده علىٰ هذا عطف بيان، أو جمع جمع السلامة، وحذفت النون

للإضافة كقوله: (وفدينا بالأبينا)[1] [ق/ ١٧أ].

وقرئ: (إله إبراهيم) بطرح (آبائك).

وقوله: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: (كا) بدل من ﴿إله آبائك﴾.

وإن نصبت ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: (حس) حالًا من فاعل ﴿نعبد﴾، أو مفعوله لم تقف على ﴿وَٰحِدًا﴾ وإن جعلتها [ق/ ٢٠جـ] جملة مستأنفة وقفت على ﴿وَٰحِدًا﴾، وكذا الكلام على ﴿مُسْلِمُونَ﴾ الثانية، ثم أشار إلى إبراهيم وأولاده المذكورين الموحدين إسماعيل وإسحاق ويعقوب بقوله:

﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ [خبره][2] ﴿أُمَّةٌ﴾: أي جماعة، ويقال للواحد: أمة.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾: أي مضت.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من الأعمال جملة مستأنفة، أو حال من ضمير ﴿خَلَتْ﴾.

﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (تا).

تلخيصه: لا يسأل أحد إلا عن عمله حسب.

قالت اليهود للمسلمين: لا دين إلا ديننا، [فكونوا][3] معنا، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت النصارى للمسلمين كذلك، وكفروا بموسى والتوراة، فنزل إخبارًا عن الطائفتين: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾: (حس) فقال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ﴾: أي نكون ملة أي من أهل ملة، أو بل نتبع ملة. ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾: نصب مدح، أو حال تقديره: بل نتبع إبراهيم حنيفًا.

وقرئ: ﴿ملةُ﴾ رفعًا أي ملتنا ملة إبراهيم، أو أمرنا ملة إبراهيم.

والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الإسلام، وأصل الحنف: الميل،

---

(١) الشاعر هو زياد بن واصل السلمي، والشعر بتمامه:

فلما تبين أصواتنا بكين وفدينا بالأبينا

انظر «الكتاب» (٣/ ٤٠٦)، و«خزانة الأدب»(٤/ ١٠٨).

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) في جـ: وكونوا.

هذا هو المشهور عند أكثر أهل اللغة، وأنشد:

ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيفًا ديننا عن كل دين

وعن الرياشي: أنَّ الحنيف المستقيم، والمعنىٰ أنَّه كان مستقيم الدين.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (تا) وهذا توبيخ لكفار أهل الكتاب؛ لأنَّهم كانوا يدّعون أنهم علىٰ ملته وهم علىٰ الشرك، روي أنَّ أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية، فقال ﷺ: «**لا تصدقونهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وحده**»، فنزل خطابًا للمؤمنين، وجوز بعضهم أن يكون خطابًا للكافرين:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾: أي القرآن.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: من صحفه العشر إلىٰ ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: جمع سبط وكانوا اثني عشر سبطًا كلهم أولاد يعقوب، سموا بذلك لأنَّ كل واحد منهم ولد جماعة، والأسباط من بني إسرايل كالقبائل من العرب، والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء فلذلك قال: وما أنزل إليهم.

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: أي أعطي.

﴿ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾: من الكتب والآيات.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كفعل أهل الكتاب؛ لأنَّ تصديق الكل واجب، وأصل التفريق بينونة الشيء عن غيره، ويكون ﴿أَحَدٍ﴾ بمعنىٰ الجمع، كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٧]، أو المعنىٰ لا نفرق بين أحد وآخر، فحذف آخر لدلالة «بين» عليه لأنَّ «بين» لا تكون إلا لاثنين فما زاد وكذلك التفريق.

تلخيصه: نؤمن بالله وجميع كتبه ورسله.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: (كا)، الحسن: علموا أولادكم وأهاليكم وخدمكم أسماء الأنَّبياء الذين ذكروا في القرآن؛ ليؤمنوا بهم وبما جاؤوا به لقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾ الآية.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ﴾: أي بما ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: بزيادة مثل.

وقرئ: بها وتكون «ما» بمعنىٰ الذي علىٰ هذا.

وقرئ: (بالذي آمنتم به)، أو الباء زائدة، ومثل صفة محذوف، وما مصدرية، تقديره إيمانًا مثل إيمانكم والهاء لله، أو للقرآن، أو محمد ﷺ، ويجوز أن يقال للجميع، أو الباء للاستعانة ككتبت بالقلم، المعنىٰ علىٰ هذا فإن دخلوا في الإسلام بشهادة مثل شهادتكم.

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾: (حس).

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا عما تدعونهم إليه من الإيمان.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ﴾: أي خلاف وعداوة، أخذ كل واحد في شق غير شق صاحبه، ثم ضمن تعالىٰ له تتمة أمره بقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾: أي يكفيك يا محمد شر اليهود والنصارىٰ، وقد كفي بإجلاء النضير، وقتل قريظة، وضرب الجزية علىٰ اليهود والنصارىٰ، والفاء عاطفة لنظم معنىٰ الكلام، ومعنىٰ السين أنَّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلىٰ حين، لأنَّها للطلب والوعد، ثم أوعدهم ووعد نبيه ﷺ بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ولدعائك.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (تا) بأحوالهم وبمرادك، فيجازي كلًّا ما يشاء.

﴿صِبْغَةَ﴾: أي دين.

﴿ٱللَّهِ﴾: (حس) وانتصابها مصدر مؤكد عند سيبويه، أو إغراء، أي ألزموا، أو بدل من ملة إبراهيم، فعلىٰ هذا لا يتم [ق/ ٣٢ب] الوقف علىٰ (العليم)، والصبغة

فعلة من الصبغ، كالجلسة من جلس، وسمي الدين صبغة لظهوره علىٰ الإنسان كظهور الصبغ علىٰ الشيء، أو الصبغة الختان؛ لأنَّه يصبغ صاحبه بالدم، لأنَّهم كانوا يغمسون أولادهم في اليوم السابع في ماء أصفر يسمونه المعمودية بدل الختان، ويقولون: الآن صار نصرانيًّا حقًّا، فأخبر تعالىٰ أنَّ دينه الإسلام لا ما يفعله النصارىٰ.

وحسن الوقف هنا لأنَّ ﴿وَمَنْ﴾ مبتدأ خبره ﴿أَحْسَنُ﴾، ومحل ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: نصب وتنصب ﴿صِبْغَةً﴾: أي دينًا، أو تطهيرًا تمييزًا.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ قُلْ﴾: (تا) مخلصون عطف علىٰ ضمير (آمنا).

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾

القراءة: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: بنونين.

وقرئ: بواحدة إدغامًا، والمحاجة: المجادلة ودعوىٰ الحق وإقامة الحجة علىٰ ذلك من كل واحد، وأصلها القصد والوضوح، ومنه الحج، وحج الجرحَ كشفه بالميل.

والمعنىٰ: أتجادلوننا يا أهل الكتاب؟ ﴿فِى ٱللَّهِ﴾: ويقولون: لِمَ خصَّ بالنبوة محمدًا من بين العرب ونحن أحق بها منه؟!

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: أي نحن وأنتم في الله، وفي اصطفائه سواء، لا حكم لنا في شيء، يختص برحمته من يشاء كما يشاء.

﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: لأنَّه عادل، والمراد جزاء الأعمال، ثم أومأ إلىٰ سبب استحقاقهم الكرامة بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾: (كا) موحدون، وأنتم

به مشركون، ومن كان مخلصًا كان أهلًا لكرامته، والخالص كالصافي معنىٰ، إلا أنَّ الخالص هو ما زال عنه شوبه بعدما كان فيه، مأخوذ من خلصت الشيء من الشيء أبنته عنه، والصافي يقال لما لا شوب فيه.

والإخلاص: تصفية الأعمال من الشرك والرياء، أو ترك العمل لأجل النَّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص المعافاة منهما، ثم استفهم منكرًا بقوله: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ﴾: القراءة: بالتاء خطابًا معادلة للهمزة في ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، المعنىٰ: أيَّ الأمرين تأتون المحاجة أم ادعاء غير الإسلام علىٰ الأنبياء - عليهم الصّلاة والسلام.

وبالياء ردًا علىٰ ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾، وجوَّز بعضهم أن تكون أم هذه منقطعة بمعنىٰ بل، والهمزة للإنكار أيضًا، وإذا قرئت بالياء غيبة فلا تكون إلا منقطعة.

تلخيصه: بل أتقولون: إن المذكورين ﴿كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾: (كا) فأمر تعالىٰ نبيه ﷺ أن يقول مستفهمًا منكرًا رادًّا عليهم: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾: (تا) لأنَّه أخبر أنَّ إبراهيم كان حنيفًا وما كان من المشركين، وأم هذه موصولة، و﴿أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ مبتدأ خبره محذوف، تقديره أعلم، ثم زادهم إنكارًا وتبكيتًا بقوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أي أخفىٰ يتعدىٰ كتم إلىٰ مفعولين، تقديره كتم الناس.

﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾: (حس) ومن هنا كمن في ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١]؛ لأنَّها ثَمَّ نعت لبراءة، ولذلك حسُن الابتداء ببراءة.

المعنىٰ: أنهم علموا أنَّ إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأنَّه شهد لإبراهيم بالحنيفية، ولمحمد أنَّه رسول حق، وأشهدهم علىٰ ذلك في كتبهم.

ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ﴾: (تا).

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (تا) (حزب) لمَّا طعن مشركو مكة واليهود في تحويل القبلة نزل:

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣ ﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: أي الجهال، أو هذا إخبار قبل قولهم ليكون أثبت للنفوس عند سماع قولهم، فلا تتأثر به.

ومحل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: [نصب](1) حال عاملها يقول: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أي صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾: [هي](2) بيت المقدس.

﴿ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾: (كا) علىٰ اعتقادها والتوجه إليها ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾: بما فيهما.

المعنىٰ: أنكم تصلون إلىٰ الكعبة وهي بالشرق، وإلىٰ بيت المقدس وهو بالغرب وكلها له.

﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: هدايته.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا) فيوجهه تارة إلىٰ مكة، وتارة إلىٰ بيت المقدس، لا اعتراض عليه؛ لأنَّه المالك وحده، ولمَّا قالت اليهود لمعاذ: قبلتنا قبلة الأنبياء، وما تركها محمد إلا حسدًا، وأنَّه يعلم أنا عدل بين الناس، فقال معاذ: نحن علىٰ حق وعدل نزل: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾(3): محل الكاف نصب صفة مصدر محذوف، تقديره ومعناه: ومثل ذلك الجعل الصالح الذي جعلنا إبراهيم وذريته.

﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: خيارًا عدلًا؛ لأنَّ خيار الشيء وسطه، لأنَّ الأطراف

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) في ج: وهي، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٨٩).

قد يتسارع إليها الفساد، ويقال للخيار: وسط أيضًا وهذا وصف بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوىٰ فيه الذكر والأنثىٰ والمفرد والجمع، أو أهل دين وسط بين الغلو والتقصير؛ لأنهما مذمومان.

الوسط بالتحريك: الكمية المتصلة كالجسم، تقول وسطه صلب، وبالسكون لشيء يفصل بين جسمين، كقولهم: جلس وسط القوم، ووسط القوم كذا(١).

تلخيصه: ما صلح موضعه بين فهو مسكن، وما لم يصلح فهو محرك، وربما سكن وليس بمختار، ثم علل جعلكم وسطًا فقال: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يوم القيامة أنَّ الرسل قد بلغتهم.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾: أي محمد ﷺ.

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: (تا) معدلًا مزكيًا لكم، ولم يقل لكم شهيدًا وشهادته لهم لا عليهم؛ لأنَّه لمَّا كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء [ق/ ٢١جـ] كقوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧] وأخرت صلة الشهادة أولًا؛ لأنَّ الغرض إثبات شهادتهم علىٰ الأمم، وقدمت أخيرًا تخصيصًا لهم بشهادة الرسول عليهم، في الحديث: «**أنه يقال للكفار يوم القيامة: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول الأنبياء: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة وهو أعلم إقامة للحجة عليهم، فيؤتىٰ بأمة محمد ﷺ فيشهدون للأنبياء بالتبليغ، فتقول الأمم: من أين علموا وقد جاؤوا بعدنا؟! فتسأل أمة محمد عن ذلك فتقول: إنَّك أرسلت إلينا رسولًا، وأنزلت إلينا كتابًا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق، ثم يؤتىٰ بمحمد ﷺ، فيزّكي أمته ويشهدوا بصدقهم**»(٢)، كان ﷺ بمكة أولًا يصلي إلىٰ الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلىٰ الصخرة

---

(١) جاء في حاشية أ: يقال : حفرت وسط الدارين بفتح السين وإسكانها، من فتح السين جعل وسط مفعولًا به ونصب الدارين حالًا، ومن سكن السين جعل وسط ظرفًا ونصب الدارين مفعولًا به.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بعد الهجرة تألفًا لليهود، ثم بالصلاة إلىٰ الكعبة.

ابن عباس(١): كانت قبلته بيت المقدس، إلا أنَّه كان يجعل الكعبة بينه وبينه، ثم أمر بالصلاة إلىٰ الكعبة فافتتن بذلك قوم فنزل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾: المفعول الأول والثاني.

﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾: وبعضهم يجعل الثاني محذوفًا، ويجعل ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ صفة المحذوف، تقديره: وما جعلنا القبلة القبلة التي كنت.

المعنىٰ وما رددناك إلىٰ القبلة التي أنت عليها الآن ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾: فيوافقه ويصدقه.

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ﴾: أي يرجع ناكصًا ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: (كا) فيرجع عن الإسلام [ق/ ٣٣ب]، والمراد العلم المتعلق به الجزاء، وذلك لا يتعلق إلا بما يوجد من العامل، أو المراد بالعلم التمييز، أي ليتميز التابع من الناكص، أو المراد علم الرسول ﷺ وأصحابه وأضافهم إليه تشريفًا لهم.

وقرئ: (إلا لِيُعْلَمَ) مجهولًا و(عقْبيه) بسكون القاف، أو المعنىٰ: وما جعلنا القبلة التي أنت عليها الآن ثابتة أبدًا غير منسوخة إلا لنعلم الثابت علىٰ الإسلام من الناكص عنه علىٰ عقبيه.

تلخيصه: لم نفعل ذلك إلا امتحانًا لهم وإيجابًا للحجة عليهم؛ لأنَّه سبق في علمه تعالىٰ أنَّ تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين، ولقد ارتد جماعة عن الإسلام عند تحويل القبلة.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾: التحويلة، أو القبلة، أو الصلاة وإن هي المخففة، واللام في ﴿لَكَبِيرَةً﴾: أي ثقيلة شديدة عوض من اسمها، أو فارقة بينها وبين المشددة، وزعم بعضهم أنّ (إن) بمعنىٰ (ما)، واللام بمعنىٰ (إلا)، ويأبىٰ ذلك القياس والسماع.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٣٣).

وقرئ:(لكبيرة) رفعًا على زيادة كان، والأصل إن هي لكبيرة كقولك: إن زيد لمنطلق.

وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: (حس) هم التائبون المخلصون متعلق بـ«كبيرة»، ودخلت إلا للمعنى ولم تغير إعرابًا، ولمَّا توجه ﷺ إلى الكعبة قال المسلمون: فكيف يا رسول الله بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى الصخرة؟ نزل لطفًا بهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: (كا) صلاتكم؛ لأنَّ الصّلاة لا تكون إلا بالإيمان، ويُستدل بهذا أنَّ العمل من الإيمان، وقال: صلاتكم خطابًا، وأراد صلاة الأحياء والأموات تغليبًا للأحياء الحضور على الأموات.

وقرئ: (ليضيّع) مشددًا، ضاع الشيء ضياعًا: هلك، وأضعته وضيعته: أهلكته، ولام ﴿لِيُضِيعَ﴾ متعلقة بخبر كان المحذوف تقديره ومعناه: وما كان الله مريدًا لأنَّ يبطل صلاتكم وصلاة أمواتكم إلى بيت المقدس، ثم علل ذلك بكسر الهمزة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: (تا) القراءة: لرءوف [بهمزة][1] من غير واو بعدها، وبهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة لغتان من الرأفة بمعنى الرحمة، إلا أنها أشد من الرحمة فلذلك جمع بينهما، فمن عمّ أراد رحمته إياهم في الخلق والرزق والصحة، ومن خص أراد رحمته للمؤمنين خاصة.

ولمَّا هاجر ﷺ إلى المدينة أحب التوجه إلى الكعبة مصليًا، فجعل ينظر إلى السماء رجاء أن ينزل عليه الوحي بالتوجه إليها؛ لأنها قبلة إبراهيم ومفخر العرب وأمنهم نزل:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ

(١) في جـ: بالهمزة، والمثبت من أ، ب.

وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ﴾

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾: هذا مستقبل لفظًا ماضٍ معنىٰ ومتأخر تلاوة متقدم معنىٰ؛ لأنَّه رأس القصة، وأول ما نسخ أمر القبلة.

والمعنىٰ: شاهدنا وعلمنا تردد وجهك وتصرف نظرك.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾: أي في جهتها.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: فلنعطينك.

﴿قِبۡلَةٗ﴾: ونمكننك منها من وليته كذا جعلته واليًا عليه، أو لنحولنك إلىٰ قبلة تلي سمتها دون غيرها.

﴿تَرۡضَىٰهَاۚ﴾: أي تحبها وتهواها.

﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾: أي استقبل بوجهك.

﴿شَطۡرَ﴾: نصب ظرف؛ لأنَّه بمعنىٰ الناحية، والشطر: نصف الشيء ووسطه شطر عنه أبعد، وشطر إليه: أقبل شطرًا وشطورًا.

وقرئ: (تلقاء).

﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: أي المحرَّم، والمراد الكعبة، وفي ذكره المسجد الحرام دون الكعبة دليل أنَّ الواجب استقبال الجهة دون العين خصوصًا في حق من بعُد، والمسجد بالكسر موضع السجود، وللذي يصلىٰ فيه شاذًا قياسًا لا استعمالًا، وبالفتح المصدر؛ لأنَّ ما كان علىٰ فعل يفعل كجلس يجلس، فالموضع بالكسر والمصدر بالفتح فرقًا بين المصدر والاسم، وما كان علىٰ فعل يفعل كسجد يسجد فالمفعل منه بالفتح مصدرًا كان أو اسمًا، إلا ما شذ قياسًا كالمسجد والمشرق والمغرب والمطلع والمسكن، وقد سمع فيها، وفي الذي يصلىٰ فيه وموضع السجود الفتح.

﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ﴾: أي تكونوا من بر وبحر، وأين وجدت حيثما يجوز أن يكون شرطًا وغير شرط، ولا تكون شرطًا مع غيرها، فإن جعلتها هنا شرطًا فجوابه ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: مصلين.

﴿شَطۡرَهُۥۗ﴾: ونزل تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل بدر بشهرين، والنبي ﷺ في مسجد بني سلمة، وقد صلىٰ ركعتين من الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، وجعل النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، فسمي ذلك المسجد ذا القبلتين، أو كان خارج الصلاة بين الصلاتين، ووصل الخبر إلىٰ أهل قباء[١] وهم في صلاة الصبح، وكانت وجوههم نحو الشام، فاستداروا نحو الكعبة، فثَمَّ قال اليهود: هذا شيء يبتدعه محمد من تلقاء نفسه فنزل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي التحويل إلىٰ الكعبة.

﴿ٱلۡحَقُّ﴾: الثابت.

﴿مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا﴾: (كا) لأنَّه كان في بشارة أنبيائهم أنَّه يصلي إلىٰ القبلتين[٢].

القراءة: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾: (تا) بالتاء والياء، لمَّا قالت اليهود والنصارىٰ ائتنا بآية علىٰ قولك يا محمد، نزل بلام موطئة لقسم محذوف، وهي متصلة بحرف الشرط في قوله: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ﴾: أي معجزة وبرهان علىٰ صدقك في أمر القبلة وغيرها، وجواب القسم: ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾: وقد سد مسدّ جواب الشرط، أو جواب الشرط (ما تبعوا) فهو ماضٍ بمعنىٰ المستقبل أي ما يتبعوا؛ لأنَّ جواب الشرط إنما هو بالمستقبل، وحذفت الفاء من الجواب؛ لأنَّ فعل الشرط ماضٍ، والفراءُ يشبه (إن) هنا بلو، فلذلك أجيب بما؛ لأنَّ كل واحد منهما لا يتم أوله إلا بآخره، وفيه بُعد؛ لأنَّ أن للمستقبل، ولو للماضي.

(١) في هامش أ: قبا يمد ويقصر، وتصرف ولا تصرف.
(٢) انظر «العجاب في بيان الأسباب» (٣/ ٣٩٤).

المعنىٰ: إنَّ الكفار كلهم لا يتبعون قبلتك أو هذا مخصوص بدليل إسلام من أسلم منهم.

ولمَّا طمعوا في عودته ﷺ إليهم آيسهم تعالىٰ من ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾: (حس) لأنك علىٰ الحق، وقبلتك غير [منسوخة][١] أبدًا.

وقرئ: (بتابع قبلتهم) إضافة، ووحدت القبلة، وإن كان لكل طائفة قبلة [لاتحادهما][٢] في البطلان، ثم أومأ إلىٰ افتراقهم مع اتفاقهم علىٰ مخالفته ﷺ [بقوله][٣]: ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾: (حس) لأنَّ كل طائفة تعتقد أنَّ الحق دينها، ثم خوطب ﷺ والمراد غيره، أو علىٰ سبيل الفرض حسمًا لطمعهم في عوده إليهم بقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾: مرادهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ﴾: أي وصل إليك ﴿مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: اليقين بأمر القبلة وشرائع الإسلام ﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: (تا) .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾

وتم الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ وخبره: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾: أي محمدًا أنَّه نبي حق [بما][٤] شاهدوه في كتبهم.

﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾: وإن جعلت ﴿الذين﴾ بدلًا من ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أو ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾، و﴿يعرفونه﴾ علىٰ هذا حالًا لم تقف علىٰ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ابن سلام: لقد عرفت محمدًا حين رأيته كمعرفتي ابني، ومعرفتي له أشد من

(١) في جـ: منسوخ، والمثبت من أ.
(٢) في جـ: لاتحادهم، والمثبت من أ.
(٣) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.
(٤) سقط من جـ، والمثبت من أ.

معرفتي ابني؛ لأنَّ نعته في كتابنا، وما أدري ما تفعل النساء، أو الهاء في ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ للقرآن، أو للمسجد، أو لتحويل القبلة [ق/ ٣٤ب]، أو للعلم واختاره بعضهم لقربه ولتضمنه النبوة والقرآن والقبلة قال: ولو كان للنبي لقال: يعرفونك، والصحيح أنَّه لمحمد ﷺ لحديث ابن سلام بعد.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾: أي من جهالهم ومعانديهم.

﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: أي نعته ﷺ وأمر القبلة.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿ٱلْحَقُّ﴾: مبتدأ خبره ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: واللام على هذا للعهد والإشارة إلى ما عليه محمد ﷺ أو للجنس.

المعنى: أنَّ الحق من الله لا من غيره، أو خبر مبتدأ، أي هذا الحق، ومحل ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ على هذا حال.

وقرئ: (الحقَّ) نصبًا بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، أو بدلًا من (الحق) معمول يكتمون، فعلى هذين التقديرين لا وقف على ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [ق/ ٢٢جـ].

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: (تا) الشاكين فيما أخبرت به.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: أي قبلة.

وقرئ: بها والوجهة والجهة بمعنى المتوجَّه إليه.

والضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾: لـ«كل» وفي ﴿مُوَلِّيهَا﴾: أي مستقبلها [للوجهة][1]، يقال: وليته ووليت إليه أقبلت عليه، ووليت عنه أدبرت عنه، وأصل التولية: الانحراف والميل. **المعنى**: أنَّ لكل فريق قبلة [ذلك][2] الفريق موليها وجهة للعلم به، أو هو الله تعالى أي الله موليها إياه.

(١) في جـ: للوجه، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: وذلك، والمثبت من أ، ب.

القراءة: (مولاها) بألف بعد لام مشددة مجهولًا معدىٰ إلىٰ مفعولين، الأول ضمير مستتر في (مولاها) يرجع إلىٰ (هو)، والثاني ها ضمير الوجهة، وبياء بعد اللام الفاعل ضمير مستتر في [(موليها)][1] يرجع إلىٰ (هو)، والمفعول الأول هاء، والثاني محذوف، تقديره: هو موليها إياه.

وقرئ: (ولكلِّ وجهة) إضافة، أي وكل وجهة الله موليها، واللام زائدة، وحسنت زيادتها لتقدم المفعول، كقولك: لزيد ضربت.

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: (حس) أي بادروا إلىٰ الفعلات الفاضلات، وهي الطاعات.

﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ﴾: أنتم وأعداؤكم.

﴿يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾: فيجازيكم بأعمالكم.

﴿جَمِيعًاۚ﴾: (حس).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: (تا).

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ﴾: أيْ: أيِّ مكان.

﴿خَرَجۡتَ﴾: لسفر.

﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾: (كا).

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي التولي.

---

(١) في جـ: مولاها، والمثبت من أ، ب.

﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: (كا).

﴿تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: (تا): القراءة: بالتاء والياء، والتكرير لتأكيد النسخ [لنعلم][1] أنَّ ذلك عزمة لابد من فعلها، ثم أومأ إلىٰ علمه ذلك، وفي الكلام حذف تقديره: فعلنا ذلك. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: إذا توجهتم إلىٰ غيرها فيقولوا: ليست لهم قبلة، فحجة رفع اسم كان وخبرها ﴿لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ﴾ صفة ﴿حُجَّةٌ﴾ مقدمة عليها منصوبة حالًا.

وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾: استثناء من الناس وهم اليهود ومشركو العرب، والمراد بالحجة: الاعتراض والمجادلة [ق/ ١٩أ]، لا الحجة حقيقة، والمجادلة الباطلة قد تسمىٰ حجة كقوله: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورىٰ:١٦].

المعنىٰ: لا يعترض عليكم أحد في شأن القبلة إلا هؤلاء، أو الاستثناء من الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾، فيكون **المعنىٰ**: الحجة علىٰ الظالمين لا عليكم، أو الاستثناء منقطع؛ لأنَّه لم يكن لأحد عليكم حجة، فعلىٰ هذه الأقوال لا أحب الوقف [ق/ ٣٥ب] علىٰ ﴿حُجَّةٌ﴾، ولا علىٰ ﴿مِنْهُمْ﴾ وإن زعمه بعض لاتصال الكلام، ولأنَّه كلام واحد صادر من واحد وعن زيد بن عليّ [بن أبي طالب][2]: (ألَا الذين ظلموا) بتخفيف إلا وفتحها تنبيهًا ووقف علىٰ ﴿حُجَّةٌ﴾ ثم ابتدأ مستأنفًا: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: [أي][3] [فلا][4] تخافوهم في توجهكم إلىٰ الكعبة وتظاهرهم عليكم.

---

(١) في ب، جـ: ليعلم، والمثبت من أ.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٤) في جـ: لا، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾: بامتثال أمري فإني ناصركم، ثم عطف على ﴿لِئَلَّا﴾ قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾: بهدايتي إياكم إلى الكعبة وغيرها، ومن تمام النعمة الموت على الإسلام، في الحديث: «**من تمام النعمة دخول الجنة**»(١)، اللهم أدخلنا الجنة منعمين، ثم عطف على ما تقدم قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾: (تا) من الضلالة، ولعل وعسى واجبتان من الله تعالى؛ لأنهما للرجاء والإطماع، والكريم لا يطمع إلا فيما يفعل.

تلخيصه: كان النسخ لنفي الحجة ولإتمام النعمة وللهداية، أو تقديره: واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم ولأهديكم، وتم الوقف هنا لأنَّ ﴿كَمَآ﴾ متعلق بـ﴿اذكروني﴾، تقديره فاذكروني. ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾: ولم تمنع الفاء من ذلك كما لا تمنع في باب الشرط قالوا: ومثله في التعلق قولك: كما زيد محسن فأحسن إليه، و(ما): مصدرية، ومحل الكاف نصب محذوف.

تلخيصه: ذكرًا مثل إرسالي، فعلى هذا لا وقف على ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ بعد، وإن علقت الكاف بما قبله لم تقف على ﴿تَهۡتَدُونَ﴾ ووقفت على ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ بعد، ويكون محل الكاف نصبًا صفة مصدر محذوف، يدل عليه أنعمت أو ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ أو ﴿تَهۡتَدُونَ﴾، تقديره: إنعامًا أو إتمامًا أو هداية كإرسالنا ﴿فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾: أي محمدًا ﷺ.

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾: القرآن [وبعضهم](٢) يجعل (ما) إذا تعلقت [كما](٣) بما بعدها كافة، وإن تعلقت بما قبلها مصدرية.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٥)، والترمذي (٣٥٢٧)، وأحمد (٢٢٠٧٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥٥) حديث (٩٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) في جـ: بعضهم، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بطاعتي.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بمغفرتي، أو اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة، عن النبي ﷺ [عن الله][(١)] تعالىٰ: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[(٢)]، وقال ﷺ: «أفضل الإيمان أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله»[(٣)]، وفي الحديث: «عبدي اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب»[(٤)].

﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: بالطاعة.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: (تا) بالمعصية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾: (كا).

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: (كا) بالعون والنصرة.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧٩٢)، وأحمد (١٠٩٨٨)، وابن حبان(٨١٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٠٦) حديث (٢٠٨)، وفي «مسند الشاميين» (١٩١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
قال الهيثمي : رواه الطبراني بأسانيد وفي هذه الطريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وضعفه جماعة ووثقه أبو زرعة الدمشقي وغيره وبقية رجاله ثقات
ورواه البزار من غير طريقه إلا أنَّه قال : أخبرني بأفضل الأعمال وأقربه إلىٰ الله ؟
وإسناده حسن.
«مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٠) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٥) عن طلق بن حبيب قال: مكتوب في الإنجيل .... فذكره.

ونزل في قتلىٰ بدر الأربعة عشر رجلًا حيث كان يقال: مات فلان وفلان وانقطع عنهم نعيم الدنيا، ويجوز أن يكون عامًّا في الشهداء: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾: (كا) عن الأخفش وتقديره عنده ولا تقولوا: هم أموات.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾: خبر [ابتدأ][1]، بل هم أحياء.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: (كا) بحياتهم كيف [هي][2] الحسن تعرض أرزاقهم علىٰ أرواحهم، فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار علىٰ أرواح آل فرعون بكرة وعشيًّا، فيصل إليهم الوجع، ثم حذف القسم وجاء بجوابه فقال:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: أي لنختبرنكم يا أمة محمد [ليظهر][3] لكم منكم المطيع من العاصي، لا لنعلم شيئًا لم نكن عالمين به، وجاء ﴿بِشَيْءٍ﴾: نكرة للإيذان بأن كل بلاء يصيب الإنسان وإن جل، ففوقه ما هو أعظم، وأعلمهم بوقوع البلوىٰ قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها.

ومحل ﴿مِّنَ الْخَوْفِ﴾: جر صفة [بشيء][4] أي بشيء من خوف العدوّ، أو خوف الله تعالىٰ.

﴿وَالْجُوعِ﴾: أي القحط، أو صيام رمضان.

﴿وَنَقْصٍ﴾: عطف علىٰ ﴿بِشَيْءٍ﴾.

ومحل ﴿مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾: نصب صفة محذوف تقديره ونقص شيئًا من الأموال؛

---

(١) في ب، جـ: مبتدأ، والمثبت من أ.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: لنظهر، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: شيء، والمثبت من أ، ب.

لأنَّ نقص مصدر نقصت الشيء وهو متعدٍّ إلىٰ مفعول وحذف المفعول، أو جر صفة نقص، وقد تكون ﴿مِّنَ﴾ لابتداء الغاية، أي نقص ناشئ من الأموال بالخسران والهلاك، أو [بالزكوات](١) والصدقات.

﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾: [بالموت والقتل](٢)، أو المرض والشيب.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾: بالحاجة وهي ما تستأصل الشيء، أو ﴿ٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾: الأولاد، والمراد موتهم، في الحديث: «**إذا مات لعبد ولد يقول تعالىٰ لملائكته: أقبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم، فيقول تعالىٰ: ماذا قال؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول تعالىٰ: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد**»(٣).

[﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: يا محمد علىٰ ذلك (تا)](٤) إن رفعت ابتداء.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: ويكون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ﴾: أي نائبة ما، وأصلها الوصول من صاب السهم المرمىٰ وأصابه: وصل إليه، وجوابها صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

والاسترجاع أن تقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾: (تا) في الحديث: «**من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته**»، وفيه: «**إلا آجره الله في مصيبته وأخلف عليه خيرًا منها**»(٥)، وخبر الابتداء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾: الصلاة والرحمة بمعنىٰ، وجمع بينهما للإيذان أنَّ رحمته غير منقطعة، أي رحمة بعد رحمة، فعلىٰ هذا لا تقف علىٰ ﴿رَٰجِعُونَ﴾، ولا يتم الوقف علىٰ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بعده صفة، ويتم الوقف علىٰ هذا علىٰ ﴿رَٰجِعُونَ﴾؛ لأنك

---

(١) في جـ: بالزكاة، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ب، جـ: بالقتل والموت، والمثبت من أ.

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (١٩٧٤٠)، وابن حبان(٢٩٤٨)، والطيالسي (٥٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٩٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٤) في جـ: (وَبَشِّرِ) (ٱلصَّٰبِرِينَ) : يا محمد (كا) علىٰ ذلك، والمثبت من أ، ب.

(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٨٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

تجعل ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ بعده مبتدأ، خبره ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾: (تا) إلىٰ الاسترجاع، وإلىٰ سعادة الدارين.

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا﴾: جمع صفاة، وهي الصخرة الملساء.

﴿وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾: الحجر الرخو، والمراد بهما المكانان المعروفان بطرفي المسعىٰ.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: (كا) من أعلام دينه، جمع شعيرة، وهي العلامة من أعلام الحج ومناسكه، وكل ما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمي [فهو][1] شعيرة من الإشعار الإعلام، كان علىٰ الصفا إساف، وعلىٰ المروة نائلة وكانا صنمين يعبدان، أو أنهما كانا رجلًا وامرأة زنيا فمسخا حجرين، فوضعا في ذلك المكان، فطال الزمان فعبدا، وكان يطاف بينهما، فلما جاء الإسلام تحرج المسلمون من ذلك فأذن تعالىٰ في الطواف بينهما بقوله: ﴿فَمَنۡ﴾: شرط محلها رفع ابتداء.

﴿حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ﴾: أي قصد.

﴿أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾: أي زار وفي الحج [ق/ ٣٦ب] قصد وزيادة.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا إثم، [وأصله][2] الميل، ومنه: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ﴾ [الأنفال:٦١].

﴿عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾: أي يدور ﴿بِهِمَاۚ﴾: (حس) وأصل الطواف المشي حول

---

(١) في جـ: فهي، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: أصله، والمثبت من أ، ب.

الشيء، والمراد هنا: السعي بينهما، وزعم بعضهم أنَّ الوقف علىٰ ﴿جُنَاحَ﴾، ويبتدئ إغراء ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾، كأنه يجعل خبر لا محذوفًا، أي فلا جناح في الحج، ولا أحبه؛ لأنَّ الإغراء إنما جاء مع الخطاب، وما حكي عن سيبويه عليه رجلًا ليُسَنّي، فلا اعتداد به لشذوذه، وزعم بعضهم أنَّ ﴿عَلَيْهِ﴾ علىٰ هذا خبر، و ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ مبتدأ، وليس بطائل لفساد المعنىٰ؛ لأنَّه يصير المعنىٰ فمن حج البيت فلا حرج، فيجعل الحج المفروض كالنفل، إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله، ويوجب السعي بقوله: ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾، فتصير الآية علىٰ زعمه [ق/ ٢٣جـ] موجبة لمَّا اختلفوا في وجوبه، وغير موجبة لمَّا اتفقوا علىٰ وجوبه، ولأنَّ التحرج إنما كان لأجل السعي بينهما كما تقدم، والسعي بينهما ركن عند عائشة والشافعي ومالك، وعند الثوري وأبي حنيفة واجب، وليس بركن يجزئ عنه الدم، وعند أنس وابن عباس وابن الزبير أنَّه تطوع لا شيء عليه بتركه، لمَّا فيه من التخيير وترك الجناح، كقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة:٢٣٠]، ويعضده ما قرئ: (فلا جناح عليه أن يطوف بهما).

القراءة: ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله يتطوف، فأدغمت التاء في الطاء.

وقرئ: (يطُوف) من طاف.

القراءة: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: الموضعين بياء معجمة الأسفل [وتشديد][1] الطاء، أي يتطوع فأدغم، وجزم العين بـ﴿مَنْ﴾، فـ﴿مَنْ﴾ علىٰ هذا شرط، و﴿خَيْرًا﴾ مفعول به [تقديره][2]: بخير.

وقرئ (به) فلمَّا حذف الجار تعدىٰ الفعل فنصب، أو صفة محذوف، أي تطوعًا خيرًا، وفي (تطوع) ضمير يرجع إلىٰ (من) وبتاء وفتح العين فعلًا مخففًا ماضيًا، فمن علىٰ هذا بمعنىٰ الذي، ودخلت الفاء علىٰ (فهو) لما في الذي من

(١) في جـ: تشديد، والمثبت من أ،ب.

(٢) في ب، جـ: وتقديره، والمثبت من أ.

الإبهام، وأصل التطوع: التبرع من طاع يطوع تبرع.

المعنىٰ: من زاد في الطواف بعد الواجب فقد فعل خيرًا، أو المراد التطوع بما لم يجب عليه كحج وعمرة وزكاة وصلَاة.

تلخيصه: من تبرع بما لم يجب عليْه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾: أي مجاز له.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) بنيته.

ونزل [فيمن][1] كتم صفة محمد ﷺ، وآية الرجم وغيرهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾[2]: أي القرآن، وما فيه من الأحكام.

﴿وَٱلۡهُدَىٰ﴾: أي الهداية إلىٰ الإسلام بنعته ﷺ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾: أي وضحناه.

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي التوراة.

تلخيصه: الكاتمون طريق السعادة بعد وضوحه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر في موضع خبر إنَّ، والمعنىٰ يبعدهم الله عن رحمته.

﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: يجوز أن تعطفه وأن تستأنفه، والمعنىٰ أنهم يدعون علىٰ هؤلاء ويقولون: اللهم العنهم، واللاعنون الثقلان والملائكة.

ابن مسعود[3]: ما تلاعن اثنان إلا ارتفعت اللعنة بينهما، فإن استحقها أحدهما وإلا رجعت علىٰ الذين كتموا صفة محمد ﷺ.

أو اللاعنون البهائم تلعن العصاة تقول: اللهم العن عصاة بني آدم فبشؤمهم منع عنا القطر.

---

(١) في جـ: في من، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٤٧).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (١/ ١٧٥).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: استثناء متصل من الضمير في ﴿يَلۡعَنُهُمُ﴾ محله نصب، أو منقطع؛ لأنَّ الذين كتموا لعنوا قبل التوراة، وجاء بالاستثناء بيانًا لقبول التوبة، لا أنَّ من الكاتمين من لم يلعن.

المعنىٰ: لكن الذين رجعوا عن الكفر.

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: الأعمال بينهم وبين الله.

﴿وَبَيَّنُواْ﴾: أي أظهروا ما كتموا.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي أقبل توبتهم وأتجاوز عنهم.

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) الرجاع بقلوب عبيدي المنصرفة عني إلي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من الكاتمين ولم يتوبوا.

﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾: لأنَّ الله تعالىٰ يلعنهم يوم القيامة، ثم تلعنهم الملائكة، ثم يلعنهم الناس، والظالم يلعن الظالمين، ومن لعن الظالمين وهو ظالم فقد لعن نفسه.

وقرئ: (والملائكةُ والناسُ أجمعون) رفعًا عطفًا علىٰ محل اسم الله؛ لأنَّه فاعل في المعنىٰ، كقولك: عجبت [ق/ ٢٠أ] من ضرب زيد [عمرًا][^1]، لأنَّه مصدر مضاف، أي من أن [ضرب زيد عمرًا][^2].

تلخيصه: أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة والناس.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: دائمين في اللعنة، أو في النار حال من (هم) في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾،

---

(١) في ب، جـ: وعمرو، والمثبت من أ.

(٢) في جـ: يضرب زيد عمرو، وفي ب: ضرب زيد عمرو، والمثبت من أ.

[يكفي][1] الوقف هنا إن استأنفت.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: أي لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم، ولا يكون له محل من الإعراب، ولا يجوز إن نصبته محلًّا حالًا من ضمير ﴿خَٰلِدِينَ﴾، ولا يجوز أن يكون حالًا من (هم) في (عليهم)؛ لأنَّ الاسم الواحد لا ينصب عنه حالان.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: (تا) لا يمهلون فيعتذرون، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة.

ولمَّا قال كفار قريش لمحمد ﷺ: صف لنا ربك نزل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: مبتدأ خبره ﴿إِلَٰهٌ﴾: وصفة الخبر.

﴿وَٰحِدٌ﴾: فرد لا نظير له في ذاته، ولا شريك له في صفاته، الآية وسورة الإخلاص وآية الكرسي.

ومحل ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾: رفع ابتداء.

ومحل ﴿إِلَّا هُوَ﴾: رفع بدل من محل ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) بدل من ﴿هُوَ﴾، أو خبر مبتدأ، وليس وصفًا لـ«هو»؛ لأنَّ المضمر لا يوصف.

تلخيصه: الألوهية مختصه به، ولمَّا سمع المشركون هذه الآية قالوا له ﷺ: إن كنت صادقا فأت بآية يعرف بها صدقك فنزل:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ

---

(١) في جـ: ويكفي، والمثبت من أ، ب.

ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١): «جمع السموات» لأنَّ كل سماء ليست من جنس الأخرىٰ، ويجوز أن يقال: [لأن](٢) فلك كل واحدة غير فلك الأخرىٰ، ووحد الأرض لأنها من جنس واحد وهو التراب.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي تعاقبهما في الذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان، والنور والظلمة.

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾: وقرئ: (الفُلُك) لغتان بضمتين في السفن الواحد والجمع سواء في اللفظ، ويعرف ذلك بجمع ضمير فعلها وإفراده والآية فيها أنها ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾: موقرة لا ترسب.

﴿بِمَا﴾: أي بالذي ﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من الحمل فيها والركوب عليها و﴿مِنَ﴾ في ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لابتداء الغاية، وفي ﴿مِن مَّآءٍ﴾ أي مطر لبيان الجنس؛ لأنَّ النازل من السماء مطر وغيره، ثم عطف علىٰ ﴿وَمَآ أَنزَلَ﴾: ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾: أي بالماء.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي يبسها.

تلخيصه [ق/ ٣٧ب]: أوجد في الأرض بالماء النازل قوة الإنبات بعد أن لم تكن، ثم عطف علىٰ ﴿فَأَحْيَا﴾: ﴿وَبَثَّ﴾: أي فرق ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: لأنَّ بث الدواب يكون بعد حياة الأرض بالمطر، لأنَّهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر، أو بث عطف علىٰ [﴿مَآ أَنزَلَ﴾](٣)؛ [لأنَّ ﴿أَحْيَا﴾عطف علىٰ ﴿مَآ أَنزَلَ﴾](٤) فصارا كالشيء الواحد.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٤٨).

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: وما أنزل، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: لأنَّ أنزل عطف عليه (فأحيا)، والمثبت من أ، ب.

﴿وَتَصۡرِيفِ﴾: أي وتنقيل.

﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾: في مهابّها قبولًا ودبورًا، وجنوبًا وشمالًا، وحارة وباردة، وعاصفة ولينة، وبينهما وعقيمًا ولاقحًا، وغير ذلك، والريح أعظم جند الله تعالىٰ، وتذكر وتؤنث، وكل ريح في القرآن ليس فيه ألف ولام اتفقوا علىٰ توحيدها، وما فيها ألف ولام فالقراءة: فيه جمعًا وتوحيدًا إلا ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [الذاريات:٤١] في الذاريات فالقراءة بتوحيده، وفي الحرف الأول من الروّم: «الرياح مبشرات»، القراءة بجمعه.

وقرئ: (الرياح) جمعًا.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾: أي الغيم المذلل للرياح.

﴿بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: تقلبه في الجو كيف شاءت بمشية الله تعالىٰ فيمطر.

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: (تا) ينظرون بعقولهم فيستدلون بهذه الأشياء علىٰ موجدها فيوحدونه، عنه ﷺ: «**ويل لمن قرأ هذه الآية فمج**[1] **بها**»[2]، أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها، قالوا: ثلاثة لا تدرىٰ من أين يجيء: الرعد والبرق والسحاب؛ فبعد ثبوت الألوهية عنف الكفار أن عبدوا غيره ووصف الأبرار فقال:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي المشركين ومن في ﴿مَن يَتَّخِذُ﴾: نكرة، أو بمعنىٰ الذي.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾: أي أصنامًا، ولا وقف هنا؛ لأنَّ محل: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾: (حس) نصب صفة أنداد، أو رفع صفة من إن جعلتها نكرة.

المعنىٰ: أنَّ الكفار يعظمون أصنامهم ويخضعون لهم كتعظيم المؤمنين الله، أو الكافرون سواء عندهم محبة الله ومحبة الأصنام ، ثم فضل محبة المؤمنين بقوله:

---

(١) المج في اللغة: قذف اللعاب من الفم، قال في النهاية: وفي الحديث أخذ حسوة من ماء في بئر ففاضت بالماء.

(٢) قال الزيلعي : غَرِيب جدًّا، وَذكره الثَّعْلَبِيّ هَكَذَا من غير سَنَد وَلَا راو.
«تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٢٥٩) .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾: من حبّ الكفار للأنداد؛ لأنَّ المؤمنين لا يعدلون عن الله تعالىٰ بكل حال، والكافرون يعدلون عن أربابهم في الشدائد إلىٰ الله تعالىٰ، وكان المشركون إذا رأوا صنمًا يعجبهم أخذوه وطرحوا الأول.

وروي أنَّ باهلة عملت لها إلها من تمر وأقط فأكلوه في سنة أصابتهم.

القراءة: ﴿وَلَوۡ تَرَى﴾: بالتاء خطابًا للنبي ﷺ، وهو الفاعل والمفعول[1].

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أي أشركوا ولو يليها الماضي، ووضع موضعه المستقبل حكاية للحال، وبالياء غيبة الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ ضمير (الظالمين).

ومحل ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾: بالعين يوم القيامة.

القراءة: (يرون) بضم الياء مجهولًا، وبفتحها معلومًا، وإذ للماضي وقعت هنا للمستقبل؛ لأنَّ خبر الله تعالىٰ عن المستقبل في الصحة كالماضي، أو علىٰ حكاية الحال، أو قد توضع إذ موضع إذا إن جعلت ترىٰ متعدية إلىٰ مفعولين سد مسدهما هو منصوب [بترىٰ][2] وهو: ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ﴾: أي القدرة الإلهية والغلبة.

﴿لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾: نصبٌ حال.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾: عطف عليه، وجواب لو محذوف تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا، أو لرأيت أنَّ القوة فتكون أن معمولة رأيت المحذوفة، أو لندم الكفار ونحو ذلك.

وقرئ: (إن القوة) و(إن الله) بكسر الهمزة استئنافًا، فعلىٰ هذا مفعولا (ترىٰ) محذوفان، وإن جعلت يرىٰ علىٰ قراءة الغيبة متعدية إلىٰ مفعول واحد نصبت (أن القوة) بها، ولا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ محل: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾: نصب بـ«شديد» تقديره شديد العذاب، وقت تبرؤ المتبوعين، أو بدل من ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ﴾، أي ولو ترىٰ

---

(١) في هامش جـ: قرأ نافع وابن عامر بالخطاب، والباقون بياء الغيبة.

(٢) في جـ: بيرىٰ، والمثبت من أ، ب.

الظالمين وقت تبرؤ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾: هم الرساء المقتدىٰ بهم [ق/ ٢٤ جـ].

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: هم الأتباع، أو تبرؤ الشياطين من الإنس.

تلخيصه: تبرأ المتبوعون من التابعين.

وقرئ: بالعكس أي تبرأ الأتباع من المتبوعين، وأصل [التبرؤ][1] : التخلص ويستعمل [للتفصّي][2] والتنصل[3] مما تكره مجاورته.

والواو للحال في ﴿وَرَأَوُاْ﴾: أي تبرؤوا في حال رؤيتهم ﴿ٱلْعَذَابَ﴾.

والواو في ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾: عطف علىٰ ﴿تبرأ﴾.

المعنىٰ: انقرضت عنهم الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الموالاة والمخالة، كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤]، أو الباء سببية، أي تقطعت الوصل بينهم ثم بسبب كفرهم.

ولمَّا كان في لو معنىٰ التمني أجيبت بالفاء في :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: مصدر، أي رجعة إلىٰ الدنيا.

---

(١) في ب، جـ: التبرئ، والمثبت من أ.

(٢) في ب: للتقصي، والمثبت من أ، جـ.

قلت : والتفصي هو التخلص من الشدة، وتفصىٰ من دينه خرج منه.

انظر «التعاريف» للمناوي(ص/ ١٩٣) .

(٣) تنصل من ذنبه: إذا تبرأ، وتنصلت الشيء واستنصلته إذا استخرجته.

﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: نصب جواب التمني من المتبوعين.

﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾: الآن، لا أحب الوقف علىٰ ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ لأنَّ العامل فيها: ﴿يُرِيهِمُ﴾: تقديره يريهم.

﴿ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: كتبرؤ بعضهم من بعض.

وقوله: ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: أي ندامات نصب مفعول ثالث لـ﴿يُرِيهِمُ﴾ إن جعلتها بمعنىٰ العلم، وحال إن جعلتها من بصر العين.

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾: صفة حسراتٍ.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: (تا) لأنهم خلقوا لها.

ونزل في ثقيف وخزاعة وغيرهم ممن حرم علىٰ نفسه الوصيلة والبحيرة وغيرهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١]: من تبعيض؛ لأنَّه ليس كل ما فيها يؤكل.

﴿حَلَٰلًا﴾: مفعول ﴿كُلُواْ﴾، أو حال ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

والحلال: ما لا يعاقب عليه فتنصبُ.

﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا من جميع الشبه، أو مستلذًّا صفةَ ﴿حَلَٰلًا﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي آثارة وطرقه، وأصلها من الخطوة بضم الخاء وهو ما بين رجلي الخاطي، وربما فتحت الخاء لغتان، أو بالفتح المرّة الواحدة، وبالضم اسم لمَّا بين رجلي الخاطي، ثم استعمل في الاقتداء، وإن لم يكن ثَمَّ خطو، يقال: اتبع خطوات فلان ومشىٰ علىٰ عقبيه إذا استن بسنته.

القراءة: بضم الخاء والطاء اتباعًا، وبإسكان الطاء مع ضم الخاء تخفيفًا.

وقرئ: بفتحهما وبفتح الطاء وضم الخاء وبضمتين بعدهما همزة، كأنَّه قدر ضمة الطاء علىٰ الواو لقربها منها فقلبها همزة، ثم أعلم بحاله فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٤٨).

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: (تا) مظهرَ العداوة وبينهما وأبان متعدٍّ ولازم، وما علمت أنَّه قرئ بفتح «أنَّه» هنا، وإن كان تعليلًا في المعنىٰ؛ لأنَّ معنىٰ الفتح لا تتبعوه؛ لأنَّ ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ والكسر يوجب النهي عن اتباعه وإن لم يكن عدوًّا لنا، وقريب من هذا في التلبية: «لبيك إنَّ الحمد» بكسر الهمزة وفتحها، فالكسر يوجب استحقاقه للحمد [ق/ ٣٨ب] بكل حال؛ لأنَّه إخبار، والفتح لا يدل علىٰ وجوب الحمد له.

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ علة وجوب الانتهاء عن اتباع الشيطان بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾: أي يوسوس لكم ويزين ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: أي الإثم، وأصله ما يسوء صاحبه.

﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: هي أقبح المعاصي وأخبثها، أو السوء ما لم يجب فيه حد، والفحشاء ما وجب، ثم عطف علىٰ بالسوء قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا) من تحريم الحرث والأنعام وغيرهما؛ لأنَّه لا علم لكم بذلك، وإنما تتخرصونه من قبل أنفسكم.

تلخيصه: لكم بعض ما في الأرض، ونهيناكم عن اتباع الشيطان لأمره إياكم بما حرم عليكم، يتم الوقف هنا إن جعلت ما بعد قصة مستأنفة، ويجعل الضمير في:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ كناية عن غير مذكور، ويكفي إن جعلت الضمير في (لَهُمُ) للناس لرجوعه من الخطاب إلىٰ الغيبة، ولأنَّه آخر آية، ولمَّا أمر الكفار باتباع القرآن والعمل به. ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾: أي وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: (كا) فهم كانوا خيرًا منَّا وأعلم، و«بل» هنا بمجرد الإضراب لا لعطف قصة علىٰ قصة، أي لا نتبع ما أنزل الله، ثم جاء بواو الحال قبلها همزة الاستفهام

توبيخًا وتعجيبًا منهم وردًّا عليهم حيث قلدوا آباءهم مع جهلهم فقال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾: من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: (تا) للصواب.

المعنىٰ: أتتبعونهم ولو كانوا ضلالًا، ثم ضرب لهم مثلًا فقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: مبتدأ خبره ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: نعق الراعي والمؤذن بعين مهملة صوت، وبالمعجمة للعراب، والمعنىٰ يصوت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾: أي صوتًا وزجْرًا، ونصب ﴿دُعَآءً﴾ بـ﴿يَسْمَعُ﴾ [ق/ ٢١أ].

والمعنىٰ مثلك يا محمد في دعائك الكفار إلىٰ الهدىٰ وعدم هدايتهم كمثل من يصوت بالبهائم، وهي لا تدرك إلا دوي الصوت ونغمته.

تلخيصه: لا ينتفعون بشيء من وعظك وإن سمعوا صوتك، أو المعنىٰ لا ينتفع الكفار بدعائهم الأصنام وعبادتهم إياها إلا كمثل [انتفاع](١) المصوت بالبهائم [ويرتفع](٢). ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾: [ذمًّا](٣).

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: (تا) الموعظة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ﴾: أي حلالات، أو مستلذات.

﴿مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾: (كا) والمفعول محذوف، أي كلوا رزقكم.

﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾: [أي](٤) علىٰ نعمه.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: (تا) في الحديث: «[يقول](٥) **تعالىٰ إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري**»(٦).

---

(١) في جـ: الانتفاع، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: ورفع، والمثبت من أ، ب.
(٣) في ب، جـ: ذم، والمثبت من أ، ب.
(٤) سقط من ب، جـ، والمثبت من أ.
(٥) في جـ: قال، والمثبت من أ، ب.
(٦) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٧٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

القراءة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾: هي ما لم تدرك ذكاتها مما يذبح، ونصبها بـ﴿حَرَّمَ﴾، و«ما» كافة.

وقرئ: برفعها، فـ﴿مـا﴾ بمعنىٰ الذي علىٰ هذا، و﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ خبر إنَّ، والعائد محذوف، تقديره حرمه.

وقرئ: (حُرِم) مجهولًا، ورفع (الميتة) مفعوله.

﴿وَٱلدَّمَ﴾: أي الجاري، لأنَّ الشارع استثنىٰ السمك والجراد من الميتات، والكبد والطحال من الدماء.

﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾: [وعبر][1] باللحم والمراد جميعه إذا كثر المطلوب منه اللحم، وما عداه تبع له.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: أي ما ذكر عليه اسم غير الله، والمراد وما ذبح لمعبوديهم، وأصل الإهلال رفع الصوت، وكانوا عند ذبحهم لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم حتىٰ قيل لكل ذابح وإن لم يرفع صوته: مهل.

ومحل: ﴿فَمَنِ﴾: رفع محل ﴿ٱضْطُرَّ﴾: جزم بـ«من»، ومعنىٰ ﴿ٱضْطُرَّ﴾ ألجئ وأحوج وحد الاضطرار أن يخاف علىٰ نفسه أو علىٰ بعض أعضائه التلف فليأكل.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: نصب حال وأصل البغي الفساد، ومنه بغىٰ الجرح ترامىٰ إلىٰ الفساد.

---

(١) في جـ: عبر، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَا عَادٍ﴾: عطف علىٰ باغٍ، وأصل العدوان الظلم وتجاوز الحد، بعضهم: البغي: الخروج علىٰ السلطان، والعدوان: الاعتداء بالسفر، فعلىٰ هذا لا يجوز للعاصي بسفره أكل الميتة، ولا الترخص برخص المسافرين عند الشافعي دون أبي حنيفة، أو البغي والعدوان يرجعان إلىٰ الأكل، أي لا يأكل من غير ضرورة، ولا يعدو شبعه عند الضرورة، أو غير باغٍ متجاوز ما حد له، ولا عاد ولا يقصر فيما أبيح له.

مسروق[1]: من اضطر إلىٰ أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، فلم يأكل حتىٰ مات دخل النار.

القراءة: (فمن اضطر)، (وأن احكم) وبابه بالكسر لالتقاء الساكنين بالضم.

وجواب فمن ﴿فَلَآ إِثۡمَ﴾: أي حرج ﴿عَلَيۡهِۚ﴾: (كا) في أكلها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: لأكله المحرم.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) بترخيصه ذلك.

ونزل لمَّا غير علماء اليهود صفة محمد ﷺ خوفًا علىٰ فوات رئاستهم ومآكلهم التي كانوا يصيبونها من سفلتهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[2].

ومحل: ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ﴾: نصب حال من العائد المحذوف، أي ما أنزلناه كائنًا من الكتاب.

ومحل ﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾: أي ملئها، يقال: أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه نصب حال مقدرة.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: نصب مفعول ﴿يَأۡكُلُونَ﴾، ولمَّا كان ما يأكلون يؤديهم إلىٰ النار فكأنهم أكلوا النار أو يصير نارًا في بطونهم.

---

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٢/ ٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٢).

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٤٩).

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: لغضبه عليهم، أو لا يكلمهم بما ينفعهم، وإنما يكلمهم بسخطه عليهم وتوبيخه إياهم.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يطهرهم من دنس الذنوب.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾: (تا).

ثم عجب من حالهم وملازمتهم ما يوجب لهم النار فقال: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾: ﴿فَمَآ﴾ رفع واصبر فعل فاعله مضمر فيه وهو العائد إلىٰ «ما»، أي ما اشتد صبرهم أو ما استفهامية أي أيّ شيء صبرهم ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: [(تا)][1] يقال: صبره علىٰ [كذا][2] وأصبره عليه، أو ما نفي، وأصل الصبر: الإمساك في ضيق، أو الصبر: الجرأة، يقال: ما أصبرك علىٰ كذا؟ أي ما أجرأك.

ثم أومأ إلىٰ استحقاقهم العذاب فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي العذاب مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أي بسبب أنَّ الله ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: (كا) بما لا شك فيه ولا تناقض، فاختلفوا فيها فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو المراد مشركو مكة، وبالكتاب: القرآن، فقال بعض: شعر، وبعض: سحر، وبعض: كهانة.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾: (تا) [ق/ ٣٩ب]عن الهُدىٰ، لمَّا صلىٰ اليهود نحو المغرب وادعوا أنَّه البر، والنصارىٰ نحو المشرق وادعوا أنَّه البر نزل رادًّا عليهم:

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: كذىٰ، والمثبت من أ، ب.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ...﴾: الآية، أو نزلت لمَّا صرفت القبلة [إلىٰ][1] الكعبة.

البر: اسم لكل خير يفضي بصاحبه إلىٰ الجنة، وأصله التوسع في فعل الخير مأخوذ من البر.

القراءة: برفع الراء اسم ليس وخبرها.

﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ﴾: وبنصبها خبر ﴿لَّيْسَ﴾، و﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ الاسم.

القراءة: ﴿وَلَٰكِنِ ٱلْبِرَّ﴾: بتخفيف النون ورفع الراء [ق/ ٢٥ جـ] مبتدأ خبره.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: علىٰ حذف مضاف أي البر بر من آمن، أو ذو البر من آمن كقولها:

فإنما هي إقبال وإدبار[2] .

والذي يحمل علىٰ هذا أنَّ البر مصدر، ومن أمن جُثَّة وليست الجُثَّةُ المصدر وبتشديد النون ونصب الراء.

المبرد: لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت (ولكن البر) [بفتح الباء][3].

وقرئ: (ولكن البار).

والمعنىٰ: ليس البر صلاتكم إلىٰ غير القبلة، وإنما البر المبيَّن في الآية وهو الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

---

(١) في جـ: نحو، والمثبت من أ، ب.

(٢) في حاشية أ: أوله:

ترتع إذا نسيت حتىٰ إذا ادكرت

قلت: والبيت للخنساء، وقد ذكره الزجاجي في «مجالس العلماء (ص/ ٢٦٠) وفيه (ما غفلت) بدل (إذا نسيت).

(٣) في هامش ب: أي بفتح الباء.

وسقط من جـ، والمثبت من أ.

ومحل ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: أي حبّ المال نصب حال، قال ﷺ: **«أعظم الصدقة أجرًا أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشىٰ الفقر، وتأمل الغنىٰ، ولا تمهل حتىٰ إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان [لفلان](١)»**(٢)، والحب مصدر حبه [بمعنىٰ أحبه](٣) لغتان، أو الهاء لله تعالىٰ، أي علىٰ حب الله.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي القرابة، وقدمهم لأنهم أحق، قال ﷺ: **«الصدقة علىٰ المسكين صدقة، وعلىٰ ذوي الرحم صدقة وصلة»**(٤).

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: هوالمسافر، وسمي بابن السبيل لملازمته الطريق أو هو الضيف؛ لأنَّه جاء في السبيل، قال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**(٥).

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: أي الطالبين، قال ﷺ: **«[أعطو](٦) للسائل حقه، ولو جاء علىٰ ظهر فرسه»**(٧)، وقال: **«ردوا السائل ولو بظلف محرق»**(٨).

---

(١) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.
(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٣)، ومسلم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) في جـ: وأحبه بمعنىٰ، والمثبت من أ، ب.
(٤) أخرجه الترمذي (٦٥٨)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٢٥٨٢)، وفي «الكبرىٰ» (٢٣٦٣)، وابن ماجة (١٨٤٤)، وأحمد (١٦٢٧١)، والدارمي (١٦٨٠)، وابن حبان(٣٣٤٤)، والطبراني في « المعجم الكبير» (٦٢٠٤)، وفي «الأوسط» (٣٥٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧٥٢٣) من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه.
(٥) أخرجه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٧) أخرجه أبو داود (١٦٦٥)، وأحمد (١٧٣٠)، وابن خزيمة (٢٤٦٨)، والبزار (١٣٤٣)، وأبو يعلىٰ (٦٧٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٩٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٢٩٨٣) من حديث حسين بن علي رضي الله عنهما.
(٨) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ» (٢٥٦٥)، وفي « السنن الكبرىٰ» (٢٣٤٦)، وأحمد (١٦٦٩٩)، وابن حبان(٣٣٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢١٩) حديث (٥٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧٥٣٨) من حديث ابن بجيد الأنصاري عن جدته رضي الله عنها.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: المكاتبين ليفكوا رقابهم، أو هو ابتياع الرقاب وإعتاقها وفك الأسارىٰ.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: احتج بعضهم بوجوب شيء في المال غير الزكاة لإتيانه بالزكاة عقيب إتيانه بذكر الإخراج علىٰ هؤلاء.

الشعبي(١): إن في المال شيئًا سوىٰ الزكاة.

ويجوز أنَّه أتىٰ بالزكاة بعد ذكر هؤلاء تنبيهًا علىٰ كثرة ثواب الإخراج علىٰ هؤلاء لا علىٰ سبيل وجوب غير الزكاة، في الحديث: «**منعت الزكاة كل صدقة**»(٢): يعني وجوبها.

﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾: عطف علىٰ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ مرفوعة محلًّا، أو خبر مبتدأ.

وقرئ: (والموفين).

﴿بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾: الله، أو هو ما عُهد إليهم من أوامر الله ونواهيه، أو المراد: العقود والأمانات التي بين الناس من ودائع وأسرار وبضائع.

الربيع من أنس: من أعطىٰ عهد الله ثم نقضه [فالله](٣) منتقم منه، ومن أعطىٰ ذمة رسوله، ثم غدر فالنبي خصمه يوم القيامة.

وتنصب مدحًا ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقرئ: (والصابرون) مدح أيضًا.

﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾: أي الفقر والشدة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤١١).

(٢) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٨٧٩٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا.
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٠٤٦) عن علي موقوفًا عليه.

(٣) في جـ: والله، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: أي المرض والزمانة.

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ﴾: أي القتال والحرب.

﴿صَدَقُواْۖ﴾: فيما عاهدوا.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: (تا) محارم الله.

كان بين حيين في الجاهلية جراحات وديات لم [تستوفَ][1]، حتىٰ جاء الإسلام، فأقسم أحد الحيين ليقتلن بالرجل الواحد الرجلين فنزل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾: أي فرض علىٰ القاتل والجارح لا علىٰ الولي؛ لأنَّ للولي العفو.

﴿ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ﴾: (حس) والقصاص المماثلة والاتباع في الجراحات والديات من قص الأثر، وذلك أن نفعل بالجاني مثل ما فعل، وحسن الوقف هنا؛ لأنَّ قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾: مبتدأ وخبر تقديره: مأخوذ، وكذلك: ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ﴾: (كا) مالك والشافعي لا يقتلان الحر بالعبد، والمؤمن بالكافر، يجعلان هذه الآية مفسرة للمبهم في قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥]، ولأنَّ تيك حكاية ما خوطب به اليهود في التوراة، وهذه خطاب للمسلمين وما فرض عليهم فيها، والثوري وأبو حنيفة يقتلان الحر بالعبد، والمؤمن بالكافر، يجعلان هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[2] [المائدة:٤٥]، وبدليل ما روي:

---

(١) في جـ: يستوف، والمثبت من أ، ب.

(٢) قال النحاس : فيه خمسة أقوال منها: =

ما حدثناه عليل بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن هشام السدوسي، قال: حدثنا عاصم بن سليمان، قال: حدثنا جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨] قال: « نسختها ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

وروىٰ ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: «كان الرجل لا يقتل بالمرأة ولكن يقتل الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فنزلت ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]

«قال أبو جعفر: فهذا قول وقال الشعبي: نزلت في قوم تقاتلوا فقتل بينهم خلق فنزل هذا لأنهم قالوا: لا نقتل بالعبد منا إلا الحر ولا بالأنثىٰ إلا الذكر وقال السدي: نزلت في فريقين وقعت بينهم قتلىٰ فأمر النبي ﷺ أن يقاص بينهم ديات النساء بديات النساء وديات الرجال بديات الرجال.

والقول الرابع: قول الحسن البصري، رواه عنه قتادة، وعوف، وزعم أنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: هذا علىٰ التراجع إذا قتل رجل امرأة كان أولياء المرأة بالخيار إن شاؤوا قتلوا الرجل وأدوا نصف الدية وإن شاؤوا أخذوا نصف الدية فإذا قتلت امرأة رجلا فإن شاء أولياء الرجل قتلوا المرأة وأخذوا نصف الدية وإن شاؤوا أخذوا الدية كاملة، وإذا قتل رجل عبدا فإن شاء مولىٰ العبد أن يقتل الرجل ويؤدي بقية الدية بعد ثمن العبد، وإذا قتل عبد رجلا فإن شاء أولياء الرجل أن يقتلوا العبد ويأخذوا بقية الدية وإن شاءوا أخذوا الدية.

والقول الخامس: إن الآية معمول بها يقتل الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثىٰ بالأنثىٰ بهذه الآية ويقتل الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل، والحر بالعبد، والعبد بالحر لقوله جل وعز ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ولقول رسول الله ﷺ الذي نقله الجماعة: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم**» وهو صحيح عن النبي ﷺ

كما قرئ علىٰ أحمد بن شعيب، عن محمد بن المثنىٰ، قال: حدثنا يحيىٰ بن سعيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن قيس بن عباد، قال: انطلقت أنا والأشتر إلىٰ علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقلنا: هل عهد إليك نبي الله ﷺ شيئا لم يعهده إلىٰ الناس؟ قال: لا إلا ما في كتابي هذا، فأخرج كتابا من قراب سيفه فإذا فيه «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد علىٰ من سواهم ويسعىٰ بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده، من أحدث حدثا فعلىٰ نفسه ومن آوىٰ محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»، قال أبو جعفر: فسوىٰ رسول الله ﷺ بين المؤمنين في الدماء شريفهم ووضيعهم وحرهم وعبدهم وهذا قول الكوفيين في العبد خاصة فأما في الذكر والأنثىٰ فلا اختلاف بينهم إلا ما ذكرناه من التراجع والموضع الآخر قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ

«المسلمون تتكافأ دماؤهم» [(١)]، ولأنَّ التفاضل في الأنفس غير معتبر بدليل قتل الجماعة بالواحد.

﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٌ﴾: أصل العفو المحو والتجاوز، والهاء في ﴿لَهُۥ﴾ و﴿أَخِيهِ﴾ لـ«من» وهو القاتل، ويكون القتيل أو الولي علىٰ هذا أخًا للقاتل من حيث الدين والصحبة وإن لم يكن بينهما نسب، ونكر «شيئًا» للإيذان أنَّه إذا عفي له عن بعض الدم أو عفا بعض الورثة سقط القصاص ووجبت الدية، فيكون العفو علىٰ هذا بمعنىٰ الإسقاط، أو ﴿مَنۡ﴾ لولي القتيل و﴿شَيۡءٌ﴾ كناية عن المستحق، ولهذا نكر؛ لأنَّه لا يدري ما يعطيه القاتل ذهبًا أو فضة أو إبلًا، فيكون العفو علىٰ هذا بمعنىٰ البدل.

المعنىٰ: من جعل له من دم أخيه وهو القصاص بدل وهو الدية فليأخذه، [وعفي] [(٢)] يتعدىٰ بعن إلىٰ الجاني وإلىٰ الذنب، فإذا تعدىٰ إلىٰ الذنب قيل:

= بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٨] قيل: هي ناسخة لما كان عليه بنو إسرائيل من القصاص بغير دية
كما حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: « كان القصاص في بني إسرائيل ولم تكن الدية فقال الله جل وعز لهذه الأمة: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] قال: والعفو أن تقبل الدية في العمد، ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] من الطالب ويؤدي إليه المطلوب بإحسان ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٌ﴾[البقرة: ١٧٨] عما كتب علىٰ من كان قبلكم» قال أبو جعفر: يكون التقدير فمن صفح له عن الواجب عليه من الدم فأخذت منه الدية، وقيل: عفي بمعنىٰ كثر من قوله جل وعز :﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾[الأعراف: ٩٥] وقيل: كتب بمعنىٰ فرض علىٰ التمثيل، وقيل: كتب عليكم في اللوح المحفوظ وكذا كتب في آية الوصية وهي الآية الخامسة.
«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٨٤-٨٨).

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، والحاكم(٢٦٢٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٤٥٩)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (٧٧١)، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه .

(٢) في جـ: وعفا، والمثبت من أ، ب.

عفوت لفلان عما جنىٰ، كقولك: عفوت له عن ذنبه وتجاوزت له عنه، تقدير الآية: فمن عفي له عن جنايته فحذفت جنايته للعلم بها، [﴿فَمَنْ﴾][1] مرفوعة محلًّا مبتدأ شرطية كانت أو بمعنىٰ الذي والخبر، ﴿فَٱتِّبَاعُۢ﴾: أي فالأمر اتباع لأنَّه غير واجب، ولكن إن اتبع فليكن. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أي بما يعرف شرعًا، فلا يأخذ منه أكثر من الدية، ولا يطالبه بعنف.

﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ﴾: إلىٰ ولي الدم بإجماع.

المعنىٰ: فليؤد القاتل إلىٰ ولي الدم ما عليه أداء ﴿بِإِحْسَٰنٍۗ﴾: (تا) بلا مماطلة ولا بخس، وهذا تأديب للقاتل [ق/ ٤٠ب] ولولي الدم. ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي المذكور من العفو وأخذ الدية.

﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ﴾: (كا) لأنَّ القصاص كان حتمًا علىٰ اليهود، وحرم عليهم العفو والدية، وكانت الدية حتمًا علىٰ النصارىٰ، وحرم عليهم القصاص، فخيرت هذه الأمة بين القصاص والعفو وأخذ الدية تخفيفًا ورحمة.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾: أي تجاوز ما شرع فقتل الجاني، أو قتل غير القاتل.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [ق/ ٢٢أ]: أي بعد أخذ الدية.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (حس) في الآخرة ، أو بأن يقتل قصاصًا.

ابن جريج: يتحتم قتله، ولا يقبل العفو، في الحديث: «**لا أعافي أحدًا قتل بعد [أخذ][2] الدية**»[3].

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: أي بقاء، وهذه من فصيح الكلام؛ لأنَّ القصاص

---

(١) في ب، جـ: و(فَمَن)، والمثبت من أ.

(٢) في جـ: أخذه، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الطيالسي (١٧٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٥٨٢٤) عن الحسن مرسلًا.

قتل وتفويت للحياة، وقد جعل ظرفًا ومكانًا للحياة، إذ بسبب القصاص قد ثبت، وتعريف القصاص وتنكير الحياة مؤذن أنَّ في هذا الجنس من القصاص لكم حياة عظيمة؛ لأنَّه إذا علم القاتل أنَّه يقتل إذا قتل لا يقدم على القتل، وإذا قَتَل فَقُتِل ارتدع غيره، ولا وقف على ﴿حَيَوٰةٌ﴾ لفصلك بينه وبين السبب الذي من أجله يؤدى.

وقرئ: (ولكم في القصص)، أي فيما قص عليكم من الأحكام، أو القصص القرآن فيه حياة القلوب.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: (تا) القتل مخافة القود.

﴿كُتِبَ﴾: أي فرض.

﴿عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أي أسبابه من الأمراض.

﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾: أي مالًا، وأصل الخير أن يكون لكل ما يرغب فيه مما هو نافع؛ لأنَّه ضد الشر، وزعم بعضهم أنَّ الخير: المال الكثير احتجاجًا بما روي: أنَّ رجلًا أراد أن يوصي وله ثلاثة آلاف فقالت عائشة: كم عيالك؟ قال أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾، و هذا شيء يسير، فاتركه لعيالك[(١)].

وعن علي[(٢)]: أنَّ مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة، فقال: قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾، والخير: المال، وليس لك مال، وبعضهم يقول: الخير: المال الكثير الطيب، وإن شرط جوابه ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ﴾: والفاء مقدرة أي فالوصية رفع مبتدأ خبره ﴿لِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾: ومحل الجملة رفع حكاية بعد القول المضمر، كأنَّه قال: فقيل لكم الوصية للوالدين، فعلى هذا لا تقف على ﴿خَيۡرًا﴾ وإن تعمده بعضهم لفصلك بين القول والكلام المحلى بعده، ولا تقف أيضًا على ﴿خَيۡرًا﴾ إن رفعت الوصية

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٢١٢)، و«الكشاف» (١/ ٢٢٣).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٢١٢)، و«الكشاف» (١/ ٢٢٣).

فاعل ﴿كُتِبَ﴾ لفصلك بين الفاعل وفعله، وذكر فعل الوصية على هذا للفصل كقولهم: حضر القاضي اليوم امرأة، فرضت الوصية أولًا ثم نسخت بآية المواريث وبقوله: «**إنَّ الله أعطىٰ كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**»(١)، ويلحق هذا الحديث بالمتواتر لأنَّ الأمة تلقته بالقبول، والأكثرون أنَّ النسخ في حق الكل.

ومحل ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾: (كا) نصب حال، أي بالعدل لا يزيد علىٰ الثلث، ولا يوصي لغني ويدع الفقير.

﴿حَقًّا﴾: مصدر مؤكد.

﴿عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: (حس) الله.

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾

﴿فَمَنۢ﴾: شرط مبتدأ.

﴿بَدَّلَهُۥ﴾: أي غير الإيصاء.

﴿بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾: أي الإيصاء والجواب.

﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾: أي حرج الإيصاء المبدل.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ﴾: (كا) والميت بريء منه، ثم تهدد المبدل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾: (كا) [ق/ ٢٦جـ].

﴿فَمَنۡ خَافَ﴾: أي علم، أو توقع.

﴿مِن مُّوصٖ جَنَفًا﴾: أي عدولًا عن الحق، وأصله الميل.

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجة (٢٧١٣)، وأحمد (٢٢٣٤٨)، والدارقطني (٣/ ٤٠)، والطيالسي (١١٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١١٩٨٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

القراءة: بتخفيف (موص) وتشديدها، وَصّىٰ وأوصَىٰ لغتان.

وقرئ: (حيفًا أَوْ إِثْمًا): ظلمًا، أو الجنف الخطأ والإثم العمد.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الموصىٰ لهم.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: (كا) أي علىٰ الحاضر أن يأمر الموصي بالعدل بين الموصىٰ لهم، أو لا حرج علىٰ وصية، أو ولي المسلمين أن يصلح بين ورثته وبين الموصىٰ لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: (تا).

﴿كُتِبَ﴾: أي فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: أصله الإمساك لغة، وشرعًا: إمساك عن أشياء مخصوصة مع نية، ثم بين أنَّ هذا الصيام أعني ثلاثين يومًا كان مفروضًا علىٰ من تقدمنا، ولم نخصّ نحن به بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: وكان صيام من تقدمنا من العتمة إلىٰ الليلة القابلة، وكان قد يقع في الحر الشديد، فشق عليهم، فجعلوه في الربيع [فزادوا][1] عشرًا كفارة، ثم مرض ملكهم فبرئ فأتمه خمسين، أو أصابتهم موتان فجعلوه خمسين لذلك، أو زادوه يومًا قبله ويومًا بعده لشكهم فيه فبلغ خمسين.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ما لم يجز شرعًا.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

---

(١) في ب، جـ: فزادوه، والمثبت من أ.

ولا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿أَيَّامًا﴾: ظرف لـ«كتب»، كقولك: نويت الخروج يوم الجمعة.

وقوله: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: (حس) مؤقتات بعدد معدود يشعر بقلتها، كقوله: دراهم معدودة، [أو][(١)] كان واجبًا في ابتداء الإسلام صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عاشوراء، فنسخ بصيام رمضان ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أي راكب سفر أو [عازم][(٢)] علىٰ إتمام سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾: مبتدأ خبره محذوف تقديره ومعناه فأفطر فعليه صيام عدد أيام فطره.

وقرئ: (عدة) نصبًا، أي فليصم عدة.

﴿مِّنْ أَيَّامٍ﴾: نعت لـ«عدة».

﴿أُخَرَ﴾: (حس) أي غير أيام مرضه وسفره، ولم يصرف ﴿أُخَرَ﴾ للوصف، والعدل عن الألف واللام؛ لأنَّ الأصل في فُعلىٰ أن [تستعمل][(٣)] في الجمع بالألف واللام كالكبرىٰ والكبر أو عدل بها عن نظائرها؛ لأنَّ أفعل تصحبه «من» لفظًا أو تقديرًا، فلا يثنىٰ ولا يجمع ولا يؤنث، فإن حذفت منه «من» ثُني وجمع [ودخله][(٤)] الألف واللام بخلاف أخر.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: أي الذين يقدرون علىٰ الصيام وهم من لا عذر [له][(٥)] في الفطر فعليه إن أفطر ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: (كا) لأنهم كانوا قد خيروا في ابتداء الإسلام بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفتدوا، فنسخ التخيير بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أو هي ثابتة في حق من كان يطيق في حال [ق/ ٤١ب] الشباب، ثم عجز عند الكبر فله أن يفطر ويفتدي.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في جـ: عازمًا، والمثبت من أ، ب.

(٣) في ب: يستعمل، والمثبت من أ، جـ.

(٤) في جـ: ودخل، والمثبت من أ، ب.

(٥) في جـ: لهم، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (يطوقونه) من الطوق و(يتطوقونه) أي يتقلدونه و(يطوقونه) بإدغام التاء في الطاء، ويُطِيقُونه ويطيقونه أصلهما يتطيوقونه، ويطيوقونه بمعنىٰ يتطوقونه فأدغمت الياء في الواو كديار.

القراءة: فدية طعام إضافة من إضافة الشيء إلىٰ نفسه كخاتم فضة؛ لأنَّ الفدية تكون طعامًا وغير طعام، وبتنوين «فدية» ورفعها ورفع «طعام» بدلًا من الفدية، أو مبتدأ أي هو طعام وطعام بمعنىٰ إطعام.

والقراءة: مساكين جمعًا مفتوحة النون، ومفردة مجرورة النون منونة.

الفدية: الجزاء وهو أن يطعم عن كل من أفطر مدًّا، وهو رطل وثلث عند الشافعي، وعند الكوفي نصف صاع [من][(١)] بر أو صاع من غيره[(٢)].

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: أي زاد علىٰ مسكين واحد أو زاد علىٰ الواجب عليه.

﴿فَهُوَ﴾: [أي][(٣)] فالتطوع.

﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾: (كا) وقرئ: (يطوَّع)، أي يتطوع.

ومحل ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾: رفع مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وقرئ (والصيام خير لكم).

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: [(تا)][(٤)] شرط محذوف الجواب يدل عليه (أن تصوموا)

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) يعني أن الشهر لو كان مفعولًا به يلزم المسافر أن يصوم في الشهر؛ لأنَّ المقيم والمسافر حاضران للشهر، وإذا كان ظرفًا لايلزم المسافر الصوم؛ لأنَّه شاهد في الشهر، ويكون علىٰ هذا شهر محذوفًا، أي شهر البلد أو بيته قيل: التعليل غير تام إذ مراده أنَّه أن جعل مفعولًا به لزم التساوي بين المقيم والمسافر، وكذا إذا جعل ظرفًا لزم التساوي بين المقيمين من المريض والحائض وغيرهما من المعذورين وغير المعذورين، والأولىٰ إن يقال: هو مفعول به وعام فيمن أدرك الشهر، ثم خصص بقوله: (ومن كان) (أو علىٰ) سفر؛ لأنَّ المريض والمسافر ممن شهد الشهر، وإنما اختص من بين المعذورين المسافر والمريض لغلبة السفر والمرض علىٰ سائر الأعذار.

(٣) سقط من أ، والمثبت من ب، ج.

(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

يتم الوقف هنا لرفعك ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾: مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: أي ابتدئ فيه إنزاله، ويكفي إن رفعت شهر [رمضان](١) خبر مبتدأ تقديره هي شهر، أي الأيام المعدودات شهر رمضان.

وقرئ: (شهرَ) نصبًا أي صوموا أو بدلًا من ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ أيام معدودات، ورمضان مصدر رمض أصابته الرمضاء، فأضيف الشهر إليه فجعل علمًا، فمنع الصرف لعلميته [وللألف](٢) والنون في آخره، أو رمضان اسم من أسماء الله تعالىٰ، والقرآن من القرء، وأصله الجمع لجمعه أحكامًا وقصصًا وغيرهما، ونزل القرآن في رمضان ليلة القدر إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل نجومًا في عشرين سنة.

﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾: من الضلالة [نصب](٣) حال.

﴿وَبَيِّنَٰتٖ﴾: دلالات واضحات.

﴿مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾: ذكر أولًا أنَّه ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾، ثم ذكر ثانيًا أنَّه (بينات من الهدىٰ) ليؤذن أنَّه من جملة ما هدىٰ الله تعالىٰ به.

﴿وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾: (كا) من الحدود والأحكام المفرق بين الحق والباطل.

﴿فَمَن﴾: شرط مبتدأ خبره ﴿شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾: أي من حضر منكم في الشهر وهو مقيم غير مسافر.

﴿فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾: (كا) فليصمه الجواب وتنصب الشهر، والهاء في (يصمه) ظرفين؛ لأنَّ المقيم والمسافر يشهدان الشهر، بخلاف قولك: شهدت يوم الجمعة.

وأعاد قوله: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾: ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ، بعضهم يرىٰ الفطر لمطلق المرض، عن ابن سيرين أنَّه أفطر لوجع كان بإصبعه، وبعضهم بالمرض الذي تجوز معه

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.
(٢) في جـ: والألف، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من أ، والمثبت من ب، جـ.

الصلاة قاعدًا، وأكثرهم أنَّه الذي يخاف من الصوم فيه زيادة غير محتملة، وبالجملة فمتىٰ أجهده المرض أفطر، وإن لم يجهده فهو كالصحيح، وأكثرهم يجوز الفطر في السفر، ومنهم من لم [يوجبه](١) حتىٰ يوجب القضاء علىٰ من صام في السفر، وبعضهم يفضل الفطر في السفر، وبعضهم الصيام، والسفر المبيح للفطر ستة عشر فرسخًا عند الشافعي، ومسيرة ثلاثة أيام عند الكوفي(٢).

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾: حيث أباح الفطر [بالسفر](٣) والمرض.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: العسر ضد اليسر، واليسر ما تسهل.

تلخيصه: يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر.

وقرئ: بضم [سين](٤) اليسر والعسر، ثم عطف علىٰ (اليسر). ﴿وَلِتُكْمِلُواْ﴾: تقديره يريد بكم اليسر ويريد بكم ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: أي عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطر، ثم بسبب مرضكم أو سفركم أو تكملوا عدد أيام الشهر، قال ﷺ: «**الشهر**

---

(١) في ب، جـ: يجوزه، والمثبت من أ.

(٢) قال الواحدي: أعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما فِي الإفطار، لأنَّ الله تعالىٰ ذكر فِي الآية الأولىٰ تخييرَ المقيم والمسافر والمريض، ونسخ فِي الثانية تخيير المقيم بقوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فلو اقتصر علىٰ هذا احتمل أن يعود النسخ إلىٰ التخيير للجميع، فأعاد بعد النسخ ترخيص المسافر والمريض، ليعلم أنَّه باق علىٰ ما كان.

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥] : اليسر: السهولة، يقال: تيسر الأمر، إذا سهل ولان.

والمعنىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] بالرخصة للمسافر والمريض،﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥] لأنَّه لم يشدد ولم يضيق عليكم، وقال الشعبي: إذا اختلف عليكم أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلىٰ الحق، لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

«التفسير الوسيط» (١/ ٢٨٢).

(٣) في جـ: في السفر، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: السين، والمثبت من أ، ب.

بضع وعشرون، فلا تصوموا حتىٰ تروا الهلال، ولا تفطروا حتىٰ تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» (١).

القراءة: بتخفيف (لتكملوا) وبتشديدها، أو (لتكملوا) تعليل لمحذوف تقديره: شرع لكم ما تقدم ذكره لتكملوا ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾: أي تعظموه حامدين.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: ذكره إليه من الصيام تعليمه إياكم كيفية القضاء، أو المراد التكبير ليلة الفطر، وشبهت ليلة النحر بها، أي الحاج فذكرهم التلبية. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾: (تا) تعليل لأجل ما رخص لكم، ويسر عليكم، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ سهولة إجابته وسرعتها بقوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾: علمًا وإجابة، تقديره: فقل لهم: إني قريب؛ لأنَّه جواب ﴿إِذَا سَأَلَكَ﴾.

﴿أُجِيبُ﴾: أي أسمع للإجابة.

﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: القراءة: بحذف الياء فيهما [وإثباتها] (٢)، أو الإجابة بمعنىٰ الثواب، والدعاء بمعنىٰ الطاعة، قال ﷺ: **«ما علىٰ الأرض رجل مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها أو كف عنه من [الشر]** (٣) **مثلها، ما لم يدع بإثم أو**

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٨)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) في جـ: وإثباتهما، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: السوء، والمثبت من أ، ب.

قطيعة رحم»[1] أو أنَّه [يجيب][2] دعوة المؤمن ويؤخر إجابته ليدعوه فيسمع صوته ويجيب من لا يحبه لأنَّه يبغض صوته، روي أنَّ أعرابيًّا قال: يا رسول الله [ق/ ٢٣أ] أقريب ربنا فنناجيه أو بعيد فنناديه؟ فنزل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾[3]: أي فليجيبوا إذا دعوتهم إلىٰ الإيمان استجابة، واستجاب له وأجابه واحد قطع مسألته بتبليغه مراده، وأصله من الجوب القطع.

﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: (تا) الرشد ضد الغي تستعمل للهداية.

القراءة: بضم الشين.

وقرئ: بكسرها وفتحها، رَشِدَ يَرشَد ورَشَد يَرشُد.

كان في ابتداء الإسلام يحرم الأكل والشرب والجماع في رمضان بعد النوم وبعد صلاة عشاء الآخرة، فجامع بعضهم أهله بعد النوم فنزل ﴿أُحِلَّ﴾: أي أبيح[4].

وقرئ: (أحل)، أي الله.

﴿لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: ظرف لـ﴿أُحِلَّ﴾.

﴿ٱلرَّفَثُ﴾: فعل ما يقبح ذكره، أو هو كل ما يراد من النساء كالغمز والتقبيل.

وقرئ: الرفوث.

﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾: (كا) عدي بإلىٰ وإن كان المشهور تعديه بالباء، تقول: رفثت بالمرأة لتضمنه معنىٰ الإفضاء، ولم يقل: الإفضاء إلىٰ نسائكم استهجانًا لهذه الحالة، يقال: رفث فعل، وأرفث صار ذا رفث.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٣)، وأحمد (٢٢٨٣٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٣١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) في جـ: يسمع، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٣٤).

(٤) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٤٩).

ولمَّا كان الرجل والمرأة كل واحد منهما يشتمل على صاحبه عند النوم والمعانقة حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الملبوس [ق/ ٤٢ب] قال مستأنفًا: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾: (كا) أو اللباس اسم لكل ما يستر، فكان كل واحد منهما ستر لصاحبه عما لا يحل.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: أي تخونون.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾: بمباشرتهن في غير وقت المباشرة تفتعلون من الخيانة.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: إذ تبتم من فعلكم المحظور [ق/ ٢٧جـ].

﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾: أي محا ذنوبكم.

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾: ظرف لقوله: ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهن، وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتهما .

﴿وَٱبْتَغُواْ﴾: أي طلبوا.

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: في اللوح المحفوظ من الولد لا لمجرد النكاح، أو هذا نهي عن العزل في الحرائر، أو المراد العضو المباح وطؤه.

وقرئ: (وابتغوا واءتوا) .

كان في ابتداء الإسلام إذا نام الإنسان أو صلى العشاء حرم عليه الطعام [والشراب][(١)] في صيام رمضان فنزل رخصة ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾: ليالي الصيام.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾: تبين الشيء وبان وأبان واستبان واحد: ظهر كله، لازم وقد يتعدى أبان واستبان وتبيَّن.

﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾: هو أول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود.

﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾: هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار، وشبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما، والمراد الفجر الثاني.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾: بيان للخيط الأبيض، واكتفي ببيان الخيط الأبيض عن بيان الأسود لدلالته عليه، روي أنَّه لمَّا نزلت هذه الآية عمد رجال ممن كان يريد الصوم إلىٰ خيط أبيض وأسود فربطوهما في أرجلهم، فكان أحدهم يأكل ويشرب حتىٰ يتبينا له، فلما نزل من الفجر علموا أنَّ المراد الليل والنهار، فمن لم يجوِّز تأخير البيان يطعن في هذه الرواية ويبطلها، وأكثرهم علىٰ جواز تأخير البيان ليستفيد منه المخاطب وجوب الخطاب، ويعزم علىٰ فعله إذا استوضحه.

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: قال ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس أفطر الصائم**»(١)، قالوا: في هذا دليل علىٰ جواز النية بالنهار لرمضان، وجواز ترك الغسل إلىٰ طلوع الفجر، وعلىٰ نفي الوصال.

ونزل فيمن كان يعتكف في المسجد فإذا عرضت له حاجة إلىٰ امرأته خرج فجامعها، ثم اغتسل فرجع إلىٰ المسجد: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾: مقيمون ناوون الاعتكاف.

﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: (كا) أصل العكوف الإقامة، ولا يجوز الاعتكاف في غير المسجد، ويجوز في جميع المساجد احتجاجًا بظاهر الآية، ويجوز غير صائم عند الشافعي خلاف أبي حنيفة.

المعنىٰ: الجماع محرم عليكم مدة اعتكافكم ليلًا ونهارًا، وهو مفسد له.

وقرئ: (في المسجد).

﴿تِلْكَ﴾ أي الأحكام المذكورة، وجميع المحرمات.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: أي موانعه وأصل الحد المنع، ومنه الحديد؛ لأنَّه يمنع ويمتنع به، والفاء بعد متعلقة بمحذوف تقديره: [إن](٢) تنتهوا.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾: (حس) قال ﷺ: «**إن لكل ملك**

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٣)، ومسلم (١١٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

حمىٰ، وحمىٰ الله محارمه، فمن يرتع حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه»(١).

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: (حس)(٢).

تخاصم رجلان إلىٰ النبي ﷺ في أرض بينهما فأراد أحدهما أن يحلف علىٰ أرض أخيه فنزل:

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم﴾(٣): ظرف لتأكلوا، أو حال من الأموال، أي كائنة بينكم.

المعنىٰ: لا يأكل بعضكم أموال بعض ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: في محل نصب تأكلوا وكل ما حرمه الشرع كالغصب والرشوة [فهو](٤) باطل وأصله الذهاب والانعدام.

﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ﴾: جزم عطف علىٰ ﴿تَأۡكُلُوٓاْ﴾، ولا مقدرة تقديره ولا تدلوا أي لا تلقوا [بأموال](٥) الرشوة ونحوها.

﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾: أي قضاة السوء، وأصل الإدلاء: إلقاء الدلو وإرسالها في البئر.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما دون قوله: «فمن يرتع حول...».

(٢) في حاشية ب: روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلىٰ أن يصلوا العشاء أو يرقدوا، ثم إنَّ عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم، وأتىٰ النبي ﷺ واعتذر، فقام الرجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء، وليلة الصيام التي تضجع منها صائمًا، والرفث: كناية عن الجماع.

(٣) قال الواحدي: نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي، وفي عبدان بن أشوع الحضرمي، وذلك أنهما اختصما إلىٰ النبي ﷺ في أرض وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، فحكم عبدان في أرضه، ولم يخاصمه. «أسباب النزول» (ص/ ٥٣).

(٤) سقط من ب، جـ، والمثبت من أ، ب.

(٥) في جـ: بالأموال، والمثبت من أ، ب.

المعنىٰ: لا تدلي بمال أخيك إلىٰ الحاكم وأنت تعلم أنَّه ظالم، فإنَّ قضاءه لا يحل حرامًا، قال ﷺ: «إنما أن بشر [مثلكم][1] وإنَّكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته فأقضي له علىٰ نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء فإنما أقطع له قطعة من النار»[2]، ثم علل فعلهم فقال: ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾: أي طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾: أي الظلم، أو اليمين الكاذبة.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا) أنكم مبطلون، قال معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريان: يارسول الله الهلال يبدو دقيقًا، ثم يزيد حتىٰ يمتلئ نورًا، ثم يعود دقيقًا كما بدأ فنزل:

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[3]: جمع هلال، سمي بذلك لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته.

﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾: أي معالم.

﴿لِلنَّاسِ﴾: جمع ميقات، يعلمون بها أوقات زراعاتهم ومتاجرهم.

﴿وَٱلْحَجِّ﴾: عطف علىٰ الناس، أي وأوقات الحج والعمرة والصيام والإفطار.

القراءة: هنا بالفتح مصدر.

وقرئ: بالكسر اسم كالطحن والطحن، كان المحرم جاهلية وإسلامًا لا يدخل

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٣٤)، ومسلم(١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٣).

بيتًا من بابه، بل يدخله من خلفه، فإن كان حائطًا نقبه إلا الحمس، وهم قريش ويعدون ذلك برًّا، فنزل: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾(١): ولا خلاف في رفع «البر» اسم ليس لوجود الباء في الخبر وهو ﴿بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

القراءة: البيوت والغيوب والشيوخ والجيوب والعيون بضم أوائلها وكسره.

المعنىٰ: ليس البر ما تفعلون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: برّ.

﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: (كا) ذلك وتجنبه.

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: (كا) حال الإحرام.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (تا)، وأول ما نزل في أمر القتال ﴿وَقَٰتِلُوا۟﴾: أي جاهدوا الآية.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: أي في طاعته.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾: لا تبدؤوهم بالقتال، ثم نسخت بعد الهجرة بـ﴿ اقتلوا المشركين ﴾، أو بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦]، أو ليست منسوخة(٢)؛ لأنَّه أمر ﷺ بقتال المقاتلين، فعلىٰ هذا لا تعتدوا نهي عن قتل النساء

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٤).

(٢) قال النحاس: قال ابن زيد: « هي منسوخة نسخها ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] » .

وعن ابن عباس: «أنها محكمة» روىٰ عنه ابن أبي طلحة ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٩٠] قال: «لا تقتلوا النساء والصبيان ولا الشيخ الكبير ولا من ألقىٰ إليكم السلم وكف يده فمن فعل ذلك فقد اعتدىٰ» قال أبو جعفر: وهذا أصح القولين من السنة والنظر فأما السنة: فحدثنا أبو جعفر قال: حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر، «أن رسول الله ﷺ رأىٰ في بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك ونهىٰ عن قتل النساء والصبيان» وهكذا، يروىٰ أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب: لا تقتلوا النساء والصبيان والرهبان في دار الحرب فتعتدوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠]

والدليل علىٰ هذا من اللغة أن فاعل يكون من اثنين فإنما هو من أنك تقاتله ويقاتلك فهذا=

والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ومن استسلم، أو نزلت في صلح الحديبية لمَّا صدَّ المشركون النبي ﷺ عن البيت[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾: أي لا يرضىٰ فعل ﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: (تا) المتجاوزين الحلال إلىٰ الحرام، أو نسخت هذه الآية بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: أي وجدتموهم وتمكنتم منهم، وأصل الثقافة: الحذق في إدراك الشيء وفعله.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: (كا) من مكة؛ لأنهم أخرجوا [ق/ ٤٣ب] المسلمين أولًا منها، وأخرج ﷺ ثانيًا منها من لم يؤمن منهم يوم الفتح، وكانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيرون به المسلمين فنزل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ﴾: أي شركهم بالله أعظم.

﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: (حس) الذي يحلُّ بهم منكم في الحرم والإحرام، بعضهم: أشدّ من الموت ما يتمنىٰ فيه الموت، وفي ذكره الإخراج بعد القتل إيذان أنَّ الخروج من الوطن أشد من القتل مبالغة، أو الفتنة عذاب الآخرة.

القراءة: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾: بغير ألف في ثلاثتها من قولهم: قتلنا بني فلان أي بعضهم، قال: فإن تقتلونا نقتلكم، وبألف في ثلاثتها مفاعلة.

= لا يكون في النساء ولا في الصبيان ولهذا قال من قال من الفقهاء: لا يؤخذ من الرهبان جزية لقول الله جل وعز ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] إلىٰ ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩] وليس الرهبان ممن يقاتل فصار المعنىٰ: وقاتلوا في طريق الله وأمره الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فتقتلوا النساء والصبيان والرهبان ومن أعطىٰ الجزية فصح أن الآية غير منسوخة وقد تكلم العلماء في الآية الثالثة عشرة.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ١٠٧).

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٤).

﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾: عن الشرك والقتال.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لما سلف من ذنوبهم.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس) لعباده.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾: أي المشركين.

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي شرك كان تامة حتىٰ بمعنىٰ كي أو إلىٰ أن.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: أي العبادة.

﴿لِلَّهِ﴾ وحده [فلا][1] يعبد سواه فلا يقبل من غير الكتابي إلا الإسلام أو القتل.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾: عن الشرك.

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾: لا ظلم.

ومحل ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) رفع خبر لا، ودخلت إلا لتفيد الحصر.

المعنىٰ: لا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين، وسمي جزاء الظالمين ظلمًا لازدواج الكلام كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾.

تلخيصه: من آمن سلم.

لمَّا صد ﷺ عام الحديبية عن البيت في ذي القعدة سنة ست ورجع فقضىٰ عمرته في ذي القعدة أيضًا سنة سبع نزل: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾[2]: أي المحرم.

(١) في جـ: ولا، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٥).

﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: أي مقابل به وبما فيه من قتال وحج وغيرهما.

تلخيصه: هذا الشهر بذلك الشهر.

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾: (كا) مساواة المعنىٰ من هتك أيَّ حرمة كانت اقتص منه بمثلها، يوضحه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾: (كا).

تلخيصه: بعقوبة مماثلة عقوبته.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: إذا انتصرتم ممن ظلمكم، فلا تظلموهم بأخذ أكثر من حقكم.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: (تا).

ونزل في البخل وفي ترك الإنفاق في سبيل الله حين قال ناس: لو أنفقنا أموالنا بقينا بلا أموال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي الجهاد، أو هو عام في كل نفقة في طاعة الله تعالىٰ[(١)].

﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾: أصل الإلقاء: طرح الشيء حيث تراه، ثم صار اسمًا لكل طرح عرفًا، قالوا: ولا يقال ألقىٰ بيده إلا في الشر، وعبر عن الأنفس بالأيدي. المعنىٰ: لا تطرحوا أنفسكم.

﴿إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾: أي الهلاك، أو التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه.

أبو عبيدة[(٢)]: التهلكة والهلاك والهلك واحد أو التهلكة ترك الجهاد؛ لأنَّه مفض إلىٰ الهلاك، وكل ما يصير عاقبته إلىٰ الهلاك تهلكه أو المعنىٰ لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلىٰ الهلاك.

روي أنَّ رجلًا حمل علىٰ صف الكفار، فقيل: ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٦).
(٢) «مجاز القرآن» (١/ ٦٨).

[ق/ ٢٤أ]، فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما نزلت هذه الآية [ق/ ٢٨جـ] فينا [حين](١) أحببنا المقام في الأهل والمال وترك الجهاد(٢)، قال ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق**»(٣)، أو التهلكة الإسراف في الإنفاق، أو القنوط من الرحمة عند إصابة الذنب.

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾: (كا) بالله الظن في الإنفاق من غير إسراف ولا تقتير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (حس) فيما يصدر منهم.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾: وإتمامهما أن يؤتى بهما تامَّين بمناسكهما وسننهما، أو إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تحدث لكل واحد منهما سفرًا من دويرة أهلك، أو أن تكون النفقة حلالًا، وتنتهي عما نهي عنه، أو ألَّا تشوبهما بشيء من التجارة، وأجمعوا على وجوب الحج على المستطيع، والعمرة واجبة في أصح قولي الشافعي، وسنة عند مالك وأبي حنيفة.

والحج ثلاثة: إفراد: وهو أن يحج، ثم يعتمر بعد فراغه منه، وهو الأفضل عند مالك الشافعي، ثم تمتع: وهو أن يعتمر في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يحرم بالحج من مكة، فيحج في هذا العام وهو الأفضل عند أحمد

---

(١) في ب، جـ: حيث، والمثبت من أ.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإسحاق، وقران وهو أن يحرم بحج وعمرة معًا، أو يحرم بعمرة، ثم يدخل عليها الحج قبل أن يطوف وهو الأفضل عند أبي حنيفة والثوري.

وقرئ: (والعمرة لله) رفعًا مبتدأ وخبر.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: أصل الإحصار: المنع، والمانع المبيح للمحرم التحلل ما كان بعد وعند الشافعي وأحمد وإسحاق، وعند أبي حنيفة: كل ما صد عن الوصول إلىٰ البيت كعدو ومرض وذهاب نفقة وراحلة، وتقديره: إن صددتم عن الوصول إلىٰ البيت.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾: أي تيسر، تيسر الشيء واستيسر واحد تسهَّل ضد صعب واستصعب، وليست السين للطلب، ومحل (ما) رفع ابتداء، أي فعليه ما تيسر، أو نصب[أي][1] فاهدِ ما تيسر.

﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: (حس) جمع هدية، والهدىٰ بتخفيف الياء مصدر في الأصل، وهو كل ما يهدىٰ إلىٰ البيت تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ.

وقرئ: (الهدي) جمع هدية، كمطية ومطي، والمراد به هنا النعم، فأيسره شاة وأوسطه بقرة، وأعلاه بدنة، فيتحلل المحرم بذبح الهدي، وحلق الرأس حيث أحصر عند أكثرهم، وأبو حنيفة يبعث بهدية إلىٰ الحرم ويقيم علىٰ إحرامه ويواعد من ذبحه عنه ثم يحل.

تلخيصه: فإن منعتم عن البيت محرمين فعليكم إذا أردتم التحلل ما تسهل من الهدي.

﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾: في حال الإحرام.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾: (كا) منحره الذي يذبح فيه، وأصله من الحلول النزول، من أحلت الشاة نزلت اللبن في ضرعها، فيذبحه حيث حل.

---

(١) سقط من أ، والمثبت من ب، ج.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: في جسده.

﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾: من هوام أو صداع أو جراحة.

المعنىٰ: يثبت علىٰ إحرامه من غير حلق حتىٰ يذبح هديه، إلا أن يضطر إلىٰ الحلق، فإن حلق ضرورة [ق/ ٤٤ب].

﴿فَفِدْيَةٌ﴾: أي فعليه فدية.

ومحل ﴿مِّن صِيَامٍ﴾: أي صيام ثلاثة أيام رفع صفة (فدية).

﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾: يطعمها لستة مساكين لكل مسكين نصف صاع.

﴿أَوْ نُسُكٍۚ﴾: هو مصدر أو جمع نسيكة.

وقرئ: بإسكان السين، وهي ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، وهو مخير بين الذبح والصّيام والتصدق؛ لأنَّ أو للتخيير.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: من خوفكم وبرئتم من مرضكم.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: ومعنىٰ التمتع، ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾: هو الاستمتاع والانتفاع بالتقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ قبل الانتفاع بالتقرب إلىٰ الله بالحج، أو هو الانتفاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورًا عليه في الإحرام إلىٰ وقت إحرامه بالحج، و﴿فَمَن﴾ شرط محله رفع ابتداء وجوابه. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ﴾: (كا) ومن [جوابه][1] جوابها جواب إذا، والمعنىٰ فعليه دم شاة يذبحها يوم النحر، فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج جوزه بعضهم كدم الجنايات، ومنعه بعضهم كدم الأضحية.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الهدي.

﴿فَصِيَامُ﴾: أي فعليه صيام.

﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾: أي في وقته وأشهره، فيصوم يومًا قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

وقرئ: (ثلاثة أيام متتابعات).

وقرئ: بنصب ثلاثة، أي فصوموا، ويجوز الصوم قبله بعد ما أحرم، ولا يجوز صوم هذه الثلاثة يوم النحر ولا أيام التشريق، وجوَّز بعضهم صيام هذه الأيام في أيام التشريق.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلىٰ أهليكم وبلدكم، فلو صامها قبل الرجوع لم يجز عند أكثرهم، ويجوز صيامها بعد الفراغ من أعمال الحج وهو المراد من الرجوع في الآية.

وقرئ: (وسبعة) نصبًا عطفًا علىٰ محل ثلاثة، تقديره فصيام ثلاثة كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد:١٤:١٥]، ثم أجمل العدد بعد ما فصله لنفي اللبس، وللإيذان بالاهتمام بصيامها فقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: (حس) في الثواب والإجراء أو كاملة فيما أريد به من إقامة بدل الهدي، أو لنفي [توهم][1] أن الواو هنا بمعنىٰ أو، فلا يجب صيام جميع العشرة؛ لأنَّ الواو تكون بمعنىٰ أو، وأو تكون للتخيير، أو هو خير بمعنىٰ الأمر أي فأكملوها ولا تنقصوها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي هذا الحكم الواجب من الهدي، أو الصيام عند الشافعي.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: (حس) وذلك عند أبي حنيفة وأصحابه إشارة إلىٰ التمتع، فلا متعة ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام، فمن تمتع أو قرن منهم فعليه دم، وهو دم جناية، ولا يأكل منه، وحاضروالمسجد الحرام من كان وطنه من مكة علىٰ أقل من مسافة القصر عند الشافعي وعند أبي حنيفة أهل المواقيت فما دونها، وعند مالك مكة، ودم القران كدم التمتع.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في أداء الأوامر.

---

(١) في جـ: التوهم، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: (تا) علىٰ ارتكاب المناهي.

﴿ٱلۡحَجُّ﴾: مبتدأ خبره ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾: (كا) تقديره وقت الحج أشهر كقولهم: البرد شهران، والمعلومات: شوال وذو القعدة وتسع من ذىٰ الحجة إلىٰ طلوع الفجر عند الشافعي، وهما وعشر من ذي الحجة عند أبي حنيفة، وعند مالك هما وجميع ذىٰ الحجة، فمن قال: عشر أراد الليالي، ومن قال: تسعة أراد الأيام، وجمعها إرادة [الأوقات][1] أو لأنَّ أقل الجمع اثنان أو نزل بعض الشهر منزلة كله.

﴿فَمَن فَرَضَ﴾: أي أوجب علىٰ نفسه.

﴿فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾: بالإحرام والتلبية.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: أي لا جماع، أو هو مقدماته عند النساء أو الفحش من القول رفث، وأرفث واحد.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: كل أنواع المعاصي فسوق.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾: لا خصام.

﴿فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾: (تا) بأن يقول: بعض الحج اليوم وبعض الحج غدًا، أو يقول: حجي أبر من حجك، فنهوا عن ذلك أو كان بعض يقف في الجاهلية بعرفة، وبعض بمزدلفة، وبعض يحج في ذي القعدة، وبعض يحج في ذي الحجة فنسخه الإسلام.

القراءة: برفع (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ) منونًا إخبارًا بمعنىٰ: النهي، أي لا ترفثوا ولا تفسقوا، وبنصبهما من غير تنوين ونصب جدال نفيًا.

وقرئ: بنصب المنفيات نفيًا، وبرفعها إخبارًا، قال ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[2].

---

(١) في جـ: للأوقات، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٩)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تلخيصه: لا تفعلوا ما نهيتم عنه.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾: أي برّ وطاعة.

﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾: (تا).

ونزل فيمن كان يحج بلا زاد ويثقل علىٰ الناس: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ﴾: (كا) هو من الزاد ما يقيكم عن السؤال وغيره، أو المعنىٰ اجعلوا زاد الآخرة التقوىٰ، وزاد الحج الطعام.

﴿يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: (تا) يا ذوي العقول، فإنَّ من لم يتقه فليس بذي لبّ، لمَّا تأثم المسلمون من التجارة أيام الحج نزل:

﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ ﴾

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾: في مواسم الحج.

وقرئ: بها، والجناح: الإثم، وأصله من الجنوح: الميل عن القصد.

ومحل ﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾: أي تقصدوا.

﴿فَضۡلٗا﴾: أي رزقًا وتفضلًا، وهو الرّبح في التجارة.

﴿مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾: (كا) في أيام الحج نصب أو رفع صفة لـ﴿جُنَاحٌ﴾.

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم﴾: أصل الإفاضة الدفع بكثرة من أفاض الرجل ماءه، والمفعول محذوف، تقديره: إذا دفعتم أنفسكم بكثرة.

﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾: هي اسم علم للموقف مرتجل مصروف كعانات وأذرعات عند

بعضهم قال: لأنَّه ليس فيها إلا علامة واحدة، وهو التعريف، قال: لأنَّه لو كان فيها تأنيث لمَّا كان يخلو أن يكون بالتاء التي في لفظ الكلمة وليست للتأنيث، وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كسعاد، قال: ولا يجوز ذلك؛ لأنَّ هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بيت؛ لأنَّ التاء في بيت بدل من الواو، ولاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث لم يجز تقديرها، وبعضهم يجعل التنوين في ﴿عَرَفَٰتٍ﴾، وفي جميع جمع المؤنث كمسلمات نظير النون في «مسلمون»، وليس [ق/ ٤٥ب] للصرف، ومن العرب من يحذف التنوين ويكسر التاء، ومنهم من يفتحها ويجعل التاء في الجمع كالتاء في الواحدة من غير صرف للتعريف والتأنيث، وسمي عرفات؛ لأنَّه وصف لإبراهيم عليه السّلام فلما رآه عرفه أو لأنَّ آدم عليه السلام عرف حواء فيه أو لاعتراف الناس فيه [ق/ ٢٩جـ] بالذنوب، في هذا دليل علىٰ وجوب الوقوف بعرفة؛ لأنَّ الإفاضة لا تكون إلا بعده، وعنه ﷺ أنَّه قال: «**الحج عرفة**» [(١)]، فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج، **والمعنىٰ**: إذا وقفتم بعرفات ثم انصرفتم منه طالبين مكة.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بالدعاء والتهليل والتلبية.

﴿عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾: (كا) يعنىٰ بالقرب منه، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي[(٢)] عرفة إلىٰ محسّر، وجميع المزدلفة موقف إلا المحسّر، أو هو قزح، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام، وعليه الميقدة[(٣)]، وسمي مشعرًا من الإشعار:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وفي «الكبرىٰ» (٤٠١١)، وابن ماجة (٣٠١٥)، وأحمد (١٨٧٩٦)، وابن خزيمة (٢٨٢٢)، والحاكم (١٧٠٣)، والدارقطني(٢/ ٢٤٠)، والطيالسي (١٣٠٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩٥٩٣) من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه.

(٢) المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين.

(٣) الميقدة: موضع وقود كان أهل الجاهلية يوقدون عليها النار.

الإعلام؛ لأنَّه من معالم الحج، وأصل الحرام: المنع، فلا يفعل فيه ما نهي عنه، والإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس ومن جمع وهو بالمزدلفة قبل طلوعها يوم النحر، وسمي جمعًا؛ لأنَّه يجمع فيه بين صلاتي العشاء، والمزدلفة لازدلاف الناس إليها، أو سميتا بذلك لاجتماع آدم بحواء وازدلافه إليها، أي دنوه منها و(ما) مصدرية، أو كافة في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ﴾: بالتوحيد ذكرًا حسنًا.

﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾: لدينه ومناسك حجه.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾: أي قبل الهدىٰ، أو قبل الرسول ﷺ و﴿إِن﴾ هي المخففة من الثقيلة، فالفارق بينهما وبين النافية اللام في ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: (كا) الجاهلين بعبادته وذكره، كانت قريش وحلفاؤها يقفون بالمزدلفة ترفعًا علىٰ الناس لئلا يساووهم في الموقف، والناس بعرفات، فنهوا عن ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [ق/ ٢٥أ]: أي من عرفات، والمراد بالناس جميع الناس إلا الحمس أو إبراهيم وحده أو آدم.

وقرئ: (الناس) كسرًا، أراد الناسي فاكتفىٰ بالكسرة عن الياء، والمراد آدم لأنَّه عهد إليه فنسي، وفي هذا دليل أنَّ الإفاضة من عرفات كانت في شريعتهما، فعلىٰ هذا في الكلام تقديم وتأخير، وتكون هذه الآية مقدمة علىٰ ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ معطوفة علىٰ الإحرام، كأنه قال: أحرموا كما أمركم الله تعالىٰ ثم أفيضوا، أو ثم بمعنىٰ الواو وأفيضوا أو المراد الإفاضة من المزدلفة إلىٰ منىٰ، فعلىٰ هذا المراد بالناس الحمس، ويكون الخطاب لجميع المسلمين، ولا يكون في الكلام تقديم ولا تأخير.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (كا).

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾: جمع منسك بفتح السين وكسرها، وهو موضع النسيكة الذبيحة.

المعنىٰ: إذا فرغتم من عبادتكم وذبحتم ذبائحكم بعد رمي جمرة العقبة.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بالتكبير والثناء عليْه.

﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾: لأنَّ العرب كانت إذا فرغت من حجها وقفت فذكرت مفاخر آبائها.

ومحل ﴿أَوۡ أَشَدَّ﴾: جر عطف علىٰ ﴿ذِكۡرِكُمۡ﴾، أو نصب عطف علىٰ ﴿ءَابَآءَكُمۡ﴾.

وقوله ﴿ذِكۡرٗاۗ﴾: (كا) نصب تمييزًا، وفيه نظر، قالوا: لأنَّ أفعل إنما يضاف إلىٰ ما بعده إذا كان ما قبله كقولك: وجهك أحسن وجه، أي أحسن الوجوه، فإذا نصبت ما بعده كان غير الذي قبله، كقولك: زيد أفره عبدًا، فالفراهة للعبد لا لزيد، والمذكور قبل أشد هنا هو الذكر، والذكر لا يذكر حتىٰ يقال: ﴿أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾، إنما قياسه أن يقال: الذكرُ أشدُّ ذكرٍ جرًّا إضافة، ووجه نصبه عند أبي عليّ وغيره أنَّه يجعل الذكر ذاكرًا مجازًا، ويجوز نسبة الذكر إلىٰ الذكر بأن يسمع إنسان الذكر فيذكر، فكأن الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه، ﴿أَوۡ أَشَدَّ﴾ نصب بمضمر، تقديره: واذكروه ذكرًا أشد من ذكركم لآبائكم، فيكون نعتًا لمصدر محذوف في موضع الحال، أي اذكروه مبالغين في ذكركم له، قيل لابن عباس: إنَّه قد يأتي علىٰ الإنسان اليوم لا يذكر فيه أباه، فقال: ليس كذلك، ولكن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما(١).

ثم أومأ إلىٰ اختلاف الخلق بقوله: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾: (كا) نصيب قالوا: المراد المشركون؛ لأنَّهم كانوا لا يسألون في حجهم إلا الدنيا.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٢٥٧).

ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

﴿وَمِنۡهُم﴾: أي المؤمنين.

﴿مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: أي العلم النافع والعبادة.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾: أي الجنة، ويجوز أن يراد بالحسنة كل خير، عن عليّ: الحسنة في الدنيا المرأة الصّالحة، وفي الآخرة الحوراء.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: (كا) قال: المرأة السوء، ويجوز أن يقال كل ما يبعد عن الله تعالىٰ من عذاب النار؛ لأنَّه سبب العذاب.

تلخيصه: أكثر واذكر الله وسلوه سعادتكم في داريه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: أي المؤمنون أو جميع الداعين.

﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾: (كا) دعوا وسمي الدعاء كسبًا؛ لأنَّه عمل، والعمل يوصف بالكسب، كقوله: ﴿كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورىٰ:٣٠]، **والمعنىٰ**: لهم جزاء من جنس عملهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

ثم أومأ إلىٰ قدرته محذرًا من الموت، وحاثًّا علىٰ أعمال الخير بقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: (حس) وسرعة حسابه إنما كان لعدم احتياجه إلىٰ عقد يدٍ أو وعي صدر أو نظر وفكر، بل أسرع من لمح البصر تعالىٰ علاؤه وشأنه.

روي أنَّه يحاسبهم في مقدار فواق ناقة، وروي في لمحة.

﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بالتكبير عقيب الصلوات وعند رمي الجمرات.

﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾: (كا) جمع معدودة، وأيام جمع يوم، ولا ينعت المذكر بمؤنث، فلا يقال يوم معدودة، وقياسه في أيام معدودة؛ لأنَّ الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [البقرة:٨٠]، قالوا: ووجهه أنَّه أجرىٰ (معدودات) علىٰ لفظ (أيام)، وقابل الجمع بالجمع مجازًا، ويجوز أن يراد باليوم الساعة لاشتمال الزمان عليهما، فيصح النعت بالمؤنث، ويجوز أن يكون في الكلام حذف، ويكون اليوم بمعنىٰ الوقت، أي في أوقات ساعات معدودات، فعلىٰ هذا يكون الذكر في جميع تلك الساعات.

والمراد بالمعدودات: أيام التشريق، وهي أيام منىٰ، والتكبير عقيب الصلوات في هذه الأيام مشروع للحاج وغيرهم عند أكثرهم، والتكبير الله أكبر ثلاثًا نسقًا عند الشافعي، واثنين عند الكوفي، وتمامه لا إله إلا الله [ق/ ٤٦ب] والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾: أصل العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وتعجل واستعجل يستعملان غير متعديين بمعنىٰ عجل، ومتعديين [يقال][1]: تعجلت الشيء [واستعجلته][2]، والمعنىٰ: فمن عجل في النفر الأول وطلب الخروج من منىٰ.

﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾: أي في اليوم الثاني من أيام التشريق.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾: بتعجيله وترك المبيت الليلة الثالثة بمنىٰ؛ لأنَّه مرخص له في ذلك.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾: حتىٰ نفر في اليوم الثالث ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾: بترك الترخص.

تلخيصه: هم مخيرون بين النفرين، وإن كان المتأخر أفضل، وخبر المبتدأ المحذوف.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في جـ: فاستعجلته، والمثبت من أ، ب.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ﴾: (حس) المناهي، تقديره جواز التخيير ونفي الإثم لمن اتقىٰ.

﴿تُحۡشَرُونَ﴾: (تا) كان الأخنس بن شريق حلو الكلام يلقىٰ النبي ﷺ ويحلف له أنَّه يحبه، فنزل فيه أو في المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ﴾: يروقك ويعظم في قلبك[1].

﴿قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: يقال في الاستحسان: أعجبني كذا، وفي الإنكار: عجبت من كذا.

المعنىٰ: يسرك ما يقوله في معنىٰ الدنيا؛ لأنَّ دعواه محبتك إنَّما هو لطلب حظ من الدنيا.

﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾: أي يقول: الله شاهد علىٰ ما في قلبي من محبتك.

وقرئ: (ويشهد اللهُ) رفعًا، أي يعلم ويستشهد الله.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾: (كا) الجدال مصدر خاصم مخاصمة وخصامًا، أو الخصام جمع خصم نحو كعب وكعاب.

المعنىٰ هو شديد الجدال والعداوة للمسلمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: أي أدبر عنك.

﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يعمل المعاصي.

﴿لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾: بقطع الرحم وسفك دماء المسلمين.

﴿وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾: (كا) لأنَّه كان بين الأخنس وبين ثقيف عداوة فأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم ليلًا، أو تولىٰ صار واليًا فأفسد الحرث والنسل بظلمه أو يظهر المعاصي والظلم، فيمنع الله القطر بشؤم ظلمه فيهلك الحرث والنسل.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٥٧).

وقرئ: برفع الحرث والنسل وفتح الياء فاعلين، وليهلك بلام زائدة، ويهلك بفتح اللام، ويهلك مجهولًا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾: (حس).

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾: أي حملته النخوة والتكبر والمنعة على العمل ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: أي الظلم، ومحل ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ حال من ﴿ٱلْعِزَّةُ﴾، أي أخذته ملتبسة بالإثم.

ابن مسعود: من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله، فيقول: عليك نفسك.

وعنه: من الذنوب التي لا تغفر أن يقال للرجل: اتق الله، فيقول: عليك حسبك.

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾: أي كافية.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: (تا) الفراش، ونزل في الزبير بن العوام وصاحبه المقداد بن الأسود لمَّا قال ﷺ: «**من يختزل خبيبًا عن خشبته وله الجنة**»، فقال: أنا وصاحبي المقداد، وكان خبيب قد صلبه أهل مكة أو في صهيب بن سنان الرومي حين آذاه مشركو مكة، وهاجر [ق/ ٣٠جـ] إلى المدينة أو في عليّ حين استخلفه النبي ﷺ على فراشه بمكة لمَّا خرج إلى الغار ليرد ما عنده من الودائع أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾: أي يبيعها[1].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٢٦٥).

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ﴾: أي طلب رضوان ﴿ٱللَّهِ﴾: أو ابتغاء مفعول له أو مصدر، وأصل البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يطلب، قال ﷺ: «**أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر**»(١).

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: (تا) أن كلفهم الجهاد؛ لحصول الثواب لهم.

قال عبد الله بن سلام وأصحابه: دعنا يا رسول الله فلنقم بالتوراة، فنزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾(٢): أصله الاستسلام والانقياد. والمراد: الإسلام.

القراءة: بفتح السين وكسرها.

وقرئ: بفتح السين واللام لغات في السلم أو بالكسر: الإسلام، وبالفتح: الصلح، وتنصب.

﴿كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: أي: جميعًا، وأصلها من الكف: الجمع حالًا من الضمير في ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، أو من السلم؛ لأنها تؤنث.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: (كا).

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: وقرئ: بكسر اللام، أي: ملتم عن الإسلام مجتمعين.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾: أي: الدلالات على أن ما دعيتم إليه حق.

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: غالب قادر على الانتقام.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) لا ينتقم إلا بالحق، روي أنَّ أعرابيًا سمع قارئًا يقرأ: (غفور رحيم) فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنَّه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجة (٤٠١١)، وأحمد (١١١٥٩)، وأبو يعلى (١١٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٦٧).

إغراء عليه[1]، وكذا نقل في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ في المائدة[المائدة:٣٨].

ثم جاء باستفهام بمعنىٰ النفي مبكتًا فقال:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: النظر والانتظار: الإمهال، نظرته وانتظرته وأنظرته: أخرته.

المعنىٰ: ما ينتظر تاركو الدخول في السلم؟

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: يأتي أمر الله وقضاؤه يوم القيامة أو في الدنيا يأتيهم الله بعذابه، فحذف عذابه للعلم به.

﴿فِى ظُلَلٍ﴾: جميع ظلة: وهي ما أظل. والمراد: السحاب يستر.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: أي: الغيم وصف لظلل أو يتعلق بـ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾، أي: ما يأتهم من جهة الغمام، وإتيان عذابه وقضائه في ظلل من الغمام إيذان بشدته، قالوا: لأنَّ الغمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان أصعب، ومنهم من لم يتأول هذا وما شاكله، ويمره كما جاء بلا كيف.

وقرئ: (ظلال) جمع ظلة كقلة وقلال، أو جمع ظل.

القراءة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: رفعًا عطفًا علىٰ اسم (الله).

وقرئ بالجر عطفًا علىٰ (ظلل) أو علىٰ (الغمام).

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: أي: فرغ من حسابهم، أو أتم أمر هلاكهم.

وقرئ: وقضاء مصدر مرفوع معطوف علىٰ الملائكة ومجرور؛ عطفًا علىٰ (ظلل)، أو (الغمام).

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٢٥٣).

القراءة: (وَإِلَىٰ ٱللهِ تَرجِعُ ٱلأُمُورُ): (تا) بفتح التاء وكسر الجيم.

فبعد ذلك أمر تعالىٰ نبيه ﷺ بسؤال اليهود؛ تبكيتًا فقال: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

ومحل ﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم﴾ [ق/ ٢٤أ]: نصب مفعول ثانٍ لـ﴿سَلۡ﴾، ولا تعمل سل في ﴿كَمۡ﴾؛ لأنها استفهام.

ومحل ﴿كَمۡ﴾ نصب مفعول ثانٍ لـ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾ [ق/ ٤٧ب] نحو عشرين آية أعطيناهم، أو محل ﴿كَمۡ﴾ رفع ابتداء، خبره ﴿ءَاتَيۡنَٰهُم﴾، والعائد محذوف تقديره: آتيناهموها.

وقوله: ﴿مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾: (حس) دلالة واضحة علىٰ نبوة موسىٰ أو محمد ﷺ تمييز لكم، والأحسن إذا فصل بين ﴿كَمۡ﴾ وبين تمييزها أن يؤتىٰ بـ﴿ مِّنۡ﴾.

ومحل ﴿وَمَن﴾: رفع ابتداء والعائد الضمير في ﴿يُبَدِّلۡ﴾: أي: ينكر ويغير.

﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾: أي: الدلالة علىٰ نبوة محمد ﷺ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: أي بعد ما عرفها وصحت عنده.

وقرئ: (يُبْدِل) مخففًا.

﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: (تا).

ونزل في مشركي العرب أو المنافقين: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: وحذفت التاء من ﴿زُيِّنَ﴾ للفصل، ولأنَّ تأنيث الحياة غير حقيقي، والمزين الله تعالىٰ بأن خلق الأشياء العجيبة، ومكنهم منها ويدل عليه ما قرئ: (زَيَّنَ للذين كفروا) بفتح الياء والزاي، أو المزين الشيطان بأن وسوس لهم وَمَنَّاهُم الأماني الكاذبة.

﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ﴾: (حس) من فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وخبيب وبلال وغيرهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: (كا) لأنَّ هؤلاء الفقراء في أعلىٰ عليِّين في

الجنة، وهؤلاء الكفار في أسفل السافلين في النَّار، وفي ذكره المؤمنين ثم المتقين إيذان أنَّه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي.

﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: (تا) رزقًا واسعًا [من غير](١) تقتير أو يرزق الكثير في الدنيا، ولا يحاسب عليه في الأخرىٰ أو الحساب يرجع إلىٰ الله تعالىٰ، فلا يعترض عليه فيما يفعله؛ لأنَّه المالك.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: متفقين علىٰ دين الإسلام من آدم إلىٰ نوح أو إلىٰ أن قتل قابيل هابيل أو هم من كان مع نوح في السفينة أو من نوح إلىٰ إبراهيم عليهما الصلاة والسّلام، أو كانوا كفارًا كلهم زمن إبراهيم، فبعث إليهم أو هم بنو آدم لمَّا أخذ عليهم الميثاق قالوا: ولم يكونوا مسلمين كلهم إلا ذلك اليوم، ثم اختلفوا.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾: بالثواب للمؤمنين.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: بالعقاب للعاصي، ومبشرين ومنذرين حالان.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: الكتب، فنزل مع كل نبي كتاب.

ومحل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: الصدق حال من الكتاب، أي: ممتزجًا بالصدق.

واللام في ﴿لِيَحۡكُمَ﴾: أي: الله، أو كل نبي بكتابه متعلقة بـ«أنزل».

﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾: [(حس)](٢) أي: في دين الإسلام.

---

(١) في جـ: بغير، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾: [(حس)][1] أي: في الحق، أو في الكتاب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: أي: أعطوا الكتاب المنزل.

و﴿مِنۢ﴾ في ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: علىٰ صدق الكتب متعلق بـ ﴿مَا ٱخۡتَلَفَ﴾، ولم تمنع إلا من ذلك، كقولك: ما قام إلا زيد يوم الجمعة.

وتنصب ﴿بَغۡيَۢا﴾: أي: حسدًا مفعولًا له.

﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾: ظرفًا أي: بين المختلفين بأن كذب بعض بعضًا، وكتموا صفة محمد ﷺ للحسد علىٰ حطام الدنيا ورئاستها. ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: بيان للمختلف فيه.

تلخيصه: فهدىٰ المؤمنين إلىٰ الحق المختلف فيه من الحق.

ومحل ﴿بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾: (حس) بعلمه وإرادته حال من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي مأذونًا لهم.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾: (كا) لمَّا أصاب المسلمين الجهد في غزوة الخندق أو أحد أو لمَّا دخل ﷺ المدينة وعاداهم اليهود فجزعوا، فأنزل تعالىٰ مصدِّرًا كلامه بـ«أم» المنقطعة؛ توبيخًا لهم علىٰ جزعهم بعد علمهم اختلاف الأمم علىٰ أنبيائهم وتصبيرًا لهم علىٰ ذلك فقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾[2]: متعدية إلىٰ مفعولين سد مسدهما عند سيبويه.

﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ولمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ﴾: أي: شبه.

﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾: أي مضوا.

﴿مِن قَبۡلِكُمۖ﴾: (كا) من النبيين والمؤمنين، ﴿وَلَمَّا﴾: هي (لم) ضمت إليها

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٦٧).

(ما) ولزمها الجزم.

تلخيصه: أظننتم أنكم تدخلون الجنة من غير مشقة، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعده جملة استئنافية مبينة حالهم، كأنَّه قيل: كيف كان حالهم؟ فقيل: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾: أي: الشدة والفقر.

﴿وَزُلْزِلُواْ﴾: أي حركوا وأزعجوا بأنواع البلايا والرزايا إزعاجًا شديدًا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

المعنىٰ أنَّ الأهوال اشتدت عليهم إلىٰ غاية قال فيها الرسول والمؤمنون استبطاءً للنصر لا شكًّا: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾:(حس) الذي وعدناه، و﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ خبره ﴿مَتَىٰ﴾ فأجيبوا: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: (تا) غير متأخر.

القراءة: (يقول) نصبًا بإضمار «أن»، وجعل الفعل مستقبلًا، أي: إلىٰ أن يقول فالفعل مستقبل، والمعنىٰ علىٰ المضي، أي إلىٰ أن قال:ورفعًا، فتجعل الفعل ماضيًا أو حالًا؛ لأنَّ «حتىٰ» لا تنصب إلا فعلًا مستقبلًا، ولا تنصبه إذا كان حالًا نحو شربت الإبل حتىٰ يجيء البعير يجر بطنه، فهي حال ماضية محكية، و«حتىٰ» التي يرتفع بعدها الفعل ليست الجارة، ولا العاطفة، وإنما هي الداخلة علىٰ الجمل، والتي تنصب الأفعال بمعنىٰ إلىٰ أن هي الجارة، وهي للغاية، والفعل بعدها ماضٍ معنىٰ مستقبل لفظًا، والتي تنصب بمعنىٰ «كي» هي العاطفة، والفعل بعدها مستقبل نحو: أسلمت حتىٰ أدخل الجنة، فالإسلام قد وجد، والدخول لم يوجد.

ونزل لمَّا سأل عمرو بن الجموح -وكان شيخًا ذا مال- عن النفقة ومصرفها:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾[(١)]: «ما» استفهام بمعنىٰ «أي» مبتدأ خبره «ذا»؛ لأنها بمعنىٰ [الذي][(٢)]، و﴿يُنفِقُونَۖ﴾ صلته، والعائد محذوف.

تلخيصه أي شيء الذي ينفقونه أو ﴿مَاذَا﴾ اسم واحد استفهام تنصب ﴿يُنفِقُونَۖ﴾، ومحل الجملة علىٰ التقديرين نصب بيسألون، ثم جاء بجواب السؤال وجعل «ما» فيه شرطية فقال: ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم﴾، وقوله: ﴿مِّنۡ خَيۡرٍ﴾: بيان للمنفق، ثم جاء بجواب الشرط مبينًا مصرف النفقة بقوله: ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ إلى ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾: (كا).

تلخيصه: ما أنفقتم من حلال فهو خير كله إذا كان علىٰ هؤلاء المذكورين.

السدي: هي منسوخة بفرض الزكاة أو بالمواريث، ويجوز حملها علىٰ النفل والواجب، فلا يحتاج إلىٰ تقدير نسخ [ق/ ٤٨ب].

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: ﴿تا).

﴿كُتِبَ﴾: أي فرض.

﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾: للكفار [ق/ ٣١جـ]، أكثرهم أنَّ الجهاد فرض كفاية.

ومحل ﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾: (حس) مكروه شاق عليكم حال.

وقرئ: بفتح الكاف لغتان أو بالفتح بمعنىٰ الكراهية مصدر، وبالضم اسم للمصدر.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾: (كا) لأنَّكم تكرهون الغزو وفيه الظفر والغنيمة أو الشهادة والجنة.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا﴾: هو القعود عن الغزو.

ومحل: ﴿أَن تَكۡرَهُواْ﴾، و﴿أَن تُحِبُّواْ﴾ رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٦٧).

(٢) في جـ: التي، والمثبت من أ، ب.

ومحل ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾: (كا) نصب وصف لـ ﴿شَيْـًٔا﴾ أو حال من النكرة.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: مصالحكم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا).

بعث ﷺ عبد الله بن جحش في آخر جمادى الآخرة قِبَلَ بدر بشهرين في سرية على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدمه المدينة ليرصدوا عيرًا لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين، وأفلت واحد وجاء عبد الله وأصحابه النبي ﷺ بالعير والأسيرين، وقالوا: يا رسول الله قتلنا ابن الحضرمي، ثم أمسينا فرأينا هلال رجب، فما ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى(١).

ابن عباس(٢): كانوا يحسبون تلك الليلة من جمادى، وكانت من رجب، فوقف النبي ﷺ العير والأسيرين، وامتنع عن أخذها، وقال المشركون: قد استحل محمد الشهر الحرام فنزل:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾(٣): أي رجب الآية، فأخذ ﷺ العير والأسيرين وبعث إلى قريش في فدائها(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٠٣).

(٣) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٦٨).

(٤) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٦٨).

وقوله: ﴿قِتَالٍ فِيهِۖ﴾: بدل اشتمال من ﴿ٱلشَّهۡرِ﴾؛ لأنَّ الشهر مشتمل على القتل.

تلخيصه ومعناه: يسألك المسلمون أو الكفار عن قتال في الشهر.

وقرئ: (عن قتال فيه) بتكرير «عن».

وقرئ: ([عن][1] قتل فيه).

وقرئ: (قتال) رفعًا خبر مبتدأ محذوف تقديره: أجائز قتال فيه؟ أكثرهم أن هذه الآية منسوخة بـ (اقتلوا المشركين)، وعن عطاء أنَّه كان يحلف بالله أنَّه لا يحل للناس القتال في الحرم، ولا في الشهر الحرام، وأنها ما نسخت[2].

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) قال النحاس: العلماء على أن هذه الآية منسوخة وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح غير عطاء فإنه قال: «الآية محكمة ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم»
ويحتج له بما حدثناه إبراهيم بن شريك، قال: حدثنا -أحمد يعني: ابن عبد الله بن يونس- قال: حدثنا ليث، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: «**كان رسول الله ﷺ لا يقاتل في الشهر الحرام إلا أن يغزى أو يغزو فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ**» قال أبو جعفر: وهذا الحديث يجوز أن يكون قبل نسخ الآية، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وقتادة، والأوزاعي على أن الآية منسوخة فمن ذلك: ما حدثناه عليل بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن هشام، قال: حدثنا عاصم بن سليمان، قال: حدثنا جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: وقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾[البقرة: ٢١٧]، أي: في الشهر الحرام ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]» أي: عظيم، فكان القتال فيه محظورا حتى نسخته آية السيف في براءة ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] فأبيحوا القتال في الأشهر الحرم وفي غيرها.
حدثنا جعفر بن مجاشع، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا سعيد، عن قتادة، في قوله جل وعز: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾ [البقرة: ٢١٧] «فكان كذلك حتى نسخه هاتان الآيتان في براءة ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] ثم قال جل وعز:=

وقوله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: (تا) مبتدأ وخبر جاز الابتداء بالنكرة؛ لأنَّها وصفت بفيه.

= ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] والأشهر الحرم عهد كان بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش، انسلاخ أربعة أشهر بعد يوم النحر لمن كان له عهد ومن لم يكن له عهد، فإلىٰ انسلاخ المحرم، فأمر الله جل وعز نبيه ﷺ إذا انسلخت الأشهر الأربعة أن يقاتل المشركين في الحرم وغيره حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله».

قال أبو جعفر: هذه الأشهر التي ذكرها قتادة وقال: «**هي الحرم هي أشهر السياحة فسماها حرما؛ لأنه حظر القتال فيها**» فأما الأشهر الحرم فهي أربعة والعلماء يختلفون في اللفظ بها فمن أهل المدينة من يقول: أولها ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ومنهم من يبدأ برجب، وأهل الكوفة يقولون: أولها المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة، وينكرون ما قاله المدنيون وقالوا: قولنا أولىٰ لتكون من سنة واحدة، ومن قال من المدنيين: أولها رجب احتج بأن النبي ﷺ قدم المدينة في شهر ربيع الأول، فوجب أن يكون أولها رجب علىٰ هذا.

قال أبو جعفر: والأمر في هذا كله سهل؛ لأن الواو لا تدل علىٰ أن الثاني بعد الأول عند أحد من النحويين علمته فإذا كان الأمر علىٰ هذا، فالأولىٰ أن يؤتىٰ بالأشهر الحرم علىٰ ما لفظ به رسول الله ﷺ وأدي عنه بالأسانيد الصحاح، وهو قول المدنيين الأول، روىٰ أبو بكرة، وغيره، أن النبي ﷺ خطب فقال: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فالسنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادىٰ وشعبان**» .

قال أبو جعفر: وقد قامت الحجة بأن قوله جل وعز: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] منسوخ بما ذكرناه من نص القرآن وقول العلماء وأيضا فإن النقل يبين ذلك؛ لأنه نقل إلينا أن هذه الآية نزلت في جمادىٰ الآخرة أو في رجب في السنة الثانية من هجرة رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، وقد قاتل رسول الله ﷺ هوازن بحنين وثقيفا بالطائف في شوال وذي القعدة وذو القعدة من الأشهر الحرم وذلك في سنة ثمان من الهجرة. قال أبو جعفر: فهذا ما في القتال والجهاد من الناسخ والمنسوخ في هذه السورة مجموعا بعضه إلىٰ بعض ثم نرجع إلىٰ ما فيها من ذكر الحج في الآية السابعة عشرة .

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ١٢٤-١٢٦).

﴿وَصَدٌّ﴾: أي: منع مبتدأ.

وقوله: ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: الإيمان وصفه.

﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾: أي بالله عطف على ﴿صَدٌّ﴾.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي: مكة، عطف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وإن منعه بعضهم، أي: وصدكم المسلمين عن الإيمان وعن مكة أو هو متعلق بمحذوف دل عليه الصد، تقديره: ويصدون عن المسجد الحرام.

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾: أي أهل المسجد وهم النبي ﷺ والمؤمنون عطف أيضًا وخبر ﴿صَدٌّ﴾. ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: (حس): وجاز العطف على المبتدأ قبل الإتيان بخبره لشدة العناية؛ توبيخًا للكفار، ومما يقاربه في التقديم قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] قياسه: ولم يكن أحدٌ كفؤًا له، فقدم لشدة العناية.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: أي الشرك.

﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: (حس). **تلخيصه**: قولوا للكفار تعييرًا لهم: الصد والكفر وإخراج المؤمنين من مكة أعظم إثمًا عند الله تعالى من قتل ابن الحضرمي والقتال في الشهر الحرام.

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾: أي الكفار.

﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾: أي: كي أو إلى أن ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾: أي: يصرفوكم ﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾: (حس) قدروا و﴿حَتَّىٰ﴾ متعلقة بـ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾، وجواب ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ محذوف، دل عليه «لا يزالون»، ثم تهددهم بقوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾: أي يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: إلى دينهم ويطاوعهم عليه سرًّا وجهرًا.

﴿فَيَمُتْ﴾: عطف على ﴿يَرْتَدِدْ﴾.

﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾: أي مرتد، ومن رفع ابتدأ خبره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [ق/ ٢٦أ]: أي: بطلت حسناتهم.

﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ﴾: لأنَّ عباداتهم لم تصح في الدنيا، فلم يجازوا عليها في الأخرىٰ، في هذا دليل للشافعي أنَّ الردة لا تحبط العمل حتىٰ يموت مرتدًّا، وأبو حنيفة يبطلها بالردة وإن رجع مسلمًا.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: (تا) فثم قال أصحاب السرية: أنؤجر علىٰ فعلنا هذا؟ فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾[1]: لأنَّهم فارقوا أهلهم ومنازلهم.

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فجعلها جهاد أو جمع بين هذه الخصال ترغيبًا، وإن كان الثواب حاصلًا بكل واحدة منها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾: (كا)، قتادة[2]: هؤلاء خيار هذه الأمة، وجعلهم الله راجين، وأن من رجا طلب، ومن خاف هرب.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: (تا).

كانت الخمر حلالًا إجماعًا، وكان المسلمون يشربونها، فجاء معاذ بن جبل وعمر بجماعة فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال:

﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٠).

وروي أنَّه سئل ﷺ عن الخمر والميسر معًا فنزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[١]: أي عن جواز تناولهما واستعمالهما؛ لأنَّ السؤال لم يكن عن أعيانهما، لا أحب الوقف هنا وإن تعمده بعضهم؛ لأنَّ الجواب لم يأت بعد، وكذلك ما أشبه هذا نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ فتركها قوم لقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: وشربها قوم لقوله: ﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، ثم دعا عبْد الرحمن بن عوف جماعة فسكروا فأمَّهم بعضهم في المغرب فقرأ (قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) فنزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣] فتركوها في حال السكر، ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فشربوا الخمر، فأنشد سعد بن أبىٰ وقاص قصيدة فيها هجاء الأنصار، فضرب بعض الأنصار رأس سعد بلحي جمل فشجه موضحة، فشكا إلىٰ النبي ﷺ، فقال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزل: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ في المائدة إلىٰ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩٠،٩١] فقال عمر: انتهينا، فحرمت الخمر وأريقت[٢].

والخمر: ما غلىٰ واشتد وقذف بالزبد من غير طبخ النار من عصير العنب والرطب، ونقيع الزبيب والتمر يحد شاربها ويفسق، ويكفر مستحلها، وأبو حنيفة وأبو يوسف إنما يُكَفِّران باستحلال ما اتخذ من عصير العنب، وكذلك كل مسكر عند الشافعي.

وأبو حنيفة لا يحرم إلا المتخذ من عصير العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب، والقدر المسكر [ق/ ٤٩ب] من كل شراب حالة الشرب.

وأصل الخمر: الستر والتغطية، ولذلك سميت بمصدر خمرته أي: سترته؛ لأنَّها تغطِّي علىٰ العقول وتسترها، قال ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب؛ لم يشربها في الآخرة**»[٣].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٧١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه مسلم(٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال: «**ما أسكر كثيره؛ فقليله حرام**»[(١)].

عليّ[(٢)]: لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها.

والميسر: قمار العرب مفعل من يسر ييسر يسرًا وميسرًا وجب أو هو من اليسر ضد العسر؛ لأنَّ الإنسان يأخذ مال أخيه بلا تعب، وكانوا يشترون جزورًا ويجزئونها عشرة أجزاء، ويضربون عليها بالقداح، ويطعمونها الفقراء، ولا يطعمونها قالوا: جميع القمار ميسر.

عليّ[(٣)]: النرد والشطرنج ميسر.

القراءة: (إثم كبير) بباء موحدة وثاء مثلثة، أي وزر عظيم من الفحش، والمخاصمة والعداوة بسبب الخمر والميسر سيما الخمر، فإنَّها أقوىٰ الطرق في ارتكاب المعاصي والانتفاع بهما هو اللذة، واستمراء الطعام وكسب المال بالتجارة فيها، ونيل المال بلا تعب في الميسر، وانتفاع الفقراء بلحم الجزور.

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾: بعد التحريم.

﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾: (كا) قبل التحريم.

وقرئ: (أقرب من نفعهما).

القراءة: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوُ﴾: رفعًا خبر مبتدأ محذوف تقديره المنفق العفو، فعلىٰ هذا ﴿مَاذَا﴾ مبتدأ وخبر ونصبًا بمضمر تقديره: ينفقون العفو، فعلىٰ هذا ﴿مَاذَا﴾ اسم واحد نصب بـ﴿يُنفِقُونَۖ﴾ الموجودة ليكون الجواب وفق السؤال، وأصل العفو السهولة والفضل، ومنه العفو للأرض السهلة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجة (٣٣٩٣)، وابن حبان(٥٣٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٧٦)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١٧١٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٨١).

المعنىٰ: أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة، وكان جماعة من الصحابة يكتسبون وينفقون الفاضل عن الحاجة، ثم نسخت بالزكاة قال ﷺ: «**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وابدأ بمن تعول**»[١]، ثم خاطب النبي ﷺ، والمراد الأمة فقال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي تبيينًا مثل هذا التبيين.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾: إن علقت ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: بقوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ﴾: (تا) كأن المعنىٰ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمرهما، فتسعون فيما هو صلاحكم فيهما، وإن علقت ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بـ ﴿يُبَيِّنُ﴾ كان المعنىٰ: يبين لكم أمر النفقة والإخراج للدارين؛ لتتفكروا في زوال الدنيا وبقاء الآخرة فتطلبوا الآخرة بترك الدنيا، وعلىٰ التقديرين فلا وقف علىٰ ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ لئلا يفصل بين العامل ومعموله (الأخرة) لمَّا نزل ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام:١٥٢] أو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠] فتركوهم واجتنبوا مؤاكلتهم فنزل: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾: أي إصلاح أموالهم بنظركم فيها خير لكم لتثابوا، ولهم لنمو مالهم.

[وقرئ:][٢] (إصلاح [إليهم][٣])، أي: إيصال الإصلاح إليهم.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾: أي تخلطوا أموالكم [ق/ ٣٢جـ] إلىٰ أموالهم وتشاركوهم فيها، أو المراد بالمخالطة المصاهرة.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾: (كا) القراءة: برفع «إخوانكم»، أي: فهم إخوانكم في الدين؛ لأنَّ الأخ يُصيب من مال أخيه، ويعين بعضهم بعضًا.

وقرئ: بنصبها، أي: تخالطون.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه .

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ .

(٣) في جـ: لهم، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إعناتكم ﴿لَأَعْنَتَكُمْۚ﴾: (كا) لضيق عليكم، ولمَّا أباح لكم مخالطتهم، وأصل العنت المشقة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: آمر بعزة سهل علىٰ العباد أو صعب.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) في صنعه.

ونزل لمَّا سأل أبو مرثد النبي ﷺ عن تزويج عناق مشركة: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾[١]: أي: لا [تتزوجوا][٢] ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ﴾: أي: الوثنيات بدليل قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة:٥]، وقوله ﷺ: «**نتزوج نساء أهل الكتاب، ولا يتزوجون نساءنا**»[٣].

وقرئ: بضم التاء، أي: ولا تزوجوهن نفوسكم أو لا تزوجوهن غيركم، نكح تزوج: وأنكح بهمزة زوج غيره، وأصل النكاح للعقد، وأصل العقد: الضم، ثم استعير للجماع، ولا يكون النكاح اسمًا للجماع، ثم يستعار للعقد؛ لأنَّ أسماء الجماع كلها [كنايات][٤] عما يستقبح ذكره، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشًا اسم ما يستقبح لما يستحسن، ونزل في خنساء وليدة سوداء لحذيفة بن اليمان أراد نكاحها: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ﴾[٥]: (كا) والمراد كل امرأة مؤمنة حرة كانت أو أمة.

﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ﴾: أي: لا تزوجوهم، ولا يجوز تزويج مسلمة بكافر إجماعًا.

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ﴾: (كا) لأنَّ الخلق كلهم عبيد الله

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٧٣).

(٢) في جـ: تزوجوا، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره(٤/ ٣٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) في جـ: كناية، والمثبت من أ، ب.

(٥) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٧٤).

وإماؤه، و﴿لَوْ﴾ هنا بمعنىٰ (إن)، وكذلك كل موضع وليها الفعل الماضي وكان جوابها مقدمًا عليها.

المعنىٰ: وإن كانت المشركة تعجبكم وتحبونها فإنَّ المؤمنة خير لكم.

ثم أومأ إلىٰ علة ذلك مشيرًا إلىٰ جنس المشركين فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: (حس).

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ﴾: علىٰ لسان رسله.

﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾: أي إلىٰ أعمالها.

﴿بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾: (كا) بإرادته.

وقرئ: (والمغفرةُ بإذنه) رفعًا مبتدأ وخبر.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: (تا) أوامر الله ونواهيه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

كانت المرأة إذا حاضت لا تُؤاكَل ولا تُشارَب ولا تُجالَس فنزل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾(١): مصدر حاضت تحيض حيضًا ومحيضًا، وأصله الانفجار والسيلان، ويكون اسمًا للمكان والزمان.

والمعنىٰ: يسألونك عن الوطء في زمن المحيض.

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: أي: مستقذر يؤذي من يقربه مجامعًا.

﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾: أي: فاتركوا مجامعتهن أيام حيضهن.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٧٤).

﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾: مجامعين.

(حَتَّىٰ يَطَّهَّرۡنَ): القراءة: بفتح الطاء والهاء مشددين، أي: يغتسلن، وبسكون الطاء وضم الهاء مخففين، أي: يطهرن من المحيض وينقطع دمهن.

وقرئ: بكسر الهاء مخففًا، روي أنَّ النصارىٰ كانوا يأتون النساء في حال الحيض، واليهود يتركون مؤاكلتهن ومجالستهن فنزلت الآية.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾: أي: اغتسلن، ولا يجوز غشيان الحائض ما لم ينقطع دمها وتغتسل عند الشافعي، وعند أبي حنيفة يجوز له غشيانها إذا انقطع دمها نهاية حيضها وإن لم تغتسل.

﴿فَأۡتُوهُنَّ﴾: أي جامعوهن.

﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾: (كا) والمراد الفرج.

ابن عباس[1]: وطئوهن [ق/ ٥٠ب] في الفرج، ولا تعدوه.

و«من» لابتداء الغاية، أو بمعنىٰ «في».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: من الذنوب ولا يعودون إليها.

﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾: (تا) من الشرك وبالماء.

ونزل فيمن أتىٰ امرأته من دبر في قبل: ﴿نِسَآؤُكُمۡ﴾: مبتدأ وخبره ﴿حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾:أي: مزرع ومنبت للولد بمنزلة الأرض للنبات، وهذا من المجاز في هذا دليل علىٰ تحريم الأدبار؛ لأنها محل الفرث، وإباحة الأقبال؛ لأَنَّها محل الحرث.

﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾: أي: نساءكم في القبل.

﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾: (كا) الإتيان.

المعنىٰ: جامعوهن من أي شق شئتم في المآتي، ولا يجوز إتيان المرأة في دبرها، وعن مالك روايتان، وعنه أنَّه قيل له: نقل عنك أنك أبحته، فقال: كذبوا

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (١/ ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٩).

عليّ كذبوا عليّ، قال ﷺ: «**ملعون من أتىٰ امرأة في دبرها**»(١)، وقال: «**لا تأتوا النساء في أدبارهن**»(٢).

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾: (كا) التسمية عند الجماع، أو العمل الصالح، أو طلب الولد، قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية بعده، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٣).

وقال: «**إذا أتىٰ أحدكم أهله فليقل: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنَّه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان**»(٤)، أو هو موت الأطفال، قال ﷺ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم**»(٥).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: (كا) علىٰ كل حال.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾: (كا) صائرون إليه، فاستعدوا له.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) يا محمد.

ونزل فيمن حلف أنَّه لا يفعل شيئًا وكان حنثه [ق/ ٢٧أ] أولىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾: جمع يمين، وسمىٰ المحلوف عليه يمينًا لملابسته اليمين، والعرضة: فعلة بمعنىٰ مفعول اسم لما يعرض حاجزًا بين الشيئين، والعرضة أيضًا: كل ما يعترض فيمنع [عن](٦) الشيء، وأصلها الشدة، ومنه

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٦٢)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٩٠١٥)، وأحمد (١٠٢٠٩)، وأبو يعلىٰ (٦٤٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٩٩١)، وابن ماجة (١٩٢٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٧١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٣٨٩٠) من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم(١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٨٠)، ومسلم (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في جـ: علىٰ، والمثبت من أ، ب.

سميت الدابة المتخذة للسفر عرضة لقوتها.

ومحل ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾: أي: ألَّا تبروا كقوله: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء/ ٤٤].

﴿وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾: نصب مفعول من أجله، أي: مخافة أن تبروا أو على تقدير حذف حرف الجر، أو أن تبروا والمعطوف عليه عطف بيان ﴿لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾، أي: للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوىٰ والإصلاح أو هو مبتدأ خبره محذوف تقديره: البر والتقوىٰ أحسن وأولىٰ، فعلىٰ هذا لا أحب الوقف علىٰ ﴿أَيْمَـٰنِكُمْ﴾؛ لخلو المبتدأ من خبر ظاهرًا، و اللام في ﴿لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ متعلقة بـ﴿تَجْعَلُواْ﴾.

تلخيصه: لا تجعلوا الحلف بالله شيئًا مانعًا لكم من البر والتقوىٰ والإصلاح.

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: (كا) قال ﷺ: «**من حلف علىٰ يمين فرأي غيرها خيرًا منها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير**»[1].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾: هو كل مطرح من الكلام وغيره وأصله الباطل لَغِي يلغىٰ لغًا وزن لَقِي يلقىٰ، ولغا يلغو لغوًا: قال باطلًا، واللغو في اليمين: ما سبق إليه اللسان من غير قصد لليمين محولًا، والله وبلىٰ والله عند الشافعي، وعند أبي حنيفة هو أن يحلف علىٰ شيء يرىٰ أنَّه صادق، ثم يظهر خلاف ذلك، ولا كفارة فيه، ولا إثم.

ابن جبير[2]: هو اليمين في المعصية لا يؤاخذ بالحنث فيها، بل يحنث ويكفر.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم(١٦٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٤١).

مسروق[١]: لا كفارة عليه.

وقوله: ﴿فِىٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾: حال من اللغو، أي باللغو كائنًا في أيمانكم.

المعنىٰ: لا يعاقبكم، أو لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين.

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾: أي يعاقبكم ويلزمكم الكفارة.

﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾: أي نوت.

﴿قُلُوبُكُمۡۗ﴾: (كا) وفهتم به و﴿مَا﴾ مصدرية، أو بمعنىٰ الذي.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: (تا) ولا ينعقد اليمين إلا بالله، نحو الذي أعبده وبأسمائه نحو: والرحمن، وبصفاته نحو: عزة الله، فإذا حلف بشيء منها علىٰ أمر مستقبل فحنث، فعليه كفارة، وإن حلف علىٰ أمر ماضٍ أنَّه كان ولم يكن وبالعكس عالمًا كان أو جاهلًا فحنث فهي اليمين الغموس، فتجب به الكفارة عند الشافعي، ولا تجب عند الكوفي؛ لأنَّه إن كان عالمًا فهي كبيرة، ولا كفارة في الكبائر عنده، وإن كان جاهلًا فهي يمين اللغو.

ونزل فيمن كان يكره امرأته ويكره أن يتزوجها غيره، فيحلف ألَّا يقربها فيتركها لا أيمًا ولا ذات بعل: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ﴾[٢]: يقسمون، وقرئ بها.

وقرئ: (آلوا).

﴿مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾ و«من» متعلقة بـ ﴿يُؤۡلُونَ﴾، يقال: آلىٰ من امرأته وعلىٰ امرأته أو عدىٰ ﴿يُؤۡلُونَ﴾ بمن دون «علىٰ» لمَّا في هذا القسم من معنىٰ البعد، كأنَّه قال: يبعدون من نسائهم مولين، واللام في (للذين) متعلقة بمحذوف هو خبر مبتدؤه ﴿تَرَبُّصُ﴾: أي انتظار ﴿أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ﴾.

تلخيصه: استقر للمؤلين تربص أربعة أشهر، والإيلاء من المرأة عند الشافعي

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٤١).

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٧٩).

أن يحلف ألَّا يقربها أكثر من أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة وقف، فإما أن يجامع أو يطلق، فإن امتنع طلق عليه القاضي، [وإن][1] عجز عن الجماع فاء بلسانه.

وعند أبي حنيفة: هو أن يحلف ألَّا يقربها أربعة أشهر فصاعدًا أو ألَّا يقربها مطلقًا ولا إيلاء فيما دون أربعة أشهر إلا عند النخعي، وعليه كفارة، وإن وطئها قبل المدة فإن انقضت الأربعة وقعت تطليقة بائنة عند أبي حنيفة، وعند ابن المسيب تطليقة رجعية، والعبد والحر في مدة الإيلاء سواء عند الشافعي، وعند أبي حنيفة ومالك تتنصف بالرق، فأبو حنيفة يعتبر رق المرأة، ومالك يعتبر رق الزوج.

﴿فَإِن فَآءُو﴾: أي: رجعوا عن اليمين.

وقرئ: (فإن فاؤوا فيهن)، أي: الأشهر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: للمؤلين.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (كا) لهم.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ﴾: أي: أوقعوه، أصل العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء شيء تريد فعله.

والمعنى: عزموا على الطلاق، فلما [ق/ ٣٣جـ] حذف حرف الجر نصب الطلاق أو حمل عزم على نوى فعدى تعديته.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ

---

(١) في جـ: فإن، والمثبت من أ، ب.

بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: المدخول بهن.

أصل الطلاق: من وثاق من أطلقت البعير من عقاله وطلقته، وكذلك طلقت المرأة: خليتها، وطلقت هي بفتح اللام، وأنكر الأخفش الضم فهي طالق.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي ينتظرن، وهذا خبر معناه أمر أي ليتربصن.

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: فلا يتزوجن [ق/ ٥١ب].

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾: ونصب ثلاثة ظرف، وكذا كل عدد يضاف إلىٰ زمان أو مكان، و﴿قُرُوٓءٍۚ﴾ جمع قرءٍ بفتح القاف، وقد يضم جمع علىٰ فعل جمع كثرة، وقياسه أن يجمع علىٰ أفعال جمع قلة؛ نظرًا إلىٰ أنَّ لكل مطلقة ثلاثة أقراء وهن كثير أو وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة؛ لاشتراكهما في الجمع، والقرء: الطهر عند الشافعي ومالك والفقهاء السبعة، وعند أبي حنيفة وغيره: الحيض؛ لأنَّه اسم للطهر، والحيض لغة وفائدة خلافهم: تطهر في المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها عند من يجعله الطهر، وعند من يجعله الحيض لا تنقضي العدة حتىٰ تنقضي الحيضة الثالثة.

ونزل في المطلقة تحب زوجها فتقول: أنا حبلىٰ وهي كاذبة ليردها، وفيمن تكرهه وهي حبلىٰ فتنكر الحبل لئلا يقدر علىٰ ردها، وربما أسقطت الحبل؛ خوفًا ألَّا يعود: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: من الحبل والحيض لتبطل حق الزوج من الولد والرجعة، ثم عظَّم ذلك فقال: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ﴾: (حس) لأنَّ المؤمن يخاف هذا الفعل.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: جمع بعلٍ، وهو الزوج سمي بذلك لقيامه بأمر الزوجة، والبعال النكاح زيدت فيه التاء لتأنيث الجمع كالحزونة.

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: أي: أولىٰ برجعتهن.

وقرئ: (بردتهن).

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: أي في العدة فـ(في) علىٰ هذا متعلقة بـ ﴿أَحَقُّ﴾ أو ذلك إشارة إلىٰ النكاح، ففي متعلقة علىٰ هذا بالرد.

﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ﴾: أي الزوج والزوجة، ويجوز أن يقال: والولي بالرجعة ﴿إِصۡلَٰحٗاۚ﴾: (حس) بينهما وحسن عشرة.

﴿وَلَهُنَّ﴾: علىٰ الرجال.

﴿مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ﴾: للرجال من الحقوق.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: (كا) بما عرف شرعًا.

ابن عباس[1]: أحبّ أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي.

قال ﷺ: «**إنَّ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم**»[2].

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: (كا) بالمهر أو بالعقل والشهادة أو لأنهما شريكان في اللذة، وله الفضيلة عليها بالإنفاق والقيام بمصلحتها.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

ونزل فيمن كان يطلق ثم يراجع مرارًا كثيرة مضارة للزوجة: ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾[3]: أي: التطليق كالسلام بمعنىٰ التسليم، وتقديره: عدد الطلاق الذي يملك الزوج بعده الرجعة ﴿مَرَّتَانِۖ﴾: أي مرة بعد مرة، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٧٣٩٦)، وابن حبان(٤٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٧٩).

[الملك:٤] أي كرة بعد كرة، ولم يرد الجمع بينهما، فإن راجعها بعد الثانية ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾: شرعًا، أي يمسكها بما عرف شرعًا من الحقوق، ولا يراجعها بقصد تطويل العدة عليها مضارَّة لها.

﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾: (كا) أصل التسريح: الإرسال كالطلاق من الإطلاق.

المعنىٰ: يتركها ولا يقصدها بسوء.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾: أيها الأزواج ﴿أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾: من المهور.

﴿شَيۡـًٔا﴾: ثم استثنىٰ الخلع بما نزل في جميلة بنت عبد الله بن أبيّ ابن سلول وزوجها ثابت بن قيس بن شماس كان يحبها وهي تبغضه، وكان قد أعطاها حديقة، فافتدت بها منه، وهو أول خلع في الإسلام[1].

ومحل ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: علىٰ القراءة: بفتح الياء إلا أن يعلم الزوجان، أو يظنا.

وقرئ: بها حال، أي إلا خائفين.

ومحل ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾: (كا) علىٰ هذا نصب بـ﴿يَخَافَآ﴾، تقديره: إلا أن يخافا نزول حدود الله المعروفة شرعًا من حسن الصحبة.

والقراءة: أيضًا بضم الياء مجهولًا، أي يعلم المسلمون أو الحكام أو يظنون والخوف يكون بمعنىٰ الظن، فعلىٰ هذا محل ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ رفع بدل اشتمال من ألف الضمير في ﴿يَخَافَآ﴾، كقولك: خيف زيد تركه حدود الله، ونحوه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء:٣] ويعضد هذا ما قرئ (إلا أن يخافوا).

﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾: أي علىٰ الزوج فيما أخذ، ولا علىٰ الزوجة ﴿فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾: (كا) من المال؛ لأنها ممنوعة عن إتلاف المال بغير حق.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: أي: هذه أوامره ونواهيه.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٨٠).

﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾: لا تتجاوزوها، ومن يتجاوزها فـ ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (حس).

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الطلقة الثالثة.

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾: أي بعد طلقة الثالثة.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾: (كا) غير مطلقها.

عن ابن المسيب أنها تحل للزوج الأول بمجرد العقد وإن لم يصبها الثاني، وعامة الفقهاء أن لابد من الإصابة لحديث امرأة رفاعة وتزويجها عبد الرحمن بن الزبير، وقولها لرسول الله ﷺ: إنَّ عبد الرحمن طلقني فبتَّ طلاقي وإنَّ ما معه مثل هدبة الثوب، فقال ﷺ: «**أتريدين أن ترجعي إلىٰ رفاعة؟ لا، حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**»(١).

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الزوج الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ﴾: أي: الزوج الأول والزوجة بعد انقضاء العدة.

﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾: أي يرجع كل واحد منهما إلىٰ صاحبه بنكاح جديد ﴿إِن ظَنَّآ﴾: أي علما، أو غلب علىٰ ظنهما، ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾: (كا) الواجبة في حق الزوجية، زعم بعضهم أنَّ الظن هنا لا يكون بمعنىٰ العلم، قال: لأنَّك لا تقول: علمت أن يقوم زيد، ولكن تقول: علمت أنَّه يقوم زيد، ولأنَّ الإنسان لا يعلم ما في غد، وفي زعمه نظر.

﴿لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾: (تا) طلق رجل امرأته، فلما دنت عدتها راجعها، ثم طلقها مضارة لها، فنزلت:

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٦)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [(١)]: أي: قربن انقضاء العدة [ق/ ٢٨أ].

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾: أي راجعوهن ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾: من غير طلب ضرار بالمراجعة.

﴿أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ﴾: أي اتركوهن ﴿بِمَعۡرُوفٖۚ﴾: (حس) حتىٰ تنقضي عدتهن.

﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا﴾: مفعول له أو حال أي: مضارين.

﴿لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾: (تا) لتظلموهن بتطويل الحبس، فتلجئوهن إلىٰ الافتداء.

ومن ضار ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾: (كا) بتعرّضه إلىٰ عذاب الله، وكونوا صادقين.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾: (كا) بأن يطلق ويقول: كنت لاعبًا، ويعتق وينكح ويقول: كنت لاعبًا، قال ﷺ: «**ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة**» [(٢)].

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [ق/ ٥٢ب]: بالإيمان.

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾: أي القرآن والسنة إن نصبت ﴿مَآ أَنزَلَ﴾ عطفًا علىٰ ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ نصبت ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾: (كا) بالنازل عليكم حالًا، وإن رفعت ما مبتدأ خبره يعظكم جاز.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٩٤)، والترمذي (١١٨٤)، وابن ماجة (٢٠٣٩)، والحاكم(٢٨٠٠)، والدارقطني(٣/ ٢٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٤٧٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾: (تا).

ثم خاطب الأزواج أو الأولياء فقال: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: انقضت عدتهن.

﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: أصل العضل: المنع والشدة.

المعنىٰ: لاتمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾: الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن.

﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ﴾: أي: الخطاب والنساء و﴿إِذَا﴾ ظرف لتعضلوهن.

﴿بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾: (كا) بعقد حلال ومهر جائز.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي النهي أو الخطاب للنبي ﷺ أو لكل إنسان.

﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾: المؤمنون.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: أيها الجميع.

﴿أَزۡكَىٰ﴾: أي: خير ﴿لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾: لقلوبكم من الريبة.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾: ما في قلب أحدهما من حب الآخر.

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾: (تا).

﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ
وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى
ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣
وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا
عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا
تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ

أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾: (تا) ذلك الوالد والوالدة صفتان غالبتان، فلذلك لم يذكر الموصوف.

وقوله: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: خبر ومعناه أمر استحباب؛ لأنَّه لا يجب على المطلقة إرضاع ولدها من مطلقها إن وجد مرضعة، فإن أحبت إرضاعه فهي أحق به.

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: وصف الحولان بالكمال؛ لنفي المجاز وثبوت كمالهما، وهما أربعة وعشرون شهرًا.

ابن عباس(١): إن وضعته لستة أشهر أرضعته حولين كاملين، ولسبعة أرضعته ثلاثة وعشرين شهرًا، ولتسعة أرضعته أحدًا وعشرين شهرًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥].

ابن جريج(٢): هو لكل مولود، فلا تفطم في أقل من حولين إلا برضى الوالدين، أو المراد أنَّ الرضاع المثبت للحرمة إنما يكون في الحولين.

ثم جاء بالتخفيف فقال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾: **وقرئ**: ([أن](٣) يكمل).

﴿ٱلرَّضَاعَةَ﴾: (حس) **وقرئ**: بكسر الراء والرضعة.

وقرئ: (أن تتم) الرضاعة بفتح التاء، وأن تتم الرضاعة برفع الميم تشبيهًا؛ لأن بما.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: أي: الأب، ولم يقل للوالد له للإيذان أنَّ الزوجة إنما تلد للزوج، ولأنَّ الولد لا ينسب إليها.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٤).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤).
(٣) سقط من أ، والمثبت من ج.

﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: طعامهن ولباسهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: (حس).

﴿لَا تُكَلَّفُ﴾: لا تحمل ﴿نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: (حس) نصب مفعول ثانٍ لا استثناء؛ لأنَّ «كلف» [ق/ ٣٤جـ] له مفعولان.

وقرئ: (لا نكلف) بالنون، و(لا تكلف) بتاء مفتوحة.

القراءة: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾: رفعًا نفيًا خبرًا، ويكون الفعل بناء للفاعل أو المفعول، وأصله تضار أو تضارر، وبفتح الراء نهيًا، فهو مجزوم، لكن فتحت الراء لسكونها، وسكون الراء المدغمة فيها ويعضده ما قرئ: بفك الإدغام وفتح الراء الأولىٰ وكسرها مع جزم الثانية.

وقرئ: (لا تضار) بسكون الراء مع التشديد، وبسكونها مع التخفيف علىٰ نية الوقف ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾: أي: بنزع ولدها منها بعد رضاها بإرضاعه.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: بأن تلقي الولد إلىٰ أبيه بعد ما ألفها، أو لا تُكره الوالدة علىٰ إرضاع ولدها، أو هو الولد من غيرها، فالمضارة راجعة إلىٰ الوالدين.

تلخيصه: لا يضار الأب الأم بترك الإرضاع، ولا الوالدة الأب بأخذ أكثر من أجرتها أو إلىٰ الصغير، فالباء زائدة أي لا تضار والدة ولدها، ولا والد ولده.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾: أي وارث الصبي.

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: أي مثل الذي كان علىٰ أبيه في حياته، فعند الشافعي ومالك: لا نفقة للصبي إلا علىٰ الوالدين حسب، وعند أبي حنيفة: تجب إلا علىٰ من ليس بذي رحم محرم كابن العم، وعند أبي ليلىٰ وأحمد: تجب علىٰ كل وارث علىٰ قدر ميراثه أو علىٰ الوارث ترك المضارة.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: الوالدان.

وقرئ:(أراد) ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا للصغير قبل الحولين فليكن ﴿عَن تَرَاضٍ﴾: اتفاق ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بأن يستخرج الوالدان رأي العلماء أنَّ الفطام لا يضره،

واعتبر إنفاقهما لما للأب من الولاية وللأم من الشفقة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾: (كا) وتسترضعوا [يتعدىٰ][1] إلىٰ مفعولين؛ لأنَّه مفعول من أرضع، يقال: أرضعت المرأة الصبي [واسترضعها][2] الصبي: [طلبها][3] لترضعه، قالوا: وهكذا حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول، وتقديره: ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾: المراضع.

﴿أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾: إلىٰ المراضع.

﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: سميتم.

القراءة: آتيتم هنا و﴿ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ [الروم:٣٩] في الروم مدًّا، أي: أعطيتم المراضع، وقصرًا، أي: جئتم به المراضع.

وقرئ: (ما أُتيتم) مجهولًا، أي: ما أقدركم الله تعالىٰ عليه، ويجوز أن يراد الحلال؛ لأنَّ المرضع إذا أكلت الحلال كان اللبن أنفع للصغير، وأقرب إلىٰ صلاحه وفلاحه.

وقوله تعالىٰ: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: (كا) متعلق بسلمتم، أي: سلمتم الأجرة إلىٰ المراضع بطيب نفس وسرور.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: (تا).

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: قائم مقام المبتدأ المحذوف، أي وأزواج الذين ﴿يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: أي يتوفىٰ آجالهم، والتوفي: أخذ الشيء وافيًا.

القراءة: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ مجهولًا.

وقرئ: بفتح الياء معلومًا، أي: يستوفون آجالهم، ودل علىٰ المبتدأ المحذوف.

قوله: ﴿وَيَذَرُونَ﴾: أي يتركون.

---

(١) في جـ: متعدٍّ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: واسترضعتها، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: طلبتها، والمثبت من أ، ب.

﴿أَزْوَاجًا﴾: وخبر المبتدأ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي: يعتددن.

﴿بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: أي ليال؛ لأنَّ التاريخ بالليلة؛ لأنها أول الشهر واليوم تبع له أو الذين مبتدأ، ويتربصن الخبر، والعائد محذوف، أي يتربصن بعدهم كقولهم: السمن منوان[١] بدرهم، ويجب على المرأة في عدة الوفاة ترك الطيب والزينة ودهن الرأس [بكل دهن مطيب][٢] وغيره، [وتدهن جسدها بكل دهن غير مطيب إن شاءت، ولا تكتحل بما فيه طيب أو زينة][٣] كالأسود، وجوَّز مالك وأبو حنيفة الاكتحال بالأسود للضرورة. الشافعي: تكتحل به ليلًا، وتمسحه نهارًا للضرورة؛ لأنَّ عدة الموت في ابتدأ الإسلام كانت سنة، فنسخت بهذه المدة، إلا أن يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل عند الفقهاء احتجاجًا بحديث سبيعة، وذلك أنها وضعت بعد موت زوجها بليال، فاستأذنت رسول الله ﷺ [ق/ ٥٣ب] أن تنكح فأذن لها.

عليّ وابن عباس[٤]: تنتظر الحامل آخر الأجلين من وضع الحمل، ومن أربعة أشهر وعشرًا.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من اختيار الأزواج والتزين.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: (كا).

---

(١) المَنَا: الذي يكال به السمن و غيره و قيل الذي يوزن به رطلان و التثنية (مَنَوَانِ) و الجمع (أَمْنَاءٌ) مثل سبب و أسباب و في لغة تميم (مَنٌّ) بالتشديد و الجمع (أَمْنَانٌ) و التثنية (مَنَّانِ) على لفظه.

«المصباح المنير» (٢/ ٥٨٢).

(٢) في جـ: بجميع الأدهان بدهن المطيب.

(٣) في جـ: ولا تكتحل بما لا طيب فيه ولا زينة وغيره، وتدهن جسدها بكل دهن غير مطيب إن شاءت، ولا تكتحل بما لا طيب فيه ولا زينة كالأسود.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٦٨).

﴿خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: (تا) يجب الإحداد على المرأة لعدة الوفاة، ولا يجب المطلقة طلاقًا رجعيًّا.

وعن الشافعي في البائنة بالخلع قولان:

أحدهما: يجب كالمتوفىٰ عنها زوجها، كابن المسيّب وأبي حنيفة.

والثاني: لا كعطاء ومالك.

والتعريض: التلويح، وهو ما يلوح، أي: يبين منه المراد، ويجوز التعريض في العدة، وهو أن يقول: إنك لجميلة ورب راغب فيك، وإنَّ من حاجتي النكاح؛ لأنَّ النبي ﷺ دخل علىٰ أم سلمة وهي في العدة وذكر منزلته من الله، وهو متحامل بيده علىٰ الحصير حتىٰ أثر الحصير في كفه؛ لطول تحامله عليه[1].

والخطبة ـ بالكسر ـ طلب النكاح لفظًا، مصدر خطب خطبة، وبالضم: اسم للتشهد وأصلهما المراجعة في الكلام من الخطب والمخاطبة والتخاطب.

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أي: سترتم، وفيه حذف أي أكننتموه.

﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: (حس) في قلوبكم أكننتُ وكننت واحد أو أكننته سترته في نفسي، وكننته: سترته بثوب ونحوه.

ومحل ﴿مِنْ خِطْبَةِ﴾ حال من الهاء، والعامل فيها ﴿عَرَّضْتُم﴾.

تلخيصه: لا تبعة عليكم في التلويح بالنكاح.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: ولكم ميل إليهن فاذكروهن.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: نصب مفعول به؛ لأنَّ السر الجماع، فلا يصف نفسه بكثرته، أو ظرف فتقديره: لا ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ النكاح في سر، ولا يسر إلا ما يستهجن عند ذوي المروءات غالبًا، وتواعدوهن متعلق بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: (تا) ومحل ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ﴾ نصب استثناء من المفعول،

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٠٠).

تقديره: لا تواعدوهن إلا قول المعروف، وهو التعريض.

عن ابن عباس[١]: القول المعروف هنا هو أن يتواثقا ألا تتزوج غيره، أو الاستثناء منقطع وأباه بعضهم، قال: لأدائه إلىٰ قوله: ﴿لا تواعدوهن﴾ إلا التعريض.

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ﴾: أي تنووا أو تعقدوا ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: في العدة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: (حس) حتىٰ تنقضي العدة، وسميت العدة كتابًا؛ لأنها [فرض في الكتاب][٢]، وأصل العزم القطع.

﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾: (تا) فخافوا عقابه.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: (تا) يغفر ولا يعجل بالعقوبة.

ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمىٰ لها مهرًا ولا جامعها:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: أي: تجامعوهن ﴿مَا﴾ مصدرية، والزمان محذوف تقديره: في زمان ترك مسهن أو شرطية.

﴿أَوْ تَفْرِضُواْ﴾: أي: تسموا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: (كا) مهرًا نصب مفعول به، وفريضة بمعنىٰ مفروضة.

القراءة: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ و(تماسوهن)، ونفي الجناح؛ لأنَّ الطلاق مكروه، في

---

(١) انظر «الكشاف» (١/ ٢٨٤).

(٢) في جـ: فرضت بالكتاب، والمثبت من أ، ب.

الحديث: «أبغض الحلال إلىٰ الله الطلاق»(١).

تلخيصه: لا تبعة عليكم إن أردتم الطلاق قبل الدخول والمسيس فطلقوهن.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أصل المتعة والمتاع البلاغ، أي أعطوهن مما يتبلغن وينتفعن به.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: أي ذي السعة منكم.

﴿قَدَرُهُۥ﴾: بقدر وسعه.

﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ [ق/ ٢٨أ]: الضيق الحلال.

﴿قَدَرُهُۥ﴾: بقدر ضيقه.

القراءة: بفتح الدال وإسكانها لغتان أو بالفتح الاسم، وبالسكون المصدر.

﴿مَتَٰعًا﴾: مصدر مؤكد لـ«متعوهنّ» [ق/ ٥١جـ] ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا﴾: مصدر حق، أو هو واقع موقع الحال، فيكون العامل بالمعروف تقديره: عرف في حال إحقاقه.

﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (كـا) إلىٰ المطلقات بالتمتيع، وسماهم محسنين قبل الإحسان؛ كقوله ﷺ: «**من قتل قتيلاً فله سلبه**»(٢).

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: قبل الدخول، وقد سميتم لهن مهرًا، فيجب عليكم نصفه، وإن مات أحدهما قبل الدخول فيجب كله.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: أي الزوجات قالوا، ولام الفعل والنون ضمير النساء، فالفعل مبني لفظًا، منصوب محلًّا، ولو كان لمذكر لكانت الواو ضمير الرجال، والنون علم الرفع، فيكون الفعل معربًا، وأصل العفو الترك، ثم عطف علىٰ محل ﴿أَن يَعْفُونَ﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجة (٢٠١٨)، والحاكم(٢٧٩٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٤٦٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٣)، ومسلم (١٧٥١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾: (كا) وقرئ: بسكون الواو، ومن يعفوا قالوا: لأنَّ إسكان الواو والياء في موضع النصب مشبه بالألف؛ لأنَّها أختها، والذي بيده عقدة النكاح: الولي عند مالك، وفي القديم للشافعي، أو الزوج عند أبي حنيفة، وفي الجديد للشافعي قالوا: ولا يجوز لوليها ترك شيء من صداقها بكرًا كانت أو ثيبًا، كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق، وكما لا يجوز له أن يهب شيئًا من مالها.

المعنىٰ: تعفو المرأة بترك نصيبها للزوج، ويعفو الزوج بصرف جميع الصداق إليها، وسميت الزيادة علىٰ النصف عفوًا تجوزًا، إلا أن يقال: أنَّه كان من عادتهم سوق المهر كاملا عند [التزوج](١)، فإذا طلقها ولم يطالبها بالنصف فهو عفو، فعلىٰ هذا الذي بيده عقدة النكاح قبل الطلاق وبعده الزوج، ويجوز أن يقال: إذا أعطىٰ جميع الصداق دل ذلك علىٰ عفوه عما كان موجبًا للطلاق.

ومحل ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾: رفع ابتدأ، أي والعفو ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾: واللام في التقوىٰ تدل علىٰ علة قرب العفو، تقديره: العفو أقرب من أجل التقوىٰ.

وقرئ: (وأن يعفو) بالياء غيبة، ثم حثهما علىٰ الإحسان فقال: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: نصب ظرف.

المعنىٰ: لا تنسوا تفضل بعضكم علىٰ بعض [ق/ ٣٥جـ] بإعطاء الرجل جميع الصداق، وترك المرأة نصيبها منه.

وقرئ: بكسر واو (تنسوا) وصلًا.

وقرئ: و(لا تناسوا) تفاعلوا من الترك لا من السهو.

﴿بَصِيرٌ﴾: (تا).

﴿حَٰفِظُواْ﴾: أي داوموا ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: أي المكتوبات بمواقيتها وحدودها.

---

(١) في جـ: الزوج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: وخصت بالذكر تفضيلًا، وهي صلاة الفجر عند مالك والشافعي؛ لأنَّها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو الظهر؛ لأنَّها في وسط النهار أو العصر عند أبي حنيفة؛ لحديث ورد فيها أو المغرب عند قبيصة بن ذؤيب[ق/ ٥٤ب]، وعن بعض المتأخرين أنَّها العشاء أو بعض الصلوات لا بعينها.

وقرئ: (والصلاة الوسطىٰ) نصبًا مدحًا.

وقرئ: (والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر)، فعلىٰ هذا التخصيص لصلاتين الوسطىٰ والعصر.

وقرئ:(وعلىٰ الصلاة الوسطىٰ).

وقرئ: (والصلاة الوسطىٰ صلاة العصر).

وقرئ: (الوصطىٰ) بالصاد.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: في صلاتكم.

﴿قَٰنِتِينَ﴾: (كا) طائعين خاضعين، وأصل القنوت الطاعة، ثم استعير لطول القيام.

زيد بن أرقم[1]: كنا نتكلم في الصلاة إلىٰ أن نزل: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فسكتنا.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من عدو وغيره ﴿فَرِجَالًا﴾: حال أي فصلوا رجالًا جمع راجل كقائم وقيام.

وقرئ: بضم الراء وبضم الراء وتشديد الجيم.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: علىٰ دوابكم جمع راكب كراهب ورهبان.

المعنىٰ: إن لم تمكنكم الصلاة قانتين فصلوا رجالة وركبانًا.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٠).

الشافعي: يصلىٰ ماشيًا وراكبًا ومسايفًا، حيث كان وجهه يومئ بالركوع والسجود، وإيماء السجود أخفض من الركوع، وأبو حنيفة: لا يصلي ماشيًا ولا مسايفًا إذا لم يمكن الوقوف، ولا ينتقص عدد الركعات عندهم، وعن ابن عباس وعطاء وغيرهما: صلاة الخوف ركعة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: أي: زال الخوف.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: أي صلوا الصلوات الخمس، واشكروه علىٰ الأمن وأداء الصلاة.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: من صلاة الخوف وغيرها.

﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾: مبتدأ.

القراءة: ﴿وَصِيَّةً﴾: رفعًا مبتدأ خبره محذوف، أي: فعليهم وصية، وهما خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ونصبًا بمضمر، أي: يوصون وصية، والجملة أيضًا خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿مَّتَٰعًا﴾: مصدر.

﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾: صفة لمتاعًا أو متعلق به تقديره متعوهن متاعًا حولًا بما يحتجن إليه من النفقة والسكنىٰ.

وقرئ: (متاع لأزواجهم متاعًا) رفعًا، فـ«متاعًا» علىٰ هذا نصب بمتاع؛ لأنه مصدر بمعنىٰ تمتيع، كقولك: أعجبنىٰ ضرب لك زيدًا ضربًا شديدًا.

وتنصب ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: بدلًا من متاعًا أو حالًا من الأزواج، أي مخرجات.

تلخيصه: حق على من يموت أن يوصي ورثته أن ينفقوا على زوجته من ماله، ويسكنوها منزله سنة؛ لأنَّ ذلك كان واجبًا، فنسخت النفقة بالميراث الثمن والربع، ونسخ الحول بأربعة أشهر وعشر المتقدمة والمتأخرة؛ لأنَّها متقدمة تلاوة ومتأخرة تنزيلًا.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: يا أولياء الميت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ﴾: من التزين للخطاب.

﴿فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: (كا) مما عرف شرعًا.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) قالوا لمَّا نزل ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ إلى ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد لم أفعل نزل: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾: فبين في هذه الآية أنَّ المتعة [لجميع][1] المطلقات بعد ما أوجبها لواحدة، قيل: وهي المطلقة قبل الدخول، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: (حس) للشك، فابن جبير يرى وجوب المتعة لكل مطلقة، وأكثرهم على استحباب المتعة لكل مطلقة لزوال ضغن القلوب، أو المراد بالمتعة نفقة العدة؛ لأنَّها واجبة عند أبي حنيفة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: (تا) خرج جماعة من قريتهم داوردان قبل واسط خوف الطاعون، فنزلوا واديًا أفيح[2]، فلما استقروا فيه ماتوا جميعًا، قالوا: وبقوا موتى ثمانية أيام، فسأل حزقيل فيهم ربه فأحياهم فعاشوا بعد ذلك دهرًا لا يلبسون ثوبًا إلا عاد دسما كالكفن.

ابن عباس[3]: إنَّ تيك الريح لتوجد اليوم في ذلك السبط، فنزل تعجيبًا من

---

(١) في جـ: بجميع، والمثبت من أ، ب.

(٢) الأَفْيَحُ والفَيَّاحُ: كل موضع واسع بحرٌ أَفْيَحُ بَيِّنُ الفَيَحِ واسعٌ وفَيَّاحٌ أيضًا بالتشديد وروضة فَيْحاء: واسعة، والفعل من كل ذلك فاحَ يَفاحُ فَيْحًا وقياسه فَيِحَ يَفْيَحُ ودارٌ فَيْحاءُ واسعة. «لسان العرب» (٢/ ٥٥٠).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧١).

حالهم:

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي تعلم؛ لأنَّها من رؤية القلب، وكذا كل ما لم يعايَنْ ومعناه الوجوب؛ لأنَّ همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أو على الاستفهام صار [تقريرًا وإيجابًا][(١)].

المعنى: قد علمت خبر ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: جمع ألف، أي: جماعات كثيرة.

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾: على لسان ملك.

﴿مُوتُواْ﴾: فماتوا أو هذا أمر معناه خبر، أي: فأماتهم الله جميعًا، فماتوا، ثم عطف على ماتوا المقدرة قوله: ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ﴾: ليعلموا أنَّ الإقرار من القدر، وهذا تبكيت لمن يفر من قضاء الله المحتوم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: كافة في الدنيا، وخاصة على المؤمنين في الأخرى.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: (تا) على ذلك لعجز بعض وكفر بعض، ثم عطف ما بعد على محذوف مشجعًا ومخاطبًا للذين أحيوا أو لهذه الأمة وتقديره لاتحذروا الموت.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: في طاعته أعداءه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: (تا) .

---

(١) في جـ: تقديم وتأخير.

(مَنْ) استفهام ابتداء. ﴿ذَا﴾: خبره ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة الخبر، ولا يجوز جعل ﴿مَّن﴾ و﴿ذَا﴾ اسمًا واحدًا، كما وذا في ماذا؛ لأنَّ (ما) أشد إبهامًا من (من)؛ لأنَّها لمن يعقل، وما تعم وصلة الذي.

﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾: أي: يعطي عباده، في الحديث: «**يقول الله تعالىٰ يوم القيامة: ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: رب كيف أطعمك وأنت رب العزة؟! قال: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنَّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي**»[1].

﴿قَرْضًا﴾: أي إقراضًا.

﴿حَسَنًا﴾: حلالًا، وأصل القرض القطع، ويطلق علىٰ كل إعطاء يطلب به الجزاء.

القراءة: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾:ويضاعف له ومضاعفة وبابه بغير ألف مشددًا، وبألف مخففًا لغتان، وينصب الفاء هنا والحديد بإضمار (أن)، ويرفعها استئنافًا.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: (حس) لا يعلم عددها لكثرتها إلا الله، وأصل التضعيف أن يراد علىٰ الشيء مثله وأمثاله.

تلخيصه: من المعطي عباد الله من حلال ماله بطيب نفسه وغير منه، فإنَّ الله يثيبه علىٰ ذلك أفضل ثواب، ولمَّا حثهم تعالىٰ علىٰ الإخراج أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾: بإمساك الرزق ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾: بتوسيعه علىٰ خلقه أو هو الإحياء والإماتة.

القراءة: يبسط هنا وبسطة في الأعراف بالسين؛ لأنها الأصل، وبالصاد [ق/ ٥٥ب] إبدالًا من السين؛ لتجانس الطاء في الاستعلاء.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾

ثم سهل عليهم ترك الدنيا فقال: ﴿وَإِلَيْهِ﴾: أي الله ﴿تُرْجَعُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: (تا) فيجازيكم أو إلىٰ التراب كناية عن غير مذكور بقوله: منه خلقتكم، وإليه تعودون، ولمَّا مرج أمر بني إسرائيل وكثرت فيهم الخطايا وأخرج بعضهم من ديارهم، وكانوا يطيعون ملوكهم، وكان ملوكهم يطيعون أنبياءهم وظهر لهم عدد عظيم وهم قوم جالوت.

﴿قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾: هو يوشع بن نون أو أشمويل الذي رباه عيلىٰ.

﴿ابْعَثْ﴾: أي أسرِ وأرسل ﴿لَنَا مَلِكًا﴾: أي: معنا سلطانًا يتقدمنا.

﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ﴾: القراءة: ﴿نُقَاتِلْ﴾ بالنون جزمًا جوابًا للأمر.

وقرئ: بالنون رفعًا استئنافًا، وبالياء غيبة رفعًا صفة لملكًا وجزمًا جوابًا للام.

القراءة: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾: فتحًا كـ«رميتم»، وكسرًا كـ«خشيتم»، يقال: عسىٰ كعمىٰ، واسم الفاعل عسٍ كعم عن ابن الأعرابي.

وقوله: ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾:شرط معترض دون خبر عسىٰ وخبرها ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا﴾: ويجوز أن يقال: جواب الشرط محذوف، دل عليه خبر عسىٰ، أي تجبنوا، وسد مسده، وعسىٰ للتوقع والرجاء، فدخلت عليها هل تقديرًا للمتوقع؛ كقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان:١].

تلخيصه: أنتم جبناء عن القتال، فكيف تقاتلون، فَثَمَّ استفهموا منكرين فقالوا: ﴿وَمَا﴾: ابتدأ خبره ﴿لَنَآ﴾.

ومحل: ﴿أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نصب أي في (أن لا نقاتل)، والواو في ﴿وَمَا﴾ ربطت الجملة بما قبلها.

والمعنىٰ: أيُّ عذر لنا في ترك الجهاد.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [ق/ ٢٩أ]: (كا).

المعنىٰ أخرج بعضنا لأنَّ القائلين كانوا في ديارهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: (كا) هم الذين عبروا النهر مع طالوت وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا كأهل بدر، ثم تهددهم علىٰ ترك الجهاد فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) ومنع ﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾: (كا) حال الصرف، تعريفه وعجمته، فلما عرَّفهم نبيهم أن طالوت ملكهم قالوا منكرين: ﴿أَنَّىٰ﴾: أي كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾: وليس من بيت الملك؛ لأنَّ الملك كان في سبط يهوذا بن يعقوب، والنبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكان دباغًا أو سقاءً فقيرًا، ولم يكن من أحد السبطين، والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾: واو الحال، والباء ومنه متعلقان بـ﴿أَحَقُّ﴾، ثم عطف علىٰ الجملة التي هي حال قوله: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً﴾: أي: كثرة ﴿مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ﴾: (كا).

تلخيصه: بعيد تملكه علينا، والحال عدم استحقاقه للملك لوجود مستحقه وفقره، فثَمَّ قال نبيهم ردًّا عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ﴾: نفله.

﴿بَسْطَةً﴾: سعة ﴿فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾: (كا) قالوا: كان أعلم بني إسرائيل بالحرب والديانات في وقته، وأطول من كل إنسان برأسه ومنكبه.

القراءة: بالسين هنا، وعن الكسائي بالصاد.

﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾: (كا)؛ لأنَّه مختص بالملك.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: ذو السعة [ق/ ٣٦ جـ]، أو واسع الحلم.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾

﴿عَلِيمٌ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾: (تا) بما يصنع فثَمَّ طلبوا من نبيهم علامة علىٰ ذلك، وكان التابوت قد أخذ منهم قسرًا لمَّا مرج أمرهم أو كان قد خبأه يوشع في التيه فقال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾: كان صندوق التوراة من خشبَ الشمشار نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين، زعم بعضهم أنَّ التابوت فعلوت من التوبة الرجوع، قال: لأنَّه يُرجع إليه ويستخرج منه ما فيه، وبعضهم أنكر هذا وقال: المعنىٰ لا يساعده، وإنما يشتق إذا صح المعنىٰ، وإنما هو فاعول ويعَضد هذا ما قرئ: (تابوه) بالهاء.

﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: طمأنينة وحكمة؛ لأنهم كانوا يسكنون إليه أينما كان، وإذا حضروا القتال قدموا بين أيديهم يستنصرون به أو كان فيه شيءكرأس الهرة إذا سمعوا صوته أيقنوا بالنصر، وإذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم.

وقرئ: (سكينة) مشددًا.

﴿وَبَقِيَّةٞ﴾: هي لوحان من التوراة، ورضراض المتكسر من ألواحها، وعصا موسىٰ ونعلاه وعمامته أو عمامة هارون وقفيز من المنّ.

ومحل ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾: أي: موسىٰ وهارون نفسهما رفع

نعت لـ﴿بَقِيَّةٌ﴾، فلم يشعروا بالتابوت إلا وقد جاء إليهم ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ﴾: (كا) حتىٰ وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه.

وقرئ: (يحمله) بالياء مذكرًا.

ابن عباس[1]: التابوت وعصا موسىٰ في بحيرة طبرية يخرجان قبل يوم القيامة.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (كا) فلما رأوا التابوت أيقنوا بالنصر، فسارعوا إلىٰ الجهاد، فقال طالوت: لا أبتغي إلا الشباب النشيط الفارع، فاجتمع له ثمانون ألفًا من شرطه.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾: أي: خرج من بيت المقدس.

﴿طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ﴾: وأصل الفصل: إبانة الشيء عن غيره حتىٰ يبقىٰ بينهما فرجة، قالوا: وأصله أن يقال: فصل نفسه، ثم كثر حذف المفعول حتىٰ صار كـ«انفصل» غير متعدٍ، وكان حرًّا شديدًا فطلبوا الماء، فقال بأن أوحي إليه، أو كان نبيًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾: مختبركم ﴿بِنَهَرٖ﴾: (كا).

وقرئ: بسكون الهاء لغتان.

﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ﴾: أي: كرع فيه.

﴿فَلَيۡسَ مِنِّي﴾: [أي][2] من أتباعي وأهل ديني.

﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾: لم يذقه، من طعمت الشيء: ذقته ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾.

ومحل ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ﴾: (كا) نصب استثناء من ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ﴾.

القراءة: ضمًّا اسم لمَّا يحصل في كف الغارف، وفتحًا [للاغتراف][3]، أو لغتان.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٢).

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: الاغتراف، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: الغرفة مباحة لكم دون الشرب منه، وكانت الغرفة تكفي الرجل لشربه ودوابه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: استثناء من ﴿فَشَرِبُوا۟﴾.

وقرئ: (قليل) رفعًا حملًا على المعنىٰ؛ لأنَّه لمَّا قال: ﴿فَشَرِبُوا۟﴾ كان المعنىٰ: لم يطيعوه إلا قليل زمن شرب الماء، فلمَّا رأوا جالوت ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾: (كا)، ومن ثبت مع طالوت وهم الذين عبروا النهر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾: أي طائفة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: (حس).

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿ولمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ ولمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم﴾: أي: حصلوا له في براز من الأرض، وهو الفضاء، ولمَّا تصافوا قال جالوت لطالوت: إمَّا أن تَبرز إليّ، أو تُبرز إليّ أحدًا، فإن قتلني استحوذت علىٰ ملكي، وإن قتلته استحوذت علىٰ ملكك، فخافه طالوت، قالوا: لأنَّه كان يهزم الجيوش وحده، وكان في بيضته ثلاثمائة رطل حديد، وكان من العماليق من ولد عمليق بن عاد، فلم يجد من يبارزه [ق/ ٥٦ب] إلا داود، وكان قصيرًا مستقامًا مصفارًا أزرق أمعر[1] يرعىٰ غنم أبيه، فحضر داود المعترك.

---

(١) المَعَرُ: سُقوطُ الشَعر ومَعِرَ الشعَرُ والرِّيشُ مَعَرًا، فهو مَعِرٌ وأَمْعَرَ قَلَّ ومَعِرَت الناصِيةُ مَعَرًا وهي مَعْراء ذهب شعَرُها كلُّه، حتىٰ لم يبق منه شيء، وخص بعضهم به ناصية الفرس، وتَمَعَّر رأسُه: إذا تَمَعَّط، وتَمَعَّر شعَرُه: تساقط، وشعر أَمْعَرُ: متساقط وخُفٌّ مَعِر: لا شعر

﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ﴾: (تا) ومعه ثلاثة أحجار فقتل بها ﴿دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾: وتزوج ابنة طالوت، فحسده طالوت، ثم قتل طالوت تائبًا، ثم خلفه [داود][1] ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: النبوة ولم تجتمع [السلطنة والنبوة][2] لأحد قبل داود أو الملك والحكمة والعلم والعمل.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: (كا) من صنعة الدروع، ومنطق الطير، وكلام الحكل[3] والنمل.

القراءة: هنا والحج.

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾: بألف [وبغير][4] ألف، وأصل الدفع: صرف الشيء، فإن عَدّىٰ بـ«إلىٰ» اقتضىٰ الإبانة، وإن عدي بـ«عن» اقتضىٰ الحماية.

والمعنىٰ: لولا أن يصرف الله ﴿ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم﴾: أي: المفسدين، أو المشركين

= عليه وأَمْعَرَ: ذهَب شعَرُه أَو وَبرُه.
«لسان العرب» (٥/ ١٧٩).

(١) سقط من أ، والمثبت من ب، ج.

(٢) في ج: النبوة والسلطنة، والمثبت من أ، ب.

(٣) الحُكْلة كالعُجْمة لا يُبين صاحبُها الكلام والحُكْلة، والحَكِيلة: اللُّثْغة. ابن الأَعرابي: في لسانه حُكْلة، أَي: عُجْمة لا يُبين الكلام والحُكْلُ العُجْم من الطيور والبهائم.
قال رؤبة:

لو أَنَّني أُعْطِيتُ عِلْم الحُكْل ... عِلْمَ سليمان كلامَ النَّمْل

هكذا أَورده الجوهري والأَزهري ونسبه الأَزهري لرؤبة، قال ابن بري: الرجز للعجاج وصوابه: أَو كنت... وقبله:

فقُلْتُ لو عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْل ... وقد أَتاه زَمَنُ الفِطَحْل

والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطِين الوَحْل ... أَو كنت قد أُوتِيتُ علْمَ الحُكْل

كنتُ رَهِينَ هَرَم أَو قَتْل.

قال ابن سيده: والحُكْل من الحيوان: ما لا يُسْمع له صوت كالذَّرّ والنَّمْل: قال: ويَفْهَم قول الحُكْل، لو أَنَّ ذَرَّةً تُساوِدُ أُخرىٰ لم يَفُتْه سِوادُها، وكلامُ الحُكْل كلامٌ لا يُفْهَم، حكاه ثعلب. «لسان العرب» (١١/ ١٦٢).

(٤) في ج: وغير، والمثبت من أ، ب.

﴿بِبَعْضٍ﴾: بالمؤمنين ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ﴾: بقتل المسلمين، وظهور الفساد، ونزل سخط فهلكت الأرض وما فيها، أو لولا أن يدفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار لهلكت الأرض بما فيها، قال ﷺ: «**إنَّ الله ليدفع بالرجل الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه**»(١).

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (تا) ﴿تِلْكَ﴾: أي: الأخبار المذكورة مبتدأ خبره: ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: حال من آيات الله.

﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: (تا).

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: (تا) إن استأنفت ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: أي: موسىٰ، وإن نصبت منهم بدلًا من موضع ﴿فَضَّلْنَا﴾ لم تقف علىٰ ﴿بَعْضٍ﴾.

وقرئ: (كلم الله) نصبًا.

وقرئ: (كالم الله) من المكالمة، وكليم الله يدل عليه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾: أي: محمدًا ﷺ، ولم يصرح باسمه؛ تفخيمًا له.

﴿دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: (حس) نصب حال، أي:

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وفيه يحيىٰ بن سعيد العطار، وهو ضعيف. «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩٩).

ذا درجات، وحسن الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعده جملة مستقلة مستأنفة.

المعنىٰ: أنَّه ﷺ ساوىٰ الأنبياء في فضلهم صلىٰ الله عليهم أجمعين، وفضل عليهم بأشياء كثيرة، وأكبرها القرآن الثابت إعجازه علىٰ مرور الأزمان، قال ﷺ: **«ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطىٰ من الآيات من آمن علىٰ مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ»** (١).

وقال ﷺ: **«فضلت علىٰ الأنبياء بست، [أوتيت]**(٢) **جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت إليَّ الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلىٰ الخلق كافة، وختم بي النبيون»** (٣).

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: (كا).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: مشيئة قسر.

﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: أي: [من](٤) بعد الرسل.

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في دينهم ﴿فَمِنْهُم﴾: أي: الذين بقوا بعد الرسل ﴿مَّنْ ءَامَنَ﴾: ثبت علىٰ الإيمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: (كا) أي ارتد، وكرر، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: تأكيدًا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: (تا) ومفعول ﴿أَنفِقُوا۟﴾: محذوف أي شيئًا ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾: هي الزكاة.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: لا فداء.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: لا صداقة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٦)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه مسلم(٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾: (كا) بغير إذنه.

القراءة: هنا وإبراهيم ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم:٣١]، والطور: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[الطور:٢٣] فتحًا في السبعة بلا تنوين، بنىٰ لا مع ما بعدها علىٰ الفتح كأنَّ قائلاً، قال: هل من بيع؟ فجيء بالجواب عامًّا علىٰ وفق السؤال، فقيل: لا بيع، وغير الاسم بالبناء، ومحل لا مع الاسم رفع ابتداء، خبره فيه، وبالرفع علىٰ جعل «لا» بمعنىٰ «ليس».

تلخيصه: تأهبوا للحساب قبل الموت.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (تا).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾

قال ﷺ لأُبيّ يومًا: «**أبا المنذر أيُّ آية في كتاب الله أعظم؟**» قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فضرب في صدري فقال: «**ليهنك العلم، والذي نفسي بيده إنَّ لها للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش، ومن قرأها حين يأوي إلىٰ فراشه وكل الله به حافظًا، ولا يقربه شيطان حتىٰ يصبح**»(١)، ثم وصف الله تعالىٰ فقال: ﴿ٱلْحَىُّ﴾: خبر مبتدأ، أي: هو الذي لا يلحقه الفناء ولا يموت.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: (كا) فيعول بناء مبالغة، وهو [القائم](٢) دائمًا بتدبير خلقه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٣١٥)، والطيالسي (٥٥٠)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٠١).
وأخرجه مسلم (٨١٠) دون قوله: «والذي نفسىٰ بيده....».

(٢) في جـ: القيام، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (القيام) والقيم بمعناه، ثم تبين ذلك وأكد بقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾: (حس) وزيدت «لا» هنا مع «الواو»؛ لنفي السِّنة والنوم عنه بكل حال، ولولاها لاحتمل أن يقال: لا تأخذه سنة ونوم في حال واحدة، والنوم: غشية ثقيلة تقع علىٰ القلب فتمنعه معرفة الأشياء، والسِّنَة: ما يتقدمه من النعاس، فعلىٰ هذا لم يكتف بقوله: لا تأخذه سنة دون ذكر النوم لنفي توهم أنَّ السنة إنما لم تأخذه لضعفها، ولتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته، فجمع بينهما لنفي التوهمين، والسِّنة في الرأس والنعاس في العين، والنوم في القلب.

تلخيصه: هو منزه عن جميع التغيرات، ثم أكد نفي السِّنة والنوم والمشاركة عنه بقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (تا) لأنَّه خلقهما بما فيهما، والمشاركة إنما تقع فيما فيهما، ومن يكن له ما فيهما، فحال نومه ومشاركته إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيهما، ثم أكد الوحدانية المنزهة عن صفات المحدثات بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾: لأنَّ أحدًا لا يقدر علىٰ الكلام يوم القيامة.

﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: (حس) حال بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن يشاء فيمن يشاء [ق/ ٣٠أ]، ثم بيَّن أنَّه لا يغيب عنه شيء ما بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أي: بين أيدي ما فيهما، والمراد: ما وجد قبل خلق ما فيهما كالملائكة.

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ﴾: ما يوجد بعد ما فيهما.

﴿بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾: مما علم، وقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾: (كا) كإخبار الرسل بدل من ﴿بِشَيۡءٖ﴾، ثم دل علىٰ عظمته وملكه بقوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾:أي علمه وملكه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾: والعلم يسمىٰ كرسيًّا، والعالم أيضًا، ومنه الكراسة؛ لما فيها من العلم، **والمعنىٰ**: أحاط قدرة وعلما بهما أو الكرسي [ق/ ٣٧جـ] شيء إلىٰ جنب العرش، في الحديث: «**السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة**،

والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة»[(١)].

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: لا يثقله ولا يشق عليه ﴿حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾: المتعالي عن أن يحيط به وصف واصف أو معرفة عارف.

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾: (تا) الذي ليس شيء أعظم منه، ونزل فيمن كان له أولاد في الكفار وأراد عودهم إلى الإسلام: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[(٢)].

ابن مسعود[(٣)]: هذه الآية منسوخة بآية السيف.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، والطبراني في «الكبير» (١٦٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٨٤).

(٣) قال النحاس: من العلماء من قال: هي منسوخة؛ لأن رسول الله ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام فممن قال بذلك سليمان بن موسى قال: نسخها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال زيد بن أسلم: أقام رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يدعو الناس إلى الإسلام، ولا يقاتل أحدا، فأبى المشركون إلا قتاله، فاستأذن الله -عز وجل- في قتالهم فأذن له.

وقال بعض العلماء: ليست منسوخة ولكن ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] نزلت في أهل الكتاب لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يكرهون أهل الأوثان فهم الذين نزلت فيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]، ومما يحتج به لهذا القول ما قرئ على أحمد بن محمد بن الحجاج، عن يحيى بن سليمان، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه يقول لعجوز نصرانية: «أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله جل وعز بعث محمدا ﷺ بالحق، فقالت: أنا عجوز كبيرة وأموت إلى قريب، فقال عمر: اللهم اشهد، ثم تلا ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]».

وممن قال: إنها مخصوصة ابن عباس، كما قرئ على أحمد بن شعيب، عن محمد بن بشار، عن ابن أبي عدي، في حديثه عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «كانت المرأة تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله جل وعز:

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: الكفر، **المعنىٰ**: ظهر الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: الشيطان والأصنام وكل من أطيع في معصية الله تعالىٰ طاغوت، وزنه بعد التغيير والقلب «فلعوت» عند بعضهم، وهو من الياء من طغىٰ يطغىٰ يدل عليه الطغيان، أو من طغا يطغو أو الياء أكثر فحمله عليها أولىٰ فأصله «طغيوت»، ثم قدمت اللام فصار «طيغوت»، فتحركت الياء فقلبت الفاء، ويذكر ويؤنث ويفرد ويجمع.

تلخيصه: ظهر الإيمان، فمن آمن ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾: أي: تمسك واعتصم.

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ﴾: بالعقد الثابت والحجة.

﴿ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: المحكمة الموصولة إلىٰ رضا الله تعالىٰ، وأصل العروة: الثبات واللزوم، والوثقىٰ: العقد والإحكام.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾: لا انقطاع، وأصل الفصم: انصداع من غير فصل.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

= ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]».
قول ابن عباس في هذه الآية أولىٰ الأقوال لصحة إسناده وأن مثله لا يؤخذ بالرأي، فلما خبر أن الآية نزلت في هذا وجب أن يكون أولىٰ الأقوال، وأن تكون الآية مخصوصة نزلت في هذا، وحكم أهل الكتاب كحكمهم، فأما دخول الألف واللام في الدين فللتعريف لأن المعنىٰ لا إكراه في الإسلام ،وفي ذلك قول آخر يكون التقدير: لا إكراه في دين الإسلام والألف واللام عوض من المضاف إليه مثل ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠] أي: وجلودهم، واختلف العلماء أيضا في الآية الثامنة والعشرين، فقال بعضهم: هي ناسخة. وقال بعضهم: نزلت في شيء بعينه غير ناسخة. وقال بعضهم: هي عامة.
«الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٦٠-٢٦١).

﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ﴾: أي: ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: أي: الكفر.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾: (كا) الإيمان واليهود وليهم ﴿ٱلطَّـٰغُوتُ﴾: كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾: الإيمان بمحمد ﷺ؛ [لأنهم][1] كانوا يعرفونه في كتبهم ويستفتحون به.

﴿إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ﴾: (كا) الكفر به بأن أنكروه ومنعوا من اتباعه أو المراد جميع الكفار، ويكون الإخراج عن الإيمان المنع عن الدخول فيه، كقول يوسف: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف/ ٣٧] فلهم النار، ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾: (تا) ثم عجب نبيه ﷺ وسلّاه بمجادلة إبراهيم نمروذًا الجبار المدعي الربوبية.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: والعامل في ﴿أَنْ﴾: ﴿حَآجَّ﴾، فمحل ﴿أَنْ﴾ والمتصل بها نصب أو جر، تقديره ﴿حَآجَّ﴾، لأنْ أعطاه الله الملك، فكانت المحاجّة من بطر الملك، قالوا: إنَّه ملك الأرض فتنة له أو الهاء لإبراهيم، فالملك على هذا النبوة، أي حاج نمروذ إبراهيم؛ لأنَّ أعطى النبوة.

ومحل ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: نصب بـ ﴿حَآجَّ﴾ ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: فثَمَّ نمروذ ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: فعمد إلى رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فجعل ترك القتل إحياء.

القراءة: بحذف الألف من أنا وإثباتها، إذا كان بعدها همزة مضمومة أو

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

مفتوحة، وكان لإبراهيم أن يقول: فأحي؟ ولنمروذ أن يقول: فليحي ربك من أمت، ولكن صرف عن ذلك معجزة لإبراهيم، فانتقل إبراهيم إلىٰ حجة واضحة بأن قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ﴾: أي: تحير ودهش.

﴿ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس) وانقطعت حجته.

وقرئ: (فَبَهَت) أي فبهت إبراهيم الكافر.

وقرئ: (فَبَهُت) كقرب، و(بَهِتَ) كعلم وزنًا لغتان، وفي انتقال إبراهيم دليل علىٰ جواز الانتقال من دليل إلىٰ دليل و«أو» في:

﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي﴾: كـ«أو» في ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾، والكاف منصوبة محلًّا بمحذوف، أي لو رأيت مثل الذي، وحذفت «أرأيت» لدلالة «ألم تر» عليه؛ لأنهما للتعجب أو زائدة، أي: ألم تر إلىٰ الذي حاج، أو إلىٰ الذي.

﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ﴾: سقوفها، وأصل الخواء الخلاء، وأصل العرش أن يستعمل لكل بناء مرتفع، ثم استعمل في كل مسقف كالسرير، أي: سقطت السقوف، ثم سقطت عليها الحيطان، أو «علىٰ» بمعنىٰ «مع»، والمار عزير أو

كافر، شك في البعث أو أرميا بن حلقيا، والقرية: بيت المقدس أو قرية العنب قريب منها، وذلك أنَّه لمَّا كثرت المعاصي في بني إسرائيل وعظهم أرميا، فلم يتعظوا، فخرج من بينهم وخالط الوحوش يتعبد، ودخل بخت نصَّر بجنوده بيت المقدس وخرَّبه وملأه ترابًا، وقتل مَنْ فيه، وسبا ذرياتهم، فلمَّا ذهب رجع أرميا بحماره وعصير عنب وتين، فوجده خرابًا، فقال ليزداد بصيرة- وكذلك لو قيل: المار هو العزير: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ﴾: وإن قيل: السائل كان كافرًا، فإنما سأل شكًّا في البعث، إن جعلت ﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنىٰ «متىٰ» نصبتها بـ(يُحْيِۦ)، وبمعنىٰ كيف نصبتها حالًا من هذه.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾: أي: ألبثه ميتًا.

﴿مِاْئَةَ عَامٍ﴾: لا يكون ظرفًا لأماته؛ لأنَّ الإماتة تقع في أيسر زمان.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ﴾: أحياه ظرفا ثم قال له ملك: ﴿كَمْ لَبِثْتَۖ﴾: (كا) ميتًا.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾: لأنَّه كان قد مات أول النهار ظرفًا، ثم رأىٰ بقية من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ﴾: (كا).

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾: التين أو [العنب][(١)].

﴿وَشَرَابِكَ﴾: العصير، أو اللبن.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْۖ﴾: لام ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ هاء كقوله: سانهت فلانًا عاملته سنة، أي لم يتغير من مر السنين، أو «واو» كقولهم سنوات فحذفت الواو وجيء بهاء السكت كـ﴿حسابيه﴾ أو نون من الحمأ المسنون، فقلبت نونه حرف علة كـ﴿يتمطىٰ﴾، ولم يثنه ردًا للضمير إلىٰ أقرب المذكورين.

القراءة: بإثبات الهاء وصلًا؛ لأنها لام الكلمة وصلًا وبحذفها وصلًا علىٰ أنها للسكت وصلًا وإثباتها وقفًا للكل.

---

(١) في جـ: للعنب، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (وهذا شرابك لم يتسن).

وقرئ: (يسنه) بإدغام التاء في السين.

تلخيصه: ما معك باق بحسنه قالوا: وكان حماره قد مات واقفًا وبقي عظامًا فقيل له: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: أو لم يكن قد مات، وهذا أبلغ في القدرة، فنظر فرآه قائمًا كهيئة أول يوم، ثم عطف ما بعد على محذوف تقديره: أريناك ذلك لتعلم قدرتنا.

﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ﴾: زائدة، أي فعلنا ذلك للدلالة على البعث.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾: عظام الحمار، أو عظام الموتى.

ومحل ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾: حال وناصب ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾.

القراءة: بضم النون من أنشز الله الموتى فنشزوا: ظهروا، وبفتحها [من][(١)] نشز الله الموتى بمعنى أنشزهم [أو][(٢)] من النشز ضد الطي، وبضم النون والزاي من النشوز من التحريك والارتفاع، أي: نحركها ونرفعها.

﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾: فعادت العظام كهيئتها حية.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: إحياء الموتى؛ لأنَّ فاعل تبين مضمر.

وقرئ: (تبين) مجهولًا.

القراءة: ﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾: بقطع الهمزة رفعًا إخبارًا عن نفسه، وبوصل الهمزة جزمًا آمرًا لنفسه، أو من الله تعالى له بالعلم اليقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: (تا): **وقرئ**: (قيل أعلم).

﴿أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ [ق/ ٥٨ب]: لأزداد بصيرة، وإذا سئلت: هل رأيت إحياء الموتى؟ فأقول: نعم.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ﴾: (كا) مع علمه بإيمانه ليظهر إيمانه لكل سامع بقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن﴾: واللام متعلقة بمحذوف تقديره سألتك ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ﴾: أي: يسكن.

﴿قَلۡبِيۖ﴾: ويصير علم اليقين بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة، وليس ما يصل إلىٰ القلب بالخبر كالذي يصل إليه بالنظر؛ لأنَّ الكذب في الخبر ممكن، وفي النظر غير ممكن؛ لأنَّ حاسة السمع مخبرة وحاسة البصر ممازجة، ولو كان الجواب بنعم لكان كفرًا؛ لأنَّ الاستفهام أكد معنىٰ النفي، و«بلىٰ» لإيجاب النفي سواء كان مع النفي استفهام أو لم يكن.

تلخيصه: آمنت وأريد مشاهدة ذلك الإيمان غيري.

﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾: طاووسًا وديكًا وحمامة وغرابًا.

القراءة: ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾: ضمًا للصاد قطعهن وكسرًا أملهن، أو لغتان صرته وصرته أملته وقطعته، أو «صرهن» صح بهن، الخليل: عصفور صوار للمجيب إذا دعي.

وقرئ: (فصرهن) بضم الصاد وكسرها من صره يصره ويصره جمعه كضره يضره، ويضره من الضرر، و(فصرهن) من التصرية الجمع و(فصرهن) من الصرير الصوت، أي: صح بهن، وجميع المستعمل من (ص، و، ر) يشمَله معنىٰ الميل، وأمر بضمها إليه بعد الأمر بأخذها ليتأملها ويعرف أشكالها لئلا تلتبس عليه بعد عودها إليه.

والمعنىٰ: أملهن إليك واعتبرهن، ثم [قطعن][١]، ثم اخلط لحمهن بعضه ببعض، ثم أمسك رؤوسهن، ثم جزئهن أجزاءً.

﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ﴾: من جبال أرضك [وكانت سبعة][٢].

﴿مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾: القراءة: بضم الزاي وإسكانها، ومنهن صفة لـ ﴿جُزۡءٗا﴾،

---

(١) في جـ: اقطعهن، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

فلمَّا قدمت عليه نصبت حالًا.

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾: قل لهن: تعالين بإذن الله.

﴿يَأْتِينَكَ﴾: ففعل فعاد كل جزء إلىٰ جسده، ثم أتين إلىٰ رؤوسهن.

﴿سَعْيًاۚ﴾: (كا) سريعًا، أو مشيًا؛ لئلا يتوهم أنها غير تيك الطير، أو أنها غير سليمة الأرجل، فاتصلت برؤوسهن فعادت كما كانت، وانتصاب ﴿سَعْيًاۚ﴾ مصدر مؤكد أو في موضع الحال، أي: ساعيات.

﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: (تا) ولمَّا كانت هذه الأشياء تدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ حث علىٰ النفقة بعد؛ لأنَّه قادر علىٰ الخلف والثواب قال:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًىۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ، وفي الكلام حذف، أي: مثل نفقات المنفقين خبره ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾: وقدر في الكلام حذف؛ لأنَّ الذين ينفقون لا يشبهون الحبة؛ لأنَّه لا يشبه الحيوان بالجماد، بل نفقاتهم تشبه الحبة.

ومحل ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: (كا) [جر][1] صفة حبة، وإسناد الإنبات إلىٰ الحبة مجاز.

المعنىٰ: يتشعب من أصلها سبع شعب [ق/ ٣١أ]، في كل شعبة سنبلة.

﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ﴾: (حس): **وقرئ**: (مائة) نصبًا بدلًا من «سبع»، والتاء في مائة بدل من لامها.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾: يزيد الثواب ﴿لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: (كا) من

(١) في جـ: جرًا، والمثبت من أ، ب.

المنفقين إلىٰ سبعمائة.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

ونزل في المنفقين في طاعة الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا﴾: لا يمنّ علىٰ المنفق عليه.

﴿وَلَآ أَذٗى﴾: لا يؤذيه بأن يقول: قد أعطيتك [ق/ ٣٨جـ] فما شكرت، وإلىٰ كم تؤذيني.

تلخيصه: لا يعيره بشيء من إحسانه إليه، ولا وقف هنا؛ لأنَّ خبر الذين ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: ولم يجئ بالفاء في ﴿لَّهُمۡ﴾ هنا، وجيء بها في (فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ) بعد؛ لأنَّ الموصول هنا لم يضمّن معنىٰ الشرط، وضمنه ثَمَّ، ولأن الفاء فيها دلالة أنَّ الإنفاق به استحق الأجر، وطرحها عار من تلك الدلالة.

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: (كا).

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: (تا).

﴿ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ ﴾

﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾: رد جميل أو عدة حسنة مبتدأ، ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾: يغفر خلته ولا يهتك ستره أو يتجاوز عن الفقير إذا استطال، عطف عليه وخبر المبتدأ.

﴿خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾: (كا) منّ وتعيير.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن صدقة من يمنّ.

﴿حَلِيمٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: (تا) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد.

ثم أكد بقوله: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم﴾: أي: أجورها.

﴿بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ﴾: ومحل الكاف نصب صفة محذوف، أي إبطالًا مثل إبطال المنفق.

﴿مَالَهُۥ رِئَآءَ﴾: مفعول له، أي لأجل.

﴿ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾: ليقال: كريم ورياء مصدر مضاف إلىٰ المفعول هنا.

وقرئ: (رياء) بقلب الهمزة ياء، ثم جاء بالفاء لتربط ما بعدها بما قبلها فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾: أي: مثل نفقة المرائي بها.

﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾: حجر أملس وجمعه صفي، أو واحده صفوانة.

وقرئ: (صفوان) كغلبان، أي كمثل حجر استقر.

﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾: مطر شديد.

﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾: نقيًّا لا تراب عليه.

المعنىٰ: مثل الفريق المان والمنافق في صدقتهما يوم القيامة كحجر عليه تراب أزاله عنه المطر.

﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾: أي المراؤون.

﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ﴾: (كا).

﴿ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾: (كا) قال ﷺ: **«إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، قالوا: يا رسول الله، ما الشرك الأصغر، قال: **«الرياء»**[1]، ثم بكّت المنفقين رياء

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «شعب

بذكر المنافقين.

﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ﴾: أي: طلب رضوان.

﴿ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتًا﴾: معطوف علىٰ المفعول له، أي: للابتغاء والتثبيت أين يضعون النفقة، فمحل ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾: نصب مفعول المصدر أو المعنىٰ تثبيتًا لأنفسهم علىٰ إخراج النفقة؛ لأنَّ المال شقيق النفس وتثبيتًا لها علىٰ الإيمان بالجزاء، فمن علىٰ هذا تبعيض بجوهر من عطفه، أو ابتدائية، كقوله: ﴿حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة/ ١٠٩]، أي تثبيتًا صادرًا من أنفسهم أو بمعنىٰ اللام، نحو فعلت ذلك كسرًا من شهوتي.

وقرئ: (تبيينًا)، والمعنىٰ مثل نفقة هؤلاء ونموها عند الله ﴿كَمَثَلِ﴾: ثمرة.

﴿جَنَّةِۭ﴾: أي بستان.

﴿بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: هي المستوي من الأرض لا يعلوه الماء، ولا يعلو عن الماء، فيكون نبته حسنًا.

القراءة: بضم الراء وفتحها.

وقرئ: بكسرها وبضمها وفتحها وكسرها مع الألف لغات كلها.

﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا﴾: جناها.

﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾: أي: حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين.

القراءة: (أكلها وأكله وأكل خمط) حيث وقع بسكون الكاف وضمها لغتان.

﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: (كا) رفع بمحذوف، أي فالذي يصبها طل، وهو المطر الضعيف أو الندىٰ، والطل إذا أدام عَمِلَ عَمَلَ الوابل.

المعنىٰ: إنَّ هذه الجنة تربع قل المطر أو كثر، كذلك صدقة المؤمن المخلص

= الإيمان» (٦٨٣١) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.

فيها تنفعه قلَّت أو جلَّت.

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾

﴿بَصِيرٌ﴾: (تا) إن لم تجعل ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: متصلًا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾.

ومحل ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: جمع نخل، أو نخل ونخيل واحد وهو جنس.

﴿وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: رفع صفة (جنة).

﴿لَهُۥ فِيهَا﴾: رزق أو [ق/ ٥٩ب] ثمرة ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: وخص النخيل والأعناب بالذكر، وإن كان في الجنة غيرهما تفضيلًا لهما.

والواو للحال في ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾.

ومحل ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾: أي أولاد.

﴿ضُعَفَآءُ﴾: صغار حال من الهاء في ﴿أَصَابَهُ﴾ أو عاطفة علىٰ ﴿أَيَوَدُّ﴾، ويكون الماضي مستقبلًا معنىٰ إن جعلت ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ من ذرأ بمعنىٰ خلق، [فوزنه][1] فعولة وأصلها ذروءة، فأبدلت الهمزة ياء تخفيفًا، فبقيت ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء بعد القلب.

وإن جعلتها من الذر التفريق فوزنها فعيلة أو فعولة وأصلها ذريرة، أو ذرورة، فأبدلت الراء الثانية ياءً لكثرة الراءات، ثم أبدلت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء

---

(١) في جـ: فوزنها، والمثبت من أ، ب.

وكسرت الراء لتصح الياء الساكنة.

وقرئ: بكسر الذال إتباع لكسرة الراء أو نسبة إلىٰ الذر كأمسىٰ إلىٰ أمس، وإن جعلتها من ذروت الحب وذريته فوزنها من الواو فعولة، وأصلها ذرورة، ومن الياء فعيلة وأصلها ذروية، ففعل بهما كما فعل بذرية من ذرأ بمعنىٰ خلق.

وقرئ: بفتح الذال فعيلة أو فعولة كخروبة من الذر أيضًا.

والفاء عاطفة في ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ﴾: ريح شديد ترتفع كالعمود أو ريح تسطع وتثير السحاب ﴿فِيهِ نَارٌ﴾.

المعنىٰ: أيحب أحدكم أن يملك جنة في غاية الجودة يدخرها لفاقته، فأحوج ما كان إليها أصابتها نار.

﴿فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾: (كا) فبقي متحيرًا محتاجًا لا يجد ما يعود به عليه، كذلك المرائي بعمله أحوج ما يكون إليه لا ينفعه.

تلخيصه: من عمل لغير الله ندم حين لا [ينفع](١) الندم، وأصل الحرق حل شيء بشيء مع حرارة والتهاب أو هذا مثل لمن عمل بالطاعات، فبعث له الشيطان فعمل بالمعاصي، فأغرق أعماله كلها، وإنَّ أحدكم أفقر ما يكون إلىٰ عمله إذا فارق الدنيا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي [كهذا](٢) البيان الذي يبين فيما يقدم من الجهاد والصدقة، وقصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيرها.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي: الدلالات التي تحتاجون إليها في [دينكم وتوحيدكم](٣).

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: (تا).

---

(١) في جـ: ينفعه، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: هكذا، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: توحيدكم ودينكم، والمثبت من أ، ب.

﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: بالتجارة والصناعة، قال ﷺ: **«أحل ما أكل الرجل من كسبه، وإنَّ ولده من كسبه»** [(١)]، وقال: **«ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ داود لا يأكل إلا من عمل يده»** [(٢)].

﴿وَمِمَّآ﴾: أي: ومن طيبات ﴿أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من الحبوب والثمر، ويجوز أن يقال: من الكنوز والمعادن، وهذا أمر بإخراج الزكاة.

ونزل فيمن كان يتصدق بالرديء ومخص بالجيد: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾: أي: الرديء.

ومحل ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾: أي: من الخبيث نصب حال مقدرة من الضمير في ﴿تَيَمَّمُواْ﴾.

القراءة: بتشديد التاء، وتخفيفها هنا وفي أخواتها، وهي في أحد وثلاثين موضعًا.

وقرئ: (ولا تأمموا) (ولا تُيمموا) بضم التاء، وتيممه وأممه ويممه واحد قصده.

ومحل ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾: أي: تتسامحوا في أخذه حال، وأصل الإغماض: غض البصر، أغمض فلان عن بعض حقه تساهل فيه.

المعنىٰ: وحالكم أنَّكم لا تأخذونه إلا في حال الإغماض، أو المعنىٰ: لو أهدي إلىٰ أحدكم ما أخذه إلا علىٰ استحياء من صاحبه.

وقرئ: (تُغَمِّضوا) مشددًا من غمض، و(تغمضوا) بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض و(تغمضوا) مجهولًا.

﴿حَمِيدٌ﴾: (تا).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والنسائي (٤٤٤٩)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٦٠٤٣)، وابن ماجة (٢١٣٧)، وأحمد (٢٤٠٧٨)، وابن حبان(٤٢٥٩)، والحاكم(٢٢٩٤)، والطيالسي (١٥٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٤٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٥٥٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٦) من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾: وعد يستعمل في الخير والشر، والفقر: سوء الحال، وأصله انفراج في شيء، ومنه فقال: الظهر لمَا فيه من الفصول، والفقير منه.

والمعنىٰ: أنَّه يخوفكم بالفقر، بأن يقول: إن تصدقتم افتقرتم.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾: (كا) بالبخل.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: إن أنفقتم.

﴿مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾: لذنوبكم.

﴿وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: خلفًا مما أنفقتم وثوابًا عليه.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: أي العلم النافع الموصل إلىٰ رضا الله والعمل به أو الورع.

﴿مَن يَشَآءُۚ﴾: (تا) وأصل الحكمة المنع، وكذلك جميع المستعمل من (ح ك م) وتعكيسه، ثم استعمل للمنع مع إصلاح، وتم الوقف هنا؛ لأنَّ الواو في ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: استئنافية أو عاطفة جملة علىٰ جملة و«من» علىٰ القراءة: مرفوعة محلًا مبتدأ خبره ما بعد.

وقرئ: بكسر التاء فمن علىٰ هذا منصوبة بـ«يؤت»، ويؤت مجزومة بها؛ لأنها شرط، وفاعل ﴿يُؤۡتَ﴾: الله تعالىٰ، أي ومن يؤته الله الحكمة.

تلخيصه: من أعطىٰ ما يدخله الجنة.

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: (كا) في تنكره الخير ووصفه بالكثرة دليل علىٰ عظمه.

﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: (تا).

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: في طاعة أو معصية.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: كذلك.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) يحفظه فيجازيكم به، ولم يقل يعلمها ردًا للضمير إلىٰ (ما).

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: (تا).

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾: نعم فعل غير منصرف، وفاعله مضمر، وما نكره غير موصولة ولا موصوفة بمعنىٰ شيء، وهي نصب تفسير، أي: فنعم الشيء شيئًا أو فنعم شيئًا إبداؤها، أو هي خبر مبتدؤه محذوف، كأنَّه قيل: ما الممدوح؟ فقيل: هي، أي الممدوح الصدقة، أو هي مبتدأ خبره ما قبلها، تقديره فهي نعم شيئًا.

القراءة: هنا وفي النساء بفتح النون وكسر العين علىٰ الأصل؛ لأنَّ أصلها نعم كعلم، وبكسر النون وإخفاء حركة العين نقلوا حركة العين إلىٰ النون، وبكسر النون والعين اتباع وتشديد الميم هنا إجماع.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾: سرا ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: (تا) وأفضل، وكل متقبل إذا صلحت النية، في الحديث: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب**»[1]، قالوا:

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وابن حبان(٣٣٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : حديث «**إن صدقة السر تطفئ غضب الرب**» الحاكم في «المستدرك» في كتاب الفضائل منه في ترجمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عنه وإسناده ضعيف، وفي الباب عن بهز بن حكيم عن أبيه=

هذا في صدقة التطوع، أما الزكاة فإظهارها أفضل ليقتدىٰ به، ولنفي التهمة، ويجوز أن يقال: إن لم يعرف ما معه فصدقة الفرض سرًّا أفضل خوف الظلمة.

القراءة: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾: بالنون والياء غيبة جزمًا عطفًا علىٰ محل الفاء وما بعدها، فهو جزم؛ لأنَّه جواب الشرط ورفعًا خبر ابتداء، أي ونحن نكفر أو أنَّه جملة من فعل وفاعل [ق/ ٣٩جـ].

وقرئ: بالتاء مؤنثًا رفعًا وجزمًا، وبالياء مذكرًا نصبًا بإضمار إن، أي إن يخفوها يكن خيرًا وأن نكفر عنكم.

﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: (كا) من زائدة أو هي تبعيض غير زائدة.

﴿خَبِيرٌ﴾: (تا).

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

= عن جده رواه الطبراني وفي إسناده صدقة السين وهو ضعيف، وعن أبي أمامة فيه في أثناء حديث طويل وعن أبي سعيد في «الشعب» للبيهقي وفيه الواقدي، وعن ابن عباس فيه واتهم أحد رواته وعن أنس رواه الترمذي وابن حبان وصححاه بلفظ «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء»، وأعله ابن حبان في «الضعفاء» والعقيلي وابن طاهر وابن القطان وعن ابن مسعود في «مسند الشهاب» للقضاعي، وفي إسناده من لا يعرف ولفظه «**صلة الرحم تزيد في العمر وصدقة السر تطفئ غضب الرب**».

تنبيه: الرافعي استدل به علىٰ أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية وأولىٰ منه حديث أبي هريرة المتفق عليه: «سبعة يظلهم الله» وفيه: «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها**».

«التلخيص الحبير» (٣/ ٢٤٧).

ونزل في النهي [عن الصدقة][1] على كافر حتى يسلم: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ﴾: أي: لا يلزمك.

﴿هُدَىٰهُمْ﴾: هدى التوفيق، وعليك هدى البيان [ق/ ٦٠ب]، فلا تمنعهم الصدقة ليسلموا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ﴾: (حس).

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: أي مال.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: (كا) فثوابه لأنفسكم لا لغيركم، (ما) بمعنى النهي في قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾: في أهل الذمة، [(ما)][2] هذه شرط كما في قوله [ق/ ٣٢أ]: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ الأولى جوابه.

﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه وافرًا مضاعفًا.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: (تا) شيئًا من ثوابكم هذا في صدقة التطوع توضع في المسلمين وأهل الذمة، وأما الواجبة فلا توضع إلا في المسلمين، وجوَّز أبو حنيفة وضع صدقة الفطر في أهل الذمة.

ومحل ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: رفع خبر مبتدأ محذوف، أي: صدقاتكم للفقراء أو نصب، أي: اجعلوا صدقاتكم للفقراء.

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾: أي: حبسوا نفوسهم على الغزو والجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وهم أهل الصفة كانوا زهاء أربعمائة يسكنون المسجد، يرضخون النوى نهارًا، ويقرؤون ليلًا، يخرجون في كل سرية يبعثها النبي ﷺ.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لكثرة أعدائهم، أو لا يتفرغون للتجارة.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في جـ: وما، والمثبت من أ، ب.

[القراءة: بكسر السين وبفتحها في مستقبل الفعل نحو][1] ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾: بحالهم.

﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: أصل (ع ف) الترك من العفة، وهي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة أو من العفة والعفافة لبقية اللبن، والتعفف: ترك مع تكلف، فكأنَّ المتعفف قد بقيت فيه بقية يمكنه بسببها الترك، و«من» متعلقة بـ﴿يَحْسَبُهُمُ﴾، أي: يحسبهم الجاهل لأجل تعففهم أغنياء.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: بعلامتهم التواضع ورثاثة أحوالهم من الفقر.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ﴾: صفة مصدر محذوف، أي سؤالًا ذا إلحاف، أي إذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء، ولا يسألون الناس أصلًا، فعلىٰ هذا ﴿إِلْحَافًا﴾ مفعول له، وهذا أحسن؛ إذ لو كانت المسألة من عادتهم لمَّا كان إلىٰ معرفتهم بالعلامة من حاجة، وأصل الإلحاف: الملازمة والإلحاح، قال ﷺ: «**من سأل وله قيمة أوقية أو عدلها، فقد سأل الناس إلحافا**»[2] وقال: «**لأن يأخذ أحدكم أحبله، فيذهب فيأتي بحزمة حطب علىٰ ظهره، فيكف بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أشياءهم، أعطوه أو منعوه**»[3].

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

ونزل فيمن تصدق ليلًا ونهارًا سرًا وجهرًا في خيول المرابطين؛ [لأنها][4] تعتلف سرًّا وجهرًا ليلًا ونهارًا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم﴾[5]: والباء في ﴿بِٱلَّيْلِ

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٢٨)، والنسائي (٢٥٩٥)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٢٣٧٦)، وأحمد (١١٠٥٩)، وابن حبان (٣٣٩٠)، والدارقطني (٢/ ١١٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٠٢) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

(٤) في جـ: لا، والمثبت من أ، ب.

(٥) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٩٠).

﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: بمعنىٰ «في».

وقوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: مصدران في موضع الحال.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: (تا).

تلخيصه: من أنفق لله يثب مع الأمن والفرح، عن أبي هريرة: أنَّه كان إذا مر بفرس سمين قرأ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ...﴾ الآية[1].

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: مبتدأ، أي يعاملون به، وخص بالأكل؛ لأنَّه معظم المقصود، والربا: الزيادة مطلقًا لغة.

وشرعًا: علىٰ وجه دون وجه وكتب بالواو، قالوا: علىٰ لغة من يفخمه كالزكاة، ويجوز أن يقال تنبيهًا علىٰ أصله؛ لأنَّه من ربا يربو: زاد، وزيدت الألف تشبيهًا بواو الجمع، وخبر المبتدأ ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: من قبورهم للبعث.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾: ومحل الكاف نصب صفة مصدر محذوف، أي إلا قيامًا مثل قيام ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾: أي يضربه ويصرعه.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: وأصل الخبط الضرب والوطء.

ومن في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: (حس) الجنون مس الرجل فهو ممسوس خبر

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٢/ ٢٨٠)، و«الكشاف» (١/ ٣١٩).

متعلق بـ﴿لَا يَقُومُونَ﴾، أي: لا يقومون للبعث من الجنون إلا كقيام المصروع، أو بـ«يتخبطه» أي: يتخبطه من جهة الجنون.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي العذاب النازل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ﴾: أي: بسبب قولهم ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: (حس) لأنَّه كان إذا حل علىٰ رجل ما يقول لغريمه: زدني في الأجل وأزيدك في الربح فيفعلان ذلك ويقولان: سواء علينا الزيادة في أول البيع وعند المحل، وكان ينبغي أن يقال: إنما الربا مثل البيع؛ لأنَّ البيع هو الأصل، ولأنَّ الإنكار والتهديد إنما وقع لأجل الربا، ولكنَّهم لمَّا أحبّوا الربا واستحلوه وأكثروا منه بالغوا فيه حتىٰ جعلوه أصلًا شبّهوا به البيع، وقريب من هذا قولهم: رأيت القمر كوجه سعدىٰ.

وكقوله(١):

ورمل كأوراك العذارىٰ قطعته ....

فقال تعالىٰ: منكرًا عليهم ومبطلًا قياسهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: وهذا تصريح أنَّ القياس يبطله النص؛ لأنَّه جعل الدليل علىٰ بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ﴾: أي بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾: أي وعظ ولأنَّ تأنيث الموعظة غير حقيقي.

وقرئ: (جاءته موعظة).

﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾: فسمع النهي وامتنع.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: أي: ما مضىٰ من ذنبه قبل النهي معفو عنه، وجعل ملكًا له.

---

(١) القائل هو ذو الرمة، والبيت بتمامه:

ورمل كأوراك العذارىٰ قطعته إذا ألبسته المُظلِماتُ الحنادِس

انظر: «سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» (١/ ٤٤٣)، و«خزانة الأدب» (١/ ٤٤٤).

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: (حس) فيما يأمره وينهاه ليس له شيء من أمر نفسه، لأنَّه عبد.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلىٰ الربا مستحلًّا بعد النهي.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: (تا) لعن ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: «هم سواء»(١).

﴿يَمْحَقُ﴾: [أي ينقص](٢).

﴿ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: ويذهب بركته ولا يقبل منه فعل خير، وأصل المحق النقص.

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: (كا) يزيدها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الثواب في العقبىٰ، في الحديث: **«ما نقصت زكاة من مال قط»**(٣).

﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: (تا) فاجر، فهذا تغليظ لحال الربا.

﴿يَحْزَنُونَ﴾: (تا) فلما أخذوا ما شرطوا أمروا بترك الزيادة بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾:

وقرئ: (ما بقا وبقي) بسكون الياء لغة طيئ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾: (حس) كاملي الإيمان أو إن صح إيمانكم، فإنَّ امتثال الأمر دليل الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم(١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) سقط من أ، والمثبت من ب، ج.

(٣) أخرجه مسلم(٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: **«ما نقصت صدقة من مال»**.

القراءة: ﴿فَأْذَنُواْ﴾: بسكون الهمزة وفتح الذال من أذن علم، أي فاعلموا.

وقرئ: (فأيقنوا) أو بفتح الهمزة مدًّا كآمنوا، والمفعول محذوف، أي: فأعلموا غيركم.

﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: ابن عباس(١): يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب، وحرب الله النار، وحرب رسوله السيف.

ولمَّا نزلت هذه الآية قال المرابون: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله، ورضوا برأس المال، ثم بيَّن تعالىٰ الحكم بعد التوبة بقوله: ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: عن الربا.

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: التي ارتبتم بها.

﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾: بطلب الزيادة.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بأن تنقصوا عن رأس المال.

وقرئ: (لا تُظلمون ولا تَظلمون) [ق/ ٦١ب] عكس القراءة، وهذا خبر بمعنىٰ النهي.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: كان هنا تامة، أي إن وقع ذو إعسار، وأصل العسر ضد اليسر الصعوبة والشدة.

وقرئ: (ذا عسرة)، أي إن كان الغريم ذا عسرة.

وقرئ: (ومن كان ذا عسرة).

﴿فَنَظِرَةٌ﴾: خبر ابتداء، تقديره: فالحكم نظرة، أي: إنظار، أي إمهال.

وقرئ: بسكون الظاء.

وقرئ: (فناظر) أي فصاحب الحق ناظره أي منتظره.

وقرئ:(فناظرة) أمرًا، أي فسامحه بالنظر.

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: (كا) إلىٰ وقت يسر.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠).

القراءة: بفتح السين وضمها لغتان.

وقرئ: بضم السين مضافًا.

وقرئ: بضم السين وكسرها وحذف التاء فيهما مضافين، كقوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧].

ومحل ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾: بترك رؤوس الأموال أو بعضها للمعسر أو المراد بالتصدق: الإنظار.

القراءة: بتشديد الصاد وتخفيفها مع تشديد الدال فيهما رفع ابتدأ، أي وتصدقكم.

﴿خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: (تا) أنَّه خير لكم، فتعلمون فيه، فجعل من علم ولم يعمل كمن لم يعلم، قال ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة**»[(١)].

ابن عباس[(٢)]: آخر آية نزلت وعاش بعدها ﷺ سبع أو تسع ليال، أو أحد أو عشرين يومًا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أو آية الربا.

القراءة: بفتح التاء وكسر الجيم، أي تصيرون [فيه][(٣)].

وقرئ بها وبضم التاء وفتح الجيم، أي: تردون.

وقرئ بها ويومًا نصب طرف تقديره، واتقوا عذاب الله يومًا، وأبو علي ينصبه مفعولًا به كقوله: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمًا﴾ [المزمل:١٧] أي: كيف تتقون هذا اليوم الذي هذا وصفه مع الكفر بالله.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: (تا).

ابن عباس[(١)]: ولمَّا حرم الله الربا أباح السلف المضمون إلىٰ أجل معلوم

---

(١) أخرجه مسلم(٣٠٠٦) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١).

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

بقوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتم بالدين، داينت الرجل عاملته معطيًا أو آخذًا.

﴿بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: مدة معلومة الأول والآخر.

﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾: (كا) دينًا كان أو قرضًا، وهذا أمر ندب عند أكثرهم، أو فرضا فنسخ بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾، ثم بيَّن تعالىٰ الكتابة فقال: ﴿وَلۡيَكۡتُب﴾: كتاب الدين.

﴿بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ﴾: أي: بين الخصمين.

وقوله: ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: (كا) متعلق بقوله: ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾، أي فليكتب بالحق.

﴿وَلَا يَأۡبَ﴾: لا يمتنع.

﴿كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ﴾، وقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾: متعلق بأن يكتب، فهذا نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة [ق/ ٤٠ جـ]، ثم قيل له: ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾: (كا) تلك

=

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٣٢٥).

الكتابة المقيدة توكيدًا أو ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾، فهذا نهي عن الامتناع من الكتابة علىٰ سبيل الإطلاق، ثم أمر بالكتابة مقيدة ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾: (كا) بأن يقر المشهود عليه بلسانه علىٰ نفسه، والإملاء والإملال واحد، وأصله: الامتداد في زمانه أو غيره.

﴿وَلْيَتَّقِ﴾: المملي.

﴿ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾: لا ينقص من الحق الذي عليه.

﴿شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾: (كا).

﴿سَفِيهًا﴾: أي جاهلًا، أو مبذرًا.

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: عن الإملاء لصغر أو كِبَر.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: بنفسه لعِيٍّ أو خرس أو لا يمكنه حضور الكاتب، وهو هنا تأكيد للضمير في ﴿يُمِلَّ﴾، وليس بفاعل.

المعنىٰ: إذا عجز من عليه الحق عن الإملاء.

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾: أي قيّمه وترجمانه.

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: (كا) أو وليّه صاحب الدين؛ لأنَّه أعلم بحقه.

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾: واطلبوا ﴿شَهِيدَيْنِ﴾: شاهدين.

﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾: (كا) الأحرار البالغين العقلاء المسلمين يشهدان علىٰ الدين، وجوَّز شريح وابن سيرين شهادة العبد، وجوَّز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم علىٰ بعض علىٰ اختلاف مللهم.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾: أي: الشاهدان.

﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾: أي: فليشهد رجل.

﴿وَٱمْرَأَتَانِ﴾: وشهادة النساء مع الرجال في الأموال جائزة اتفاقًا منهم.

وقـرئ: (وامرأتـأن)بهمزة، وفيه بُعد؛ لأنَّ الهمزة المتحركة لا تسكن بخفة الفتحة، ويجوز أنَّها سكنت لتوالي الحركات، وإن كانت فتحة كما سكنوا ضربت.

ومحل ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: أي من كان منهم مرضيًا في ديانته وأمانته رفع صفة رجل وامرأتين.

القراءة: بفتح ﴿أَن تَضِلَّ﴾: أي تنسىٰ، أي: لأن تضل.

﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾: ونصب.

﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾: (كا) عطف علىٰ ﴿تَضِلَّ﴾، وليس إضلال إحداهما بمراد وإن كان ظاهر اللفظ يقتضيه [ق/ ٣٣أ]، ولكنه محمول علىٰ المعنىٰ؛ لأنَّهم ينزلون السبب والمسبب كل واحد منهما منزلة الآخرة لاتصاله به، فالضلال سبب للإذكار، والإذكار مسبب عنه، فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرىٰ إن ضلَّت، كقولك: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه بها، وهذا السلاح أن يجيء عدو فأدفعه به، وبكسر (إن تضل) [به][1] شرطًا، وجوابه (فتذكر) رفعًا، أي: فهي تذكر، ومحل الشرط وجوابه رفع صفة ثانية لرجل وامرأتين، فعلىٰ قراءة الكسر يكفي الوقف علىٰ الشهداء، وعلىٰ الفتح لا يجوز.

والقراءة أيضًا فتذكر مشددًا و مخففًا، ونصبًا ورفعًا للراء، والذكر ضد النسيان.

وقرئ: (فتذاكر).

وقرئ: (أن تضل) إحداهما مجهولًا، ولم يقل فتذكرها؛ لئلا يعود الضمير إلىٰ المذكور، فتعين المذكور، والغرض الإبهام أو لو وضع «ها» موضع إحداهما لكانت إحداهما الثانية مفعولًا مقدمًا علىٰ الفاعل، ولا يجوز أن تكون (إحداهما) علىٰ هذا

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

فاعلًا؛ لأنَّ الضمير علىٰ هذا هو المظهر بعينه (إحداهما) والمظهر الأول فاعل تضل، فلو جعل الضمير لذلك المظهر لكانت الناسية هي المذكرة، وذا محال.

المعنىٰ: إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرىٰ، ثم حرض علىٰ الكتب فقال: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾: أي تملوا.

﴿أَن تَكۡتُبُوهُ﴾: أي الحق.

﴿صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾: حالان من الهاء، أي: علىٰ كل حال كان الحق من صغر أوكبر، أصل السآمة: الملالة مما يكثر لبثه، وهو قريب من الكسل، ولكن لا يعبر عنه بالكسل؛ لأنَّه صفة المنافقين، في الحديث: «**لا يقول المؤمن: كسلت**»(١)، وجوَّز بعضهم أن يكون الضمير للكتاب، أي: اكتبوا الكتاب صغر أو كبر.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾: المعلوم بين الغريمين.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: أي الكتب ﴿أَقۡسَطُ﴾: أي أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: أي أعون علىٰ إقامة الشهادة؛ لأنَّ الكتابة تذكر الشهود.

﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ [ق/ ٦٢ب]: أي: وأقرب ألا تشكُّوا في الشهادة.

تلخيصه: إذا تداينتم فاكتبوا الدين وأشهدوا عليه عدولًا، فهو أحفظ لأموالكم.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾: القراءة: بنصب التجارة خبر كان، أي إلا أن تكون التجارة.

﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾: وبرفعها علىٰ أنَّ كان تامة أو ناقصة، وخبرها ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾: وجاء بالفاء رابطة ما بعدها بما قبلها فقال: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ﴾: (كا). **المعنىٰ**: إذا كانت التجارة حاضرة فلا بأس بترك الكتب.

﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ﴾: علىٰ التبايع.

---

(١) قال السيوطي رحمه الله : أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، موقوفًا.
انظر: «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» (٢/ ٤٧٥) .

﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾: (كا) فإنَّه أدفع [للاختلاف][1]، وهذا أمر ندب عند أكثرهم.

الضحاك يقول بالإشهاد، ولو علىٰ باقة بقل.

﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾: لا يمتنع.

﴿كَاتِبٌ﴾: عن الكتابـة.

﴿وَلَا شَهِيدٌۚ﴾: (كا) عن الشهادة وفتحت الراء للساكنين، وأصله يضارر بكسر الراء.

وقرئ: بها وهذا نهي للكاتب عن ترك الكتابة أو الزيادة والنقصان فيها، والشاهد عن تحريف الشهادة أو نهي عن مضارة والشهيد، وأصله يضارر فتحًا وقرئ بها.

المعنىٰ: إذا كانا مشغولين ويوجد غيرهما فلا يضاران بإبطال شغلهما.

وقرئ: (يضار) كسرًا وإسكانًا.

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾: الضرار.

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾: أي معصية.

﴿بِكُمْۗ﴾: (كا).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾: (كا) أن استأنفت.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾: (كا) وإن نصبت، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ حالًا من فاعل ﴿وَٱتَّقُواْ﴾، أي: اتقوا الله مضمونًا لكم التعليم، فلا أحب الوقف بعد ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾، وكذلك إن نصبته حالًا مقدرة.

المعنىٰ: اجتنبوا معصية الله تعالىٰ يعرفكم طرق فلاحكم نحو: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ إلىٰ ﴿يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢:٣].

تلخيصه: من راقب الله تعالىٰ أرشده.

---

(١) في جـ: الاختلاف، والمثبت من أ، ب.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أي: مسافرين.

﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾: وقرئ: (كِتَابًا) و(كُتَّابًا) جمع كاتب وكتبًا.

﴿فَرِهَانٌ﴾: خبر مبتدأ، أي فالتوثق رهن.

﴿مَّقْبُوضَةٌ ۖ﴾: (كا) مسلمة إلى المرتهن، ولابد من القبض، [وعند مالك يصح الرهن بالإيجاب والقبول بلا قبض الرهن][(١)].

القراءة: بضم الراء والهاء جمع رهن، كسقف وسقف، وبألف بعد الهاء جمع رهن أيضًا، كبغل وبغال.

وقرئ:(فرهْن) بسكون الهاء تخفيفًا، وليس المراد أخذ الرهن في السفر خاصة إلا عند مجاهد لظاهر الآية، فإنَّ رسول الله ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي بالمدينة من غير سفر ولا عدم كاتب، ولكن لمَّا كان السفر مظنَّة إعواز الكاتب والشاهد قيده به.

المعنى: ارهنوا واقبضوا.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: أي: إن وثق إليه لأمانته.

وقرئ:(أومن) أي آمنه الناس.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾: أي: ما في ذمته، وسمي الدين أمانة؛ لتعلقه بالذمة كتعلق الأمانة.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

تلخيصه: فليقض المديون ما عليه من الدين.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: (تا) في أداء الدين وحذفت ياء الذي وصلًا للساكنين، وإذا وقفت علىٰ الذي ابتدأت أوتمن فالواو بدل من الهمزة التي هي فاء الفعل، ثم التفت مخاطبًا الشهود فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾: إذا دعيتم إلىٰ إقامتها.

وقرئ: (يكتموا) بالياء غيبة، ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾: أي ﴿قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: (كا) آثم خبر إنَّ وقلبه مرتفع به ارتفاع الفاعل بفعله أو قلبه مبتدأ، وآثم خبر، فمقدم عليه وهما خبر إنَّ.

وقرئ: (آثم قلبه) مشددًا، جعله آثمًا وآثم مدًّا، وبفتح قلبه كقوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ قالوا: والمراد: مسح القلب وما أوعد الله علىٰ شيء كإيعاده علىٰ كتمان الشهادة.

ابن عباس: أكبر الكبائر: الإشراك بالله وشهادة الزور، وكتم الشهادة.

وخص القلب بالذكر؛ لأنَّه محل تحمل الشهادة والعقائد والنيات.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) .

روي أنَّه نزل في موالاة المؤمنين الكفار ﴿وَإِن تُبْدُواْ﴾: أي: تعلنوا.

﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: من موالاة الكفار.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تسروه.

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾: وهذا كقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران:٢٨] والصحيح عموم هذه الآية، ولمَّا نزلت ثقلت علىٰ المسلمين حتىٰ نزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنسخت بها[١]، قال ﷺ: **«إنَّ الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»**[٢].

وبعضهم لا يجيز النسخ هنا؛ لأنَّ النسخ إنَّما يرد علىٰ الأمر والنهي دون

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس(ص/ ٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٩١)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخبر.

وقوله: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾: خبر ويقول: إن الله يحاسبهم بكل ما أبدوه وأخفوه كقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

تلخيصه: أنَّه تعالىٰ يحاسب بكلٍّ عبيده.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: (كا) الذنب العظيم.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: (كا) علىٰ الذنب الحقير، وكل ما يفعله عدل تعالىٰ علاؤه وشأنه.

القراءة: برفع الراء والياء، أي: فهو يغفر ويعذب، وبجزمهما؛ عطفًا علىٰ جواب الشرط.

وقرئ: بنصبهما بإضمار «أن»، والفاء لعطف مصدر علىٰ مصدر، أي يكن منه حساب، فغفران، وهذا يسمىٰ الصرف؛ لأنَّه صرف من اللفظ إلىٰ المعنىٰ، و(يغفر) بلا فاء ﴿وَيُعَذِّبُ﴾ مجزومين بدلًا من ﴿يُحَاسِبْكُم﴾.

ابن جني[1]: وهذا البدل تفصيل لجملة الحساب؛ لأنَّ التفصيل وضح من المفصل، فجرىٰ مجرىٰ بدل البعض أو الاشتمال [ق/ ٤١ جـ] كضربت زيدًا رأسه، وأحببت زيدًا عقله، هذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلىٰ البيان، ومثله ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان:٦٨، ٦٩]؛ لأنَّ مضاعفة العذاب هو لقي الآثام.

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا) .

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا

---

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٣٣١).

يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾: تقف هنا إن جعلت ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾: مبتدأ.

وقوله: ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ ثانيًا.

وقوله: ﴿ءَامَنَ﴾: خبر المبتدأ الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، وأفرد لفظ ﴿ءَامَنَ﴾ ردًا على لفظ ﴿كُلٌّ﴾، فعلى هذا لا يكون المؤمنون داخلين فيما دخل فيه النبي ﷺ من الإيمان، والاختيار الوقف على ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾، وهو حسن؛ ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبي ﷺ فيه، والتنوين في كل عوض من المحذوف، تقديره كلهم آمن.

﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾: (حس).

القراءة: وكتبه جمعًا وكتابه مفردًا إرادة جنس الكتب.

وقرئ: (وكتبه ورسله) إسكانًا تخفيفًا، فالرسول والمؤمنون يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟﴾: أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كاليهود والنصارى.

وقرئ: (لا يفرق) بالياء، أي النبي ﷺ، ويجوز أن يراد الجمع، يدل عليه ما قرئ: (لا يفرقون) واحد بمعنى الجميع، فلذلك أضيف «بين» إليه.

﴿سَمِعْنَا﴾: أجبنا.

﴿وَأَطَعْنَاۖ﴾: (كا) [ق/ ٦٣ب] دخلنا في الطاعة.

روي أنَّه لمَّا نزلت هذه الآية قال جبريل للنبي ﷺ: إنَّ الله قد أثنى عليك وعلى

أمتك، فسل تعط، فقال بتلقين جبريل إياه: ﴿غُفۡرَانَكَ﴾[1]: مصدر اغفر أو نسألك غفرانك.

﴿رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾: (تا).

﴿إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾: إلا طاقتها، والوسع خلاف الضيق، وهو ما يسع الشيء ولا يضيق عليه.

ابن عباس[2]: هم المؤمنون خاصة وسّع عليهم أمر دينهم، ولم يكلفهم إلا ما يستطيعون.

وقرئ: (وَسعها) بفتح الواو ﴿لَهَا﴾: أي للنفس.

﴿مَا كَسَبَتۡ﴾: من الخير.

﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾: (حس) من الشر عليها وزره، كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئًا مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة، فأُمر المسلمون بالدعاء برفع ذلك عنهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ﴾: غفلنا.

﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾: تجاوزنا الحد، وإن كان الخطأ والنسيان مرفوعين عنهم؛ لقوله ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[3]، فسؤالهم اعتراف بنعمة الله تعالىٰ عليهم أو معنىٰ ﴿نَّسِينَآ﴾: تركنا الأمر، كقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ [التوبة:٦٧]، و﴿أَخۡطَأۡنَاۚ﴾: تعمدنا فعل الخطأ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ﴾: وقرئ: تحمل مشددًا.

﴿عَلَيۡنَآ إِصۡرًا﴾: ثقلًا، وأصل الإصر: العقد والإحكام أو إصرًا عهدًا ثقيلًا، فتعذبنا بنقضه، أو الإصر: ذنب لا توبة منه، أي اعصمنا عن مثله.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٧٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٣٠).

(٣) أخرجه ابن ماجة (٢٠٤٥)، وابن حبان(٧٢١٩)، والدارقطني(٤/ ١٧٠)، والطبراني في= «المعجم الكبير» (١١٢٧٤)، وفي «الأوسط» (٨٢٧٣)، وفي «الصغير» (٧٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٤٨٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقرئ: (آصارًا).

﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا﴾: (حس) يعني: اليهود؛ لأنَّهم نقضوا العهد أو المعنىٰ لا تشدد علينا كمن كان قبلنا؛ لأنَّه كان قد فرض الله تعالىٰ عليهم خمسين صلاة في يوم وليلة، وإخراج ربع أموالهم زكاة، وغير ذلك من الأعمال الشاقة.

﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾: (كا) من الأعمال الشاقة أو هو حديث النفس أو الغلمة أو الحب والعشق أو شماتة الأعداء أو الفرقة.

تلخيصه: كل ما يضعف عن حمله.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: بمحو ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ﴾.

تلخيصه: افعل بنا ما أنت أهله، وعن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ لمَّا دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة منها: قد فعلت[(١)] [ق/ ٣٤أ].

ولا يوقف علىٰ ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: سيدنا ومتولي أمورنا لوجود الفاء في قوله: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا) لأنَّك سيدنا، والسيد ينصر عبيده، عن النبي ﷺ: «**الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه**»[(٢)].

وعنه ﷺ: «**إنَّ الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات بألفي عام، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان**»[(٣)]، وكان معاذ إذا ختم سورة البقرة يقول: آمين[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٦)، ومسلم (٨٠٧) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٨٢)، وأحمد (١٨٤٣٨)، والدارمي (٣٣٨٧)، وابن حبان(٧٨٢)، والحاكم(٢٠٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٣٦٠)، وفي «الصغير» (١٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٠٠) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٠٤).

سورة (آل عمران)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين...

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

القراءة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ﴾ بفتح الميم وصلًا؛ لالتقاء الساكنين تخفيفًا، وهما الميم ولام التعريف، ويعضده ما قرئ: بكسر الميم على أصل التقاء الساكنين، وزعم بعضهم أنَّ فتحة الميم حركة الهمزة ألقيت حتى سقطت للتخفيف، وفيه نظر؛ لأنَّ همزة الوصل لا تثبت وصلًا حتى تلقى حركتها على غيرها، إلا أن تجعل الهمزة في ﴿ٱللَّهُ﴾ همزة قطع حذفت لكثرة الاستعمال.

وقرئ: بإسكان الميم وفتح الهمزة من الله على أنها همزة قطع، أو أجرى الوصل مجرى الوقف، أو على لغة من يقطع ألف الوصل.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: (تا) ويكون ما [بعده][1] خبر مبتدأ محذوف أي هو:

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾: (كا) وإن جعلت ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وما بعده كله صفته، والخبر ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: القرآن، فلا وقف على ﴿هُوَ﴾ ولا على ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾.

وقرئ: (نَزَلَ) تخفيفًا ورفع (الكتابُ) فاعلًا.

ومحل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصدق حال.

وقوله: ﴿مُصَدِّقٗا﴾ حال.

(١) في جـ: بعدها، والمبثت من أ، ب.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: (كا) لما قبله من الكتب السماوية والشرائع النبوية، أي: نزله في حال تصديقه للكتب قبله، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعده عطف جملة علىٰ جملة، قال: نَّزل الكتاب مشددًا تكثيرًا؛ لأنَّ القرآن نزل نجومًا.

وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: لأنَّهما نزلا مرة واحدة، ويؤنث ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾ نظرًا إلىٰ الصحيفة، ويذكر نظرًا إلىٰ الكتاب، قالوا: وأصل التوراة: ووراة فوعلة من ورىٰ الزند [ظهر][1] ناره، سميت بذلك؛ لما فيها من ظهور الحق، فأبدلت الواو الأولىٰ تاء كتولج، ثم قلبت الياء ألفًا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها.

القراءة: بتفخيمها وبإمالتها؛ لأنَّ أصلها الياء وبين بين، والإنجيل إفعيل من محل الشيء رمىٰ به؛ لأنَّه رمىٰ بالباطل وأبعده، أو من السعة من طعنة نجل وعين نجلاء؛ لأنَّ فيه سعة ليست في التوراة، ويجوز أن يكونا أعجميين، وإن وافقا اشتقاقًا، كأيوب فيعول من آب يؤوب رجع؛ لأن أيوب عليه السلام رد في بلائه، ثم رجع إلىٰ صحته، وكيعقوب وما ذكر أنه خرج من الرحم آخذًا بعقب العيص، ولو كان أيوب ويعقوب مشتقين لانصرفا، ويقوي هذا ما قرئ: (أنجيل) بفتح الهمزة؛ لأنَّه ليس في كلام العرب أفعيل.

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلق بـ (أنزل).

وقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: (كا) نصب حال من ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، ولم يثن؛ لأنَّه مصدر، والمراد بالناس: [عيسىٰ وموسىٰ][2] وأتباعهما، أو جميع الناس إن جعلت شريعة من تقدمنا شريعة لنا[3].

---

(١) في جـ: ظهرت، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: تقديم وتأخير.

(٣) قال أبو إسحاق الشيرازي: شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما ثبت نسخه.
وقال بعض أصحابنا: شرع من قبلنا ليس بشرع لنا.
ومنهم من قال: شرع إبراهيم خاصة شرع لنا وما سواه ليس بشرع لنا.
لنا قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] =

=

فإن قيل: المراد به التوحيد والدليل عليه هو أنه أضافه إلىٰ الجميع، والذي يشترك الجميع فيه هو التوحيد، فأما الأحكام، فإن الشرائع فيها مختلفة، فلا يمكن اتباع الجميع فيه.
قيل: اللفظ عام في التوحيد وفي الأحكام فيجب أن يحمل علىٰ الجميع إلا ما خصه الدليل.
ولأن مجيء رسول الله ﷺ غير مناف لما تقدم من الشرائع، وكل شرع لم يرد عليه ما ينافيه وجب البقاء عليه والدليل عليه شريعة الرسول عليه السلام.
ولأنه يمكن الجمع بين ما جاء به الرسول عليه السلام وبين ما قبله وكل حكمين أمكن الجمع بينهما لم يصح إسقاط أحدهما بالآخر كإيجاب الصوم والصلاة في شريعتنا.
ولأن الله تعالىٰ حكىٰ شرع من قبلنا، ولو لم يقصد التسوية بيننا وبينهم لم يكن لذكرها فائدة.

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، فدل علىٰ أن كل واحد منهم ينفرد بشرع لا يشاركه فيه غيره.
والجواب: هو أن مشاركتهم في بعض الأحكام لا يمنع من أن يكون لكل واحد منهم شرع يخالف شرع الآخر، كما أن مشاركتهم في التوحيد لا تمنع انفراد كل واحد منهم بشريعة تخالف شريعة غيره.
واحتجوا بما روي أن النبي ﷺ رأىٰ عمر رضي الله عنه ومعه شيء من التوراة ينظر فيه فقال:«**لو كان موسىٰ حيا ما وسعه إلا اتباعي**» فدل علىٰ نسخ ما تقدم.
والجواب: هو أنه إنما نهاه عن النظر في التوراة؛ لأنه مبدل مغير وكلامنا فيما حكىٰ الله عن دينهم في الكتاب أو ثبت عنهم بخبر الرسول عليه السلام.
قالوا: ولأن الشرائع إنما شرعت لمصلحة المكلفين وربما كانت المصلحة لمن قبلنا في شيء والمصلحة لنا في غيره، فلا يجوز إجراء حكمهم علينا.
قلنا: فيجب أن تقولوا يقتضي هذا الدليل أن ما شرع للصحابة لا يكون شرعا للتابعين؛ لأنه يجوز أن تكون المصلحة للصحابة في ذلك دون التابعين، ولما بطل هذا بالإجماع بطل ما ذكروه.
وعلىٰ أن الظاهر أن المصلحة لنا فيما شرع لهم؛ إذ لو كانت المصلحة لنا في غيره لنسخ ذلك، ولما لم ينسخ ذلك دل علىٰ أننا وهم في المصلحة سواء.
قالوا: لو كان شرعا لنا لوجب اتباع أدلتهم وتتبع كتبهم كما يجب ذلك في شرعنا؛ ولما لم يجب ذلك دل علىٰ أن شرعهم لا يلزمنا.
قلنا: نحن إنما نجعل شرعهم شرعًا لنا فيما ثبت بخبر الله تعالىٰ وخبر رسوله عليه السلام =

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: (تا) يعنىٰ: جنس الكتب؛ لفرقها بين الحق والباطل، فصلها أولًا ثم جمعها ثانيًا؛ تفصيلًا لها، أو الفرقان: القرآن؛ تفخيمًا له لفرقه بين الحق والباطل.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: من كتبه المنزلة.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: (كا) مبتدأ وخبر، هما خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: (تا) عقوبة شديدة لا يقدر علىٰ مثلها غيره.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ من الأشياء ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: (تا) عبَّر عن إدراكه جميع الأشياء بذكر الأرض والسماء؛ لأنهما محل لها.

﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: (تا) من الصور المختلفة من الذكورة والأنوثة.

وقرئ: (تصوركم) أي صوّركم لنفسه ولتعبده، كقولك: أثّلت مالًا جعلته أثلة، أي: أصلًا [ق/ ٦٤ب]وتأثّلته لنفسك، قالوا: وهذا رد علىٰ الذين قالوا: عيسىٰ ابن الله، أو الله؛ لأنَّ من صوّر في الرحم يمتنع أن يكون إلهًا، أو ولد الله؛ لكونه مركبًا وحالًا في مركب، ولتعاقب الفناء عليه، قال ﷺ: «**يدخل الملك علىٰ النطفة بعد ما تستقر بأربعين يومًا أو خمس وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان، أذكر أم أنثىٰ؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوىٰ الصحف، فلا**

=

واتباع ذلك واجب وتتبع ما يوصل إلىٰ معرفته واجب، فأما ما لم يثبت، فليس شرعًا لنا فلا يلزمنا اتباعه والكشف عنه.

وربما قالوا: لو كان شرعهم شرعًا لوجب أن يعرف شرعهم أو معاني كلامهم؛ لجواز أن يكون هنالك ما هو منسوخ أو مخصوص.

«التبصرة» (ص/ ٢٨٥-٢٨٨).

يزاد فيها ولا ينقص»[١].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: (تا).

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: متقنات مفصلات من الإحكام أحكمها، فلم يدخل فيها شئ من الاشتباه.

ومحل ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي أصله الذي تعمل عليه الأحكام رفع صفة آيات، ولم يقل أمهات جمعًا؛ لأنَّ الآيات في الحكم بها بمنزلة آية واحدة.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: (كا) ﴿وَأُخَرُ﴾ عطف علىٰ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ و﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ نعت لـ ﴿وَأُخَرُ﴾، جعله محكمًا كله في قوله: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١] أراد أنَّه كله حق ليس [فيها][٢] عيب، وجعله كله متشابهًا في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣] أي: يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق، وجعل بعضه هنا محكمًا وبعضه متشابهًا، أراد بالمحكم الذي يعمل به ولا يدخله تغيير كالناسخ، والمتشابه المنسوخ، أو المحكم ما احتمل وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما احتمل وجوهًا، أو المحكم ما معناه وحججه واضحة، والمتشابه: ما يفتقر إلىٰ النظر في فهمه ولا يعرفه إلا الخواص، ولم يجعله محكمًا كله؛ لئلا يؤخذ [ق/ ٤٢جـ] بالأسهل ويترك النظر والاستدلال، فيتعطل طريق الوصول إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، وليعظم أجر الناظر وكاشف الحق، ولأنَّ في المتشابه ابتلاء

---

(١) أخرجه البخاري(٣١٢)، ومسلم(٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) في جـ: فيه، والمثبت في أ، ب.

كابتلاء بني إسرائيل بالنهر.

ونزل في المنافقين، أو أهل البدع، أو وفد نجران حين قالوا للنبيِّ ﷺ: ألست تزعم أنَّ عيسىٰ كلمة الله وروح منه؟ قال: «بلىٰ»، قالوا: حسبنا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾[1]: أي ميل عن الحق، وأصل الزيغ الميل.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾: المعنىٰ: الزائغون يتعلقون من المتشابه بما يوافق أهواءهم ظاهرًا.

﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: مفعول له، أي: لطلب.

﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾: بأن يفتنوا أنفسهم وجها لهم بالمتشابه.

﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾: أي: وطلب تفسير المتشابه بما يشتهون.

ثم بيَّن أن لا سبيل لهم إلىٰ معرفة تأويله بأن نفىٰ، ثم استثنىٰ فقال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾: المتشابه.

﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾: (تا) إن جعلت متشابه بمعنىٰ ما استأثر الله تعالىٰ بعلمه وعلم حكمته كقيام الساعة وعدد الزبانية فعلىٰ هذا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: هم الذين ثبتوا فيه وتمكنوا منه؛ لأنَّ أصل الرسوخ الثبوت، مبتدأ خبره.

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: ويعضد هذا ما قرئ: (ويقول الراسخون في العلم)، وما قرئ: (إن تأويله إلا عند الله).

تلخيصه: الراسخون لا يعلمون تأويله، بل يؤمنون به.

وإن جعلت ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ يعلمون تأويل المتشابه، والمراد ما للفكر والنظر فيه مجال، وهو مذهب ابن عباس وغيره قالوا: كان يقول: أنا من الراسخين في العلم[2]، لم تقف بعد (إلا الله)؛ لأنَّ الواو عاطفة، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿فِي

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص/ ٩٧).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسير» (٦/ ٢٠٢)، و ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٣٢).

﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾؛ لأنَّ محل ﴿يَقُولُونَ﴾ نصب حال.

﴿كُلّٞ﴾: أي كل واحد من [المحكم والمتشابه][١].

﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾: (حس) ولا أحب الوقف علىٰ ﴿بِهِۦ﴾؛ لأنَّ كل مبتدأ خبره ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، ومحل ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ و﴿كُلّٞ﴾ وخبره نصب بـ﴿يَقُولُونَ﴾.

﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: (كا).

القراءة: ﴿لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: وإذ هنا ليس بظرف لإضافة ﴿بَعۡدَ﴾ إليها.

وقرئ: (يزغ) بالتاء والياء مفتوحتين ورفع (القلوب) فاعلًا، يقال: زاغ الشيء مال وأزاغه غيره.

تلخيصه: [ثبتها][٢] علىٰ الإيمان.

﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ﴾: توفيقًا وبنيت لدن علىٰ السكون مع الإضافة لأن علة بنائها قبل الإضافة موجود مع الإضافة، والحكم تابع للعلة، والعلة أنَّ «لدن» بمعنىٰ «عند»، لكنَّها تدل علىٰ الاتصال بالشيء، وعند لا تدل عليه، ولهذا تقول: عندي كذا لما تملك حضرك أو غاب عنك، ولا تقول: لدي كذا إلا لما حضرك، فأفادت «لدن» معنىٰ لم يفده الظرف، بل ما أفاده الحرف، فكأنَّها قد تضمنت معنىٰ الإشارة الدال علىٰ القرب، ومثلها في البناء هنا وثَمَّ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: (تا) قالوا: لأنَّه رأس آية، ولو وسم بالحسن أو الكافي لكان أولىٰ؛ لأنَّه من كلام القوم، ومن جملة الحكاية عنهم.

والإضافة في قوله: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ﴾: مجازية؛ لأنَّ جامع مستقبل، أي: يجمعهم لقضاء يوم ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾: (كا) والهاء للقضاء، أو لليوم، أو للجمع، ثم

(١) في جـ: تقديم وتأخير.

(٢) في ب: ثبتنا، والمثبت من أ، جـ.

جاء بذكر الله تعالىٰ مظهرًا؛ تفخيمًا مشيرًا إلىٰ صدق وعده، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: (تا) الموعد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢﴾

القراءة: ﴿لَن تُغۡنِيَ﴾: نصبًا.

وقرئ: بسكون الياء: استثقالًا للحركة عليها.

وقرئ: (يغني) بسكون الياء مذكرًا؛ لأنَّ تأنيث الأموال غير حقيقي وللفصل.

ومحل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي من عذاب الله نصب، تقديره: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله.

ويكون ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾: مصدرًا، أي: غنًا، و«من» لابتداء الغاية، كقوله: ﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾ [يونس:٣٦]، أو ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفة لشيئًا، قدم عليه، فنصب حالًا، تقديره: لن تدفع عنهم الأموال شيئًا من الله.

القراءة: ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: فتحًا اسم لما يوقد.

وقرئ: بالضم التوقد، أي أهل وقود النار، أو لغتان فيما يوقد، والمراد بالذين كفروا من كفر بالنبيِّ ﷺ.

تلخيصه: لا مخلص للكفار من النار، ويكفي الوقف علىٰ النار إن رفعت محل الكاف خبر ابتداء محذوف تقديره دأب هؤلاء الكفرة في الكفر وتكذيب الرسل.

﴿كَدَأۡبِ﴾: أي كعادة.

﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: والدأب مصدر دأب في العمل جدَّ فيه، وأصله الملازمة والدوام، والمراد هنا العادة الدائمة.

تلخيصه: عادة أولاء كعادة أولئك، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿ٱلنَّارِ﴾ ، وإن كان آخر آية، وأجازه بعضهم إذا نصبت من الكاف بـ«لن تغني عن أولاء أموالهم مثل ما لم تغن عن أولئك أموالهم»، أو بالوقود لما فيه من معنىٰ الفعل، أي: توقد النار بأولاء كما توقد بأولئك، ويتم الوقف علىٰ (فرعون) إن رفعت.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: أي من كفار الأمم المتقدمة [ق/ ٣٩أ] مبتدأ خبره ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: وإن جعلت الواو عاطفة لم تقف علىٰ (فرعون)، ويكون [ق/ ٦٥ب] محل الذين كذبوا جرًّا، وتقف علىٰ ﴿مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ إن استأنفت ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وجعلتها جملة مفسرة لدأبهم وما فعلوا وفعل بهم، وكأنَّها جواب سؤال مقدر عن حالهم، ولا موضع لها من الإعراب، وإن نصبت محل ﴿كَذَّبُواْ﴾ حالًا وقد معه مقدرة لم تقف علىٰ ﴿مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾.

تلخيصه: كلهم كفروا.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: أي: فعاقبهم.

﴿ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾: (كا).

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: (تا).

ونزل في [المشركين][(١)] ، أو في اليهود لمَّا جمعهم النبىٰ ﷺ في سوق بني قينقاع بعد وقعة بدر وقال: «**أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بقريش**»، فقالوا: لا يغرنَّك أنَّك لقيت قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحرب، إنَّا والله لو قاتلناك لعرفت أننا نحن الناس[(٢)] .

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾: **القراءة**: بالتاء فيهما خطابًا، وبالياء

(١) في جـ: مشركي اليهود، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠١) ، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ» (١٨٤٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

غيبة، وأصل الغلبة: القوة والقهر، والحشر: السوق والجمع، المعنىٰ أنهم يغلبون في الدنيا، ويساقون في [الآخرىٰ][(1)] مجموعين.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: (تا) الفراش، وأصله التوطئة والتسهيل، ثم خاطب كفار قريش مشيرًا إلىٰ وقعة بدر فقال:

﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝١٣ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ۝١٤﴾

﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾: ذكر أراد البيان، أو ذكر للفصل بما هو خبر كان وهو ﴿لَكُمۡ﴾، المعنىٰ: قد ظهر لكم دلالة علىٰ صدق قولي أنكم تغلبون.

ومحل ﴿فِي فِئَتَيۡنِ﴾: أي فرقتين، وأصل الفئة: الرجوع رفع نعت لآية.

ومحل ﴿ٱلۡتَقَتَاۖ﴾: (حس) جر نعت لفئتين، وحسن الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعد خبر مبتدأ تقديره إحداهما.

﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: في طاعته وهم النبي ﷺ وأصحابه كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، معهم فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وست أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة.

﴿وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾: وهم كفار قريش كانوا تسعمائة وخمسين رجلًا من المقاتلة.

وقرئ: بجر ﴿فِئَةٞ﴾ و﴿كَافِرَةٞ﴾ بدلًا من ﴿فِئَتَيۡنِ﴾ وبنصبهما اختصاصًا، أو حالًا من الضمير في ﴿ٱلۡتَقَتَاۖ﴾ تقديره: التقتا مؤمنة وكافرة.

القراءة: (تَرَوْنَهُم): بالتاء خطابًا لليهود؛ لأنَّ منهم من حضر الوقعة ينظر لمن

---

(١) في جـ: الآخرة، والمثبت من أ، ب.

الكرَّة، وبالياء أي: يرونهم المسلمون.

﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: نصب حال؛ لأنَّه من رؤية العين.

وقرئ: بالياء والتاء مضمومتين مجهولًا من أريت الشيء دلني عليه غيري.

وقوله: ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ وكانوا ثلاثة أمثالهم، أي: مثليهم سواهم، كقول الرجل: عنده درهم أنا محتاج إلىٰ مثليه سواه، فتكون ثلاثة، ويجوز أن يقال لم تكن الرؤية تحقيقًا، فيقال: كانوا ثلاثة أمثالهم، بل كانت ظنًّا، يدل علىٰ ذلك قول ابن مسعود: نظرنا إلىٰ المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرناهم فرأيناهم ما يزيدون علينا رجلًا واحدًا، حتىٰ قلت لرجل إلىٰ جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة[1]، أو رأىٰ المشركون المسلمين مثليهم ليعظموا في أنفسهم، ولا يجوز أن تكون الرؤية علىٰ القراءات كلها إلا بالعين لقوله: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ﴾: (كا) نصب مصدر أي: بارزًا ظاهرًا.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: أي: يقوي.

﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾: (تا).

﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: (تا) لاعتبارًا لذوي العقول والنظر.

القراءة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ﴾: رفعًا مفعولًا لم يسم فاعله.

وقرئ: بفتح الزاي ونصب حب.

﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: أصل الشهوة: نزوع النفس إلىٰ ما تريده، وقد يسمىٰ المشتهىٰ شهوة، والقوة التي بها يشتهي الشيء شهوة، المُزَيِّن: الله، زينها لهم للاختيار.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٦٩).
قال الحافظ ابن حجر- رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إسناد صَحِيحٌ، إِنْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ سَمِعَهُ مِنْ أبيه، فقد اختلف في سماعه منه.
«المطالب العالية» (١٧/ ٣١٥).

الحسن [البصري][(١)]: الشيطان والله زينها لهم؛ لأنَّا لا نعلم أحدًا أذم لها من خالقها[(٢)].

ومحل ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: حال من الشهوات.

﴿وَٱلۡقَنَـٰطِيرِ﴾: جمع القنطار، أوجمع القنطرة، وهي من المال مقدار تعبر به الحياة تشبيهًا بالقنطرة للمارة، وذلك غير محدود، فرب مستغن بالقليل، وآخر غير مستغن بالكثير، وبالجملة فالمراد المال الكثير، واختلفوا في حده [ق/ ٤٣جـ].

الحسن[(٣)]: هو ألف ومائتا دينار، أو ملء مسك ثور ذهبًا، أو مائة ألف مثقال.

﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾: المجمعة كقولهم: «ألوف مؤلفة».

ومحل ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ﴾: حال من ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾.

﴿وَٱلۡفِضَّةِ﴾: عطف عليْه.

﴿وَٱلۡخَيۡلِ﴾: من الخيلاء لا واحد له من لفظه، عطف علىٰ ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ لا علىٰ الذهب والفضة؛ لأنها لا تسمىٰ قنطارًا، وزعم بعضهم أنَّ واحدها خائل كطائر وطير.

﴿ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾: المعلمة من العلامة، أو المرعية من سمت الدابة واسمتها: رعيتها.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: أي: الإبل والبقر والغنم.

﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾: (كا) الزرع.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المذكور.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٣٤٢).

(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٣٤٢).

﴿مَتَٰعُ﴾: يتمتع به يسيرًا في ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: (حس) ثم يزول، وهذا تزهيد في الدنيا وترغيب في [الأخرىٰ][1]، يوضحه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾: (تا) المرجع.

﴿ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾

﴿۞قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ﴾: (كا) لأنَّ ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ خبر، مبتدؤه ﴿جَنَّٰتٞ تَجۡرِي﴾: أو تقديره هو جنات ولأجل أنَّ (لِلَّذِينَ...) الآية موضحة لـ (حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ) معنىٰ، ولجواز تعلق اللام بخبر كفىٰ الوقف علىٰ ﴿ذَٰلِكُمۡۖ﴾، ولولاه لكان تامًّا، ومحل ﴿مِّن ذَٰلِكُمۡۖ﴾ نصب بخير، أي: بما يفضل ذلك، ولا يكون وصفًا لخير؛ لأنَّ ذلك يوجب أن تكون الجنة وما فيها مما رغبوا فيه بعضًا لما زهدوا فيه من الأموال.

وقرئ: (جنات) جرًّا بدلًا من خير، فيكون (لِلَّذِينَ) علىٰ هذا وصفًا لخير، فلا يكفي الوقف علىٰ ﴿ذَٰلِكُمۡۖ﴾، ويكفي علىٰ ﴿ذَٰلِكُمۡۖ﴾ إن نصبت (جنات) بأعني مدحًا.

القراءة: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ﴾: مصدر أي: رضًا.

﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: (كا) بضم الراء وكسرها في جميع القرآن لغتان، إلا ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [المائدة:١٦] في المائدة بكسر الراء لا غير.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾: (حس) إن نصبت أو رفعت.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾: مدحًا، وإن جررته صفة ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ أوللعباد لم يجز.

---

(١) في جـ: الآخرة، والمثبت من أ، ب.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: (كا) إن نصبت.

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: مدحًا وغير جائز إن جررته نعتًا (للمتقين)، وبعضهم لا يختار الوقف من المآب إلىٰ ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾: أي المصلين، أو المصلين جماعة.

﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾: (تا) قال: لأنَّ المراد الإعلام أنَّ الجنة أعدت لجميع المذكورين، ولا بأس بهذا الاعتبار، وتوسط الواو بين الصفات المذكورة مؤذن أن كل صفة مستقلة بالمدح، أو [مؤذنة][1] بأنَّ منهم صابرًا أو منهم صادق، أو المراد: حقيقة[ق/ ٦٦ب] الاستغفار، قالوا: كان يصلون أول الليل ويمدون الصلاة، فإذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار، وعن بعضهم أنهم كانوا يستغفرون من عبادتهم استقلالًا لها وما يقع فيها، قال لقمان لابنه: يا بني لا تكونن أعجز من هذا الديك يصوت بالأسحار وأنت نائم علىٰ فراشك[2].

ابن عباس[3]: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد بنفسه لنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر، فقال:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: أي بيَّن وأعلم بمصنوعاته.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أيضًا.

---

(١) في جـ: مؤذنون، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٣٩)، والبيهقي في«الشعب» (٥٣٠٦).

(٣) انظر: «الكشف والبيان»للثعلبي(٣/ ٣٢) ، و« تفسير البغوىٰ»(١/ ٢٤٠).

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾: هم الأنبياء والمؤمنون المثبتون للتوحيد، شهدوا بذلك وأقروا به اعتقادًا.

وقرئ: (شهد الله) بنصب الهمزة حال من [«يستغفرون»][1]، فلا يوقف على ﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾، وبالرفع أي: هم شهداء الله، فعلى هذا ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عطف على الضمير في (شهداء)، وجاز ذلك للفاصل بينهما.

وقرئ: (شهداء الله)؛ رفعًا مع الإضافة.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: أي: مقيمًا بالعدل وتدبير الخلق ورزقهم حال مؤكدة من الله، أو من هو دون من ذكر معه لأمن اللبس، ومثله جاء زيد وهند راكبًا، جاز لأجل التذكير، ولو قلت: جاء زيد وعمرو راكبًا لم يجز للبس، أو مدحًا وإن كان نكرة؛ لأنَّه قد جاء وحق المدح أن يكون معرفة نحو: «**إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث**»[2].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا) إن كسرت.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾: (كا) استئنافًا، وهي القراءة، وغير جائز إن فتحت (إن الدين) ، وهي القراءة أيضًا بدلًا من (أنه لا إله إلا هو)، أو من (القسط)، وهما بدل الشيء من الشيء؛ لأن التوحيد والعدل هو الإسلام، أو بدل اشتمال؛ لأنَّ الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل.

وقرئ: بكسر أنَّه لا إله إلا هو استئنافًا وفتح (إن الدين) معمول (شهد)، وما بينهما اعتراض.

المعنى: الإسلام: العدل والتوحيد، وهما الدين عند الله لا غير.

ونزل في اليهود والنصارى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: في نبوة محمد ﷺ.

---

(١) في جـ: الاستغفار، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري(٣٥٠٨) ، ومسلم(١٧٥٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾: في التوراة أنَّه نبيّ حق، فكذبوا وأشركوا بأن ثلثت النصارىٰ، وقالت اليهود: عزير ابن الله.

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾: (كا)، و﴿بَغۡيَۢا﴾ حال من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو مفعول له.

تلخيصه: ما كان اختلافهم بعد العلم إلا للبغي وطلب الرئاسة، أو المراد: أولاد السبعين الذين استودعهم موسىٰ التوراة لمَّا حضره الموت، واستخلف عليهم يوشع بن نون، فلمَّا مضىٰ القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم في الدين.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٩ فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾: أي: خاصمك يا محمد أهل الكتاب في الدين.

﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ﴾: أن انقدت.

﴿لِلَّهِ﴾: وحده بجميع جوارحي، وأخلصت عملي له، وخص الوجه بالذكر؛ لأنَّه أكرم الشخص، وإذا خضع الإنسان به خضع بجميع جوارحه.

ومحل ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾: (كا) رفع عطف علىٰ التاء في (أسلمت)، وجاز العطف للفصل، أي: أسلمت وأسلم من اتبعني أيضًا وجوههم، وإن كانت الواو بمعنىٰ «مع» فمحله نصب مفعول معه.

القراءة: بإثبات الياء وحذفها وصلًا، وحذفها وقفًا إجماع اتباعًا للخط.

ثم أمره أن يستفهم موبخًا علىٰ المعاندة بعد قيام المعجز آمرًا بالإسلام، فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: اليهود والنصارىٰ.

﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: مشركي العرب.

﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾: أي: أسلموا، كقوله تعالىٰ: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾: لخروجهم من الضلال إلىٰ الهدىٰ.

﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: عن الإيمان.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: (كا) تبلغ الرسالة دون الهداية.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: (تا) بمن يؤمن ومن لا يؤمن، هذه الآية منسوخة بآية السيف، والمراد منها التبليغ عند بعضهم، ومحكمة عند [غيرهم](1)، والمراد منها ألَّا يحزن ﷺ علىٰ من لم يجبه [ق/ ٣٧أ].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

القراءة: (وَيَقْتُلُونَ): الذين يفاعلون ويقتلون بفتح الياء مخففًا.

وقرئ: (يقتِّلون ٱلنَّبِيِّـۧنَ): مشددًا، سُئِلَ [النبي](2) ﷺ: أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «**رجل قتل نبيًّا، أو رجلًا أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر**»، قال: «**قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا يومًا من أول النهار في ساعة واحدة ثم قام مائة واثنا عشر رجلًا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعًا آخر النهار في ذلك اليوم**»(3).

تلخيصه: إنَّ كفار بني إسرائيل قتلوا أنبياءهم وأتباعهم عنادًا.

---

(١) في جـ: بعضهم، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٣) أخرجه البزار (٣٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٠) من حديث أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ.
قال الحافظ العراقي: قَالَ البزار: لَا نعلم لَهُ عَن أبي عُبَيْدَة طَرِيقًا غير هَذِه الطَّرِيق وَلم نسْمع أحدا سَمّىٰ أَبَا الْحسن هَذَا الَّذِي رَوَىٰ عَنهُ مُحَمَّد بن حمير. انْتَهَىٰ.
وَرَوَاهُ الطَّبَرِيّ وَابْن أبي حَاتِم والثعلبي وَمن طَرِيقه الْبَغَوِيّ فِي تفاسيرهم عَن ابْن حمير بِهِ.
«تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ١٧٩).

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: (تا) ودخلت الفاء في خبر (إنَّ) لتضمن اسمها معنىٰ الجزاء، وشبه الذي بالشرط أي الذين يكفرون فبشرهم، كقولك: من يكفر فبشره؛ ولأنَّ إنَّ لم تغير معنىٰ الابتداء، بل زادته تأكيدًا، ولهذا لو دخلت ليت ونحوها مما يغير معنىٰ الابتداء لم يجز دخول الفاء.

﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: (تا).

ونزل في اليهود لمَّا دعاهم النبي ﷺ إلىٰ الإسلام فأبوا، أو لمَّا جاء أهل خيبر إليه برجل وامرأة منهم زنيا، فحكم عليهما بالرجم، فقال النعمان بن أوفىٰ وبحري ابن عمرو: ليس عليهما الرجم، فقال ﷺ: «**بيني وبينكم التوراة**» فقال: أنصفتنا فجيء بالتوراة فوجد فيها الرجم فرجما، فانصرف اليهود مغضبين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: التوراة[1].

ومحل ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: حال من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

وقرئ: (ليُحكم) مجهولًا، أو المراد الاختلاف الذي وقع بين من أسلم منهم وبين من لم يسلم.

ومحل ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: (كا) عن قبول الحق [رفع صفة][2] ﴿فَرِيقٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٩٩).

(٢) في أ: نصب حال من فريق، وفي الحاشية: وجاز ذلك، وإن كان نكرة فهو موصوف، فجاز أن يتأخر الحال عنه، والمثبت من ب، ج.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التولي والإعراض مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ﴾: أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: (تا) في دينهم صلة ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

ومحل ﴿فَكَيْفَ﴾: حالهم.

﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾: نصب حال العامل فيه محذوف، أي: فكيف يصنعون؟ أو كيف ظرف لهذا المحذوف، وإذا ظرف أيضًا.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: [ق/ ٦٧ ب]من أهل الكتاب وغيرهم.

﴿مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:(تا) لا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

ونزل لمَّا وعد ﷺ أمته بملك فارس والروم، أو لمَّا دعاهم بذلك[1]: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: الميم عوض من حرف النداء، وشددت لقيامها مقام الحرفين.

واللام في قوله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾: للجنس.

﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ﴾: أي: النبوة أو غيرها مما يملك.

﴿مَن تَشَآءُ﴾: من خلقك.

﴿وَتَنزِعُ﴾: أي: وتزيل وتقلع.

﴿ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالملك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: بنزعه منه، أو كل ذلك عدل منك.

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ﴾: (كا) ولم يذكر الشر؛ اكتفاءً بذكر الخير، ولأنَّ الآية في ذكر ما أعدَّ للمؤمنين.

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا).

ثم أومأ إلىٰ قدرته الباهرة بقوله: ﴿تُولِجُ﴾: تدخل.

﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: حتىٰ يصير خمس عشرة ساعة.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٠٠).

﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ﴾: حتىٰ يصير خمس عشرة ساعة، فما نقص من هذا زيد في هذا.

﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾: أي الحيوان من النطفة، أو الطير من البيضة، أو [المؤمن][١] من [الكافر][٢]؛ لأنَّ الكافر ميت القلب كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، أو النبات من الحب اليابس.

﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾: عكس الأول.

القراءة: (الميْت) ولبلد (ميْت)، إذا كان قد مات مشددًا ومخففًا لغتان، وشددوا ما لم يمت[ق/ ٤٤ب].

أبو عمرو: المشدد ما لم يمت، والمخفف ما فارقته الروح، أو الميت من الحي السقطة من العارف.

﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾: (تا) لأنَّه المالك حقيقة.

ونزل نهيًا عن مباطنة من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وعن موالاتهم:

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾: **القراءة**: بكسر الذال للساكنين، وبعضهم يرفعه يجعل الكلام خبرًا.

ومحل ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) نصب صفة ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾.

المعنىٰ: اجتنبوا موالاة الكفار، فلكم غنية عن موالاتهم بموالاة المؤمنين؛

---

(١) في جـ: المؤمنين، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الكفار، والمثبت من أ، ب.

لأنَّهم أعداء الله، ومن والاهم، فقد دخل في عداوة الله.

تلخيصه: اتركوهم لله.

ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾: أي ولاء الكفار.

﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي من دينه وتوفيقه.

﴿فِي شَيۡءٍ﴾: لأنَّه منسلخ عن ولاية الله تعالىٰ ودينه، ويجوز أن يقال: الله بريء منه.

أبو حاتم وأبو بكر: الوقف هنا كافٍ، وفيه نظر؛ لوجود الاستثناء بعد.

ومحل ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ﴾: نصب مفعول له.

﴿مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾: (حس) أبو حاتم: تام نصب مصدر، المعنىٰ: إلا لأجل خوفكم منهم أمرًا يجب الأحتراز منه بأن يغلب الكفار، أو يكون المؤمن بينهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، وهذا رخصة، فلو صبر حتىٰ قتل كان أجره عظيمًا.

قال الحسن في فتنة الحجاج: لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال ابن جبير: ليس في الإسلام تقية، إنما التقية في أهل الحرب(١).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾: بأن يغضب عليكم لموالاة الكفار.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: (تا) تحذير أيضًا.

﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾: (تا) لأنَّ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (كا) استئناف وليس بمعطوف علىٰ جواب الشرط.

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٢٨).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا) إن لم تعلق.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾: (تا) بالمصير أو يتخذوكم، ويتم الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، و﴿مُّحْضَرًا﴾ مفعول ثان لـ«تجدوا»، الأول: ما عملت، وما بمعنىٰ الذي، وإن نصبت (يوم تجد) بتود بعد لم تقف هنا ووقفت علىٰ (قدير).

وما في ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾: بمعنىٰ الذي مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ﴾: **وقرئ**: (ودت).

﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾: أي: بين النفس وبين السوء.

﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾: (حس) مسافة واسعة.

تلخيصه: والذي عملته تود هي لو تباعد ما بينها وبينه، وإن عطفت (وما عملت) علىٰ (ما عملت) فيكون (تود) حالًا، تقديره: يوم تجد كل نفس عملها محضرًا وادة تباعد ما بينها وبين السوء، لم تقف علىٰ ﴿مُّحْضَرًا﴾، ويجوز أن يكون (ما) فيهما مصدرية.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: (حس).

﴿بِالْعِبَادِ﴾: (تا).

قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو قال ﷺ لقريش عند عبادتهم الأصنام: «**فقد خالفتم ملة إبراهيم**»، فقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، أو قالت طائفة: إنا نحب الله، فنزل امتحانًا لهم[1]: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾:

وقرئ: (تحبون ويحببكم ويحبّكم) من «حبّه»، وزعم بعضهم أنَّ حبَّه يحبُّه

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٠٣).

شاذ؛ لأنَّه لا يأتي [في المضاعف][1] يفعِل بالكسر إلا ويشركه يفعُل بالضم؛ إذا كان متعديًا ما خلا هذا بحرف، يشير إلىٰ أنَّه لم ينقل فيه الضم.

والقراءة: بضم مستقبله دليل علىٰ عدم شذوذه.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: (كا).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (تا) ومحبة الله امتثال أمره، ومحبته إياهم رضاه عنهم، ولا شك أنَّ من ادعىٰ محبة الله وخالف سنة نبيه، فهو كذاب بنص كتاب الله تعالىٰ، يؤكد كذبه ما نزل لمَّا قال ابن أبيّ: إن محمدًا يجعل طاعته كطاعة الله، يأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارىٰ المسيح[2] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أي: أعرضتم أو تعرضوا عن الطاعة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: (تا) لا يرضىٰ فعلهم، ولا يغفر لهم.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾: أي: إبراهيم وعمران أنفسهما، كقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة:٢٤٨]، أو آل إبرهيم: إسماعيل وإسحاق وأولادهما، ومحمد ﷺ من أولادهما، وآل عمران: موسىٰ وهارون؛ لأنَّ موسىٰ بن عمران بن يَصهر [بن قاهث] بن لاوي بن يعقوب.

المعنىٰ: اختص آدم والأنبياء المذكورين والأنبياء من [أولادهما][3] عليهم

---

(١) سقط من ب، جـ، والمثبت من أ.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٠٣).

(٣) في جـ: أولادهم، والمثبت من أ، ب.

الصلاة والسّلام أجمعين بالنبوة.

﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: (كا) إن نصبت ﴿ذُرِّيَّةً﴾: مدحًا، وغير كاف إن نصبتها حالًا من المصطفين عدا آدم، فإنه ليس بذرية، أو بدلًا من «نوح»، والمعطوف عليه: ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾: (كا) مبتدأ وخبره، ومحلهما نصب وصف لذرية، والمراد الدين والتناصر، أو بعضهم أولاد بعض.

﴿عَلِيمٌ﴾: (كا) إن نصبت ﴿إِذْ﴾: بـ«اذكر» مقدرة، وإن جعلت ﴿إِذْ﴾ ظرفًا لعليم لم يكف.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾: هي حنة أم مريم وعمران بن ماثان، أو ابن أشهم، وكان في زمن زكريا، فتزوج زكريا أخت حنة أم مريم، [فكان][1] يحيىٰ وعيسىٰ ابني خالة، وليس هذا بعمران أبي موسىٰ، قالوا: بينهما ألف وثمانمائة سنة [ق/ ٦٨ ب] فأحبت حنة الولد بعدما أسنت، أو كانت عاقرًا، فدعت الله تعالىٰ أن يرزقها ولدًا، ونذرت إن رُزقته أن تجعله من خدم بيت المقدس، فلمَّا أحست بالولد قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: حال من ﴿مَا﴾ أي: غلامًا محررًا، ولم تقل محررة؛ لأنهم إنما كانوا يحررون الغلمان، والنذر: ما يوجبه الإنسان علىٰ نفسه، والمحرر: المعتق من الحر، والحر في الحقيقة الذي لم يملك، فمن ملكته مواليه أو شهوته فليس بحر، بعضهم: «عبد الشهوة أذل من عبد الرق»، فأرادت أن تجعله حرًّا من كل شيء عبدًا محضًا لله تعالىٰ.

تلخيصه: أوجبت عليَّ أنَّ الذي في بطني عتيق مفرغ لعبادة الله تعالىٰ، لا أشغله بشئ من الدنيا.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾: (كا).

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (كا) فهلك عمران زوجها وهي حامل بمريم.

---

(١) في جـ: وكان، والمثبت من أ، ب.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾: أي: النذيرة، أو النسمة قالت معتذرة وظنًّا أنَّ نذرها لا يقبل لأنوثته: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾: (كا) حال من ضمير ﴿وَضَعَتۡهَا﴾.

القراءة: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعۡتُ﴾: بسكون التاء فيوقف على ﴿أُنثَىٰ﴾؛ لأنَّ بعدها جملة مستأنفة خبر من الله تعالىٰ وبضم التاء، فلا يوقف على ﴿أُنثَىٰ﴾؛ لأنَّ الكلام كله جملة محكية عن أم مريم [حنة][1]، وما بينهما اعتراض.

﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾: في الخدمة لضعفها، ولما يعتريها من أمور النساء.

وإن عطفت[ق/ ٣٨أ] ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾: أي: العابدة بلغتهم على ﴿إِنِّي وَضَعۡتُهَآ﴾ لم تقف بينهما.

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أي أولادها.

﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: قال ﷺ: **«كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسىٰ ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»**[2].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: أي: قَبِلَ مريم من حنة.

﴿بِقَبُولٍ﴾: أي: بأمر ذي قبول.

﴿حَسَنٖ﴾: وأصل القبول الرضىٰ، وهو مصدر كالولوع والوزوع، والمعنىٰ: سلك بها سبيل السعداء.

---

(١) سقط من ب، جـ، والمثبت من أ.

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أي سوىٰ خلقها فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام، [ولما][(١)] وضعتها أتت بها الأحبار وهم في المسجد يلون من أمره ما تلي السدنة من أمر الكعبة، فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها؛ لأنَّها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال زكريا: أنا أحق بها؛ لأنَّ خالتها عندي، فقالوا: لا حتىٰ نقترع فقرعهم زكريا.

القراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾: بتشديد الفاء، أي ضمنها الله تعالىٰ زكريا، وضمها إليه وبتخفيفها، أي: ضمنها زكريا بنفسه إليه، وبمد زكرياء [وقصره][(٢)] لغتان.

وقرئ: (وأكفِلها زكرياء) من قوله: «أكفِلنيها وتقبلها وأنبتها وكفِلها» ونصب (ربها) نداء.

وقرئ: (وكفَلها) بكسر الفاء مخففًا، فبنىٰ لها غرفة في المسجد، ووضعها فيها، وكان يضع عندها طعامها [وشرابها][(٣)] ويغلق عليها أبوابها، وكان ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾: أي: غرفتها، والمحراب أشرف المجالس، فكأنها وضعت في أشرف مكان من المسجد.

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ﴾: أي: فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء.

﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ﴾: أي: من أين؟.

﴿لَكِ هَٰذَاۖ﴾: الرزق والأبواب مغلقة عليك.

﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾: أي: من الجنة تكلمت صغيرة، يكفي الوقف هنا إن جعلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾: (تا) بغير محاسبة، أو بغير تقدير لكثرته إخبارًا عن الله، ويصلح إن جعلته عن مريم، فثم مع كبر سنه دعا.

﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي﴾: أي: أعطني.

---

(١) في جـ: فلما، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: وبقصره، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولدًا صالحًا، والذرية تقع على الواحد والجمع.

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: (تا).

القراءة: ﴿فَنَادَتْهُ﴾: مجيبة دعاءه.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: هو جبريل وحده جمع؛ تعظيمًا له، ولأنَّه قد يخبر بالجمع عن الواحد ممالًا مذكرًا إرادة الجمع، وبالتاء مؤنثًا إرادة الجماعة.

﴿فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾: (حس) [ق/ ٤٥ جـ] على **القراءة**: بكسر ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: على إضمار القول وغير جائز على القراءة أيضًا بفتحه؛ لأنَّه منصوب محلا بـ(نادته).

القراءة: ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾: بفتح الياء وضم الشين مخففًا من بشر، وبضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددًا من بشر، وبضم الياء وإسكان الباء وكسر الشين مخففًا من أبشر، ولم ينصرف يحيىٰ لعجمته وتعريفه، وإن كان عربيًّا[1] فلتعريفه ووزن الفعل كيعمر.

﴿مُصَدِّقًۢا﴾: حال من يحيىٰ.

﴿بِكَلِمَةٍ﴾: هي عيسىٰ أي كلمة كائنة.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بأن قال له: كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة.

﴿وَسَيِّدًا﴾: هو من ساد قومه، ويحيىٰ ساد قومه والناس في أنَّه لم يرتكب سيئة قط ولا همَّ.

﴿وَحَصُورًا﴾: منوعًا لنفسه عن النساء، وعن مذام الأخلاق والشهوات.

ابن المسيب[2]: كان ليحيىٰ مثل هدبة الثوب، وتزوج مع ذلك ليكون أغض

---

(١) **قال ابن عطية:** «يحيىٰ» اسم سماه الله به قبل أن يولد، قال أبو علي: هو اسم بالعبرانية صادف هذا البناء، والمعنىٰ من العربية، قال الزجاج: لا ينصرف؛ لأنه إن كان أعجميًّا ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربيًّا فالتعريف ووزن الفعل.
«المحرر الوجيز» (١/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٧٨).

لبصره، والأَوْلىٰ أن يكون الحصور هنا الممتنع عن الوطء قدرة عليه لئن الكلام خرج ثناء.

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (حس) المعنىٰ أنَّ زكريا طلب ولدًا صالحًا فبشر به، وأنَّه يؤمن بعيسىٰ، وهو سيد قومه، ومنوع نفسه عن شهواتها كائنًا من جملة الصالحين.

تلخيصه: سأل فأجيب، فثم متعجبًا من حيث العادة وسرورًا بالولد: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ﴾:أي: نالني وأثر فيّ ﴿ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: (كا) عقيم لا تلد وكان ابن تسع وتسعين، أو عشرين ومائة سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين [سنة][1].

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الفاني والعاقر.

﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ﴾: أو كذلك الله مبتدأ وخبر، أي [علىٰ][2] هذه الصفة الله.

قوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: (تا) من خلق الولد بين [هرمين][3] وغيره، لا اعتراض عليه بيان له.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

فطلب ﴿ءَايَةً﴾: (كا) علامة يعلم بها وقت حمل امرأته ليزيد في الشكر والعبادة، فقيل له: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾: [أي][4] تمتنع عن كلامهم وأنت سوي صحيح، وتقبل علىٰ التسبيح والطاعة.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾: (كا) إشارة بيد أورأس أوعين، وكانت إشارته

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في جـ: نحو، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: الهرمين، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: أن، والمثبت من أ، ب.

بالمسبحة، وأصل الرمز التحرك.

وقرئ: (إلا رمز) بضمتين جمع رموز كرسول ورسل، وبفتحتين جمع رامز كخادم وخدم، ونصبه استثناء منقطع، أو حال من زكريا والناس، كقوله(١):

متىٰ ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا

أي إلا مترامزين.

﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ﴾: هو من زوال الشمس إلىٰ غروبها.

﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: (كا) مصدر، ومن[ق/ ٦٩ب]طلوع الفجر الثاني إلىٰ الضحىٰ، أي في وقتيهما.

وقرئ: بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار إن عطفت ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: علىٰ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ﴾ كفىٰ الوقف هنا ، وإن نصبته بمضمر حسن.

﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾: اختارك أولًا.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾: من مسيس الرجال والحيض والنفاس، وكانت لا تحيض.

﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾: آخرًا.

﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (تا) عالمي زمانها، أو علىٰ جميع النساء لولادتها عيسىٰ بلا أب.

﴿ٱقْنُتِى﴾: أطيعي وأطيلي القيام.

﴿لِرَبِّكِ﴾: في الصلاة، فقامت حتىٰ ورمت قدماها وسالت قيحًا، ولمَّا لم ترتب الواو قال: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: (حس) صلي جماعة، ولم يقل الراكعات؛ لعموم الراكعين الرجال والنساء.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ

(١) القائل هو عنترة ، والبيت في «ديوانه»(ص/ ٢٣٤).

ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المذكور من أمر زكريا ويحيىٰ ومريم وعيسىٰ.

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾: يا محمد.

﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾: في الماء للاقتراع؛ لأنهم كانوا يكتبون التوراة.

﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾: مبتدأ و خبر في محل [نصب][1] بمحذوف، دل عليه ﴿يُلۡقُونَ﴾، أي: يلقون ينظرون أيهم يكفلها.

﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾: (كا) في كفالتها، قالوا: كفىٰ الوقف هنا لجواز أن يكون ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: بدلًا من ﴿إِذۡ﴾ قبلها، أو ظرفًا ليختصمون وأن تنصب بـ«اذكر» مقدرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ﴾: أي: اسم المسمىٰ بالكلمة، فاسمه مبتدأ، ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾: خبره، ﴿عِيسَى﴾: بيان له.

﴿ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾: خبر محذوف، أي: هو ابن مريم، وقال: ابن مريم إعلامًا لها أنها تلد من غير أب، فلا ينسب إلا إلىٰ أمه.

﴿وَجِيهٗا﴾: ذا قدر وجاه.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: بالنبوة والتقدم علىٰ الناس.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالشفاعة وارتفاع درجته في الجنة.

﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾: بارتفاعه إلىٰ السماء وصحبته الملائكة.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾: صغيرًا قبل وقت الكلام، وروي أنَّ مريم كانت إذا خلت بعيسىٰ حدثها وحدثته، وإذا شغلت عنه سبح في بطنها وهي تسمع، ومحل ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ نصب حال.

---

(١) في جـ: النصب، والمثبت من أ، ب.

﴿وَكَهْلًا﴾: عطف عليه أي يكلمهم في هاتين الحالتين، والكهل: من تجاوز الثلاثين إلىٰ أربعين، وقارب الشيب من اكتمل النبت قارب اليبس، وكلامه في صغره معجزة وفي اكتهاله بعد نزوله من السماء تبليغًا للرسالة، وكلامه في المهد ثم كهلًا دليل علىٰ حدوثه، وبنصب ﴿وَجِيهًا﴾ حالًا من معنىٰ الكلمة، أي: مخلوقًا، وجازت الحال عن الكلمة وإن كانت نكرة ؛ لأنَّها موصوفة، وكذلك ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (تا) هذه الأربعة أحوال مقدرة.

تلخيصه: يبشرك به موصوفًا بهذه الصفات.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: (كا) زوج.

﴿يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿فَيَكُونُ﴾: (تا) علىٰ القراءة بالنون في ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: (كا) أي الخط، وبالياء أيضًا بأن تجعل الواو استئنافية، وكافٍ إن جعلتها عاطفة علىٰ ﴿يُبَشِّرُكِ﴾.

﴿وَرَسُولًا﴾: مفعول به، أي: ونجعله رسولًا، أو حال أي ويكلمهم رسولًا، وتعلق ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: برسولًا.

وقرئ: (ورسولٍ) جرًّا عطفًا علىٰ (كلمة)، ومحل ﴿أَنِّي﴾: نصب أي بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: علىٰ صدقي، أو رفع أي هو أني، وأراد بآية الجنس؛ لأنَّه أتىٰ بآيات.

ومحل ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ﴾: نصب، أو رفع على القراءة بفتح الهمزة بدل من (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم)، أو جر بدل من (آية)، ورفع على القراءة أيضًا بكسر الهمزة استئناف، أي قال: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم﴾: أي أشكل شيئًا.

﴿مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ﴾: كصورة ﴿ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: أي في الشيء المشكل.

﴿فَيَكُونُ﴾: فيصير.

﴿طَيۡرَۢا﴾: **القراءة**: طيرًا جمعًا وطائرًا مفردًا، ولم يخلق سوى الخفاش.

وقرئ: (فأنفخ فيها).

﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ﴾: هو الذي يولد أعمى، أو مطموس العينين.

﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾: هو الذي به وضح، وخصّا بالذكر لأنَّهما داءان أعيا، أي أشفيهما لأنَّه بعث زمن الطب، وكان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان، قالوا: أبرأ في يوم واحد خمسين ألفًا.

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: ابن عباس[1]: أحيى أربعة: عازر صديقًا له، وابن العجوز، وابنه العاشر، وسام بن نوح.

وكرر ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾: (كا) لنفي توهم الألوهية فيه.

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: أي تحبون.

﴿فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾: (كا) مما لم يعاينه، كان يخبر الشخص بما أكل قبل، وبما يأكل بعد، ويخبر الصبيان وهو في المكتب بما يصنع أهلهم أو بما يأكلون.

وقرئ: (تذخرون) بذال معجمة مخففًا.

﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾(كا)لأنَّ ﴿وَمُصَدِّقٗا﴾: حال معطوفة على آية، أي جيئتكم ﴿بِـَٔايَةٖ﴾، [أي جئتكم][2] مصدقًا.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٧٢) بلا سند، وهذا من الإسرائيليات، ولا تصح نسبته لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في جـ: وجئتكم، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: لما تقدمني من التوراة.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: من لحوم السمك، ولحم كل ذي ظفر، فأحل عيسىٰ من السمك والطير ما لا صيصية له، واختلف في إحلاله السبت، أو أحل لهم جميع المحرم عليهم، ويكون ﴿بَعْضَ﴾ بمعنىٰ «كل» عند أبي عبيد، كقوله[1]:

أو يرتبط بعض النفوس حمامها.

وقرئ: (حَرَّم) بتسمية الفاعل[ق/ ٣٩أ]وهو «ما بين يدي».

وقرئ: (حرُم) كشرف.

وكرر ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: (كا) تأكيدًا، أو كانت متعددة، أي: جئتكم بآية بعد أخرىٰ، يدل عليه ما قرئ: بآيات.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: لما جئتكم به.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا) فيما أدعوكم إليه، وجعل بعضهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾: (حس) هذه الجملة هي الآية، جاءهم بها و﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ اعتراض.

وقرئ: (أنَّ الله) بفتح الهمزة بدل من (آية)، أو علىٰ تقدير اللام، أي: ولأنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه، كقوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ... فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا﴾ [قريش:١:٣].

﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: (تا).

---

(١) القائل هو لبيد بن ربيعة ، والبيت في «ديوانه»(ص/ ٣١٣) ، والبيت بتمامه:

تراك أمكنة إذا لم أرضها — أو يرتبط بعض النفوس حمامها

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾: أي: علم علمًا يقينًا كأنَّه مدرك بالحواس.

﴿عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾: وأرادوا قتله.

﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ﴾: جمع نصير كشريف وأشراف.

ومحل ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: (حس) حال من الياء، أي: من أنصاري ذاهبًا إلىٰ الله، أي: إلىٰ [عباده][(١)]؛ لأنَّ عيسىٰ مر بالحواريين وهم يصيدون فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نصيد السمك، قال: أفلا تذهبون لصيد الناس؟! قالوا: من أنت؟ قال: عيسىٰ، فثم ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾: أي: الراجعون إلىٰ الله، من حار يحور رجع، أو سموا بذلك؛ لنقاء قلوبهم وتنقيتهم الثياب.

﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أي أعوان دينه، أو المعنىٰ من الذي يضيف نفسه إلىٰ الله تعالىٰ وينصرني كنصره إياي.

﴿وَٱشۡهَدۡ﴾: يا عيسىٰ ﴿بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾: (حس).

﴿وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾: عيسىٰ[ق/ ٧٠ب].

﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: (حس) لله بالوحدانية، أو مع الأنبياء؛ [لأنَّ][(٢)] كل نبي شاهد أمته، أو مع أمة محمد ﷺ؛ لأنَّهم يشهدون للرسل بالبلاغ.

﴿وَمَكَرُواْ﴾: أي كفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر، ومكرهم به إرادة قتله، والمكر: الخداع، وأصله صرف الغير عما يقصده بحيلة [ق/ ٤٦ جـ].

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾: (كا) بهم بأن أمهلهم، أو بأن جازاهم علىٰ مكرهم، كقوله:

(١) في جـ: عبادته، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: كان، والمثبت من أ، ب.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠] أو بإلقاء شبه عيسىٰ علىٰ الذي صلب، ثم وضع المظهر موضع المضمر؛ تفخيمًا له فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: (تا) أحذقهم وأعرفهم به، يتم الوقف هنا إن نصبت.

﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ﴾: بمضمر، [وإن][1] جعلته ظرفًا لخير الماكرين أو لمكر الله لم يجز.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: أي: مميتك، من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام:٦٠].

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: أي: إلىٰ السماء، أو متوفيك: رافعك إليَّ وافيًا، ولم تنل بسوء، أو متوفيك: مميتك، قالوا: أميت ثلاث، أو سبع ساعات، ورفع ثم أحيي، أو فيه تقديم وتأخير، أي رافعك إليَّ ومميتك بعد أن أهبطك إلىٰ الأرض، أو الواو للجمع، فلا تقتضي ترتيبًا.

﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾:أي مبعدك ومنجيك.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: (حس) إن جعلت ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾: وقد نقل خطابًا للنبي ﷺ، والمراد أمته.

﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: أي: يعلونهم بالسيف والبرهان وهذا حسن لقوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾: لأنَّه لا شريعة بعد شريعة محمد ﷺ، وبعضهم جعله وقف بيان، وغير جائز إن جعلت الخطاب لعيسىٰ، وقد نقل أيضًا، فيكون المراد أيضًا

(١) في جـ: فإن، والمثبت من أ، ب.

المسلمون؛ لأنهم اتبعوا عيسىٰ في أصل الدين، وإن اختلفت الشرائع، أو يعلونهم بالحجة والغلبة يوم القيامة، فيجازىٰ كل بعمله، يوضحه ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: في الآخرة.

﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: (حس) في الدنيا وفي الدين، ثم فسر الحكم بقوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل والسبي والجزية.

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: (كا) بالنار.

﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: (كا) أي جزاء أجورهم؛ لأنهم عملوا خيرًا، فأعطاهم الجنة بالنون والياء.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس).

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المذكور من خبر عيسىٰ وغيره مبتدأ خبره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ نصب بمضمر دل عليه ﴿نَتْلُوهُ﴾، فتكون ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾ حالًا من الهاء.

﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: (تا) القرآن المحكم الممنوع من كل خلل.

ونزل لمَّا قال وفد نجران للنبي ﷺ: تشتم صاحبنا تقول: إنه عبد؟ قال: «**أجل، إنَّه عبد الله ورسوله**»، قالوا: هل رأيت ولداً من غير أب؟[1] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾: (حس)؛ لأنَّه ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: هذه الجملة مفسرة للمثل، فلا موضع لها من الإعراب، فشبَّه عيسىٰ بآدم من حيث إن آدم خلق من غير أب، وهذا من تشبيه الغريب بالأغرب؛ لأنَّ خلق آدم أغرب من خلق عيسىٰ؛ ليكون

(١) «أسباب النزول» (ص/ ١٠٤).

أقطع للخصم وأوقع في النفس، وهذا دليل على جواز القياس، وهو رد فرع إلى أصل لشبه ما؛ لأنَّ عيسى رد إلى آدم لشبهٍ بينهما.

المعنى: إن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم، فكذلك خلق عيسى من غير أب.

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ﴾: أي [لعيسى][1].

﴿كُن فَيَكُونُ﴾: (تا) فكان، وهذا حكاية حال ماضية، و«ثم» لترتيب القول [المخبر به][2] لا لترتيب المخبر عنه، كقولك: زيد عالم ثم هو كريم، وجوز بعضهم أن يكون ثم لترتيب المخبر عنه، أي: صوره طينًا، ثم قال له: كن [فيكون][3] لحمًا ودمًا، فكان من غير ترتيب.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: أي هو الحق.

﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: (تا) الشاكين، وهذا نهي له والمراد غيره.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: أي: جادلك من النصارى في عيسى.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أي: الدلالات الموجبة للعلم.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا﴾: حسنًا وحسينًا.

﴿وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا﴾: فاطمة.

---

(١) في ج: لآدم.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

﴿وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا﴾: النبي ﷺ وعليًّا.

﴿وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: أي: نلتعن، وأصله اللعن ثم استعمل لكل دعاء يقال: عليه بهلة الله بضم الباء وفتحها أي لعنته، أو أصل البهل كون الشيء غير مراعىٰ، ﴿نَدْعُ﴾ جزم بمحذوف ونبتهل.

و﴿نَبْتَهِلْ﴾ ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ﴾: معطوفان علىٰ ﴿نَدْعُ﴾.

تلخيصه: لنجتمع نحن وأنتم جميعًا، ثم نتضرع في اللعن والدعاء.

﴿عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: (تا) منا ومنكم في شأن عيسىٰ، وهذا غاية الإنصاف، فقرأها ﷺ علىٰ وفد نجران فقالوا: حتىٰ ننظر في أمرنا ونأتيك غدًا، فقال عبد المسيح منهم: لقد عرفتم أنَّ محمدًا نبي حق، وأنَّه والله ما لاعن قوم قط نبيهم فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلىٰ بلادكم، فأتوا النبيَّ ﷺ من الغد، وقد غدا محتضنًا الحسن آخذا بيد الحسين، وفاطمة خلفه وعليّ خلفها ويقول لهم: «**إذا دعوت فأمنوا**» ، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ إني لأرىٰ وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلًا عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ علىٰ الأرض نصراني، فأبوا المباهلة، فصالحهم ﷺ علىٰ مال يؤدونه إليه كل عام، وانصرفوا إلىٰ بلادهم، فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنَّ العذاب قد تدلىٰ علىٰ أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله نجران حتىٰ الطير علىٰ رؤوس الشجر، ولما حال الحول علىٰ النصارىٰ كلهم حتىٰ هلكوا**»[1].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: أي: المذكور من خبر عيسىٰ.

﴿لَهُوَ﴾: مبتدأ خبره ﴿ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: (كا) الخبر الذي لاشك فيه وهما خبر إنَّ.

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي(٣/ ٨٥) ، و«الكشاف» (١/ ٣٦٨).

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾: «من» زائدة، أي وما إله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: (حس).

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: (حس).

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (تا).

لما قال اليهود: إبراهيم يهودىٰ ونحن علىٰ دينه، والنصارىٰ: هو نصراني ونحن علىٰ دينه، [والنبي ﷺ قال][1] لهم: «**كلا الفريقين منه بري، بل كان حنيفًا مسلمًا وأنا علىٰ دينه**» نزل:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم أهل الكتابين، أو وفد نجران.

﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾: للكلمة حقيقة ومجاز، فحقيقتها اللفظة الدالة علىٰ معنىٰ مفرد بالوضع، ومجازها الكلام المتصل بعضه إلىٰ بعض طال أو قصر كالرسالة.

وقرئ: بسكون اللام مع فتح الكاف وكسرها[ق/ ٧١ب].

القراءة: ﴿سَوَآءٍ﴾: جرًّا صفة «كلمة».

وقرئ: (سواء) نصب مصدر.

وقوله: ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: ظرف لسواء، المعنىٰ: هلمو إلىٰ كلمة يستوي طرفاها تنصف بيننا وبينكم، وتذهب الأهواء باعتقادها.

تلخيصه: ليعط كل النصفة من نفسه ثم بيَّن الكلمة، ومحلها رفع، أي: هي.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

---

(١) في جـ: فقال النبي ﷺ، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱللَّهِۚ﴾: (كا) هذا كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، أو هو سجود بعضهم لبعض، أي: لا نسجد لغير الله ولا نطيع أحدًا في [معصيته](١) تعالىٰ، أو محل أن لا نعبد جر صفة [لكلمة](٢).

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أعرضوا عن التوحيد.

﴿فَقُولُواْ﴾: أنتم لهم: ﴿ٱشۡهَدُواْ﴾: أي: اعلموا ﴿بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: تزعمون أنَّه علىٰ دينكم، والتوراة والإنجيل نزلتا بعده، يوضحه ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾: (كا)؛ لأنَّ بين إبراهيم وموسىٰ ألف سنة، وبين موسىٰ وعيسىٰ ألفي سنة.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: بطلان ما تقولون.

القراءة: ﴿وَأَنتُمۡ﴾: مدًّا بلا [همز](٣)، وبهمزة مقصورة بين الهاء والنون، وبألف بين الهاء والهمزة مع تحقيقها، أصلها: أأنتم، عند الأخفش قلبت الهمزة هاء، أو أصلها أنتم ضمت إليها هاء تنبيه، فأنتم مبتدأ خبره ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

وقوله: ﴿حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾: من أمر موسىٰ وعيسىٰ لأنَّكم تعلمون ذلك؛ لأنَّه في كتابكم، جملة مبنية لها أنتم هؤلاء، المعنىٰ: أنتم هؤلاء الأشخاص جادلتم فيما علمتموه من التوراة والإنجيل من أمر موسىٰ وعيسىٰ.

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾: (كا) من أمر إبراهيم، وليس في كتابكم ذكره؛ لأنَّه قبلكم.

تلخيصه: [أنتم](٤) جاهلون تجادلون فيما تعلمون وفيما لا [تعلمون](٥).

---

(١) في جـ: معصية الله، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: كلمة، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: همزة، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: أنهم، والمثبت من أ، ب.

(٥) في جـ: تعملون، والمثبت من أ، ب.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ثم برَّأ تعالىٰ إبرهيم فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾: (كا)، ثم وبخهم مؤكدًا براءته فقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (تا) ثم أومأ إلىٰ بعدهم عنه بقوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾: أي: أقربهم وأحقهم.

﴿بِإِبْرَٰهِيمَ﴾: فالباء متعلقة بأولىٰ وخبر إنَّ ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: في زمانه وبعده.

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾: محمد ﷺ عطف [ق/ ٤٧ جـ]علىٰ (الذين)[ق/ ٤٠أ].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: (حس) من هذه الأمة عطف علىٰ النبي ﷺ. **تلخيصه**: من كان علىٰ دينه فهو أولىٰ به.

وقرئ: (وهذا النبيَّ) نصبًا عطفًا علىٰ الهاء في ﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾، أي: اتبعوه واتبعوا هذا النبي، وجرًّا؛ عطفًا علىٰ إبراهيم.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا).

لمَّا دعا اليهود معاذًا وحذيفة وعمارًا إلىٰ دينهم نزل ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾: (كا)[1].

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: أي: وما يضلون إلا أمثالهم، أو ما يرجع وبال ضلالهم إلا علىٰ أنفسهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: (تا) بذلك.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٠٩).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: (تا) أنَّ نعته في التوراة والإنجيل.

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾: أي: تدلسون وتخلطون.

﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: أي: الإسلام باليهودية والنصرانية.

وقرئ: (تلبِّسون) مشددًا مبالغة، و﴿تَلْبِسُونَ﴾ بفتح الباء من لبس الثياب، أي: تلبسون الحق بالباطل كقوله[1]:

إذا هو بالمجد ارتدىٰ وتأزَّرا.

﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: أي نعت محمد ﷺ.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا) أنَّه حق.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: فيما بينهم وهم اليهود.

﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هو القرآن.

﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾: نصب ظرف، أي: أوله.

﴿وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ﴾: أي: لعل المسلمين يقولون: ما رجع هؤلاء عن الإسلام وهم أهل علم ودراية إلا أنهم علموا بطلانه فيشكون فيه ثم ﴿يَرْجِعُونَ﴾: عنه بعد ما دخلوا فيه، أو نزلت لمَّا صُرفت القبلة، وقالت اليهود: صلوا إلىٰ الكعبة أول النهار، وصلوا إلىٰ قبلتكم آخره لعلهم يرجعون عن دينهم بفعلكم.

---

(١) القائل هو رجل من عبد مناة بن كنانة، والبيت في «خزانة الأدب» (٤/ ٦٧)، والبيت بتمامه:

لا أب وابنًا مثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدىٰ وتأزرا

إن جعلت ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: من تمام الحكاية لم تقف على ﴿يَرۡجِعُونَ﴾، وإن جعلت الواو استئنافية وأضمرت فعلًا غير الأول، أي وقالت: لا تؤمنوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾: (تا) أي: وافق ملتكم كفى الوقف على ﴿يَرۡجِعُونَ﴾.

وإن جعلت ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾: المعنى: يلطف بمن يشاء فيسلم، أو يثبته على الإسلام، ولم يضره كيدكم اعتراضًا، وجعلت ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ متعلقًا بقوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾: لم تقف بينهما، أي ولا تصدقوا بأن يؤتى أحد.

﴿مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾: إلا من تبع دينكم، فَمَنْ [مِنْ][1] (لِمَنْ تبع) نصب استثناء من ﴿أَحَدٞ﴾، واللام زائدة، ومحل (أن يؤتى) وما اتصل به نصب بإسقاط الباء، أو مفعول له، أي مخافة أن يؤتى، وكره بعضهم الاستثناء هنا من ﴿أَحَدٞ﴾ لما فيه من تقديم المستثنى على المستثنى منه، والمعمول على العامل فيه، وهذا وإن تقدم لفظًا فهو مؤخر معنى، أو هو [استثناء][2] من المعنى، تقديره: اجحدوا كل أحد إلا من تبع دينكم.

وقوله: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾: (تا) عطف على ﴿يُؤۡتَىٰٓ﴾، أي: يوم القيامة تكون لهم الحجة عليكم والغلبة، أو تقديره: حتى يحاجوكم، وجمع ضمير ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ ردًّا إلى ﴿أَحَدٞ﴾؛ لأنَّه جمع في المعنى كقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة:١٣٦]، والمعنى: لا تعترفوا أنَّ المسلمين قد أعطوا من الكتب والمعجزات مثل ما أعطيتم فيشرفوا عليكم في الدنيا، أو يحاجوكم عند ربكم في الأخرى.

تلخيصه: لا تعترفوا إلا لأتباعكم بما للمسلمين لئلا تغلبوا في الدارين بالحجة، وإن علقت أن يؤتى بالهدى وتجعل ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ بدلًا ﴿مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ و﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ خبر إنَّ تقديره: قل إنَّ هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقفت

---

(١) في جـ: في، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: الاستثناء، والمثبت من أ، ب.

على ﴿دِينَكُمْ﴾ وإن نصبت أن يؤتي بمضمر، أي تنكرون ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ تم الوقف على ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾.

القراءة: (أن يؤتي) بهمزة مفتوحة ونون ساكنة من غير مد، ومحله رفع أو نصب كما تقدم، وبهمزتين الأولىٰ همزة استفهام [للتوبيخ][(١)] والتقرير، والثانية مسهلة، ومحل (أن يؤتىٰ) رفع مبتدأ[ق/ ٧٢ب]، خبره محذوف تقديره أن يؤتىٰ أي إيتاء أحد مثل ما أوتيتم تقرؤون أو تجحدون نحو أزيد ضربته، أو نصب بمضمر، أي أتنكرون أن يؤتىٰ.

وقرئ: (إن يؤتىٰ) بكسر الهمزة، فـ«إنْ» نافية، أي ما أوتي أحد مثل ما أوتيتم حتىٰ يحاجوكم عند ربكم، **تلخيصه:** ما يؤتون مثله ولا يحاجونكم.

وقرئ: (أن يؤتىٰ أحد)، فأحد مفعوله محذوف، أي: أن يؤتي أحد أحدًا.

﴿ٱلْفَضْلَ﴾: الهداية والتوفيق.

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿عليم﴾: (حس).

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٥] : أي: نبوته ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٩٠] : (كا).

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: (تا).

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

(١) في ب: التوبيخ، والمثبت أ، جـ.

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

ابن عباس[(١)]: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾: عبد الله بن سلام استودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداه إليه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾: كعب بن الأشرف استودعه [قرشي][(٢)] دينارًا فلم يؤده إليه وجحده، أو هو فنحاص بن عازورا، فـ﴿مَنْ﴾ مبتدأ وخبره (من أهل الكتاب)والشرط وجوابه صفة لـ«من» لأنَّها نكرة، ويقع الشرط صفة وصلة وحالًا كما يقع خبرًا، والباء في ﴿بِقِنطَارٍ﴾ بمعنىٰ «علىٰ»، أو في أي في حفظه وكذلك في ﴿بِدِينَارٍ﴾.

القراءة: (يؤدهِ ونؤتهِ ونصلهِ ونولهِ) بكسر الهاء اكتفاء بالكسرة عن الياء، وبالياء علىٰ الأصل، وبإسكان الهاء أجرىٰ الوصل مجرىٰ الوقف، والأصل في الوقف السكون.

ومحل (ما) في ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ﴾: نصب ظرف، أي: مدة دوامك يا صاحب الحق.

﴿عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: (كا) تطالبه بإلحاح، أو حال؛ لأنَّ «ما» مصدرية، والمصدر يقع حالًا، أي إلا في حال ملازمتك إياه.

وقرئ: (دِمت) بكسر الدال.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: تركهم أداء الحقوق.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي: بسبب أنهم.

﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: أي العرب.

---

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٣٧٤)، ونسب الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٩٤) هذا القول لمقاتل.

(٢) في جـ: القرشي، والمثبت من أ، ب.

﴿سَبِيلٌ﴾: أي إثم لأنَّ اليهود كانوا يستحلون أموال العرب ومن خالف دينهم، أو قالوا: الأموال كلها كانت لنا وأخذها منَّا العرب، ولا طريق لنا لأخذها منهم، أو بايع بعض المسلمين بعضهم نسيئة في الجاهلية، فلمَّا أسلموا تقاضوا اليهود فقالوا: ليس لكم علينا شيء؛ لأنَّكم أسلمتم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وزعموا أنَّ ذلك في كتابهم فأبرز تعالىٰ كذبهم فقال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: لادعائهم أن ذلك في كتابهم.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: بكذبهم، رأىٰ بعضهم تمام الوقف هنا، والصحيح أنَّ الوقف علىٰ ﴿بَلَىٰ﴾:(تا) لأنَّ بلىٰ إذا كان جوابًا لما قبله من الجحد، فهو إيجاب لما بعده، فلا يفصل بينهما، و«بلىٰ» هنا إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين، و«بلىٰ» دلت علىٰ محذوف تقديره بلىٰ عليهم سبيل، وتم الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعده جملة مستأنفة وهي ﴿مَنْ﴾: شرط مبتدأ خبره﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾: أي عهد الوافي، أو بعهد الله الذي عهده إليهم في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ وأداء الأمانة.

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: الشرك والخيانة وجواب الشرط.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: (تا) قال ﷺ: **«أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة واحدة كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** (١).

بدَّل اليهود نعت رسول الله ﷺ وعهد الله الذي عهد إليهم في التوراة، وكتبوا غيرهما، أو أراد بعض الصحابة أخذ مال بيمين كاذبة، أو باع رجل سلعة في السوق، فحلف بالله لقد أعطي ما لم يعط ليوقع فيها مسلمًا، فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: إليهم في أداء الأمانة(٢).

﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾: الكاذبة.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٤)، ومسلم(٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) «أسباب النزول» (ص/ ١١٢).

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من حطام الدنيا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: لا نصيب.

﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: ونعيمها.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾: غضبًا عليهم.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: لا يطهرهم من الذنوب.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: (تا).

﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ﴾: أي: من اليهود ﴿لَفَرِيقٗا﴾: أي: طائفة منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ومالك بن الضيف وغيرهم.

﴿يَلۡوُۥنَ﴾: أي: يعطفون.

﴿أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾: والمراد تحريفهم كآية الرجم وصفة محمد ﷺ وغيرهما.

وقرئ: (يلوون) مشددًا، ويكون قلبوا الواو المضمومة همزة ثم حذفوها؛ تخفيفًا، وألقوا حركتها على الساكن قبلها، والضمير في ﴿لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الذي [أنزل يرجع][1] إلى الكتاب الذي دل عليه ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾، وأصل اللّيّ: الإمالة.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: (كا)، ثم نفى ذلك فقال: ﴿وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: (كا)، ثم أكد كذبهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: (حس).

ونزل لمَّا قيل للنبي ﷺ: تريد أن تُعبد وتُتخذ ربًّا، أو لمَّا اعتقدت عبادة غير الله، أو لمَّا طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ[2].

---

(١) في جـ: رجع، والمثبت من أ، ب.

(٢) «أسباب النزول» (ص/ ١١٣).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾: الفهم عن الله بما أمر ونهىٰ، والمراد [ق/ ٤٨ جـ] العمل بالشريعة.

القراءة: ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾: نصبًا عطفًا علىٰ يؤتيه.

وقرئ: برفع (يقول) استئنافًا .

﴿لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: رأىٰ بعضهم الوقف هنا، ولا أحبه لوجود العطف والاستدراك في ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾: علماء وفقهاء، أو معلمين الخير جمع رباني منسوب إلىٰ الرب تعالىٰ بزيادة الألف والنون كرقباني، ومعناه المبالغ في طاعة ربه، أو هو مربي العلماء بصغار العلم قبل كباره.

القراءة: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مشددًا أي غيركم، ومخففًا، أي: تعلمون أنتم.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: تقرؤون.

وقرئ: (تَدْرُسُون وتدرِّسون) مشددًا، دَرَسَ بنفسه ودَرَّسَ وأدرس غيره.

تلخيصه: بسبب كونكم عالمين ومعلمين ودارسين ومدرسين، وفي هذا إيذان أنَّ من علم العلم ودرسه ولم يعمل به فليس من الله في شيء، وإنَّما ينسب إلىٰ الله عز وجل من عمل بطاعته، الوقف هنا كاف علىٰ القراءة: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾: أي الله رفعًا استئنافًا، ولا بمعنىٰ ليس وغير جائز علىٰ **القراءة:** أيضًا نصبًا عطفًا علىٰ يقول

أو يؤتيه، والضمير في يأمركم للبشر، والمراد به الرسول، وجوَّز بعضهم أن يكون الضمير علىٰ القراءتين لله وللرسول.

وقرئ: (ولن يأمركم).

﴿أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: كقريش والصابئين حين[ق/ ٤١أ] قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ﴾: (كا) كاليهود والنصارىٰ، وقولهم في عزير والمسيح.

تلخيصه: ما ينبغىٰ لمن أعطي النبوة أن يأمر بعبادة غير الله، بل يأمرهم بمعرفته ومعرفة أحكامه وعبادته.

وهمزة ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: (كا) [ق/ ٧٣ب] إنكار عليهم، و﴿إِذۡ﴾ مجرورة محلًا ببعد، ومحل ﴿أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ جر بـ(إذ)، في هذا دليل أنها نزلت في الذين طلبوا السجود لرسول الله ﷺ[١]، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ محل ﴿وَإِذۡ﴾: نصب بمضمر، والواو عاطفة، أي واذكر يا محمد حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: وأممهم بما تقدم وبما يأتي.

القراءة: ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾: بكسر اللام للجر، وهي متعلقة بأخذ، أي أخذنا الميثاق لذلك، فيكون ما بمعنىٰ الذي، أو نكرة موصوفة، و﴿مِّن كِتَٰبٖ﴾ حال من الذي، وبفتح اللام فيكون ما بمعنىٰ الذي، واللام للابتداء دخلت لتؤكد معنىٰ القسم؛ لأنَّ أخذ الميثاق قسم في المعنىٰ، والعائد محذوف، أي الذي آتيتكموه وخبر المبتدأ ﴿مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾، وجواب القسم ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾: أو ما [شرط][٢]، واللام قبلها لتلقىٰ القسم، كقوله: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾

---

(١) قَالَ الْحَسَنُ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ كَمَا يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «**لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ الله، ولكن أكرموا نَبِيَّكُمْ وَاعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ.

«أسباب النزول» (ص/ ١١٣).

(٢) في جـ: شرطية، والمثبت من أ، ب.

[الأحزاب:٦٠]، ولا يلزم اللام كقوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾ [المائدة:٧٣]، فـ«ما» منصوبة محلًا بـ«أتينا» مفعولًا أولًا، الثاني (كم)، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾: على هذا سد مسد جواب القسم والشرط جميعًا.

وقرئ: (لمَّا) فتحًا مشددًا، فتكون (لما) زمانية، أي: أخذ الميثاق حين أوتوا شيئًا من كتاب وحكمة، وفيه رجوع من الغيبة إلى الخطاب، أو أصله لمن ما [أبدل][1] من النون بينما فاستثقل اجتماع ثلاثة ميمات، فحذفت الثانية لضعفها، وأدغمت الأولى في الثالثة، والمعنى لمن أجل ما آتيتكموه لتؤمنن به.

القراءة: آتيناكم جمعًا تعظيمًا لله تعالى، وآتيتكم مفردًا، ثم عطف على ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾: [من العلم][2] لأنَّ آتيناكم وجاءكم بتأويل مصدرين، والعائد من هذا المعطوف محذوف، أي: جاءكم به دل عليه به في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾: أي: بالرسول.

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: (كا) عطف على الرسول، والمراد محمد ﷺ، والذين أخذ عليهم الميثاق: النبيون، أو أممهم على لن يبعث الله نبيًّا آدم [ومن بعده][3] إلا أخذ عليه الميثاق في أمر محمد لتؤمنن به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنَّه، وأممهم تبع لهم في ذلك.

تلخيصه: أخذ الميثاق على من تقدمك يا محمد أن يؤمنوا بك، وإن أدركوك نصروك.

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾: بذلك.

﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: أي: قبلتم.

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ﴾: عهدي.

---

(١) في جـ: أبدلت، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: وبعده، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: بضم الهمزة لغتان.

﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ﴾: (كا).

﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ﴾: علىٰ أنفسكم [وأتباعكم][(١)].

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: (كا) عليكم وعليهم، أو شهدوا خطاب للملائكة.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: الإقرار.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: (حس).

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

والعامل في ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ﴾: النصب.

﴿يَبۡغُونَ﴾: ودخلت الهمزة علىٰ الفاء العاطفة علىٰ محذوف، تقديره: أيتولون، فغير دين الله يبغون.

القراءة: يبغون بياء وتاء.

﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾: انقاد.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا﴾: بلا إباء.

﴿كَرۡهٗا﴾: بإباء فأهل السموات يسجدون طوعًا، وأهل الأرض يسجد بعضهم طوعًا وبعضهم كرهًا كالمنافقين، أو طوعًا من ولد في الإسلام، وكرها من أجبر عليه.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: منهم مسلم ومسالم.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: [بياء وتاء][1]، ثم قيل للنبي ﷺ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾: أي أنا والمؤمنون.

﴿بِٱللَّهِ﴾: والأنبياء.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: (تا).

ونزل فيمن ارتد: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾: أي التوحيد.

﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: (تا) هذه الآية قطعت عمل كل عامل على غير ملة الإسلام، ثم استفهم منكرًا مبعدًا فقال:

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾: عطف على ﴿كَفَرُوا۟﴾، أي: كيف يهديهم بعد اجتماع الأمرين، أو الواو للحال من ﴿كَفَرُوا۟﴾، وقد مضمرة، أي: كفروا وقد شهدوا.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: (كا) على صدق محمد ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ.

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾: مبتدأ ثان، خبره ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾: أي: عذابه، وهما خبر ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: (حس) في اللعنة.

---

(١) في جـ: بتاء وياء، والمثبت من أ، ب.

ونزل فيمن طلب التوبة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾

ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بعيسىٰ.

﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾: بموسىٰ.

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: بمحمد ﷺ، أو نزل في أهل الكتاب حين آمنوا بصفة محمد ﷺ، فلمَّا بعث كفروا وازدادوا كفرًا بإصرارهم علىٰ ذلك، أو في جميع الكفار أشركوا بالله بعد الإقرار، ثم ازدادوا كفرًا بإقامتهم علىٰ الكفر حتىٰ هلكوا[1].

﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾: إذا وقعوا في الحشرجة، أو إذا ماتوا كفارًا، كقوله: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ [النساء:١٨].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾: (تا) وثبوت الفاء في (فلن تقبل) بعد يؤذن أنَّ الكلام بني علىٰ الشرط والجزاء، وأنَّ سبب امتناع التوبة هو الموت علىٰ الكفر، وتركها يؤذن أنَّ الكلام مبتدأ وخبر، ولا دليل فيه علىٰ التسبيب، وهذا كقولك: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيء سببًا في استحقاق الدرهم بخلاف فله درهم.

﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: ما يملؤها من شرقها إلىٰ غربها.

---

(١) هو قول قتادة والحسن، وقال أبو العالية: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وقال مجاهد: نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ.
انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٦٦).

﴿ذَهَبًا﴾: تمييز.

وقرئ: (ذهب) رفعًا؛ ردًّا على ملء، كقولك: عندي عشرون نفسًا رجال، أو رفع قطعًا.

وقرئ: (فلن يُقْبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا) بتسمية الفاعل، وهو الله تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾: (حس)، و(كا) عند أبي حاتم، المعنىٰ: لن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدىٰ بملء الأرض ذهبًا.

﴿أَلِيمٌ﴾: (كا).

﴿نَّـٰصِرِينَ﴾: (تا) قال ﷺ: **«يقول الله لأقل أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أنَّ لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ فيقول: أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا أن تشرك»** (١).

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾: أي: ثوابه [ق/ ٧٤أ] والمراد الجنة، أو التقوىٰ، وكل أعمال الخير.

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: (تا) من أموالكم، ومن تبعيض بدليل ما قرئ: حتىٰ تنفقوا بعض ما تحبون.

تلخيصه: لا وصول إلىٰ المطلوب إلا بإخراج المحبوب، وكان الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين إذا أحبوا مالًا أنفقوا.

ومن في ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾: تبيين للمنفق.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ﴾: بالمنفق من خير وشر.

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) يعلمه ويجازي عليه.

لمَّا قال اليهود للنبي ﷺ: تزعم أنَّك علىٰ ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها، وإبراهيم ما كان كذلك، أو قيل لهم: إنما حرمت [ق/ ٤٩جـ]

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٩)، ومسلم(٢٨٠٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عليكم الطيبات وجميع المحرمات لبغيكم وظلمكم كقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام:١٤٧]، فأنكروا ذلك، وقالوا: إنما حرمت قبل، واستمر التحريم، أو ادعوا أنها إنما حرمت بتحريم التوراة نزل ردًّا عليهم وتكذيبًا لهم:

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾[1]: أي حلالًا، ومصدر حلَّ حلًّا كذل ذلًّا وعزَّ عِزًّا.

﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: من لحوم الإبل وألبانها؛ لأنَّها كانت أحبَّ الطعام إليه، وكان به عرق النسا، فنذر إن شفي منه أن يحرم أحبَّ الطعام إليه، فشفي، فلم يأكله ولده اتباعًا له، أو كان قد قال: لئن شفاني الله لا يأكله ولدي، فحرم عليهم.

﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾: (كا) المعنى أن المحرم عليكم إنما حرم بعد إبراهيم قبل نزول التوراة، وإن أنكرتم ذلك ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾: ليتبين صدقكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (كا) فيما تزعمون فبهتوا ولم يأتوا بها.

تلخيصه: أنتم مفترون فيما تزعمون.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي بعد لزوم الحجة.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (تا) الذين لا ينصفون، ثم عرَّض بكذبهم فقال:

---

(١) «أسباب النزول» (ص/ ١١٥).

﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾: (كا).

﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: التي أنا عليها، وهي ملة الإسلام.

﴿حَنِيفٗاۖ﴾: حال، ثم أوضح ملة إبرهيم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (تا).

لمَّا قال اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: الآيتين(١).

القراءة: وضع للناس مجهولًا، وهو صفة لبيت، والواضع الله تعالىٰ.

وقرئ: وضع معلومًا، وهو أول بيت ظهر علىٰ الماء عند خلق السموات والأرض.

روي أنَّ الملائكة بنته ولمَّا حجه آدم قالت له: برَّ حجك قد حججناه قبلك بألفي عام(٢).

وعن النبىٰ ﷺ: «**إنَّ المسجد الحرام وضع قبل الأقصىٰ بأربعين سنة**»(٣)، أو أول متعبد.

وعن عليّ أنه سئل أهو أول بيت وضع للناس؟ قال: لا كان قبله بيوت، ولكنَّه أول متعبد، أو أول من بناه آدم أو إبراهيم(٤).

وخبر إنَّ ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: سميت بذلك لبكّها، أي: دقها أعناق الجبابرة، وهي مكة، والباء والميم يتعاقبان، أو بكة موضع البيت والمطاف لتباكك الناس فيه، ومكة البلد.

---

(١) «أسباب النزول» (ص/ ١١٥).

(٢) أخرجه قوام السنة في «الترغيب والترهيب» (١٠٤٨)

قال العراقي: رواه المفضل الجندي ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال: لا يصح، ورواه الأزرقي في تاريخ مكة موقوفًا علىٰ ابن عباس اهـ «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٦٣٦).

(٣) أخرجه مسلم(٥٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٩).

﴿مُبَارَكًا﴾: كثير البركة، حال من الضمير في ﴿وُضِعَ﴾، [أو من الضمير في الجار][1]، والعامل فيها ما في الظرف من معنىٰ الاستقرار، وكذلك ﴿وَهُدَى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: لأنَّه قبلتم يتم الوقف هنا إن استأنفت ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾: وإن نصبتها حالًا من ضمير ﴿مُبَارَكًا﴾ لم يتم.

وقرئ: (آية مبينة).

ثم بين الآيات فقال: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: (كا)، والمراد به الحجر الذي يصلىٰ عنده ركعتا الطواف، أو جميع مناسك الحج كالمزدلفة والحطيم والحجر مقام إبرهيم، أو مقام إبراهيم خبر ابتداء، أي هي مقام إبراهيم، وكفىٰ الوقف هنا لاستئنافك ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: لا يهاج لدعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]، فالشافعي: يقتص من الجاني الملتجيء إلىٰ الحرم، وأبو حنيفة: لا يقتص [منه][2] وإن جنىٰ فيه اقتصا منه، أو من دخله عام عمرة القضاء، أو هو خبر بمعنىٰ الأمر، أي فأمنوه.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: أي: استقر له عليهم فرض الحج[ق٤٣أ].

القراءة: بفتح الحاء وكسرها لغتان في مصدر حج، أو الفتح المصدر والكسر الاسم، وتبدل ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: (كا) بدل اشتمال من الناس، وهو بدل بعض من كل، أو من رفع فاعل حج؛ لأنَّه مصدر مضاف إلىٰ المفعول، تقديره ولله علىٰ الناس أن يحج البيت المستطيعون، والبدل أولىٰ؛ لأنَّه لم يأت في القرآن مصدر مضاف إلىٰ المفعول والفاعل معه مذكور، فعلىٰ هذا وعلىٰ البدل لا وقف علىٰ ﴿ٱلْبَيْتِ﴾، والاستطاعة: الزاد والراحلة ونفقة العيال قدر الذهاب والرجوع مع التمكن، ومالك يوجبه علىٰ الفقير القادر علىٰ المشي، أو من مبتدأ شرط جوابه محذوف أي فليحج يدل عليه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: أي جحد فرض الحج.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لأنَّه شرط وجواب، فيقف على البيت، وكذلك إن رفعته خبر مبتدأ، أي هو من في الحديث: «**من أمكنه الحج، فلم يحج فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا**»(١)، وفيه: «**حجُّوا قبل ألَّا تحجُّوا، قبل أن يمنع البَرُّ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٨١٢)، والبزار(٨٦١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال و هلال بن عبد الله مجهول و الحارث يضعف في الحديث.
وأخرجه الدرامي (١٧٨٥)، و البيهقي في «الشعب» (٣٩٧٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٣٠٥) حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط مرسلا.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال العقيلي والدارقطني: لا يصح فيه شيء.
قلت: وله طرق:
أحدها: أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» وأحمد، وأبو يعلىٰ، والبيهقي من طرق عن شريك، عن ليث بن أبي سليم، عن ابن سابط عن أبي أمامة بلفظ: «**من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة**»، والباقي مثله، لفظ البيهقي، ولفظ أحمد: «**من كان ذا يسار فمات ولم يحج**» - الحديث - وليث ضعيف، وشريك سيئ الحفظ، وقد خالفه سفيان الثوري فأرسله، رواه أحمد في كتاب الإيمان له عن وكيع، عن سفيان، عن ليث، عن ابن سابط قال: «قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يحج، ولم يمنعه من ذلك مرض حابس، أو سلطان ظالم، أو حاجة ظاهرة**» فذكره مرسلا. وكذا ذكره ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن ليث مرسلا، وأورده أبو يعلىٰ من طريق أخرىٰ عن شريك مخالفة للإسناد الأول، وراويها عن شريك عمار بن مطر ضعيف.
الثاني: عن علي بن أبي طالب مرفوعا: «**من ملك زادا وراحلة تبلغه إلىٰ بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا**»، وذلك لأن الله قال في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ورواه الترمذي وقال: غريب وفي إسناده مقال، والحارث يضعف، وهلال بن عبد الله الراوي له عن أبي إسحاق مجهول، وسئل إبراهيم الحربي عنه، فقال: من هلال؟ وقال ابن عدي: يعرف بهذا الحديث، وليس الحديث بمحفوظ، وقال العقيلي: لا يتابع عليه، وقد روي عن علي موقوفا ولم يرو مرفوعا من طريق أحسن من هذا. وقال المنذري: طريق أبي أمامة علىٰ ما فيها أصلح من هذه. =

جانبه»[(١)].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: (كا) والمعنىٰ لم تكفرون بآيات الله الدالة علىٰ صدق محمد ﷺ، والحال: إن الله شهيد ﴿عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾: (تا) فتجازون به.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: دين الإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتغييركم صفة محمد ﷺ ليرتابوا، وذكركم وقائع الجاهلية ليقتتلوا.

وقرئ: (يصدون) من أصده، ومحل ﴿تَبْغُونَهَا﴾: أي: تطلبـون السبيل.

= الثالث: عن أبي هريرة رفعه: «**من مات ولم يحج حجة الإسلام في غير وجع حابس، أو حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، فليمت أي الميتتين شاء، إما يهوديا أو نصرانيا**» . رواه ابن عدي من حديث عبد الرحمن القطائي، عن أبي المهزم وهما متروكان، عن أبي هريرة، وله طريق صحيحة؛ إلا أنها موقوفة رواها سعيد بن منصور، والبيهقي.

عن عمر بن الخطاب قال: « لقد هممت أن أبعث رجالا إلىٰ هذه الأمصار، فينظروا كل من له جدة ولم يحج، فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين » . لفظ سعيد، ولفظ البيهقي: أن عمر قال: « ليمت يهوديا أو نصرانيا » . يقولها ثلاث مرات، رجل مات ولم يحج ووجد لذلك سعة وخليت سبيله، قلت: وإذا انضم هذا الموقوف إلىٰ مرسل ابن سابط، علم أن لهذا الحديث أصلا، ومحمله علىٰ من استحل الترك، وتبين بذلك خطأ من ادعىٰ أنه موضوع، والله أعلم.

«التلخيص الحبير» (٢/ ٤٢٦) .

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٣٠١) ، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٣٥) ، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨٤٨٤) من حديث أبي هريرة به.

ولفظ الحديث : قال رسول الله ﷺ : «**حجوا قبل ألّا تحجوا**»؛ قيل: ما شأن الحج؟ قال: «**تقعد أعرابها علىٰ أذناب أوديتها، فلا يصل إلىٰ الحج أحد**» .

﴿عِوَجًا﴾: ميلًا عن الاستقامة حال، يقال: ابغني بكسر الهمزة: اطلب لي، وبفتحها أعنِّي على طلبه، والعوج بكسر العين فيما لا ينتصب كالدين والقول والأرض، وبالفتح فيما [انتصب](١) قائمًا كالرمح.

المعنىٰ: تريدون أن تكون السبيل غير مستقيمة.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: بأنها مستقيمة لعلمكم ما في التوراة من صدق محمد ﷺ.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: (تا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: [ق/ ٧٥ب] الذين يريدون كفركم.

﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: ظرف لـ«يردوكم».

﴿كَٰفِرِينَ﴾: (كا) ثم جاء باستفهام [تعجب](٢) وتوبيخ فقال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾: (حس)، المعنىٰ: ومن أين يأتيكم الكفر، والحال أنَّ القرآن والرسول حاضران لديكم.

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾: أي يلتجئ إليه ويمتنع به.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا).

ونزل لمَّا تفاخر الأنصار وأخذوا السلاح [ليقتتلوا](٣):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(١) في جـ: ينتصب، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: تعجيب، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: ليقتلوا، والمثبت من أ، ب.

﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٠٥﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[1]: بأن يطاع فلا يعصىٰ، وأن يجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذه في الله لومة لائم، أنس[2]: لا يتقىٰ الله امرؤ حق تقاته حتىٰ يخزن لسانه.

وتقاة: فعلة من اتقىٰ كالتؤدة من اتأد، ولمَّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله ومن يقوىٰ علىٰ هذا نزل: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] مقاتل: ليس في آل عمران منسوخ غير هذا[3].

ثم نهاهم عن مفارقة الإسلام فقال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: (كا).

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: أي: تمسكوا بدينه.

﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: بعد الإسلام، قال ﷺ: **«إنَّ الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا، يرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولىٰ الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»**[4].

كان بين الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ عداوة وقتال مدة طويلة، فبدل ذلك بالألفة والمحبة بسبب إسلامهم واتباعهم النبي ﷺ، وانتقاله إليهم، فنزل منَّة عليهم: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: أي إنعامه[5].

﴿عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأنصار.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٨٠).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٨٠).
(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص/ ٢٨١).
(٤) أخرجه مسلم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٦٤).

﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾: قبل الإسلام، وإذ نصب محلًا ظرف لـ«اذكروا»، أو ظرف لقوله: ﴿فَأَلَّفَ﴾: أي جمع.

﴿بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾: بالإسلام وأصل [أَلَّفَ](١) الانضمام.

﴿فَأَصۡبَحۡتُم﴾: فصرتم.

﴿بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾: جمع أخ في الدين والولاية.

﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: ما بينكم وبين وقوعكم فيها إلا أن تموتوا كفارًا.

﴿فَأَنقَذَكُم﴾: بالإيمان.

﴿مِّنۡهَاۗ﴾: أي: من الحفرة، أو [من](٢) النار، أو الشفا، وأنث لإضافته إلىٰ الحفرة، وشفة الشيء وشفاه: جانبه، فلامه في المؤنث محذوفة، وفي المذكر ثابتة منقلبة عن واو.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾: (تا).

تلخيصه: كنتم مشفقين علىٰ الوقوع في النار لولا الإسلام.

ثم جاء بلام الأمر تأكيدًا فقال: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾.

ولمَّا كان الدعاء إلىٰ الخير عامًا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصًا عطف عليه فقيل: ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾: (كا) ومن تبعيض، قالوا: لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من فروض الكفاية؛ إذ لا يصلح كل [أحد](٣) لذلك؛ لأنَّ الجاهل ربما أمر بمنكر ونهىٰ عن المعروف، وربما عرف مذهبه وجهل مذهب غيره في ذلك الحكم فأنكره، أو زائدة فيجب

---

(١) في جـ: الألف، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: واحد، والمثبت من أ، ب.

ذلك علىٰ كل أحد حتىٰ يقوم به مَنْ فيه كفاية.

واختلف في الفاسق المتهتك، الصحيح أنَّه يلزمه؛ لأنَّ عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» (١).

وقال: «**والذي نفسي بيده [ق/ ٥٠جـ] لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله تعالىٰ أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم لتدعُنَّه، فلا يستجاب لكم**» (٢).

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾: هم اليهود والنصارىٰ، أو المبتدعة من هذه الأمة، أو الحرورية.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: ذكر هنا أراد الجمع، أو جعل البينات بمعنىٰ الدليل.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إن نصبت .

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: (كـا) ظرفًا للهم، فلا أحب الوقف علىٰ ﴿عَظِيمٌ﴾، وإن نصبته باذكر مقدرة أحببته، وكان كافيًا.

وقرئ: (تبيض وتسود) بكسر أولهما وتبياضّ وتسوادُّ، والمراد بياض وجوه المحقين يوم القيامة سرورًا ونورًا، وسواد وجوه المبطلين خزاية ودحورًا، فثَمَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٢٣٣٧٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

لمن ﴿ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: يقال تقريرًا وتوبيخًا: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾: يوم أخذ الميثاق، أو هم المنافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، أو هم أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ قبل بعثه، فلما بعث كفروا به.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: (كا) **تلخيصه**: الكافرون [معذبون][1]، والمؤمنون ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: أي: جنته، يكفي الوقف هنا إن استأنفت ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: (حس)، وإن نصبته حالًا لم يجز.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: (كا).

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾: بأن يأخذ بغير جرم.

﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾: (كا).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: (تا).

ونزل في المسلمين: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: في علم الله تعالىٰ، أو كنتم وجدتم، أو كنتم مذكورين في الأمم قبلكم بأنكم خير أمة.

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: أي: أظهرت لهم يكفي الوقف هنا إن جعلت ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾: (حس) استئنافًا، وإن جعلته خبرًا

(١) في جـ: معذبون، والمثبت من أ، ب.

ثانيًا لكنتم لم يجز.

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾: أي الإيمان.

﴿خَيْرًا لَّهُم﴾: (كا) من كفرهم.

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: كعبد الله بن سلام.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: (حس).

ولما آذىٰ اليهود المسلمين نزل ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[١]: (كا) مصدر بمعنىٰ الضرر، والاستثناء متصل، أي: لا يضرُّونكم إلا ضرًّا تتأذون به كَسَبٍّ ووعيد.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: [منهم][٢] منهزمين يكفي الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: (حس) جملة مستأفة، وليست بمعطوفة علىٰ ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾، ولو كانت معطوفة لقال: ثم لا ينصروا، إنما هي معطوفة علىٰ جملة الشرط والجزاء، تقديره: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون، و«ثم» هنا للتراخي بين الإخبارين، والاستئناف هنا يدل أنهم لا ينصرون قاتلوا أو لم يقاتلوا.

ومحل ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾: أي عهد ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: نصب حال، المعنىٰ ضربت عليهم الذلة في كل حال إلا في حال معاهدتهم، والباء متعلقة بمحذوف تقديره [متمسكين][٣] بحبل من الله، وهذا استثناء من أعم عام الأحوال [ق/ ٧٦ب].

---

(١) قال الواحدي: قَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّ رُؤُوسَ الْيَهُودِ كَعْبٌ وَبَحْرَىٰ وَالنُّعْمَانُ وَأَبُو رَافِعٍ وَأَبُو يَاسِرٍ وَابْنُ صُورِيَّا عَمَدُوا إِلَىٰ مُؤْمِنِهِمْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، فَآذَوْهُمْ لِإِسْلَامِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ.

«أسباب النزول» (ص/ ١١٨).

(٢) في جـ: منكم، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: ممسكين، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: لا [عز][(1)] لهم قط إلا المعاهدة.

﴿ٱلْمَسْكَنَةُ﴾: (كا).

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

لمَّا قال اليهود عند إسلام عبد الله بن سلام: ما آمن إلا شرارنا نزل: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ﴾: (كا) قالوا وأراه حسنًا؛ لأنَّ الضمير في ﴿لَيْسُوا۟﴾ لأهل الكتاب، وسواء نصب خبر ليس، المعنىٰ: ليس أهل الكتاب مستوين، بل منهم مؤمنون ومنهم فاسقون.

ثم ابتدأ مستأنفًا مبينًا لقوله: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ﴾ فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ﴾: مبتدأ وخبر نعت المبتدأ.

﴿قَآئِمَةٌ﴾: مستقيمة من قام العود واستقام، أو قائمة في الصلاة وطاعة الله تعالىٰ.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: أي: ساعاته جمع إنْي كنحىٰ وأنحاء، ويقال: إنا كـ«مِعًا» وأنا كـ«عصا» وإنو كـ«قنو».

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: (كا) حال من الضمير في ﴿يَتْلُونَ﴾، أو محل يتلون ويؤمنون ويأمرون وينهون ويسارعون رفع صفات قائمة، وإن شئت نصبها أحوالًا، ويتم الوقف علىٰ ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: علىٰ القراءة بالتاء خطابًا في ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ﴾: (حس) فلن تعدموا ثوابه، وعدىٰ ﴿يُكْفَرُوهُ﴾ إلىٰ مفعولين، وأصله أن يتعدىٰ إلىٰ واحد، يقال: كفر النعمة؛ لتضمنه معنىٰ الحرمان، ويكفي علىٰ

---

(١) في جـ: عزة، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾على القراءة بالياء غيبة.

﴿بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿خَٰلِدُونَ﴾: (تا).

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾: أي: الكفار على عداوة رسول الله ﷺ، أو جميع نفقاتهم.

﴿كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾: أي بردٍ مهلك أو حر.

﴿أَصَابَتۡ حَرۡثَ﴾: أي زرع.

﴿قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾: (حس) فلم ينتفعوا به، أو في الكلام حذف، تقديره: كمثل مهلكِ ريح.

تلخيصه: [نفقاتهم][1] هالكة كالذي تهلكه الريح.

﴿يَظۡلِمُونَ﴾: (تا).

ونزل نهيًا للمؤمنين عن مصافاة اليهود والمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ﴾: أي: أصفياء يلونكم وتطلعونهم على أسراركم، مأخوذ من بطانة الثوب.

ومحل ﴿مِّن دُونِكُمۡ﴾: أي: من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون، نصب صفة ﴿بِطَانَةٗ﴾.

﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾: أي لا يقصرون في أذاكم.

---

(١) في جـ: نفقاته، والمثبت من أ، ب.

﴿خَبَالًا﴾: تمييز، أو مصدر في موضع الحال، والخبال: الفساد.

ومحل ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾: (تا) حال من الضمير في ﴿يَأْلُونَكُمْ﴾ و(مَا) مصدرية، أي عنتكم، والعنت: شدة الضرر، وأصله المشقة.

﴿قَدْ بَدَتِ﴾: وقرئ: (بدا).

﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾ : للمؤمنين.

﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: لوقوعهم فيهم، واطلاع الكفار على أسرارهم.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾: من البغض لكم وعداوتكم.

﴿أَكْبَرُ﴾: (حس).

﴿تَعْقِلُونَ﴾: (تا).

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

ثم أردف النهي بالتوبيخ على مصافاة المخادعين، فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾: المؤمنون.

﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾: عداوة في الدين.

ومحل ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: أي: بجميع الكتب، وهم لا يؤمنون بكتابكم حال، وناصبها (لا يحبونكم).

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: (كا) لما يرون من ائتلافكم، ويعبر عن شدة الغيظ بعض الأنامل والبنان واليد وإن لم يكن ثَمَّ عض، والغيظ: أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من [ثوران][1] دم قلبه.

(١) في جـ: فوران، والمثبت من أ، ب.

﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾: [(كا)][(١)] اثبتوا عليه، وهو يتزايد [بكم][(٢)] إلىٰ الممات، ولو أراد الحال لماتوا من ساعتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: (تا) بما في القلوب فيجازيهم عليه، ثم أكد حالهم فقال: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ﴾: نصرة وغنيمة وما يحسن به حالكم، ولمَّا كانت الإصابة بمعنىٰ المس عطفه عليه فقال: ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾: [جدب][(٣)] وهزيمة ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾.

تلخيص الآيات: اجتنبوا مصافاة من هو بهذه الصفات.

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾: علىٰ عدواتهم ومشاق الدين.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾: الله [في محارمه][(٤)].

﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾: (كا) نصب مصدر، أي ضررًا، وهذه بشارة بالنصر مع الصبر والتقوىٰ، وتعليم لمن حزبه أمر أن [يلتجئ][(٥)] إلىٰ الله.

القراءة: بفتح الياء والتشديد وضم الضاد والراء مجزوم جواب الشرط ضره يضره، أصله يضرركم، ثم أدغم الراء في الراء، ثم ضمت الراء بعد الإدغام إتباعًا لضمة الضاد نحو مدًا، أو هو مرفوع علىٰ نية التقديم عند سيبويه، أي: لا يضركم كيدهم شيئًا إن تصبروا وتتقوا، أو علىٰ تقدير الفاء، وجعل «لا بمعني ليس»، أي: فليس يضركم، وبفتح الياء وكسر الضاد مخففًا مجزومًا من ضاره يضره ويضوره.

وقرئ: (لا يضرَّكم) بفتح الراء للساكنين تخفيفًا.

﴿مُحِيطٞ﴾: (كا).

---

(١) في جـ: تا، والمثبت من أ، ب.

(٢) زيادة من أ، ب.

(٣) في جـ : حرب، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ : ومحارمه، والمثبت من أ، ب.

(٥) في جـ : يلجأ، والمثبت من أ، ب.

ونزل لمَّا نزل المشركون بأحد، وشاور ﷺ في الخروج إلىٰ قتالهم، فأشار بعض الصحابة بالخروج، وأشار ابن أُبَيّ بترك الخروج، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، ونزل بالشِّعب من أحد يوم السبت لنصف شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل يقوم أصحابه كالقِدح، [أي](١) إن رأىٰ صدرًا خارجًا قال: تأخر، أو متأخرًا قال: تقدم، وكان نزوله في عدوة الوادي، وجعل ظهر عسكره إلىٰ أحد، وأمَّر علىٰ الرماة عبد الله بن جبير، وقال: «**انضحوهم عنا بالنبل لا يأتوننا من ورائنا**»: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: أي: من بين أهلك من المدينة(٢).

﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي تنزلهم.

﴿مَقَٰعِدَ﴾: أي: مواطن يقفون فيها.

﴿لِلْقِتَالِ﴾: (كا).

﴿عَلِيمٌ﴾: (كا): إن نصبت

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أي: تضعفا وتجبنا، والفشل: الضعف مع جبن بمضمر، وإن نصبت ﴿إِذْ هَمَّت﴾ ظرفًا [ق/ ٥١ جـ] لـ﴿تبوئ﴾، أو بدلًا من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ لم يكف، والطائفتان: بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، لأنَّه كان ﷺ قد خرج إلىٰ أُحُدٍ بألف أو تسعمائة وخمسين رجلًا، والمشركون في ثلاثة آلاف، وجعل بني سلمة وبني حارثة جناحي العسكر، فلمَّا بلغوا الشرط انخزل ابن أُبيّ بثلث الناس، فهمَّت الطائفتان بالرجوع معه فثبتهما الله تعالىٰ.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٢٠).

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾: (حس) ناصرهما ومتولي أمرهما، ودخلت الفاء في ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: (حس) لما في الكلام من معنىٰ الشرط، أي إن فشلوا، أو صعب الأمر فتوكلوا، ولمَّا لقوا المشركين ونالوا منهم دخل المسلمون المدينة منهزمين، [نزل][(١)]؛ تذكيرًا بمنة الله تعالىٰ عليهم قبل ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[(٢)]: ما بين مكة والمدينة، أو بدر اسم رجل سمي به الماء.

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ﴾: أي قليل، ولذلك جاء بجمع القلة، وليس من الذل الهوان؛ لأنَّ المسلمين كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا ببدر، أو هو من الذلة لضعفهم وقلة سلاحهم.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (كا) إن نصبت ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: بـ(اذكر) مقدرة، وإن جعلتها ظرفًا لنصركم، أو بدلًا من ﴿إِذْ هَمَّت﴾ لم يكف؛ الوقف علىٰ ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [ق/ ٧٧ب]، ثم أدخل همزة الاستفهام علىٰ النفي توبيخًا لهم علىٰ اعتقادهم أنَّهم لا ينصرون بهذا العدد، فنقلته إلىٰ الإثبات بعد اعتبار الجواب ببلىٰ، وبقي الفعل علىٰ ما كان عليه مستقبلًا فقال: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾: الإمداد: إعانة الجيش بالجيش، أو ما كان علىٰ جهة الإعانة، يقال: أمدَّه إمدادًا، وما كان علىٰ جهة الزيادة، يقال: [مده][(٣)] مدًّا، المعنىٰ: يعينكم.

﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: (حس): **القراءة**: منزلين مخففًا ومشددًا مبالغة مع فتح الزاي فيهما.

وقرئ: (منزِلين) بكسر الزاي، أي منزلين النصر.

ابن عباس[(٤)]: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر، وفيما سواه يشهدون القتال ولا يقاتلون، إنما يكونون عددًا ومددًا، وبشروا بالملائكة قبل نزولهم؛

---

(١) في جـ: فنزل، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٢١).

(٣) في جـ: أمده، والمثبت من أ، ب.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٥).

تسكينًا لجأشهم، وكان رجوع المشركين يوم أحد غضبًا لما صنع بهم يوم بدر، فلذلك قال: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ﴾: للمشركين.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾: مخالفة نبيكم.

﴿وَيَأۡتُوكُم﴾: المشركون.

﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾: أي غضبهم الذي غضبوه لبدر، وأصله الغليان والتحرك، وجميع المستعمل من تعاكيس (ف و ر) يشمله معنىٰ الحركة والاضطراب.

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: (حس) معلمين لم يرد خمسة آلاف [من الملائكة][1] غير الثلاثة المذكورة بل معها.

القراءة: بكسر الواو، أي سَوَّمُوا خيولهم، وبفتح الواو أي سَوَّمُوا نفوسهم، أو سومهم غيرهم، قال ﷺ يوم بدر: «**تَسَوَّمُوا إنَّ الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم**»[2]، ونزلت الملائكة علىٰ خيل بُلق عليهم عمائم صفر، أو بيض قد أرسلوها بين أكتافهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: أي الوعد والمدد.

﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾: أي بشارة.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٦)

والتسويم: هُوَ الْعَلامَة يُقَال: سوم فلَان فرسه؛ إِذا علمهَا بحرير أَو نَحوه، وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح / ٢٩].

﴿لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾: (كا) لتسكن بالمدد، فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، إن علقت اللام من ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾: أي: ليهلك جماعة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، و«أو» في ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: بمعنىٰ الواو، أو تفصيل، أي يقطع طرف بعض ويكبت بعضًا بأن يصيب الغيظ أكبادهم علىٰ تعاقب التاء والدال، وأصل الكبت: الإذلال والصرف عن الشيء، فقتل منهم يوم بدر سبعون، وأسر سبعون، المعنىٰ: يذلهم ويهزمهم.

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾: (كا) لم يظفروا بمرادهم بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لم تقف بينهما فإن علقته بقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: نصركم الله ببدر ﴿لِيَقْطَعَ﴾ لم تقف بينهما اختيارًا.

ونزل لما كسرت رباعيته ﷺ وشج في وجهه، وقوله: «**كيف يفلح قوم فعلوا بنَبِيِّهم هكذا**»، أو لمَّا قنت ودعا علىٰ الذين قتلوا سبعين رجلًا من أصحابه ببئر معونة.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[1]: فشيء اسم ليس، ولك الخبر، ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ حال من شَىْءٌ؛ لأنها صفة مقدمة علىٰ ﴿شَىْءٌ﴾.

وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: فيسلموا.

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾: إن لم يسلموا معطوفان علىٰ ﴿لِيَقْطَعَ﴾، أي: ليقطع أو يكبت أو يتوب أو يعذب.

﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: (تا)، فيكون ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، فلا وقف علىٰ ﴿خَآئِبِينَ﴾.

المعنىٰ: ليس بيدك من التوبة والعقوبة شيء، إن عليك إلا البلاغ، وإنَّما ذلك

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره»(٧/ ١٩٥)، وابن المنذر (١/ ٣٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

بيد الله تعالىٰ، أو نصب (يَتُوبَ) بإضمار أن تقديره إلا أن، كقولك: لألزمنك أو تعطيني حقي، أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتسر، أو يعذبهم فتشفىٰ منهم، فيكفي الوقف علىٰ ﴿خَآئِبِينَ﴾، وكذلك يكفي إن جعلت أو بمعنىٰ حتىٰ، أي ليس يؤمنون حتىٰ يتوب الله عليهم.

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: (كا).

﴿مَن يَشَآءُۚ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمٞ﴾: (تا).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾

والمراد بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا﴾: مصدر في موضع الحال من الربا.

﴿مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾: (كا) ما كانوا يفعلونه من الزيادة في المال وتأخير الطلب.

﴿تُفۡلِحُونَ﴾: (حس) أبو حنيفة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخوف آية في القرآن.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: (حس) حيث توعد المؤمنين إن لم يتقوا بعقاب الكافرين.

﴿تُرۡحَمُونَ﴾: (تا) علىٰ القراءة.

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾

---

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ٤١٤).

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾: بلا واو وكافٍ علىٰ القراءة أيضًا بالواو؛ لأنَّها عاطفة.

ومحل ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾: جر صفة ﴿جَنَّةٍ﴾، وهنا حذف تقديره عرضها مثل عرضهما، وخص العرض بالذكر؛ لأنَّه غالبا يكون أقل من الطول، [وهذا][(1)] حث علىٰ الطاعات واجتناب المحرمات سريعًا قبل الفوت، في الحديث: «**احرث لدنياك عملَ من يعيش أبدًا، واعمل لآخرتك عملَ من يموت غدًا**»[(2)].

تلخيصه: بادروا إلىٰ ما يوجب لكم المغفرة ودخول جنة في غاية السعة.

﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت مدحًا.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: أي: حال [يسرهم وعسرهم][(3)]، وإن جررته صفة للمتقين لم يتم، وهذا تحريض علىٰ الصدقة علىٰ كل حال بما أمكن قلَّت أو جلَّت.

عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، قال ﷺ: «**السخيُّ قريبٌ من الله تعالىٰ، قريبٌ من الجنة، قريبٌ من الناس، والبخيل بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الجنة، [بعيدٌ من الناس]**[(4)]**، قريبٌ من النار**»[(5)].

---

(١) في جـ: وفي هذا، والمثبت أ، ب.

(٢) لا أصل له.

(٣) في جـ: تقديم وتأخير.

(٤) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٥) أخرجه الترمذي (١٩٦١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٨٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيىٰ بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيىٰ بن سعيد، إنما يروىٰ عن يحيىٰ بن سعيد عن عائشة شيء مرسل.

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ﴾: أي: الجارعين.

﴿ٱلۡغَيۡظَ﴾: عند امتلاء نفوسهم به، وأصل الكظم: الحبس، ومنه كظم السقاء شده علىٰ ملئه، وكظم البعير إذا لم [يجتر][1].

المعنىٰ: يمسك علىٰ ما في نفسه من الغيظ، ولا يظهره، قال ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو [يقدر][2] علىٰ أن يُنْفِذَه دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوسِ الخلائقِ حتىٰ يُخَيِّرَهُ من أيِّ الحور شاء**»[3].

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾: الذين يظلمونهم، أو عن مماليكهم لسوء أدبهم، روي أنَّه ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الذين كانت أجورهم علىٰ الله؟ فلا يقوم إلا من عفا[4].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (تا) إن ابتدأت مستأنفًا بما نزل فيمن أذنب ذنبًا وطلب التوبة.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: الفحش [والفحشاء والفاحشة][5]: ما عظم قبحه، وأصله تجاوز الحد في القبح، جابر: الفاحشة: الزنا.

﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: بما دون الزنا كالقبلة، أو الفاحشة: الكبائر، وظلم النفس: الصغائر، أو الفاحشة بالفعل وظلم النفس بالقول.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: ذكروا وعيده، أو ذكروه مستغفرين تائبين، وجواب [ق/ ٤٤أ] إذا ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾: أي: لم

---

(١) في جـ: يجر، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: قادر، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه أبو داوود(٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) وابن ماجة(٤١٨٦)، وأحمد(١٥٦٧٥)، وأبو يعلىٰ (١٤٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠٣)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١٦٤٢٢) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مجاهد في «تفسيره» (ص/ ٥٩١) عن الحسن البصري مقطوعًا.

(٥) في جـ: والفاحشة والفحشاء، والمثبت من أ، ب.

يقيموا على الذنب، وأصل الإصرار: الثبات.

الحسن: إتيان العبد ذنبًا عمدًا إصرار حتى [ق/ ٧٨ب] يتوب، قال ﷺ: **«ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة»**(١).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنَّ الله يغفر الذنب، وأنَّه لا يتعاظمه ذنب؛ لأنَّ الذنوب وإن عظمت فالعفو أعظم، وإن جعلت ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: لم تقف بينهما، وإن عطفت ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟﴾ على ما قبل لم تقف على ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ووقفت على ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وتجعل ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ مبتدأ خبره.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾: (حس)، ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾: (تا) [ق/ ٥٢جـ] والمخصوص بالمدح محذوف، تلخيصه ومعناه: ونعم ثواب المطيعين ما أعد لهم، قال ﷺ: **«ما من عبد مؤمن يذنب ذنبًا، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي، ثم يستغفر الله إلا غفر له»**(٢).

عن النبي ﷺ عن الله تعالى: **«ابن آدم إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ابن آدم إنَّك إن تلقاني بقراب الأرض خطايا؛ لقيتك بقرابها مغفرة بعد ألَّا تشرك بي شيئًا، ابن آدم إنَّك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء،**

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٨) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٣٠٠٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٤٩)، وابن ماجة (١٣٩٥)، و أحمد (٢)، وابن حبان (٦٢٣)، والطيالسي (١)، وأبو يعلى (١٤).

ثم تستغفر لي [أغفره][(١)] لك»[(٢)].

ثابت البناني[(٣)]: لمَّا نزلت هذه الآية بكىٰ إبليس.

فبعد إنعامه تعالىٰ عليهم أخبرهم بأحوال من تقدمهم وأمرهم بالاعتبار بهم فقال: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: أي: طرائق بإهلاك المكذبين، ولتضمن الكلام معنىٰ الشرط دخلت الفاء في ﴿فَسِيرُواْ﴾: يجوز أن يكون من سير الأقدام ومن [سير][(٤)] الفكر، تقديره: إن [شككتم][(٥)] فسيروا.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: (تا).

﴿هَٰذَا﴾: أي القرآن.

﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: (حس).

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: لا تضعفوا عن قتال عدوكم.

﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: علىٰ ما أصابكم من قتل وجرح بأحد.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: شأنًا في الآخرة بدخول الجنة، وفي الدنيا بأن تكون الغلبة لكم، وجواب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: (حس) محذوف دل عليه ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾، أو ﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾.

تلخيصه: إن كنتم مصدقين بنصر الله تعالىٰ فلا تهنوا، أو إن كنتم مصدقين بنصر الله، فأنتم الأعلون بأن يدال لكم عليهم، ونحو هذا: أكرمك إن جئتني لابد

(١) في جـ: أغفر، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد (٢١٤٠٦)، وابن الجعد في «مسنده» (٣٤٢٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٤٦)، وفي «المعجم الأوسط» (٥٤٨٣)، وفي «المعجم الصغير» (٨٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية (٤/ ٣٠١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠).

(٤) في أ، ب: تسير، والمثبت من جـ.

(٥) في جـ: سلكتم، والمثبت من أ، ب.

لـ«إنَّ» من جواب وجوابه أكرمك المقدر دون المذكور؛ لأنَّ الجزاء لا يتقدم على الشرط وإن زعمه بعضهم، لأنَّهما كالكلمة الواحدة، وبعضهم يقول: ﴿إِن كُنتُم﴾ متعلق بـ«لا تهنوا»، أو بـ«الأعلون»، وهذا تسامح في العبارة، وإنَّما هو في الحقيقة متعلق بالمقدر، كما مثلت لأنَّ المقدر هو المراد، ولكن لمَّا دل المذكور على المقدر فكأنَّه متعلق به.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

القراءة: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: يوم أحد ضمًّا وفتحًا فيهما لغتان بمعنى [الجرح][1]، كالضُّعْف والضَّعْف، أو بالفتح الجرح، وبالضم ألمه.

وقرئ: بفتح القاف والراء كالشَّمَع والشَّمْع، وبضمهما اتباع.

﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ﴾: أي: الكافرين ببدر.

﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾: (كا) فقتل المسلمون من المشركين ببدر سبعين، وأسروا سبعين، وقتل المشركون من المسلمين بأحد سبعين وأسروا سبعين، يوضحه قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾: أي: نجعلها دولة.

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: المؤمنين والكافرين، فمرة لهم ومرة عليهم، ومنه المثل: «الحرب سجال»، ولا وقف هنا للعطف على العلة المحذوفة، تقديره: فعلنا المداولة؛ ليتعظوا.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: علمًا يتعلق به الجزاء، وهو أن يظهر منهم الفعل فيجازون عليه.

---

(١) في جـ: الجرح، والمثبت من أ، ب.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾: (كا) بأن يكرمهم بالشهادة، أو شهداء على الناس كقوله: ﴿لتكونوا شهداء علىٰ الناس﴾، ولا يتم الوقف علىٰ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) لأنَّ اللام في ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: لام «كي» معطوفة علىٰ ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾، ولأنَّ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ اعتراض بين بعض التعليل وبعض، وأصل التمحيص: تخليص الشيء من عيب فيه كالفحص، لكن الفحص تخليص [شيء][(١)] مما يختلط به وهو منفصل عنه، والتمحيص: تخليصه مما هو متصل به، ومنه محصت الذهب أزلت منه ما يشوبه.

المعنىٰ: يطهر المؤمنين من الذنوب قَتَلُوا أو قُتِلُوا.

﴿وَيَمْحَقَ﴾: أي يهلك.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (كا) **تلخيصه**: داولنا بينهم لسعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين لم يتم الوقف هنا؛ لأنَّ «أم» في ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ﴾: منقطعة بمعنىٰ «بل»، والهمزة إنكارًا.

القراءة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾: بكسر الميم للساكنين.

وقرئ: بفتحها إرادة النون الخفيفة، أي: ولمَّا يعلمن فحذفت النون وبقيت الفتحة، و«لمَّا» بمعنىٰ «لم»، إلا إن في «لمَّا» توقعًا ما، فدلت لمَّا علىٰ نفي الجهاد فيما مضىٰ، وعلىٰ توقعه فيما يستقبل.

القراءة: ﴿وَيَعْلَمَ﴾: نصب بإضمار «أن»، والواو بمعنىٰ الجمع كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أو جزم عطف علىٰ (ولمَّا يعلم الله) لكن فتحت لالتقاء الساكنين إتباعًا للام.

وقرئ: (ويعلمِ) كسرًا؛ عطفًا علىٰ (يعلم الله)، ورفعًا أي وهو يعلم.

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: (حس) في الشدائد.

---

(١) في جـ: الشيء، والمثبت من أ، ب.

ونزل لمَّا تمنىٰ جماعة من المسلمين يومًا كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا، فأراهم تعالىٰ يوم أحد ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾: **وقرئ:** (قبلُ) ضمًّا، تقديره: كنتم تمنون الموت أن تلقوه من قبل، فـ﴿أَن تَلْقَوْهُ﴾ نصب محلًّا بدل اشتمال من الموت، والمعنىٰ: تلقوا أسبابه.

وقرئ: (تلاقوه).

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾: أي: رأيتم سببه.

ثم أوضح أنَّ المراد رؤية العين بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: (تا) عيانًا أسبابه، أو محمدًا ﷺ حين خرج إلىٰ الشعب من أحد بسبعمائة، وجعل عبد الله بن خوَّات علىٰ الرجالة، وقال: أقيموا بأصل الجبل، وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، ولا تبرحوا مكانكم حتىٰ أرسل إليكم، فلا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم، فجاء المشركون علىٰ ميمنتهم خالد بن وليد، وعكرمة بن أبي جهل علىٰ ميسرتهم فقاتلوا حتىٰ حميت الحرب، فأخذ ﷺ سيفًا وقال: «**من يأخذه بحقه**»، فأخذه أبو دجانة، فاعتم بعمامة حمراء، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال ﷺ: «**إنَّها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن**» ففلق به هام المشركين، فحمل ﷺ هو وأصحابه علىٰ المشركين فهزمهم، فترك الرماة مركزهم، وجاؤوا إلىٰ المسلمين لأجل الغنيمة، فلما رأىٰ خالد ظهور المسلمين منكشفة صاح في خيله[ق/ ٧٩ب]، وحمل علىٰ المسلمين فهزمهم، ورمىٰ ابن قمئة النبي ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه، فأثقله وتفرق عنه أصحابه، وحمل ابن قمئة ليقتل النبي ﷺ، فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يومئذ، فقتله ابن قمئة، وهو يرىٰ أنه قد قتل النبي ﷺ، وصرخ صارخ: ألا إنَّ محمدًا قد قتل- قالوا: كان إبليس- فانكفأ أصحابه منهزمين، فجعل ﷺ يدعوهم: «**إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله**»، فاجتمعوا إليه، فلامهم ﷺ علىٰ هزيمتهم، فقالوا: يا رسول الله أتانا خبر سوء، فرعبت قلوبنا له فنزل توبيخًا:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[1]: وقف هنا؛ لأنَّ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: مرفوع محلًّا صفة رسول.

وقرئ: (رسول) نكرة، ولا وقف هنا لأنَّ الفاء في ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾: أي: رجعتم.

﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾: كافرين، وهذا تغليظ علىٰ المنهزمين، معلقة الجملة الشرطية بعدها بالجملة قبلها، ثم دخلت همزة الاستفهام علىٰ الفاء؛ إنكارًا عليهم؛ لأنَّ الاستفهام له صدر الكلام وإنَّ لها صدر الكلام أيضًا، وقال: قتل وإن كان لا يقتل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، لجواز قتله عند المخاطبين، يدل علىٰ ذلك أنهم لمَّا سمعوا بقتله انهزموا.

المعنىٰ: إنَّ محمدا مضىٰ من قبله رسل، وبقي أتباعهم متمسكين بدينهم لم يرتدوا بعدهم، وإنَّ محمدًا يمضي، فتمسكوا بدينه بعده، ولا ترتدوا.

تلخيصه: كونوا مثلهم.

ثم أومأ إلىٰ غناه عنهم بقوله: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: وإنَّما ضر نفسه، والله منزه عن الضرر وإنَّما هو تمثيل.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: (كا) ثم شجعهم وأعلمهم أن لا موت إلا بمشيئة الله تعالىٰ، وأن لا حذر ينجي من قدر بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾: اسم كان.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٥١٦)

﴿أَن تَمُوتَ﴾: خبرها.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي بقضائه وعلمه، واللام متعلقة بـ«كان» للتبيين، أو بمحذوف تقديره والموت لنفس، وأن تموت تبيين للمحذوف، ولمَّا كان الموت قد ينسب إلىٰ النفس بسبب ما يصدر عنها كالإقدام، أخرجه مخرج ما هو من فعل النفس، الزجاج[1]: تقديره ما كان نفس لتموت، ثم قدمت اللام.

﴿كِتَٰبًا﴾: مصدر مؤكد، أي: كتب الله الموت كتابًا.

﴿مُّؤَجَّلًا﴾: (حس) معلومًا لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: جزاء عمله من الدنيا.

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: ما قسم له.

﴿وَمَن يُرِدْ﴾: بطاعته.

﴿ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: (كا) جزاء عمله.

﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: (تا) المطيعين.

وقرئ: (يؤته، وسيجزي) بالياء فيهما، قال ﷺ: **«من كانت نيته طلب الآخرة؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له»**[2] [ق/ ٥٣جـ].

القراءة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾: بهمزة مكسورة بين الألف والنون، فلابد من المد وزن فاعل أصلها، أي التي هي بعض من كل ضمت إليها كاف التشبيه، فصارا

---

(١) انظر «معاني القرآن» (١/ ٤٧٤)

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرجه ابن ماجة (٤١٠٥)، وأحمد (٢١٦٣٠)، والدارمي (٢٢٩)، وابن حبان (٦٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٩١)، وفي «المعجم الأوسط» (٧٢٧١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٣٣٨) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

كلمة واحدة بمعنىٰ «كم» التي للتكثير، فجعلت الياء المشددة المكسورة موضع الهمزة، فصار «كيين» وزن «كَيِّعِن»، فهو الآن كعلف، لأنَّك قدمت العين واللام، ثم حذفت الياء الثانية؛ تخفيفًا، فصار وزن فيعل بدل من الياء الساكنة ألف كإبدالها في آية عند سيبويه، وأصلها أيَّه عنده كطائي، وأصله طيّئ بياءين مشددين؛ لأنَّه نسبة إلىٰ طيئ، وأصل النون تنوين، ولمَّا كثر القلب جعلت كالأصلية.

القراءة: أيضًا بهمزة مفتوحة بعد الكاف، وبياء مشددة مكسورة وزن كعين، لأنها [ق/ ٤٥أ] أي: دخلت عليها كاف التشبية فصارا كلمة واحدة بمعنىٰ «كم» للتكثير، أو أصل «أي» «أوي» مصدر أوي يأوي، أويـًا فقلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء.

و(كأين) علىٰ القراءتين مبتدأ خبره ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: إن لم تجعل ﴿رِبِّيُّونَ﴾ صفة ﴿نَّبِيٍّ﴾، وإن جعلتها صفة ﴿نَّبِيٍّ﴾ فالخبر محذوف، تقديره وكأي من نبي هذه صفته في الدنيا.

القراءة: قاتل بألف الفاعل ضمير نبي، فيكون محل ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ حالًا من ضمير قاتل، أي قاتل كائنًا معه ربيون، أو الفاعل ربيون والقراءة أيضًا قتل مجهولًا، فـ«ربيون» رفع بـ«قتل» مفعولًا، يوضح هذا ما قرئ: (قتّل) مشددًا، وهذا يدل علىٰ قتل الربيين دون النبي، الحسن وغيره(١): ما قتل نبي قط في قتال، فمعنىٰ ما وهنوا علىٰ هذا ما وهن من بقي منهم، أو الفاعل ضمير نبي، فيكون النبي عليه علىٰ هذا قد قتل ومعه الربيون، كقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ [آل عمران:١١٢].

القراءة: بكسر الراء نسبة إلىٰ الربة الجماعة.

وقرئ: بضمها لغة فيها، وبفتحها نسبة إلىٰ الرب.

القراءة: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾: بفتح الهاء.

(١) انظر: «تفسير السمعاني» (١/ ٣٦٣).

وقرئ: بكسرها وإسكانها تخفيفًا.

﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾: (كا) ما جبنوا عن قتال عدوهم، وهذا أيضًا تعريض بالمنهزمين، المعنىٰ: كثير من الأنبياء وأتباعهم كانت الدولة عليهم بالقتل والْغَلَبَةِ، فمن بقي منهم لم يستسلم لعدوه وصبروا.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: (كا) .

﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ﴾: تنصب اللام خبر كان واسمها.

القراءة: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: وقرئ: برفع اللام اسم كان الخبر، إلا إن قالوا عكس الأول.

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾: النصرة والغنيمة.

﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾: (كا) الأجر والجنة.

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (تا).

﴿خَٰسِرِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلنَّٰصِرِينَ﴾: (تا).

ونزل لمَّا عزم المشركون بعد عودهم من أحد نحو مكة علىٰ الرجوع واستئصال المسلمين، فقذف الرعب في قلوبهم فلم يرجعوا، أو قذف الرعب في قلوبهم، فارتحلوا من أحد بغير سبب[1]:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٢٥).

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: أي الخوف.

القراءة: بضم العين وسكونها، وقرئ:(سيلقي) بالياء.

﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾: بسبب إشراكهم.

﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: (كا).

﴿الظَّالِمِينَ﴾: (تا).

ونزل لمَّا قال المسلمون: كيف أصبنا وقد وعدنا بالنصر[(١)]: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بالنصر لكم؛ لأنَّ النصر كان [ق/ ٨٠ب] أولًا للمسلمين، يدل عليه قوله: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: يقتلونهم قتلًا ذريعًا.

﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته.

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: الفشل جبن مع [ضعف][(٢)]، أي: جبنتم [وضعف][(٣)] رأيكم بترك الرماة مركزهم لطلب الغنيمة.

﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي: اختلفتم في أمر النبي ﷺ للرماة بالمقام في سفح الجبل فقال بعضهم: نذهب فقد نصر أصحابنا، وقال بعضهم: نمتثل أمر النبي ﷺ ولا نبرح مكاننا.

﴿وَعَصَيْتُم﴾: النبي ﷺ بترك المركز.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٢٦).

(٢) في جـ: الضعف، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: وضعفتم، والمثبت من أ، ب.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾: من الظفر والغنيمة.

﴿مَّا تُحِبُّونَۚ﴾: (حس) وجواب إذا محذوف تقديره منعكم نصرة، أو ظهر أمركم، يدل عليه قوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾: وهم الرماة الذين تركوا المركز وطلبوا الغنيمة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾: وهم من ثبت من الرماة في المركز عبد الله بن جبير وأصحابه.

﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ﴾: (كا) فلم تستأصلوا على فعلكم لِمَا علم من ندمكم على تفريطكم.

﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: (كا)، إن نصبت

﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾: هاربين بـ«اذكر» مقدرة، وغير جائز إن نصبت إذ ظرفًا لفشلتم، أو تنازعتم.

القراءة: بضم التاء وكسر العين من أصعد في الأرض أبعد فيها.

وقرئ: (تصعدون في الوادي).

وقرئ: بفتح التاء والعين من صعد؛ ارتقى في جبل أو غيره، وكان فيهم صاعد ومصعد.

وقرئ: (تَصَعَّدُون) من تصعد في السلم.

﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: لا يعرج بعض علىٰ بعض.

وقرئ: (يصعدون) و(يلوون) بالياء فيهما.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾:أي خلفكم، يقول: إلي عباد الله، إلي عباد الله، من يكر فله الجنة.

وعطف علىٰ صدقكم ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: أي: فجازاكم.

﴿غَمَّۢا﴾: إذ هزمتم.

﴿بِغَمٍّ﴾: بسبب غم أذقتموه النبي ﷺ حين عصيتموه، أو غمًّا مضاعفًا علىٰ غم، فالأول ما نالهم من القتل والجراح والهزيمة، والثاني ما سمعوا من قتل النبي ﷺ، فأنساهم الغم الأول.

ولا زائدة في ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: من الفتح والغنيمة؛ لأنَّ المعنىٰ [غمكم][(١)] لتحزنوا مجازاة لكم علىٰ مخالفتكم النبي ﷺ بترك الموقف، أو ليست بزائدة، والمعنىٰ علىٰ نفي الحزن عنهم بالتوبة.

﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾: (كا) بعضهم الوقف علىٰ ﴿تَعْمَلُونَ﴾: (كا) ، ولا أحبه لوجود العطف وهو ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾:أي أمنًا.

وقرئ: بسكون الميم مصدرًا، أو هو المرة الواحدة من الأمن.

﴿نُّعَاسًا﴾: بدل من (أمنة)، أو عطف بيان، أو مفعول، وأمنة حال مقدمة كـ«رأيت راكبًا» رجلًا؛ لأنَّ النعاس ليس الأمنة، وإنَّما حصل الأمن.

القراءة: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: (حس) وهم المؤمنون بالياء مذكرًا ردًا إلىٰ النعاس، وبالتاء مؤنثًا ردًّا إلىٰ الأمنة .

أبو طلحة[(٢)]: غشينا النعاس بمصافنا بأحد، فجعل سيفي يسقط، وآخذه

---

(١) في جـ: أغمكم، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٢٤).

ويسقط، [وآخذه ويسقط][١] فرفعت رأسي فما رأيت من القوم أحدًا إلا وهو يميل تحت حجفته من النعاس. وحسن الوقف هنا؛ لأنَّ الواو استئنافية في ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾: مبتدأ خبره:

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: وهم المنافقون لم يكن لهم هم بأحد سوىٰ أنفسهم دون النبي ﷺ وأصحابه، وإن جعلت الواو في ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ للحال العامل فيها ﴿يَغْشَىٰ﴾ لم يجز الوقف علىٰ منكم.

ومحل ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: غير الظن الحق حال من الضمير في ﴿أَهَمَّتْهُمْ﴾.

﴿ظَنَّ﴾: مصدر، أي ظنًّا مثل ظن ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: والذي ظنوه أنَّ محمدًا ﷺ قد قتل، أو أن الله تعالىٰ لا ينصره.

﴿يَقُولُونَ﴾: للنبي عليه الصلاة والسلام.

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أي [أمر][٢] النصرة.

﴿مِن شَيْءٍ﴾: (كا) إن استأنفت الجملة بعد، وإن نصبتها حالًا من يقولون لم يجز، ومن الثانية زائدة فـ«شيء» مبتدأ خبره ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾، و(لنَا) تبيين.

القراءة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾: رفعًا مبتدأ خبره ﴿ لِلَّهِ﴾: وهما خبرا «إنَّ» ونصبا توكيدًا أو بدلًا، المعنىٰ: جميع الأمر لله وللمؤمنين؛ لأنَّ المنافقين قالوا بينهم مسارين: لو كان لنا عقول وتركنا ما خرجنا مع محمد ﷺ، ولا قُتِل رؤساؤنا، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: من قولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾: (كا) فقال تعالىٰ للنبي ﷺ؛ تكذيبًا لهم: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: (كا) مصارعهم.

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: من، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (لبُرز) بضم الباء مشددًا.

وقرئ: (القتال)، المعنىٰ: لو قعدتم في بيوتكم وفيكم من علم الله أنَّه يقتل لخرج الشخص المعلوم إلىٰ مصرعه فقتل؛ لأن معلوم الله تعالىٰ [كائن](١) حتمًا.

﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ﴾: (كا).

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

ولمَّا التقىٰ الجمعان بأحد انهزم المسلمون إلا اثنىٰ عشر رجلًا نزل توبيخًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: أي طلب زلتهم.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: بأن سول لهم ترك المركز ومخالفة النبي ﷺ.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾: (كا) بسبب ذنوب كانت منهم قبل، ولم يؤاخذهم بجميعها؛ لأنَّه تعالىٰ يعفو عن كثير، أو خدعهم الشيطان، بل ذكرهم ذنوبًا كانت منهم فكرهوا لقاء الله تعالىٰ حتىٰ يتوبوا ويقتلوا علىٰ أحسن حال، فأخروا الجهاد، فبعد توبيخهم لطف بهم وطيب قلوبهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾: (كا) بعد التوبة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: (تا) لا يعجل علىٰ العصاة؛ لأنَّه لا يخاف الفوت، ثم حذرهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: في الاعتقاد.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾: سافروا.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾: جمع غازٍ علىٰ غير قياس، وقياسه غزاة كقضاة، لكنَّه جُمِع جَمْع الصحيح كفاسق وفُسَّق.

وقرئ: (غزىٰ) بتخفيف الزاي علىٰ حذف تاء غزاة، وجمع بين كفروا وقالوا وضربوا لأنهما ماضيان بمعنىٰ الاستقبال حكاية للحال، أي: يكفرون ويقولون لإخوانهم.

تلخيصه: لا تتشبهوا بالكافرين في النطق، واعتقاد القول.

وتتعلق اللام في ﴿لِيَجۡعَلَ﴾: بمحذوف، أي: ندمهم ليُصَيِّر ﴿ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: أي: ظنهم[ق/ ٥٤ جـ] وقولهم.

﴿حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾: (كا) في الدنيا، أو في الآخرة، واللام في ﴿لِيَجۡعَلَ﴾ للعاقبة كهي في ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ﴾ [القصص/ ٨].

﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾: (كا)، **القراءة**: ﴿تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: (تا) [بالتاء والياء](١).

ثم أخبر أنهم لو ماتوا مجاهدين لكان ما أعد لهم أفضل مما جبنوا لأجله بقوله: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ﴾: **القراءة**: بضم ميم (متم)[ق/ ٨١ب]، ومتنا من مات يموت، وبكسرها من مات يمات، كخاف يخاف.

واللام ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: جواب قسم محذوف ساد مسدّ جواب الشرط.

القراءة: ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾: (كا) من حطام الدنيا [بالتاء والياء](٢) و«ما» نكرة، أو مصدرية.

تلخيصه: ما أعد [لكم](٣) أفضل من جمعكم.

---

(١) في جـ: بالياء والتاء، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بالياء والتاء، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: لهم، والمثبت من أ، ب.

﴿تُحۡشَرُونَ﴾: (كا) [فيجازيكم][1].

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾

و«ما» زائدة في ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾: لطفت بهم وسهلت أخلاقك لهم حين خالفوك.

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا﴾: أي: كريه الأخلاق.

﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾: [جافيه][2].

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾: لانصرفوا عنك.

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾: تجاوز عن فعلهم بأحد.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾: اشفع لهم حتىٰ أشفِّعك[ق/ ٤٦أ].

﴿وَشَاوِرۡهُمۡ﴾: تطييبًا لقلوبهم.

﴿فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾: أي [في أمر][3] الحرب، المعنىٰ: خذ ما عندهم من الرأي، فما عرض لك فيما ليس عندك فيه وحي، من شُرْتَ الدابة استخرجت جريها، وشُرْتَ العسل وأشرته: أخذته من مكانه.

وقرئ: (وشاورهم في بعض الأمر)، وكان ﷺ كثير المشاورة.

عن الحسن[4]: ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم.

---

(١) في جـ: فنجازيكم، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: جافيًا، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: من، والمثبت من أ، ب.

(٤) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٢٨).

﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾: على فعل بعد المشاورة ووضوح الرأي.

وقرئ: بضم التاء، أي إذا أمرتك بشيء.

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: (كا) لا على غيره وامض له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾: (كا).

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: يعينكم كيوم بدر.

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾: كيوم أحد.

وقرئ: (يخذلكم)، من أخذله؛ جعله مخذولًا.

﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾: (كا) بعد خذلانه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: وحده.

﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: (تا) قال ﷺ: «**يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب**»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[1].

ونزل في قسم الغنيمة، أو في سرقة شيء منها، أو في ستر شئ من الوحي رغبة أو رهبة ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾[2]: يقال: غل من الغنم غلولًا: خان، وأغل إغلالًا، وأصله الإخفاء، ومنه الغل: الحقد الكامن في الصدر.

القراءة: بفتح الياء وضم الغين، أي: يخون هو، وبضم الياء وفتح الغين، أي: يخان بأن يخونه غيره من أغللته: خنته، أو من أغللته: وجدته غالًا كأحمدته وجدته محمودًا، والمفعول محذوف، أي: المال.

تلخيصه: ما جاز أن يخون نبي ولا يخان؛ لأنَّ النبوة تأبى ذلك.

﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ﴾: أي: بإثمه، أو يأتي بعين ما غل يحمله على عنقه حقيقة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٨)، ومسلم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٢٦).

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: في الحديث: «**ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء، وببقرة لها خوار، وبشاة لها ثغاء، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك**»[(١)]، أو يمثل له الغلول في النار، ويؤمر بإخراجه منها، كلما أخرجه سقط فيها، ثم يؤمر بإخراجه هكذا أبدًا.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: (تا)؛ لأنَّه عادل.

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: (حس).

﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ﴾: أي: هم ذوو درجات.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: (كا) المعنىٰ: المثابون والمعاقبون متفاوتون في المنازل والجزاء يوم القيامة.

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: (تا).

ثم منَّ علىٰ المؤمنين ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: عربيًّا مثلهم ليفهموا منه [وليشرُفوا][(٢)] به، أو المراد جميع المؤمنين، فمن أنفسهم أي بالإيمان والشفقة.

وقرئ: (من أنْفَسِهم)،أي:أشرفهم، فبعث فيهم ﷺ معلمًا لهم ما يجب عليهم.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: (حس) ثم أدخل همزة الاستفهام علىٰ الواو العاطفة الجملة بعدها علىٰ محذوف فقال: ﴿أَوَلَمَّآ﴾: تقديره: أفعلتم كذا،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (١٨٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في جـ: ويشرفوا، والمثبت من أ، ب.

وقلتم حين ﴿أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾: بأُحُدٍ بقتل سبعين منكم.

﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾: ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم.

﴿قُلۡتُمۡ﴾: تعجبًا.

﴿أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾: أي كيف خذلنا ونحن المؤمنون.

﴿قُلۡ هُوَ﴾: أي الخذلان.

﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾: (كا) بسبب جنايتكم بخروجكم من المدينة وترك المركز، أو بأخذ الفداء من المشركين.

﴿قَدِيرٞ﴾: (تا).

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾

﴿وَمَآ﴾: مبتدأ، أي والذي ﴿أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: بأحد، خبره ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: أي: بعلمه وتخليته، وجاز دخول الفاء في خبر الذي؛ لأنَّ «ما» بمعنىٰ «الذي» تشبه جواب الجزاء، ولا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: عطف علىٰ ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، ولا وقف علىٰ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنَّ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾: عطف أيضًا، وتقديره فهو بإذن الله وهو ليعلم [المؤمنون][1]، وهو ليعلم [المنافقون][2]، والمعنىٰ أنَّ ما أصابهم كان بعلم الله، وليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم علىٰ ما أصابهم، وليظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم.

تلخيصه: وقع ذلك لإظهار إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء، ويعطف علىٰ

(١) في جـ: المؤمنين، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: المنافقين، والمثبت من أ، ب.

﴿نَافَقُواْۚ﴾ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: أي: لابن أبيّ وحلفائه حين انخزلوا عن أحد.

﴿تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أعداءه.

﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾: (كا) عن حرمكم وأهلكم إن لم يكن لله، أو كثّروا سواد المسلمين فهو دفع وإن لم يقاتلوا؛ لأنَّ كثرة السواد مما يرعب العدو ويكسر من حدته، فثم ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾: (كا) فأظهر الله تعالىٰ كذبهم بقوله: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾: لأنَّهم قبل ذلك لم يظهر منهم ما يدل علىٰ كفرهم، فلمَّا انخزلوا ظهر، أو المعنىٰ هم لأهل الكفر أقرب منهم لأهل الإيمان، واللام في للكفر والإيمان متعلقة بأقرب، وأقرب العامل فيهما؛ لأنهما أشبها الظرف واللام علىٰ بابها، أو بمعنىٰ «إلىٰ».

تلخيصه: يزيد قربهم إلىٰ الكفر علىٰ الإيمان، لا وقف هنا إن نصبت ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾: (كا) حالًا من الضمير في أقرب، أي: قربوا إلىٰ الكفر قائلين، وإن استأنفته وقفت وكان كافيًا.

تلخيصه: يضمرون خلاف ما يظهرون.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾: (حس) إن رفعت أو نصبت﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾: ذمًّا، وإن رفعته بدلًا من واو ﴿يَكۡتُمُونَ﴾، أو جررته بدلًا من الضمير في أفواههم أو قلوبهم [ق/ ٨٢ب] لم يحسن، وزعم بعضهم أنَّه يكفي؛ لأنَّه رأس آية، ولا أحبه للاتصال.

المعنىٰ أنَّ ابن أبيّ وأصحابه ﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: في النسب، أو سكنىٰ الدار لا في الدين وهم شهداء أحد.

﴿وَقَعَدُواْ﴾: أي: وقد قعدوا عن القتال.

﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾: وانصرفوا عن محمد.

﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾: (كا) **القراءة**: قتلوا مخففًا ومشددًا.

ثم قال لنبيه ﷺ توبيخًا وتعجيزًا لهم: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: برأيكم وحيلكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: (تا) في أنَّ الحذر ينجي من القدر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

ونزل في شهداء بدر أو أحد حمزة وأصحابه رضىٰ الله عنهم، أو غيرهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾[1]: (كا)، عنه ﷺ: **«أنَّ أرواحهم كطيرٍ خُضرٍ، في جوفِ طيرٍ خُضر، تسرحُ في الجنةِ أين شاءت»**[2].

وروي: **«تدورُ في أنهارِ الجنةِ تأكلُ من ثمارِها، ثم تأوي إلىٰ قناديلَ معلَّقة بالعرش»**[3].

القراءة: (ولا تحسبن) بالتاء خطابًا للنبي ﷺ، أو لكل أحد، وبالياء غيبة، أي لا يحسبن النبي أو غيره، وجوَّز بعضهم أن يكون الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾، والمفعول محذوف، تقديره: ولا تحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتًا.

القراءة: قتلوا هنا والحج مشددًا ومخففًا، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ «بل» في ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾: غير عاطفة علىٰ ﴿أَمْوَٰتًۢا﴾ لئلا يختل المعنىٰ؛ لأنَّه يصير التقدير لا تحسبنهم أحياء، والغرض الإعلام بحياتهم؛ ترغيبًا في الجهاد، وإنَّما هو عطف جملة علىٰ جملة، فصار في حكم الاستئناف، وأيضًا فلو عطف علىٰ أمواتًا لكان منصوبًا.

القراءة: أحياء رفعًا، أي بل هم أحياء.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) تقدم.

وقرئ: بنصبه، أي أحسبهم أحياء في الذكر، أو الدين، أو يتنعمون ويأكلون كالأحياء.

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾: لا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: من الشهادة والكرامة والفضيلة علىٰ غيرهم؛ لأنهم أحياء مقربون حال من (يرزقون)، وكذلك إن نصبت ﴿فَرِحِينَ﴾ مدحًا؛ لأنَّ الغرض الجمع بين الرزق والفرح لهم.

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: خبر مبتدأ، أي: وهم يستبشرون، ومحلها حال من ضمير (فرحين) والمراد ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: إخوانهم الذين بقوا بعدهم ولم يقتلوا، أو الذين لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم.

ومحل ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: (حس) جر بدل الذين بدل [اشتمال][1]، المعنىٰ: يفرحون يوم القيامة بسلامة إخوانهم الذين بقوا بعدهم حيث وصلوا إليهم آمنين .

تلخيصه: يفرح السابق بسلامة اللاحق ويهنئه بها.

﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

ثم كرر تأكيدًا ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾: (تا) علىٰ القراءة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: بالكسر استئناف.

أو قرئ: ﴿ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾: وغير جائز علىٰ القراءة: بالفتح عطفًا علىٰ نعمة،

(١) في جـ: الاشتمال، والمثبت من أ، ب.

أي: يستبشرون [بنعمة وبأنَّ][(١)] الله لا يضيع ﴿أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) إن نصبت أو رفعت الذين بعد مدحًا، ولا أحبه إن جررته صفة [ق/ ٥٥ جـ] للمؤمنين، قال ﷺ: «**لا يجدُ الشهيدُ ألمَ القتلِ إلا كما يجدُ أحدُكم ألمَ القَرصة**»[(٢)].

وقال: «**يأتي الشهيدُ يومَ القيامةِ وجُرحُه يثعبُ دمًا، اللونُ لونُ [الدمِ][(٣)]، والريحُ ريحُ [المسك][(٤)]**»[(٥)].

ولما انصرف أبو سفيان نحو مكة بأصحابه ندموا حيث لم يستأصلوا النبي ﷺ، [فأرادوا][(٦)] العود لذلك، فأحب ﷺ أن يرىٰ من نفسه جلدًا وقوة، فانتدب أصحابه الذي كانوا معه في القتال للخروج في طلب أبي سفيان، فخرج ﷺ بمن معه حتىٰ بلغ حمراء الأسد علىٰ ثمانية أميال من المدينة، فجبن أبو سفيان عن العود، فقال لنعيم بن مسعود الأشجعي، أو لركب مرَّ به: إذا أتيتم محمدًا فأخبروهم أنا قد أجمعنا علىٰ الكرة عليهم، فأخبروهم بذلك، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: أي: أجابوهما[(٧)].

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: (حس) إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ وصف المؤمنين، وتجعل ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾: بطاعتهم لله ورسوله ﴿مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟﴾:

---

(١) في جـ: بأنَّ، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٦٨)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٣١٦١)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٤٣٦٩) وابن ماجة (٢٨٠٢) وأحمد (٧٩٤٠) والدارمي (٢٤٠٨) وابن حبان (٤٦٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في جـ: دم، والمثبت من أ، ب.

(٤) في جـ: مسك، والمثبت من أ، ب.

(٥) أخرجه الترمذي (١٦٥٦)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٣١٤٧)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٤٣٥٥)، وأحمد (٧٣٠٠)، وأبو يعلىٰ (٦٢٦٣)، وابن المبارك في «الجهاد» (٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في جـ: فأراد، والمثبت من أ، ب.

(٧) «أسباب النزول» (ص/ ١٣١).

المعاصي خبرًا مبتدؤه ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: (حس) وإن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ مبتدأ لم تقف علىٰ (قرح)؛ لأنَّ خبره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ...﴾ إلىٰ ﴿عَظِيمٌ﴾ ومن في ﴿مِنْهُمْ﴾ تبيين نحو ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح:٢٩]؛ لأنَّ الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا إلا بعضهم، ويتم الوقف هنا إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: ابتداء، أو خبر ابتداء محذوف، وإن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ فلا أحب الوقف بينهما إلا مسامحة، والمراد بالناس: نعيم وحده، وهذا من إطلاق الكل وإرادة البعض، أو الركب.

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: وأبا سفيان وأصحابه.

﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾: ليستأصلوكم.

﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾: القول.

﴿إِيمَٰنًا﴾: يقينًا وقوة بأن [ق/ ٤٧أ] أخلصوا النية، وعزموا علىٰ الجهاد، فازدادوا إيمانًا بالإخبار كما يزداد اليقين بكثرة الحجج والمشاهدة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّه سأل النبي ﷺ أيزيد الإيمان وينقص؟ قال: «**نعم يزيد حتىٰ يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتىٰ يدخل صاحبه النار**»(١).

فثَمَّ اعتمدوا علىٰ الله تعالىٰ ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: أي: كافينا، من أحسبني الشئ كفاني، روي أنَّ الخليل صلوات الله عليه لمَّا ألقي في النار قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٢).

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٧٠) : أخرجه ابن عدي في «الكامل» وأبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أبي هريرة، وقال ابن عدي: باطل فيه محمد بن أحمد ابن حرب الملحي يتعمد الكذب، وهو عند ابن ماجه موقوف علىٰ أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء .

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وروي أن أبا سفيان كان واعد النبي ﷺ أن يلقاه ببدر الصغرىٰ، وكانت موسمًا فلمَّا كان العام القابل جبن أبو سفيان عن الذهاب إلىٰ بدر، وذهب ﷺ إليها بأصحابه رضي الله عنهم ومعهم تجارات، فكسبوا في تجارتهم ولم يلقوا عدوًا .

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾: أي: رجعوا من بدر.

﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾: بسلامة وربح.

﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾: شيء يسوؤهم.

﴿عَظِيمٍ﴾: (تا).

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾: أي القائل لكم: إنَّ الناس قد جمعوا لكم ترهيبًا، فذلكم مبتدأ خبره﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: أي: يخوفكم بأوليائه.

وقرئ: بها.

وقرئ: (يخوفكم أولياءه)، أو الكلام محمول علىٰ ظاهره، والمعنىٰ: يخوف من يتبعه؛ لأنَّه يوقعه في الورطات، فأما من يخاف الله ويتكل عليه فلا يخافه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾: أي: الشيطان وأولياءه.

﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: (كا)؛ لأنَّ الإيمان يقتضي أن يقدم خوف الله علىٰ خوف غيره.

القراءة: (وَلَا يُحۡزِنۡكَ)﴿وَلَا يَحۡزُنكَ﴾: بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه، وبفتح الياء وضم الزاي من حزنه يحزنه في كل القرآن إلا ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣] **فالقراءة:** بفتح الياء، **وقرئ:** بضمها.

ومعنىٰ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾: يقعون فيه سريعًا [ق/ ٨٣ب] بمظاهرة المشركين، والمراد كفار قريش أو المنافقون.

المعنىٰ: لا تحزن لخوف يلحقك بسبب المظاهرة عليك.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾: أي: دينه.

﴿شَيۡـٔٗاۗ﴾: بمسارعتهم إلىٰ الكفر و﴿شَيۡـٔٗاۗ﴾ نصب لوقوعه موضع المصدر، المعنىٰ: وبال كفرهم راجع إليهم.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾

(أَلِيمٌ): (كا).

القراءة: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾: بالياء غيبة الفاعل.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: والساد مسدّ المفعولين إنَّ ومعمولها، وهو﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾: أي: نمهلهم ونخليهم مع إرادتهم، من أمليت الفرس: تركته يرعىٰ كيف شاء، و«ما» بمعنىٰ الذي، أو مصدرية، أي: ولا يحسبن الكافرون أنَّ إملاءنا.

﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾: (كا) من منعهم عن إرادتهم، وبالتاء خطابًا للنبي ﷺ، فالذين كفروا المفعول الأول، والثاني أنَّ وما عملت فيه، أو أنَّ وما عملت فيه بدل اشتمال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، والجملة سدت مسد المفعولين.

القراءة: خيرٌ رفعًا، وقرئ بنصبه علىٰ «جعل لأنفسهم» خبر إنَّ، و«لهم» تبيين أو حال من «خير».

القراءة: بفتح أنَّما.

وقرئ: بكسرها جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه يسدان مسد المفعولين ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ مستأنف، و«ما» هنا كافة، وينبغي أن تكتب موصولة بخلاف الأولىٰ.

وقرئ: بكسر «إنَّما» الأولىٰ وفتح الثانية و«يحسبن» بالياء غيبة، فيكون ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾، اعتراض بين الفعل ومعموله، فيكون المعنىٰ: لا يحسبن الكافرون أنَّ إملاءنا لهم ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾: بل ليزدادوا إيمانًا.

والواو في ﴿وَلَهُمْ﴾: علىٰ القراءة للحال، تقديره: ليزادوا إثمًا معدًّا لهم.

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: (تا) قال ﷺ: «**خيرُ النَّاسِ من طالَ عُمرُه وحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طالَ عُمْرُه وساءَ عَمَلُه**»[1].

ونزل لمَّا قال المشركون للنبي ﷺ: تزعم أنَّ من خالفك في النار، ومن اتبعك في الجنة، فأخبرنا بمن يؤمن وبمن لا يؤمن: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾[2]: وهنا حذف تقديره ما كان الله مريدًا لأن يذر ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: أيها المشركون من الكفر والنفاق؛ لأنَّ الخطاب معهم، أو مع المؤمنين، أي: ما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾: أي: يبين المنافق.

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: أي: المؤمن، فبان المنافق من المؤمن يوم أحد بتخلفهم عن الغزو.

القراءة: بضم الياء مشددًا وبفتحها مخففًا لغتان، مازه يميزه كضاره يضيره،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٠)، وأحمد(٢٠٤٣١)، والطيالسي (٨٦٤)، والدارمي (٢٧٤٢)، والحاكم (١٢٥٦)، والطبراني في«المعجم الأوسط» (٥٤٤٩)، وفي «المعجم الصغير» (٨١٨) والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦٣١٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٣٢).

وميزه يميزه كقتله يقتله، والتشديد في يميز ليس للتعدية، بل للمبالغة، وأصل الميز الفصل بين المتشابهات، ومنه الميز القوة التي في الدماغ تستنبط بها المعاني، مزت بين الشيئين مخففًا، وميزت بين الأشياء مشددًا، وكذلك فرقت وفرَّقت ونحوه، أو المعنىٰ حتىٰ يخرج ما في أصلاب المؤمنين من المنافقين وبالعكس، أو حتىٰ يميز الذنب وهو خبيث من المؤمن وهو طيب بأن [يغفر][1] له.

ولمَّا كان إخبار النبي ﷺ بإخلاص المخلص ونفاق المنافق وقيام الساعة وغير ذلك يشعر بعلم الغيب نفاه عنهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: (كا) فيطلعه علىٰ ما يشاء من غيبه برسول أو إلهام أو منام.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: (كا) بأن تصدقوهم وتعلموا أنَّهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وأنهم لا يخبرون إلا عن الله تعالىٰ.

﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾

القراءة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: غيبة الفاعل.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من العلم، أو [من][2] نعت النبي ﷺ المفعول الأول ﴿هُوَ﴾: وهو ضمير البخل الثاني خيرًا.

تلخيصه: لا يحسب الباخلون البخل ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾: وبالتاء خطابًا للنبي ﷺ،

---

(١) في جـ: يغفره، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

الفاعل مضمر في (تحسبن)، وفي الكلام حذف، أي: لا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون هو خيرًا، وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه، فيكون هو فصلًا[(١)].

وقرئ: (بغير هو)، لا أحب الوقف هنا، وإن ذكره أبو حاتم ليتصل حرف العطف بالمعطوف عليه.

تلخيصه: لا تظنن البخل خيرًا لهم.

﴿بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ﴾: (كا).

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾: أي: المال الذي منعوا زكاته بأن يجعل حية تطوق في عنق مانعها﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: تنهسه من قرنه إلىٰ قدمه، وروي: «**يطوقون بشجاع أقرع**»، وروي «**بشجاع أسود**»، وروي «**بطوق من نار**»، أو نزلت في اليهود الذين كتموا نعت النبي ﷺ، أو في كتم العلم وتطويقهم به حمل وزره.

القراءة: ﴿تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: (تا) بالتاء والياء، قال اليهود عند سماعهم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾[ق/ ٥٦جـ] : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ يستقرض، أو قال لهم أبو بكر: اتقوا الله وأسلموا وأقرضوا الله قرضًا حسنًا، فقال فنحاص: إن الله فقير إذن، فلطم أبو بكر وجهه وقال: لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك، فشكاه إلىٰ النبي ﷺ وجحد مقالته فنزل:

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾[(٢)]: (حس) لاستئنافك.

﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾: من الكذب في اللوح المحفوظ، فيجازيهم عليه.

---

(١) جاء في حاشية ب: هذا فيه سهو وباطل من وجهين:

أحدهما: أنَّ الضمير المنفصل لا يكون إلا إذا لم يمكنك المتصل، وهاهنا يمكن أن يكون يحسبنه ويكون للإضمار علىٰ شريطة التفسير.

والثاني: أنَّه لو كان ضميرًا له لكان نصبًا، وهو لا يكون ضمير المنصوب.

(٢) «أسباب النزول» (ص/ ١٣٣).

القراءة: سنكتب بالياء مضمومة ورفع ﴿وَقَـتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَـآءَ بِغَـيْرِ حَـقٍّ﴾: عطف علىٰ (ما) لأنها مرفوعة.

﴿وَنَقُولُ﴾: بالياء غيبة، ولو عطفه علىٰ (سيكتب) لقال: ويقال.

وقرئ بها.

وقرئ: (سيَكتب) بالياء معلومًا، أي: الله.

القراءة: أيضًا سنكتب بالنون، ونصب ﴿وَقَـتْلَهُمُ﴾ عطف علىٰ ما، ﴿وَنَقُـولُ﴾ بالنون عطف علىٰ ﴿سَنَكْتُبُ﴾.

﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: (كا) النار فإذا ألقوا في النار يقال لهم: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي النازل بكم من العذاب.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: وفي عطفه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: (كا) علىٰ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ إيذان أنَّه عادل لا يعاقب غير المسيء، ويثيب المحسن، وظلَّام هنا مشددًا أولىٰ من ظالم؛ لأنَّ فعالًا للتكثير، والخلق كثيرون فهو نفي للظلم عن كل أحد، وأيضًا فإذا نفىٰ الظلم الكثير الذي ينتفع به كان للقليل أنفىٰ، لا أحب الوقف علىٰ ﴿أَغْنِيَـآءُ﴾ ولا علىٰ ﴿ٱلْحَرِيـقِ﴾ ولا علىٰ ﴿لِّلْعَبِيـدِ﴾ إن جررت .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ قَـالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ وإن رفعت أو نصبت ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ ذمًّا حسن الوقف علىٰ (أغنياء)، وكفىٰ علىٰ (الحريق) وعلىٰ

(العبيد)، وإن جررت ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ بدلًا من (العبيد) لم تقف على (العبيد).

المعنى: أنَّهم قالوا: أمرنا في كتبنا ﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ﴾: أي لا نصدقه [ق/ ٨٤ب].

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ﴾: **وقرئ:** (بِقُرُبان) بضمتين، المعنى: يشرع لنا تقريب قربان، وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى فهو قربان؛ لأنَّه كان إذا قرب قربان إن قبل جاءت نار بيضاء فأحرقته، وإن لم يقبل بقي مكانه.

السدي[1]: قيل لنبي إسرائيل: من جاءكم يزعم أنَّه نبي فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان ﴿تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾: (كا) إلا محمدًا وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فإذا أتيا فآمنوا بهما، فإنهما لا يأتيان بقربان.

قل يا محمد توبيخًا لهم: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي﴾: كيحيى وزكريا.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ﴾: فقتلتموهم.

﴿فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ﴾: أي: قتلهم أسلافكم.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: أي الصحف جمع زبور كرسول.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾: (كا) الواضح بباء فيهما، وبلا باء فيهما.

تلخيصه: إن كذبوك فقد كذبوا الأنبياء قبلك مع قيام المعجز، وهذا تسلية له ﷺ.

ثم بشر المؤمنين وحذر الكافرين بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾: مبتدأ، وإن كان نكرة؛ لما فيه من العموم، خبره ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾: (كا)، وأنث ذائقة على المعنى؛ لأنَّ نفس بمعنى نفوس.

وقرئ: (ذائقةٌ الموتَ) بنصب الموت مع التنوين، و(ذائقةُ الموتَ) بنصب

---

(١) «تفسير مقاتل» (١/ ١٢٣).

الموت وحذف التنوين، وأصل الذوق بالفم فيما [يقل][(١)] تناوله، فإن كثر قيل: أكل أو شرب. المعنىٰ: إنَّ النفوس تزهق بملابسة أيسر جزء من الموت.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: (كا).

﴿فَقَدْ فَازَ﴾: (حس) ظفر بالنجاة، وأصل الفوز الظفر بالخير مع [حصول][(٢)] السلامة.

تلخيصه: من دخل الجنة نجا .

ثم زهَّد في الدنيا ورغَّب في الأخرىٰ بقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: (تا) الباطل، أو الشيطان، أو جمع الغار كساجد وسجود، المعنىٰ: الانتفاع بالدنيا يسير ثم تزول عن قريب، ومع ذلك، فالاغترار بها موجود [ق/ ٤٨أ].

ابن جبير[(٣)]: هذا لمن آثرها علىٰ الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها، فإنها متاع بلاغ، في الحديث: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[(٤)].

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

ثم أخبر المؤمنين أنهم يلقون شدة من الكافرين وغيرهم فجاء بجواب القسم مؤكدًا بالنون فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: الواو لام الفعل، وحذفت واو الجمع للساكنين،

---

(١) في جـ: يقبل، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: حضور، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٤٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وبقيت الضمة قبلها تدل عليها، ولم تقلب ألفًا مع تحركها وانفتاح ما قبلها؛ لأنَّ حركتها عارضة، [ولذلك][(١)] لا يجوز قلبها همزة، وإن كانت مضمومة، المعنىٰ: لتختبرن.

﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾: بالجوائح.

﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾: بالموت والقتل ومفارقة الأهل.

﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: اليهود والنصارىٰ.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾: مشركي العرب.

﴿أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾: (كا) طعنًا في دينكم وسبًّا كسبِّ ابن الأشرف لكم ولنبيّكم، وتشبيبه بنسائكم.

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾: أي الصبر والتقوىٰ.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: (حس) من معزومات الأمور التي يعزم عليها، ويبالغ في طلبها.

القراءة: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾: أي الكتاب، أو العلم.

﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ بالياء غيبة فيهما حملًا علىٰ ما قبله وما بعده، وبالتاء خطابًا، أي فقلنا لهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾: من حطام الدنيا.

﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾: (تا) قتادة[(٢)]: هذا ميثاق أخذه الله علىٰ أهل العلم من علم شيئًا فليعلمه، وإياكم وكتم العلم، قال ﷺ: «**من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»[(٣)].

---

(١) في جـ: وكذلك، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٣/ ٨١).

(٣) أخرجه أبو داود(٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وأحمد (٧٥٦١)، والطيالسي (٢٥٣٤)، وابن حبان (٩٥)، وأبو يعلىٰ (٦٣٨٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٢٩٠) وفي «المعجم الصغير» (١٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٤٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وعن عليّ[(١)]: ما أخذ الله علىٰ أهل الجهل أن يتعلموا إلا بعد أن أخذ الله علىٰ أهل العلم أن يُعلِّموا.

وعن طاوس[(٢)]: أنه قال لوهب: أرىٰ الله سوف يعذبك علىٰ هذه الكتب، والله لو كنت نبيًّا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت الله قد عذبك.

وعن محمد بن كعب[(٣)]: لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت علىٰ علمه، ولا يحل لجاهل أن يسكت علىٰ جهله حتىٰ يسأل.

وبالجملة فلا يحل لعالم أن يكتم علمًا لغرض فاسد من مداراة لأبناء الدنيا وعون الظلمة علىٰ ظلمهم، ولا يظهره أيضًا لذلك، بل يحسن النية أظهر أو أضمر.

القراءة: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: بالياء غيبة الفاعل.

﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾: فالمفعولان محذوفان، تقديره: لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيًا لهم من العذاب، وبالتاء خطابًا للنبي ﷺ، فالذين يفرحون المفعول الأول، والثاني محذوف.

ومعنىٰ ﴿بِمَآ أَتَواْ﴾: بما فعلوا.

وقرئ بها والمراد: اعتذارهم إلىٰ النبي ﷺ عند عوده من الغزو؛ لأنَّهم كانوا يتخلفون عنه، فإذا رجع حلفوا له واعتذروا إليه.

﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ﴾: علىٰ ذلك ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾، أو أنَّه ﷺ سأل اليهود عن شيء فكتموه إياه وفرحوا بذلك، أو فرحوا بما أتوا من إضلال الناس وتغييرهم نعت النبىٰ ﷺ.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٥٣).
(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٢٢٥).
(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٢٢٥).

وقرئ: (آتوا) مدًّا أعطوا، أو المراد المنافقون.

القراءة: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾: بالياء غيبة وضم الباء الموحدة، فالفاعل ضمير الفارحين وهم المفعول الأول، والثاني ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: أي بمنجاة.

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: **تلخيصه:** لا يحسبن أنفسهم الفارحون فائزين، كقولك: أظنني أخاك، وضمت الباء لتدل علىٰ واو الجمع المحذوفة لسكونها وسكون [أول][1] المشدد، و(يحسبنهم) بدل من (لا يحسبن) إذا قرئا جميعًا بالياء غيبة، وبالتاء خطابًا للنبي ﷺ، وفتح الباء، والمفعول الأول ضمير الفارحين، الثاني بمفازة [و«تحسبنهم» بدل من «لا تحسبن» إذا قرئا جميعًا، بالتاء خطابًا][2]، والفاء في (فلا) زائدة؛ لأنها ليست بعاطفة ولا جواب، وعلىٰ قراءة الثاني بالتاء والأول بالياء لا يحسبن البدل لاختلاف فاعليهما.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا).

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ الاعتبار بعجيب الصنع وكمال القدرة وتنزيه الخالق بما روي أنَّ النبي ﷺ كان يقول إذا قام من الليل بعد أن يتسوك ثم ينظر إلىٰ السماء: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾: لدلالات على

---

(١) في جـ: الأول، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ب: كتبها، ثم ضرب عليها، وهي مثبتة في أ، جـ.

القدرة العظيمة[(١)].

﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: مدحًا أو جعلته مبتدأ محذوف الخبر، وإن جررته وصفًا أو بدلًا من (أولي الألباب) لم يتم [الوقف][(٢)].

وتنصب ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: أحوالًا، أي: يذكرونه قيامًا وقعودًا ومضطجعين[ق/ ٨٥ب].

تلخيصه: يديمون ذكره؛ لأنَّ الإنسان غالبًا يكون علىٰ هذه الأحوال، في الحديث: «**من أحب أن يرتع في رياض الجنة، فليكثر ذكر الله**»[(٣)]، أو هذا في المريض يصلي قائمًا، فإن عجز قاعدًا، فإن عجز فعلىٰ جنب، كاللحد عند الشافعي، عند أبي حنيفة يستلقي علىٰ ظهره.

ثم عطف علىٰ ﴿يَذْكُرُونَ﴾: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾: أو «يتفكرون» حال من «يذكرون»، أي: يذكرونه متفكرين[(٤)].

﴿فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وما فيهما من العجائب استدلالًا علىٰ القدرة العظيمة، والحكمة الباهرة [ق/ ٥٧جـ]، والفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشية، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكر، ويتم الوقف أيضًا علىٰ ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إن رفعت ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ﴾ مبتدأ خبره ﴿رَبَّنَا﴾:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٥٧) حديث (٣٢٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) في حاشية ب: الفكر أفضل العبادات كما قال عليه السلام: «لا عبادة كالنظر» لأنَّه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق، وعنه عليه السلام: «**بينما رجل مسنلقٍ علىٰ فراشه؛ إذ رفع رأسه فنظر إلىٰ السماء والنجوم فقال: أشهد أن لك ربًّا وخالقًا، اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له**».

وتقديره: يقولون: ربنا.

﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾: أي: الخلق، فيكون بمعنىٰ المخلوق، والإشارة إلىٰ جميع المخلوقات.

﴿بَٰطِلًا﴾: مفعول له أو حال من هذا المعنىٰ ما خلقت شيئًا إلا لحكمة، وفي الكلام معنىٰ الجزاء، تقديره: إذا نزهناك.

﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: (كا).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

ومحل ﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾: دخول تخليد نصب بـ﴿تُدْخِلِ﴾، أو رفع مبتدأ خبره ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: (كا) أهنته وفضحته والجملة خبر «إنَّ».

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: (كا).

﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: أي: محمدًا ﷺ، أو القرآن؛ لأنَّ من سمع القرآن، فكأنَّما بلغه النبي ﷺ، وجاء بمنادٍ وينادي توكيدًا وتعظيمًا لشأن منادي.

﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾: لأنَّه لا شيء أعظم من النداء إلىٰ الإيمان، ومفعول ﴿يُنَادِى﴾ محذوف، أي ينادي الناس.

﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾: أي آمنوا و﴿أَنْ﴾ تفسير، أو تقديره: بأن آمنوا.

﴿فَـَٔامَنَّا﴾: (كا).

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: (كا) اقبض نفوسنا واحشرنا في جملة النبيين والصالحين.

﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾: دعاء بمعنىٰ الخبر، تلخيصه: اغفر لنا جميع ذنوبنا لتؤتينا ما وعدتنا علىٰ ألسنة رسلك من الفضل والرحمة.

﴿لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: (كا) وتكرير (ربنا) مبالغة في التضرع والابتهال، ومؤذن [بالإجابة][(١)]، وعن الصادق: «من حزبه أمر فقال: ربنا خمس مرات، أنجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآيات»[(٢)].

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾

القراءة: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي﴾: بفتح الهمزة.

وقرئ بكسرها؛ لأنَّ الإجابة قول.

القراءة: ﴿لَآ أُضِيعُ﴾: مخففًا.

وقرئ: مشددًا، المعنىٰ لا أهمل.

﴿عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾: (كا) لاستئنافك ما نزل لمَّا قالت أم سليم: يا نبي الله ما بال الرجال ذكروا ولم يذكر النساء[(٣)].

وهو ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾: (تا) في النصرة والموالاة، أو لأنَّكم من آدم، وإن جعلت (بعضكم من) حالًا لم يكف، وهي جملة معترضة مبينة شركة النساء مع الرجال.

وتم الوقف هنا لأنَّ ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: مبتدأ.

﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾: أي: ديني وطاعتي، والمراد. المهاجرون؛ لأنَّهم أوذوا في الله، وأخرجوا من مكة.

---

(١) في جـ: بأنَّ الإجابة، والمثبت من أ، ب.
(٢) انظر: «البحر المحيط» (٣/ ٤٧٦).
(٣) «أسباب النزول» (ص/ ١٣٩).

القراءة: ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾: بتقديم الفاعل على المفعولين، وبتقديم المفعولين على الفاعل، أي: قتل بعضهم وقاتل من بقي.

والقراءة: أيضًا قتلوا مشددًا، وخبر المبتدأ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: والمتصل به وينصب.

﴿ثَوَابًا﴾: مصدر مؤكد؛ لأنَّ تكفير السيآت ثواب، تقديره لأثيبنكم ثوابًا.

﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾: لمَّا قال بعض المؤمنين: إنَّ أعداء الله في التجارات والخير، ونحن في الشدة نزل خطابًا له ﷺ والمراد غيره: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ﴾: أي: تنقل.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: (كا) بالتجارات ووجوه المكاسب، و﴿مَتَٰعٌ﴾ بعد خبر مبتدأ محذوف، أي فتقلبهم.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: بلغة يسيرة في الدنيا.

﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾: (كا).

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: (كا) .

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

القراءة: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ﴾: بتخفيف ﴿لَٰكِنِ﴾.

وقرئ: بتشديدها وأعمالها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حال من لهم وتنصب ﴿نُزُلٗا﴾: أي: جزاءًا وثوابًا مصدرًا، أو

حالًا من ﴿جَنَّٰتٌ﴾.

وقرئ: بسكون الزاي لغتان، وهو ما يعدّ للنازل.

﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾: (كا).

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾: (تا) من متاع الدنيا.

ونزل في [مؤمني][(١)] أهل الكتاب كعبد الله بن سلام: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: أي: القرآن[(٢)].

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾: أي: التوراة.

﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾: أي [متواضعين][(٣)] له حال من ضمير ﴿يُؤۡمِنُ﴾، وجمع خاشعين نظرًا إلىٰ معنىٰ «من».

﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: المكتوبة في التوراة من نعت النبي ﷺ.

﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾: (حس) من حطام الدنيا؛ خوفًا علىٰ الرئاسة، كفعل غيرهم من اليهود.

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾: (كا).

﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: (تا)؛ لأنَّه تعالىٰ قادر لا يحتاج إلىٰ كتب يد، ولا وعي صدر.

---

(١) في جـ: مؤمن، والمثبت من أ، ب.

(٢) قال الواحدي في «أسباب النزول» (ص/ ١٤٠) : قال جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة: نزلت في النجاشي، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«اخرجوا فصلوا علىٰ أخ لكم مات بغير أرضكم»**، فقالوا: ومن هو؟ فقال: **«النجاشي»**، فخرج رسول الله ﷺ إلىٰ البقيع وكشف له من المدينة إلىٰ أرض الحبشة،
فأبصر سرير النجاشي وصلىٰ عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لأصحابه: **«استغفروا له»**، فقال المنافقون: انظروا إلىٰ هذا يصلي علىٰ علج حبشي نصراني لم يره قط وليس علىٰ دينه، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

(٣) في جـ: بالمتواضعين، والمثبت من أ، ب.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾: علىٰ دينكم، فلا تتركوه لشدة ولا رخاء، أو علىٰ طاعة الله وعن معصيته، أو علىٰ الجهاد والبلاء.

﴿وَصَابِرُواْ﴾: أي: غالبوا الكفار بالصبر، فلا يكونوا أشد صبرًا منكم.

﴿وَرَابِطُواْ﴾: أي: أقيموا واثبتوا في الثغور رابطين خيولكم، وأصل الربط: الشد، ويستعمل لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه، وإن لم يكن ثَمَّ خيل، قال ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد والغدوة خير من الدنيا وما عليها**»[(١)].

أبو سلمة[(٢)]: لم يكن في زمان رسول الله ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (تا)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٤)، وابن المنذر في تفسيره» (٢/ ٥٤٤).

(٣) في حاشية ب: عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانًا علىٰ جسر جهنم**».

وعنه: «**من قرأ السورة التي يُذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلىٰ الله عليه وملائكته حتىٰ تغيب الشمس**».

سورة (النساء)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾

ولمَّا كانت التقوىٰ ملاك الأمر وعمود الدين أمر تعالىٰ بني آدم بها مشيرًا إلىٰ منَّته عليهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾، ومحل ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: أي: آدم نصب بـ﴿خَلَقَكُم﴾، وتعطف.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: أي: حواء؛ لأنَّها [خلقت][1] من قصيراه علىٰ خلقكم.

تلخيصه: خلقكم من آدم، وخلق من آدم حواء، وأُخِّرت في الذكر وإن كانت مقدمة في الخلق لأنَّ الواو لا ترتب.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾: نعت لـ (رجالًا)، ولم يؤنثه؛ حملًا علىٰ المعنىٰ؛ لأنَّ رجالًا بمعنىٰ عدد.

﴿وَنِسَآءً﴾: (تا) ولم يقل كثيرًا؛ لأنَّ نساء جمع كثرة[ق/ ٨٦ب]، أو اكتفي بذكر الرجل؛ لأنَّهم في مقابلتهن.

وقرئ: و(خالق) و(باث) رفعًا اسم فاعل، ورفعًا خبر مبتدأ.

ولمَّا كانت هذه المذكورات دالة علىٰ وجوب التقوىٰ؛ لأنَّ مَنْ يكون كذلك

---

(١) سقط من جـ والمثبت من أ، ب.

يجب تقواه وعبادته أمر بتقواه ثانيًا مصرحًا باسمه عاطفًا على الأول فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾: أي تقسمون.

القراءة: بالتشديد أصله «تتسألون» أدغمت التاء في السين بعد إبدالها سينًا لقرب التاء من السين للهمس، وبالتخفيف على حذف إحدى التاءين تخفيفًا؛ لأنَّ السين مشاركة للتاء في الهمس، فكأنه جمع [ما][١] بين ثلاث تاءات.

والقراءة: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾: (كا) جرًا عطفًا على الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، وأباه البصري وأجازه الكوفي، أو قسمًا من الله تعالى؛ لأنَّهم كثيرًا كانوا يقسمون ويتناشدُون بالله والرحم، والقسم أولى للخروج من الخلاف، ولأنَّه تعالى أمر بالتقوى، ثم أقسم أنَّه على كل شيء رقيب؛ ليخشى ويداوم على التقوى، وأقسم بالأرحام؛ تشريفًا وتنبيهًا أنَّ صلتها من التقوى، وأنَّ حقيقة الأرحام هي سبب وجود من يوجد منه التقوى، ونصبًا مفعولًا، أي: اتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو عطفًا على محل الجار والمجرور كمررت بزيد وعمرًا.

وقرئ: (تسألون به وبالأرحام).

وقرئ: (والأرحام) رفعًا مبتدأ محذوف الخبر، أي والأرحام مما [يتساءل][٢] بها، وإن جعلت ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ قسمًا لم تقف عليهما؛ لأنَّ جوابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾: (حس) ونزل فيمن أخذ مال يتيمة: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾[٣]: أي: احفظوها ولا تتعرضوا لها، وسلموها إليهم وقت استحقاقهم تسليمها إليهم.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾: أي: الحرام.

﴿بِٱلطَّيِّبِۖ﴾: بالحلال؛ لأنَّهم كانوا يأخذون الجيد من مال اليتيم، وهو خبيث

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

(٢) في جـ: يسأل، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٤٢).

في حقهم، ويضعون مكانه الرديء من أموالهم وهو طيب لهم، أو كانوا لا يورثون النساء والصبيان فيأخذ الأكبر جميع الميراث، فنصيبه طيب له، وما يأخذه من مال غيره خبيث له.

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ﴾: أي: لا تضموها إليها في الإنفاق و«إلى» متعلقة بمحذوف، وهو في موضع الحال، أي: مضافة إلى أموالكم، وإذا أكل مال اليتيم وله مال كان أشد قبحًا.

﴿إِنَّهُۥ﴾: أي الأكل.

﴿كَانَ حُوبًا﴾: إثمًا، أو قتلًا.

﴿كَبِيرًا﴾: (حس) عظيمًا.

وقرئ: بفتح الحاء مصدر حاب يحوب أَثِم وحابًا كقال قولًا وقالًا.

ولمَّا نزلت هذه الآية تحرجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم من تحته العشر من الأزواج، أو الثماني فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن، فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾:أي تعدلوا[1].

﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: من أقسط يقسط عدل.

وقرئ: بفتح التاء من قسط يقسط جار، فتكون «لا» زائدة وجواب الشرط ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ﴾: ما حل.

﴿لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: و«ما» بمعنى من أو ما تكون من صفات العقلاء، والنساء من العقلاء، و(من) تبعيض؛ لأنَّ منهن من لا تحل.

المعنى: كما تحرجتم من ولاية اليتامى فتحرجوا من كثرة التزويج مخافة الجور، أو كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى، فقيل لهم: إن خفتم الجور في اليتامى، فخافوا الزنا فانكحوا، أو كان الرجل يتزوج اليتيمة تحت

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٤٢).

حجره إن كانت جميلة ذات المال، فإن كانت ذميمة فقيرة رغب عنها، وربما اجتمع عشر نسوة منهن عنده، فنهوا عن ذلك، واليتامىٰ يقع علىٰ الذكر والأنثىٰ واحده يتيم ويتيمة، وهو من لا أب له من الناس، ومن غيرهم من لا أمَّ له(١)، ثم بيَّن المباح من النساء، فقال: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: لا تنصرف هذه الأعداد [ق/ ٥٨ جـ] كذلك إلىٰ عشار، وقد جاء في الشعر؛ لأنَّ فيها عدلين عدل عن تكريرها وعدل عن صيغها، أو للعدل والوصف، وهي نكرات؛ لأنَّه لا يدخلها لام التعريف، لأنك تقول: المثنىٰ والثلاث والرباع، ومحلها نصب بدل من ما، أو حال من النساء، وزعم بعضهم أنَّه حال من ﴿مَا طَابَ﴾،والواو للتخيير، وليست للعطف المهيئ للجمع في زمان واحد، ولو كان كذلك لجاز الجمع بين تسع نسوة، وذلك غير جائز وإن أجازه أهل الظاهر؛ لأنَّ التسع من خصائص النبي ﷺ؛ ولأنَّه ﷺ نهىٰ عن تزويج أكثر من أربع، ولجاز له بأن يتزوج بما شاء؛ لأنك إذا قلت: جاء القوم مثنىٰ وثلاث ورباع لم يقتض حصرهم في هذا العدد، بل يجوز أن يكونوا في غاية الكثرة، جاءوا مثنىٰ وثلاث ورباع، وقال به بعضهم، وجوز بعضهم الزواج بثماني عشرة امرأة.

وقرئ: «ثلث وربع» مختصر من «ثلاث ورباع»، المعنىٰ: تزوجوا إن شئتم مثنىٰ، وإن شئتم ثلاث، وإن شئتم رباع.

تلخيصه: أنتم مخيّرون في ذلك.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾: فيهن وبينهن في النفقة والقسم.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ

---

(١) جاء في حاشية أ، ب: في هذه الآية حجة لمن يجوز نكاح الصغير والصغيرة لغير الأب والجد؛ لأنَّ الولي الذي يجوز له نكاحها هو ابن العم وإذا جاز أن يتزوجها صغيرة جاز أن يتزوجها غيره، ولم يجوّز نكاح الثيب الصغيرة.

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾

﴿فَوَٰحِدَةً﴾: أي فانكحوا واحدة.

وقرئ: (فواحدة) رفعًا خبر مبتدأ، أي فالمقنع واحدة.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: من السراري؛ لأنَّها لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، و﴿مَا﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ بمعنىٰ من وقرئ: بها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الواحدة والسراري.

﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أي أقرب.

﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: أي: تجوروا في النفقة والقسم بينهن، أو ألَّا تجاوزوا ما فرض عليكم، وأصل العول المجاوزة.

الشافعىٰ: أن [لا](1) يكثر عيالكم، وأخذ عليه هذا القول، قالوا: إنما يقال: من كثرت العيال [أعال](2) يعيل إعالة كثر عياله، أبو [حاتم](3): الشافعي أعلم بلغة العرب منَّا، فلعلها لغة(4).

---

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: عال، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: حامد، والمثبت من أ، ب.

(٤) هذا ليس قول الشافعي وحده ، وإنما قال به جماعة من السلف ، منهم : زيد بن أسلم وابن زيد ، كما قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٨) ، قال : وقالت فرقة منهم زيد بن أسلم وابن زيد والشافعي: معناه: ذلك أدنىٰ ألا يكثر عيالكم، وحكىٰ ابن الأعرابي أن العرب تقول: عال الرجل يعول إذا كثر عياله، وقدح في هذا الزجاج وغيره، بأن الله قد أباح كثرة السراري، وفي ذلك تكثير العيال، فكيف يكون أقرب إلىٰ أن لا يكثر.
قال القاضي أبو محمد: وهذا القدح غير صحيح، لأن السراري إنما هن مال يتصرف فيه بالبيع، وإنما العيال الفادح الحرائر ذوات الحقوق الواجبة.

وروي أنها لغة حمير، ويجوز أنَّ الشافعي نظر إلىٰ السبب الموجب للجور والمجاوزة، وذلك يقع غالبًا بكثرة العيال، فيكون من باب الكناية والواحدة يكون العيال منها أقل من الجماعة غالبًا، وكذلك السراري؛ لأنَّه يجوز له العزل منهن بغير إذنهن.

ويعضد الشافعيٰ ما قرئ: «تعيلوا» بضم الياء وكسر العين: من أعال؛ كثر عياله، ومما يؤكد ما ذكرت، أنَّه يغلب علىٰ الظن أنَّ الشافعي ما كان يجهل الفرق بين عال إذا زاد وجار، وبين أعال كثر عياله؛ لأنَّ هذا ليس من خفي العلم حتىٰ يظن به ذلك، وأيضًا فجميع المستعمل من ع و ل وتعكيسه يشمله معنىٰ الزيادة.

ثم أمر الأزواج بإيتاء مهور نسائهم أو أمر الأولياء؛ لأنَّهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ولا يعطونهن شيئا فقال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: أي: مهورهن جمع صدقة.

﴿نِحۡلَةٗ﴾: عطية عن طيب نفس مصدر؛ لأنَّ النحلة والإيتاء واحد [ق/ ٨٧ب]، أو مصدر في موضع الحال من المخاطبين أي: ناحلين، أو من النساء، أو من الصدقات،أي منحولات قال ﷺ: «**أحق الشروط أن توفوا بما استحللتم به الفروج**»[(١)].

روي أنَّ ناسًا كانوا يتأثمون أن يأخذوا مما أعطوا لنسائهم شيئًا فنزل ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ﴾:أي من المال؛ لأنَّ الصدقات مال.

﴿نَفۡسٗا﴾: نصب تمييز؛ لأنَّ نفسًا في معنىٰ الجنس، فهو كعشرين درهما، و«من» هنا للجنس بدليل جواز قبول الرجل جميع [الصداق][(٢)]، كقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠] إلا عند [الليث][(٣)]بن سعد،فإنَّه لا يجوز أن تتبرع

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٢) ، ومسلم (١٤١٨) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) في جـ: الصدقات، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: ليث، والمثبت من أ، ب.

المرأة إلا بالشيء اليسير، قالوا: فإن وهبت شيئًا ثم طلبته عُلم أنها لم تطب نفسًا به، وتعليقه الشرط بطيب النفس مؤذن بالاحتياط في قبول ما تهبه المرأة.

تلخيصه: إذا وهبتم شيئًا ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾: طيبًا.

﴿مَّرِيٓـًٔا﴾: (كا) سائغًا لا ينغصه شيء «فعيل» بمعنىٰ «مفعل»، ومنه المرئ في الحلقوم لمرور الطعام فيه، ونصبهما صفة مصدر محذوف،أي: أكلًا هنيئًا مريًا، أو حال من الضمير في كلوه، أي: كلوه وهو هنيء مريء، وأصلهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين، أي: هناء ومراء والمراد المبالغة في الإباحة وإزالة التبعة، يقال: أمرأني الشئ، فإذا قلت: هنأني ومرأني تهمزهما، ولم تأت بألف في أول مرأني تبعًا لهنأني، وربما وقف بعضهم علىٰ (فكلوه) ويبدأ ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ دعاء.

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾:أي: المبذرين من الرجال والنساء والصبيان.

﴿أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي﴾: وقرئ: (اللاتي) ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾.

القراءة: ﴿قِيَٰمًا﴾: مصدر قام،أي يقيمكم لطلبها والانتفاع قيامًا وقيمًا جمع قيمة كديمة وديم، فهي قيمة لأمتعتكم ومعاشكم، ولو كان مصدرًا لم يعتل كالحول، أو هو مصدر بمعنىٰ القيام كقولهم عوذًا بمعنىٰ عياذًا.

وقرئ: (قَوَامًا)، وهو ما يقام به الشيء، قالوا:وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن.

وعن بعضهم: اكتسبوا المال، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه.

المعنىٰ: احفظوا أموالكم عن السفهاء.

﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا﴾: أي: اجعلوا لهم فيها رزقًا، «أو» في معنىٰ «من».

﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: (حس) عدوهم عدة جميلة بأن يقول: إن ربحت أو غنمت أعطيتك، هذا إذا لم يكن ممن تلزم نفقته.

﴿وَٱبۡتَلُواْ﴾: أي: اختبروا.

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: في عقولهم وتصرفاتهم في أموالهم، والقيام عليها قبل البلوغ.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: هنا غاية جيء بها ليبتدأ بعدها الكلام، وما بعدها جملة شرطية؛ لأنَّ في ﴿إِذَا﴾: معنىٰ الشرط وفعل الشرط ﴿بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾:أي: صاروا أهلًا إن يَنْكحوا أو يُنكَحوا.

وجواب: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم﴾: أي أبصرتم.

وقرئ: (أحستم) بمعنىٰ أحسستم.

﴿مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾: هداية إلىٰ مصالحهم في دينهم ودنياهم.

وقرئ: (رشدًا) بفتحتين وضمتين.

﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾: و﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم﴾وجوابها جواب «إذا»، والعامل في إذا ما في الجواب من معنىٰ الفعل، والمعنىٰ: وابتلوا اليتامىٰ إلىٰ وقت بلوغهم واستحقاق أخذ [مالهم](١) بشرط إيناس رشدهم فادفعوها إليهم.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ﴾: أيها الأوصياء[ق/ ٥٠أ].

﴿إِسۡرَافٗا﴾: بغير حق.

﴿وَبِدَارًا﴾: إسراعًا وهما مصدران في موضع الحال،أي: مسرفين ومبادرين، أو مفعول له،أي لإسرافكم ومبادرتكم.

﴿أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾: (حس) أي: يستحقوا أخذها، ومحل ﴿أَن يَكۡبَرُواْ﴾ نصب مفعول ﴿بِدَارًا﴾.

تلخيصه: لا تفرطوا في أموالهم مسرعين قبل أخذهم إياها منكم.

ثم بيَّن حال الأوصياء فقال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾:أي: ليطلب العفة من نفسه ويمتنع عن أكلها اغتناءًا بماله.

---

(١) في جـ: أموالهم، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: (كا) بما عرف شرعًا، قال رجل: يا رسول الله إني فقير ولي يتيم، فقال: «**كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل**»[1]، فإن أكل عند الضرورة يغرم عند بعضهم، وعند بعضهم لا يغرم.

عن عمر بن الخطاب[2]: أنزلت نفسي من مال الله منزلة [ولي][3] اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وإذا أيسرت قضيت.

﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾: عند دفع أموالهم إليهم أنهم تسلموها، وبرئت ذممكم منها لتزول التهمة.

﴿وَكَفَىٰ﴾: الاكتفاء.

﴿بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: (كا) كافيًا نصب حال أو تمييز، أو الفاعل الله والباء زائدة.

كانوا لا يورثون النساء والصبيان، فتوفي أوس بن ثابت الأنصاري، وترك امرأته أم كحة وثلاث بنات، فأخذ سويد وعرفجة ابنا عمه، ووصياه جميع تركته فنزل:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (٣٦٦٨)، وفي «الكبرى» (٦٤٩٥)، وابن ماجة (٢٧١٨)، وأحمد (٧٠٢٢)، وابن حبان (٤٢٤٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٢٤٤٩) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٧٤).

(٣) في ب: والي، والمثبت من أ، جـ.

﴿لِّلرِّجَالِ﴾: أي للذكور من أولاد الميت[1].

﴿نَصِيبٌ﴾: أي: حظ.

﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: هم المتوارثون من ذوي[القربات][2] دون غيرهم.

﴿وَلِلنِّسَآءِ﴾: أي الوارثات منهن: ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾.

وقوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾: أي من المال.

﴿أَوْ كَثُرَ﴾: بدل مما ترك.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: حظًا مقطوعًا بوجوب تسليمه إليهم، ونصبه حال من الفاعل في(قل أو كثر)، أو باضمار فعل.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾: أي: قسمة الميراث.

﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: للميت ممن لا يرث.

﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: أعطوهم من المال المقسوم قبل القسمة، وهذا لفظ يقتضي الوجوب لكنه منسوخ بآية الميراث[3]، وهو أمر ندب عند بعضهم يدل عليه أنه

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٤٤).

(٢) في جـ: القرابات، والمثبت من أ، ب.

(٣) قال النحاس: للعلماء فيها ثلاثة أقوال: فمنهم من قال: إنها منسوخة ومنهم من قال: هي محكمة واجبة ومنهم من قال: هي محكمة على الندب والترغيب والحض، فممن روي عنه أنها منسوخة ابن عباس، وسعيد بن المسيب كما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص، عن يوسف بن موسى، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا إسماعيل بن مسلم، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨] قال: «نسخها ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]».

وحدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمة، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، أن ابن المسيب، قال في قول الله جل وعز: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ =

ﱡﭐ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ ﱠ [النساء: ٨] قال: «نسخها الميراث والوصية».
وقال بأنها منسوخة أبو مالك، وعكرمة، والضحاك.

وممن قال: إنها محكمة وتؤول قوله علىٰ الندب عبيدة، وعروة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والحسن، والزهري، والشعبي، ويحيىٰ بن يعمر وهو مروي عن ابن عباس قال أبو جعفر كما حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، قال حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، ﱡﭐ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ ﱠ قال: «أمر الله جل وعز المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصية فإن لم تكن وصية وصل لهم من الميراث».

قال أبو جعفر: فهذا أحسن ما قيل في الآية أن تكون علىٰ الندب والترغيب في فعل الخير والشكر لله تعالىٰ فأمر الله جل وعز الذين فرض لهم الميراث إذا حضروا القسمة وحضر معهم من لا يرث من الأقرباء واليتامىٰ والمساكين أن يرزقوهم شكرا لله تعالىٰ علىٰ ما فرض لهم.

وقد زعم بعض أهل النظر أنه لا يجوز أن يكون هاهنا نسخ؛ لأن الذي يقول إنها منسوخة لا يخلو أمره من إحدىٰ جهتين: إما أن تكون كانت ندبا ثم نسخت وهذا محال: لأن الندب إلىٰ الخير لا ينسخ؛ لأن نسخه لا تفعلوا الخير وهذا محال، أو تكون كانت واجبة فنسخت، وهذا أيضا لا يكون لأن قائله يقول: إنه كان إذا حضر أولو القربىٰ واليتامىٰ والمساكين أعطوهم ولم يعطوا العصبة، فنسخ ذلك بالفرض وهذا لم يعرف قط في جاهلية ولا إسلام.

وأيضا، فإن الآية إذا ثبتت فلا يقال فيها منسوخة إلا أن ينفىٰ حكمها علىٰ أنه قد روي عن ابن عباس، رواه عنه القاسم بن محمد أنه قال هذا مخاطبة للموصي نفسه، وكذا قال ابن زيد قيل للموصي: أوص لذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين، واستدل علىٰ هذا بأن بعده ﱡﭐ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﱠ [النساء: ٥] أي: إن لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرا وهذا القول اختيار محمد بن جرير.

فأما القول الثالث وهو أن تكون محكمة واجبة، كما حدثنا جعفر بن مجاشع، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا عبيد الله، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ﱡﭐ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ ﱠ قال: «هي واجبة عند قسمة الميراث ما طابت به أنفسهم».

قال أبو جعفر: فهذا مجاهد يقول بإيجابها بالإسناد الذي لا تدفع صحته وهذا خلاف ما=

ليس بمعين، ولو كان الإعطاء لهم فرضًا لكان معيَّنًا كأصحاب الفروض بعضهم إن كانوا كبارًا أعطوهم بأنفسهم، وإن كانوا صغارًا اعتذر إليهم الولي فيقول: إني لا أملك هذا المال وهو للصغار، ولو كان لي لأعطيتكم منه وإن يكبروا فسيعرفون حقَّكم وهذا معنىٰ قوله: ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: (تا)، ثم حض علىٰ الشفقة علىٰ الأيتام فقال: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ﴾: وصلة الذين ﴿لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي بعدهم.

﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾: أولادًا صغارًا.

وقرئ: (ضُعافیٰ) و(ضَعافیٰ) كسكاریٰ وسكاریٰ.

﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾: (حس) الفقر.

﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في أمرهم الميت.

﴿وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: (تا) صوابًا بأن [يأمروه][1] بالتصدق بدون الثلث، وبترك الباقي لولده، ويرفق باليتيم كما يرفق بولده.

تلخيصه: يفعل بالميت، كما يجب أن يفعل به لو كان هو الميت[ق/ ٨٨ب].

ونزل في آكل مال اليتيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾: بغير حق، ونصبه مصدر في موضع الحال، أو مفعول له.

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: أي: ملء بطونهم.

= روي عنه عن ابن عباس غير أن هذا الإسناد أصح.

أخبرنا أبو جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمة، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، والزهري، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨] قالا: «هي محكمة ما طابت به أنفسهم عند أهل الميراث»، وأكثر العلماء علىٰ هذا القول وقد بينا صحته والصحيح في الآية الرابعة والخامسة أنهما منسوختان.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٣٠٣-٣٠٥).

(١) في جـ: يأمرونه، والمثبت من أ، ب.

﴿نَارًا﴾: (كا) يقال أكل في بطنه وفي بعض بطنه[ق/ ٥٩ جـ] إذا ملء كقوله[(١)]:

كُلُوا في بعضِ بطنكم تَعِفُّوا فإن زمانكم زمنٌ خميصُ

والمعنىٰ: أكل ما يجره إلىٰ النار أو يصير نارًا في بطونهم يوم القيامة، أو في بطونهم حال من النار،أي: نارًا كائنة في بطونهم، روي أنَّه يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره وفيه وأنفه وأذنيه، فيعرف الناس أنه آكل مال اليتيم.

القراءة: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: (تا) بضم الياء مجهولًا أي [يدخلون][(٢)] نارًا مسعرة، وبفتح الياء من صلىٰ النار يصلاها إذا [حلها وقاساها][(٣)].

وقرئ: بضم الياء مشددًا مجهولًا، كانوا لا يورثون إلا الرجال، فنسخ ذلك بقوله:﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾والحليف، فنسخ بالهجرة وبقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال:٧٢]، ثم نسخ جميع ذلك، وبقيت الوراثة بنسب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٥]،ونكاح لقوله:﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ...﴾ الآية، وولاء لقوله ﷺ:«**إنما الولاء لمن أعتق**»[(٤)].

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

ومعنىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ﴾: يأمركم ويعهد إليكم في شأن أولادكم

(١) انظر: «كتاب سيبويه» (١/ ١٠٨)، و«خزانة الأدب» (٣/ ٣٧٩).

(٢) في جـ: يدخل، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: أدخلها، والمثبت من أ، ب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤)، ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بما هو الأصلح، هذا إجمال تفصيله ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾: (كا) إذا اجتمع مع الإناث، وإلا فالذكر عصبة منفردًا وللواحدة النصف منفردة وبدأ بالذكر تفضيلًا له، وجعل له مثلي حظ الأنثىٰ [لأنَّها][1] من تزوجها قام بها.

وقوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾: دليل علىٰ استحقاق البنتين الثلين؛ لأنَّه جعل حكم الأنثيين حكم الذكر، والذكر يحوز الثلثين مع الواحدة، فالأنثيان كذلك يحوزان الثلين عند عدمه، وأيضًا فالبنتان أمس رحمًا من الأختين، فأوجبوا لهما ما أوجب الله تعالىٰ (للأختين)؛ لئلا يقصر بهما عنهما مع قرب رحمهما، ولأنَّه إذا وجب للبنت الثلث مع أخيها كان أولىٰ أن يجب لها مع أختها، فثبت بهذا أنَّ للبنتين [الثلثين][2] ثم جاء بما يدل علىٰ وجوب الثلين لجماعة البنات وإن كثرن فقال: ﴿فَإِن كُنَّ﴾: أي المتروكات.

﴿نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾: أي جماعة.

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾: (كا) الميت وإن لم يجر له ذكر؛ لأنَّه معلوم، وابن عباس لا يعطىٰ البنتين إلا النصف لظاهر الآية[3].

القراءة: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾: نصبًا أي: كانت الوارثة واحدة، ورفعًا علىٰ أنَّ كان تامة.

﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ﴾: (حس) والواو استئنافية في قوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾: وتبدل من لأبويه بتكرير العامل.

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾: فالسدس مبتدأ خبره ﴿لِأَبَوَيْهِ﴾، والبدل متوسط بينهما للبيان.

﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ﴾: (كا) وفائدة البدل نفي توهم اشتراكها في السدس،

---

(١) في جـ: لأنَّه، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: ثلثين، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٣).

فلولا البدل لكان تقديره لأبويه السدس، فكان يوهم أنهما يشتركان فيه.

المعنىٰ: يكون لكل واحد من أبوي الميت سدس جميع الميراث عند وجود الولد وولد الابن، فالولد يقع علىٰ الذكر والأنثىٰ، ويكون الأب صاحب فرض إن كان الولد ذكرًا، وصاحب فرض وتعصيب إن كان أنثىٰ.

وقرئ: بفتح نون النصف وضمها، وبتخفيف السدس والثلث والربع والثمن.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾: حسب.

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾: (كا) من جميع الميراث إلا أن يكون مع الأبوين زوج أو زوجة، فللأم ثلث ما تبقىٰ؛ لأنَّ الزوج إنما استحق فرضة بحق العقد، لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه.

تلخيصه: الأبوان إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين.

القراءة: (فلأمه) ضمًا علىٰ الأصل وكسرًا إتْباعًا لكسرة اللام قبلها والميم بعدها.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾: أي اثنان فصاعدًا.

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾: (كا) عند الجميع إلا ابن عباس، فإنَّه لا يحجبها من الثلث إلىٰ السدس إلا بثلاثة إخوة، والحجة عليه أنَّ الاثنين جمع مطلق؛ لأنَّ الجمع عبارة عن ضم شئ إلىٰ شئ، والزيادة علىٰ الاثنين مقيدة، فحمله علىٰ المطلق أولىٰ؛ لأنَّهاالأصل لدخول المقيد فيه، وعن ابن عباس[١]:أنَّ الأخوة يأخذون السدس الذي حجبوا الأم عنه.

القراءة: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ﴾: بفتح الصاد مجهولًا،[وبكسرها][٢] معلومًا مخففًا وكذلك الثانية.

وقرئ:(يوصّي) مشددًا أي يوصِّي الميت.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٧/ ٣٥).

(٢) في ب: وبكسره، والمثبت من أ، جـ.

و«أو» في ﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾: (كا) للإباحة، ولا تدل على الترتيب؛ لأنَّها لأحد الشيئين، والواحد لا [ترتيب][1] فيه نحو جالس الحسن أو ابن سيرين، والدَّين مقدم على الوصية والميراث بالإجماع، قالوا: وإنَّما قدمت الوصية على الدَّين لفظًا؛ تنبيهًا على وجوبها ووجوب المسارعة إلى إخراجها؛ لأنَّها أخذ بغير عوض، فأشبهت الميراث، فيثقل على الورثة إخراجها بخلاف الدين، فإنَّه أخذ بعوض فكان إخراجه أسهل، ثم حض على تنفيذ وصايا الميت وقضاء [دينه][2] بقوله: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾: الذين يرثونكم مبتدأ خبره ﴿لَا تَدۡرُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَيُّهُمۡ﴾: مبتدأ خبره ﴿أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾: (كا) في الدِّين والدنيا والآخرة، ونصبه تمييز، ومحل ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ الجملة نصب بتدرون، المعنى: منكم من يظن أن ابنه أنفع له بأن يبادر إلى مصالحه وقضاء ديونه، فيكون الأب أنفع، وبالعكس والله العالم بذلك.

وروي أنَّ الولد إن كان أرفع درجة في الجنة رفع إليه والده، وإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع إليه ولده لتقر أعينهم.

والجملة من (آبائكم) إلى (نفعًا) اعتراضية مؤكدة، لا موضع لها من الإعراب.

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: (كا) نصب مصدر، أي فرض الله الميراث فريضة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾: أي لم يزل.

﴿عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾: (تا) أو كان زائدة، أو المعنى كان كذلك، وهو الآن على ما كان عليه.

﴿۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ

(١) في جـ: يرتب، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: ديونه، والمثبت من أ، ب.

فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾: منكم أو من غيركم.

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: (حس) قالوا، وأراه كافيًا.

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾: (كا) منهن أو من غيرهن [ق/ ٨٩ب].

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: (كا) للواحدة الربع أو الثمن، وإن كن جماعة شاركها فيهما هذا إذا لم يمنع مانع كقتل أو اختلاف دين أورِقٍّ.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾: أي: الميت، وهو اسم كان.

وقوله: ﴿يُورَثُ﴾: بفتح الراء من ورث يورث صفة رجل.

وقوله: ﴿كَلَٰلَةً﴾: خبرها.

﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾: عطف على رجل، تقديره وإن كان رجل موروث منه كلالة، أو ﴿يُورَثُ﴾خبرها، و﴿كَلَٰلَةً﴾ حال من ضمير ﴿يُورَثُ﴾، أو ﴿كَانَ﴾ تامة، ورجل فاعلها، ويورث صفة رجل، وكلالة حال من ضمير يورث.

وقرئ: بكسر الراء مشددًا ومخففًا، فكلالة حال أيضًا، أو مفعول ﴿يُورَثُ﴾، وكان تامة، والمفعول محذوف، تقديره: يورث أهله مالًا أو نفسه، والكلالة: من لا ولد له ولا والد؛ لحديث جابر؛ لأنَّه لم يكن له يوم نزلت فيه هذه الآية ولد ولا

والد، ولأنَّ الورثة من جميع الإخوة الأعيان والأخياف[1]، وأولاد العلات يحيطون بالميت [ق/ ١٥١أ] كالإكليل[2] يحيط بالرأس من جميع جوانبه وأعلاه وأسفله خاليان، أو هي الولد والوالد أو هي القرابة غير الولد والوالد، فإذا جعلته اسمًا للقرابة نصبت ﴿كَلَٰلَةً﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، أو حالًا إن كان رجل يورث ذا كلالة فذا حال، أو مفعول له،أي: يورث لأجل الكلالة، أو هي المال الموروث، والكل صحيح؛ لأنَّ الكلالة مصدر تكلله أطاف به، يطلق علىٰ الوارث والموروث، فالوارث يطيف بماله، والموروث يطاف له أو به، وبعضهم: هو مصدر بمعنىٰ الكلال، وهو ذهاب القوة.

وذكر الضمير في ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾: ردًّا له إلىٰ رجل، أو إلىٰ الميت الموروث ليقدم ما يدل عليه، وأفرد لأنَّ أو لأحد الشيئين.

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا﴾: أي: الأخ والأخت من الأم حسب بالإجماع.

﴿ٱلسُّدُسُۚ﴾: بدليل ما قرئ: (وله أخ أو أخت من أم).

وقرئ: (أخ أو أخت من الأم).

﴿فَإِن كَانُوٓاْ﴾:أي: أولاد الأم.

﴿أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: أي: من واحد.

﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾: بالسوية لا يزيد نصيب [ذكرهم][3] علىٰ أنثاهم.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: نصب حال من ضمير (يوصي) أي: يوصي غير مدخل الضرار علىٰ الورثة بقطع الميراث، أو بأن يوصي بأكثر من الثلث.

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: (كا) مصدر مؤكد، أي يوصيكم الله وصية.

---

(١) أولاد أخياف: ما كانوا لأم واحدة وآباء شتىٰ «العين» (٤/ ٣١٢).

(٢) من حاشية ب: الإكليل شبه عصابة تزين بالجوهر «صحاح اللغة» .

(٣) في جـ: ذكورهم ، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (غير مضار وصية)،أي: غير أهل وصية، فحذف أهل وأقيم وصية مقامه.

تلخيصه: لا يضار الموصي بالوصية الورثة، في الحديث: «**من قطع ميراثًا فرضَه اللهُ قطعَ اللهُ ميراثه من الجنة**»(١).

قتادة(٢): كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهي عنه.

وعن الحسن(٣): أن يوصىٰ بدين ليس عليه، ومعناه الإقرار.

﴿حَلِيمٌ﴾: (حس).

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: أي: الفروض المذكورة.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾: (حس).

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: (حس).

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بكفره.

﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾: **القراءة**: (ندخله جنات وندخله نارًا) بالنون والياء فيهما.

﴿مُّهِينٌ﴾: (تا) وخالدين وخالدًا نصب حال، وجمع خالدين وأفرد خالدًا نظرًا إلىٰ معنىٰ (من) ولفظها.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٥) عن سليمان بن موسىٰ مرسلًا.
وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٥٨٢).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٥٨٢).

ثم خاطب الحكام فقال: ﴿وَٱلَّٰتِي﴾: مبتدأ[ق/ ٦٠ جـ].

﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: أي الزنا.

وقرئ: (بالفاحشة)، وخبر (اللاتي): ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾: من المسلمين.

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾: عليهن بالزنا.

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾: أي: احبسوهن في البيوت.

﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أي: ملائكة الموت.

وأو في ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ﴾: عاطفة أي أو إلىٰ أن يجعل، أو معناها إلا أن يجعل الله.

﴿لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾: (تا) طريقًا بالنكاح، فإنَّه غنية عن السفاح، أو حتىٰ يظهر الحد، فإنَّه لم يكن مشروعًا، وهل كان الحبسُ حدًّا ثم نُسِخ بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾، وبقوله ﷺ: «**خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب جلد مائة والرجم**»[1]، فنسخ الجلد في حق الثيب بحديث الغامدية، وبقي الرجم أو كان الحبس؛ ليظهر الحد؟ قولان؛ لأنَّه كان في ابتداء الإسلام إذا زنت المرأة حبست حتىٰ تموت[2].

---

(١) أخرجه مسلم(١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) قال النحاس : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالىٰ ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء: ١٥] قال: نسختها الحدود وفي قوله جل وعز ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ [النساء: ١٦] قال: نسختها الحدود.

قال أبو جعفر: وفي الآيتين ثلاثة أقوال للعلماء الذين اتفقوا علىٰ نسخهما فمنهم من قال كان حكم الزاني والزانية إذا زنيا وكانا ثيبين أو بكرين أن يحبس كل واحد منهما في بيت حتىٰ يموت، ثم نسخ هذا بالآية الأخرىٰ وهي ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾=

فصار حكمهما أن يؤذيا بالسب والتعيير ثم نسخ ذلك فصار حكم البكر من الرجال والنساء إذا زنا أن يجلد مائة جلدة وينفىٰ عاما وحكم الثيب من الرجال والنساء أن يجلد مائة ويرجم حتىٰ يموت، وهذا القول مذهب عكرمة وهو مروي عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت فهذا قول، والقول الثاني إنه كان حكم الزاني والزانية الثيبين إذا زنيا أن يحبسا حتىٰ يموتا وحكم البكرين أن يؤذيا وهذا قول قتادة وإليه كان يذهب محمد بن جرير واحتج بأن الآية الثانية ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ [النساء: ١٦]، فدل هذا علىٰ أنه يراد الرجل والمرأة البكران قال: ولو كان لجميع الزناة لكان والذين كما أن الذي قبله واللاتي يأتين الفاحشة قال: ولأن العرب لا توعد اثنين إلا أن يكونا شخصين مختلفين.

والقول الثالث: أن يكون قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] عاما لكل من زنت من ثيب وبكر وأن يكون ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ [النساء: ١٦] عاما لكل من زنىٰ من الرجال ثيبا كان أو بكرا ، وهذا قول مجاهد، وهو مروي عن ابن عباس وهو أصح الأقوال لحجج بينة سنذكرها.

فأما قول من قال: إن الآية الثانية ناسخة للأولىٰ وإن كان يحتمل ذلك فالحديث عن رسول الله ﷺ يدل علىٰ غير ذلك كما قرئ علىٰ علي بن سعيد بن بشير، عن عمرو بن رافع، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا منصور، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة بن الصامت، عن، رسول الله ﷺ قال: «**خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**» فتبين بقول رسول الله ﷺ قد جعل الله لهن سبيلا أن الآية لم تنسخ قبل هذا قال أبو جعفر: وهذا الحديث أصل من أصول الفقه وإن كان قد تؤول فيه شيء سنذكره في موضعه

ومما يدل أيضا علىٰ ما قلنا إن أحمد بن محمد الأزدي حدثنا، قال: حدثنا أبو شريح محمد ابن زكريا، وابن أبي مريم، قالا: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا قيس بن الربيع، قال: حدثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ ﴾ [النساء: ١٥] قال: «فكانت المرأة إذا زنت حبست ماتت أو عاشت حتىٰ نزلت في سورة النور ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾ [النور:٢] ونزلت سورة الحدود فكان من عمل سوءا جلد وأرسل» قال أبو جعفر: ودل هذا علىٰ أن ابن عباس لم يكن يقول بنفي الزاني، فأما القول الثاني الذي اختاره محمد بن جرير، ففيه شيء وذلك أنه جعل ﴿ وَٱلَّذَانِ =

=

يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ [النساء: ١٦] للرجل والمرأة، وهذا إنما يجوز في العربية على مجاز ولا يحمل الشيء على مجاز، ومعناه صحيح في الحقيقة، والذي عارض به من قوله: إن العرب لا توعد اثنين إلا أن يكونا شخصين مختلفين فهذا إن صح فهما شخصان مختلفان لأنه إذا كان واللذان للرجلين الثيبين والبكرين فهما مختلفان ومعارضته أنه لو كان هكذا لوجب أن يكون والذين لا يلزم؛ لأن العرب تحمل على اللفظ وعلى المعنى كما قال جل وعز: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] ومثل هذا كثير والقول الذي اخترناه هو قول ابن عباس

كما حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: « وقوله جل وعز ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] وكانت المرأة إذا زنت تحبس في البيت حتى تموت ثم أنزل الله جل وعز بعد ذلك ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾، فإن كانا محصنين رجما فهذا السبيل الذي جعله الله جل وعز لهما قال وقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ [النساء: ١٦] كان الرجل إذا زنى، أوذي بالتعيير وضرب النعال، فأنزل الله عز وجل بعد هذا ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ فإن كانا محصنين رجما في سنة رسول الله ﷺ : قال أبو جعفر: هذا نص كلام ابن عباس، فتبين أن قوله جل وعز ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾عام لكل من زنى من النساء وأن قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ [النساء: ١٦] عام لكل من زنى من الرجال ونسخ الله -جل وعز: الآيتين في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بحديث عبادة الذي ذكرناه فمر بعض العلماء على استعمال حديث عبادة وأنه يجب على الزاني والزانية البكرين جلد مائة وتغريب عام، وأنه يجب على الثيبين جلد مائة والرجم هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا اختلاف عنه في ذلك أنه جلد شراحة مائة ورجمها بعد ذلك وقال: جلدتها بكتاب الله سبحانه ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ، وقال بهذا القول من الفقهاء الحسن بن صالح بن حي وهو قول الحسن بن أبي الحسن وإسحاق بن راهويه والحجة فيه قول الله تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢] فثبت الجلد بالقرآن والرجم بالسنة ومع هذا فقول الرسول ﷺ : «**والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**»، وقال جماعة من العلماء، بل على الثيب الرجم بلا جلد وهذا يروى عن عمر وهو قول الزهري والنخعي، ومالك والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي، وأحمد وأبي ثور=

فمنهم من احتج بأن الجلد منسوخ عن المحصن بالرجم ومنهم من قال آية الجلد مخصوصة ومنهم من قال حديث عبادة منسوخ منه الجلد الذي على الثيب واحتجوا بأحاديث سنذكر منها ما فيه كفاية

فمنها ما قرئ على أحمد بن شعيب، عن محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن كثير بن الصلت، قال قال زيد بن ثابت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة**»

وقرئ على أحمد، عن قتيبة، قال: حدثنا أبو عوانة، عن سماك بن حرب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لماعز بن مالك: « **أحق ما بلغني عنك؟**» قال: ما بلغك عني؟ قال: «**بلغني عنك أنك وقعت على جارية آل بني فلان**» قال: نعم، فشهد أربع شهادات ثم أمر به فرجم قالوا فليس في هذين الحديثين ذكر الجلد، مع الرجم، وكذا قوله ﷺ: «**اغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت بالزنا فارجمها**» ولم يذكر الجلد فدل هذا على نسخه وقال المخالف لهم: لا حجة لكم في هذه الأحاديث؛ لأنه ليس في واحد منها أنه لم يجلد، وقد ثبت الجلد بكتاب الله تعالى، فليس يمتنع أن يسكت عنه لشهرته وقد تكلم العلماء منهم الشافعي في نظير هذا فقالوا: قد يحفظ البعض ما لا يحفظ الكل وقد يروى بعض الحديث ويحذف بعضه واختلفوا في موضع آخر من أحكام الزنا فقال قوم في البكر: يجلد وينفى وقال قوم: يجلد ولا ينفى وقال قوم: النفي إلى الإمام على حسب ما يرى فممن قال يجلد وينفى الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وهو قول ابن عمر ، وقال به من الفقهاء عطاء، وطاوس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور وقال بترك النفي حماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة، ومحمد بن الحسن قال أبو جعفر: وحجة من قال بالنفي الحديث المسند بدءا ثم كثرة من قال به وجلالتهم

كما قرئ على أحمد بن شعيب، عن قتيبة، قال: حدثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن عبيد الله ابن عبد الله، عن أبي هريرة، وزيد بن خالد، وشبل، قالوا: كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال: أنشدك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله جل وعز فقام خصمه وكان أفقه منه فقال: صدق اقض بيننا بكتاب الله جل وعز وائذن لي أن أتكلم، قال: قل، قال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته فافتديت بمائة شاة وخادم كأنه أخبر أن على ابنه الرجم فافتدى منه بمائة شاة وخادم، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل وعز أما مائة الشاة والخادم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام اغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت بالزنا فارجمها**» فغدا عليها فاعترفت بالزنا فرجمها. =

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾

القراءة: ﴿وَٱلَّذَانِ﴾: أي: الرجل والمرأة واللذين وهاتين وهذان، وفذانك بتخفيف النون علىٰ أصل التثنية [وبتشديدها][1] جعل التشديد عوضًا من الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، وهما الألف التي كانت في آخر الواحد وألف التثنية.

﴿يَأۡتِيَـٰنِهَا﴾: أي الفاحشة.

﴿مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾: بالسبّ.

ابن عباس: [سبوهما][2] وقال: يؤذىٰ بالتعيير وضرب النعال، ذكر في الأولىٰ الحبس وهنا الإيذاء، قالوا: لأنَّ الأولىٰ في النساء وهذه في الرجال، أو الأولىٰ في الثيب وهذه في البكر، أو الأولىٰ في [المساحقات][3]، وهذه في اللّواطين.

قال أبو جعفر: فثبت التغريب بلفظ رسول الله ﷺ، فمن ادعىٰ نسخه فعليه أن يأتي بالتوقيف بذلك فأما المعارضة بأن العبد لا ينفىٰ بالزنا فغير لازمة، وقد صح عن عبد الله بن عمر أنه ضرب أمته في الزنا ونفاها ولو وجب ألا ينفي الأمة والعبد لما وجب ذلك في الأحرار، وكان هذا مخرجا من الحديث وكذا القول في النساء علىٰ أن المزني قد حكىٰ أن الأولىٰ بقول الشافعي أن تنفىٰ الأمة نصف سنة لقول الله جل وعز فعليهن نصف ما علىٰ المحصنات من العذاب ومن قال: النفي إلىٰ الإمام احتج بأن في حديث مالك عن الزهري عن عبيد الله عن أبي هريرة، وزيد بن خالد: أن رسول الله ﷺ جلد وغرب وليس فيه كما في حديث ابن عيينة وفي الآية السادسة موضعان قد أدخلا في الناسخ والمنسوخ.
«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٣٠٧-٣١٢).

(١) في جـ: وتشديدها، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: سبوها، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: المسافحات، والمثبت من أ، ب.

﴿فَإِن تَابَا﴾: من الفاحشة.

﴿وَأَصْلَحَا﴾: العمل.

﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾: (كا) لا تؤذوهما.

﴿رَّحِيمًا﴾: (تا).

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾: أي: المتقبلة مبتدأ خبره ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: فيكون ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: حالًا من الضمير في الظرف، أو الخبر ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾، و﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾حال من محذوف تقديره: إنَّما التوبة إذا كانت علىٰ الله، فالعامل في «إذ» للذين يعملون، وكان تامة، وصاحب الحال ضمير الفاعل، ونحو هذه المسألة هذا بسرًا أطيب منه رطبًا، ومحل ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾حال يعملون السوء جاهلين سفهاء، قالوا: وأجمعت الصحابة أنَّ كل ما عصي الله تعالىٰ به فهو جهالة عمدًا كان أو سهوًا، وكل من عصىٰ الله فهو جاهل، أو الجهالة: اختيارهم اللذة الفانية علىٰ اللذة الباقية.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾: أي زمان قريب قبل مرض موته، أو [قبل][1] معاينة ملك الموت قال ﷺ: «**إنَّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[2].

وعنه ﷺ: «**إنَّ الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال تعالىٰ: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»[3].

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجة (٤٢٥٣)، وأحمد (٦١٦٠)، وابن حبان(٦٢٨)، والحاكم(٧٦٥٩)، وأبو يعلىٰ (٥٦٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٦٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (١١٢٥٥)، والحاكم(٧٦٧٢)، وأبو يعلىٰ (١٢٧٣)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾: (كا) تأكيد لقوله: ﴿إنما التوبة﴾.

﴿حَكِيمٗا﴾: (حس).

ثم فسر القريب بقوله: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي: الشرك، أو هي الذنوب دون الشرك، أو الآية الأولىٰ في المؤمنين، وهذه في المنافقين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أي: وقع في النزع، أو شاهد الملائكة، وليس هذا كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [البقرة:١٨٠]، أي: علامات الموت، فإنَّ التوبة تقبل ثَمَّ [ق/ ٩٠ب].

﴿قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾: لا وقف هنا إن جررت ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾: عطفًا علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [العنكبوت:٤] ويحسن الوقف هنا، فيكون قد سوىٰ بين مسوفي التوبة إلىٰ حضور الموت وبين الكفار تغليظًا، فإن رفعت ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ فالواو استئنافية حسن الوقف علىٰ ﴿ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [البقرة:٧١]، وامتنع هنا لأنَّ خبر المبتدأ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: (تا).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾﴾

كانوا في الجاهلية يرثون نساء آبائهم، فإن شاؤوا تزوجوهن، وإن شاؤوا زوجوهن وأخذوا صداقهن، وكان الزوج يضار زوجته إذا كرهها لتفتدي منه فنزل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾(١): (كا) نصب مصدر في

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٤٦).

موضع الحال من ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ و﴿أَن تَرِثُواْ﴾ فاعل.

ومحل ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: جزم نهي استئناف، أو نصب عطف على ﴿أَن تَرِثُواْ﴾، أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء، ولا أن تمنعوهن بما يحل لهن.

﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾: من الصداق وغيره.

ومحل ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾: نصب استثناء منقطع، أو متصل من المفعول له، أي: لا تعضلوهن لعلة من العلل، إلا لعلة إتيانهن بالفاحشة، أو من الوقت، أي: لا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت إتيانهن [بفاحشة](١)، أو حال أي في حال إيتائهن بالفاحشة، وهي النشوز.

دليله ما قرئ: (إلا أن يفحشن عليكم)، أو الزنا، المعنى: إذا نشزت المرأة أوزنت حل له أن يسألها الخلع.

وعن ابن سيرين(٢): لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها.

عطاء(٣): كان الرجل إذا أتت المرأة بفاحشة أخذ منها ما ساق إليها، فنسخ ذلك بالحدود.

القراءة: مبينة ومبينات بفتح الياء، أي: يبينها غيرها، وبكسرها أي تبين هي نفسها.

وكانوا يسيئون عشرة النساء فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: بالإجمال في القول، والمبيت والنفقة.

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾: شرط جوابه ﴿فَعَسَىٰٓ﴾: وفاعل عسى ﴿أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾: ولا خبر لها هنا.

---

(١) في جـ: بالفاحشة، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦١٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ١١٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦١٣).

تلخيصه: إن كرهتموهن فاصبروا عليهن، فلعل كراهتكم لهن مع الصبر عليهن تحدث بينكم ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾: (كا) ولدًا صالحًا، أو ألفة ومحبة .

ونزل فيمن كان إذا رأي امرأة فأعجبته قذف التي تحته ليستبدلها بها: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: وجمع الضمير في ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾: مالًا عظيمًا وإن كان المذكور زوجان، إرادة جنس الزوجات؛ لأنَّ[الزوج][1] يدل عليه.

﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾: أي: القنطار.

﴿شَيْـًٔا﴾: (كا).

ثم بشع الأخذ فقال: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾: مفعول له [كقعد][2] عن الحرب جبنًا، أو حال.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: (كا) عطف عليه أي: باهتين وآثمين، والبهتان: أن يقذف الشخص بقبيح [فيبهت][3] لذلك،أي يتحير.

ثم استفهم منكرًا فقال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾: ومحل ﴿كَيْفَ﴾ نصب حال،أي تأخذونه جائرين، وحكم كيف في الإعراب حكم جوابها، فما ظهر فيه كان مقدَّرًا فيها، والجواب هنا منصوب كما لو قيل لك: كيف أخذت مال زيد؟ لقلت: أخذته ظالمًا أو عادلًا.

﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: كناية عن الجماع، ومحله حال، وأصل الإفضاء: الوصول إلىٰ شئ بسعة من الفضاء.

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾: عهدًا[4].

---

(١) في ب: زوج، والمثبت من أ، جـ.
(٢) في جـ: كقعدت، والمثبت من أ، ب.
(٣) في جـ: فبهت، والمثبت من أ، ب.
(٤) الميثاق الغليظ: حق الصحبة والمضاجعة، كأنه قيل: وأخذن به منكم ميثاقا غليظًا، أي=

﴿غَلِيظًا﴾: (حس) شديدًا بالإفضاء، أو الميثاق: قول الولي: زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أو قوله ﷺ: **«اتقوا اللهَ في النساءِ فإنَّكم أخذتموهن بأمانةِ الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»**[(١)].

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

ونزل نهيًا عن نكاح نساء الآباء: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾: ما مصدرية، أو بمعنى من.

ذكر جنس المنكوحات، ثم عقبه بالتفسير فقال: ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾: (كا) مضى الاستثناء هنا متصل،أي: لا تنكحوا إلا النكاح الذي نكحه آباؤكم بعينه، وذلك غير ممكن؛ لأنَّه معدوم، وفائدة تعليقه على المحال المبالغة في نفيه كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف:٤٠]، أو منقطع، والفرق بينهما أنَّ في المتصل يكون المستثنى من جنس الأول داخلًا فيه قبل الاستثناء، خارجًا عنه بعده، والمنقطع لا يكون المستثنى من جنس الأول، ولا داخلًا في الأول بحال، بل يكون في حكم المستأنف، ويكون جملة ويكون «إلا» بمعنى

=

بإفضاء بعضكم إلى بعض. ووصفه بالغلظ لقوّته وعظمه، فقد قالوا: صحبة عشرين يوما قرابة، فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟

(١) أخرجه مسلم(١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

«لكن»، تقديره: هنا لا تطؤوا من وطئها آباؤكم لكن ما مضىٰ من فعلكم لذلك فمعفوٌ عنه، وأجمعوا علىٰ أن زوجة الأب تحرم علىٰ الابن بمجرد العقد لظاهر الآية، واختلفوا في موطوءة الأب علىٰ وجه الزنا، فمنهم من جوَّزه ومنهم من حرمه.

﴿إِنَّهُۥ﴾: أي نكاح زوجة الأب.

﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾: أي أقبح المعاصي.

﴿وَمَقْتًا﴾: أي بغضًا؛ لأنَّه يورث بغض الله تعالىٰ، وأصل المقت: القبح، زعم بعضهم أنَّه تم الكلام هنا ويبتدئ ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: (تا) قبح طريقًا، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿مَقْتًا﴾؛ لأنَّ ما بعده معطوف علىٰ خبر كان، تقديره ومقولًا فيه ساء سبيلا.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾: أي نكاحهن لقوله:﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ولأنَّ المفهوم من تحريم الأمهات تحريم نكاحهن كالمفهوم من تحريم [لحم][(١)] الخنزير[ق/ ٥٣أ] تحريم أكله، وتحرم علىٰ الرجل أمه وجداته من قبل الأب والأم، ومن قبل[ق/ ٦١ جـ] أحدهما وإن علون، والأمهات جمع الأم، وأصلها أمهة، وكذلك تثبت الهاء في الجمع، وزعم بعضهم أنَّ «الهاء» زائدة في أمهات، قالوا: «الهاء» تختص بالعقلاء، فيقال: أمهات الرجال وأمات البهائم، وقد سمع فيهما الأمران جميعًا.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: جمع بنت، فلام الكلمة محذوف، والتاء عوض منه، وليست بتاء تأنيث؛ لأنَّ تاء التأنيث لا يسكن ما قبلها، وتقلب هاء في الوقف بخلاف بنت، ومع ذلك، فتكسر تاء بنات في حالة النصب؛ تشبيهًا لها بما في آخره تاء التأنيث كمسلمات إلا يونس فإنَّه يقول: رأيت بناتك فتحًا، يجعلها كالتاء الأصلية،

---

(١) سقط من ب، جـ، والمثبت من أ.

وفُتِحت الباءُ من بناتٍ حملًا لها علىٰ مذكرها وهو بنون ووزنه فعول، وكسرت الباء في مفرد بنات، قالوا: لتدل علىٰ اللام المحذوفة، ويحرم علىٰ الرجل بناته وبنات بناته وإن سفلن، والأمهات والبنات لم يزلن محرمات في جميع الأوقات، وبقية المحرمات كن حلالًا لمن تقدمنا في بعض الأوقات.

﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾: جمع أخت، والتاء بدل من لام الكلمة، وردت لام «أخوات» حملًا لها علىٰ مذكرها وهي الأخوة، ولم ترد في (بناتكم) حملًا علىٰ «بنون»، فتحرم [ق/ ٩١ب] علىٰ الرجل أخواته من قبل الأب والأم ومن قبل أحدهما، ويدخل فيهن بنات الأخوة والأخوات.

﴿وَعَمَّـٰتُكُمْ﴾: جمع عمة، وهي أخت الأب، ويدخل فيهن أخوات الآباء والأجداد وإن علوا.

﴿وَخَـٰلَـٰتُكُمْ﴾: جمع خالة وهي أخت الأم، ويدخل فيهن جميع أخوات الأمهات والجدات، هؤلاء المذكورات محرمات بالنسب، وما بقي محرمات بالسبب وهن: ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾: وقرئ: بكسر الراء، وتحريم الرضاع كتحريم النسب لقوله ﷺ: «**يحرُمُ من الرَّضاعِ ما يحرم من الولادة**»[(١)]، ولا يحرّم الرضاع إلا قبل استكمال الحولين لقوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وعند أبي حنيفة رحمة الله مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالىٰ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]، وعدد الرضاع عند الشافعي خمس رضعات [متفرقات][(٢)]، وعند أبي حنيفة ومالك والثوري وغيرهم كثير الرضاع وقليله محرّم.

﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ﴾: جمع ربيبة، وهي بنت المرأة؛ لأنَّ زوج الأم يربها ويربيها غالبًا، يوضحه: ﴿ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ جمع حجر، المراد البيوت؛ لأنها

(١) أخرجه البخاري (٢٥٠٢)، ومسلم (١٤٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) في جـ: مفرقات، والمثبت من أ، ب.

بمثابة الولد في التربية غالبًا، ومحل من نسائكم نصب حال من (ربائبكم)، فيحرم على الزوج نكاح أم زوجته لمجرد العقد على البنت، ولا تحرم الربيبة عليه إلا بالدخول بأمها لقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: أي جامعتموهن.

﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن أو متن، قالوا: وعند علي[1] لا تحرم أم المرأة إلا بالدخول بابنتها كالربيبة.

﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾: جمع حليلة، والمذكر حليل لأنَّ كل واحد حلال لصاحبه، أو [لحل][2] كل واحد منهما إزار صاحبه.

وفائدة ﴿مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾: أي ظهوركم جواز تزويج امرأة المتبني، إذا فارقها المتبني لأنَّه ﷺ تزوج امرأة زيد وكان قد تبناه.

ومحل ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ﴾: رفع عطف على (أمهاتكم)، أي [ويحرم][3] عليكم الجمع.

﴿بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾: لقوله ﷺ: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها**»[4]، فلو فارق امرأة فراقًا بائنًا جاز له نكاح أختها.

والاستثناء في ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: (كا) منطقع، أو متصل وليس من ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ إلى ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: وقف حسن،ولا تاما لانفصال الكلام.

﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٤٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسره» (٣/ ٩١١).

(٢) في جـ: يحل، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: وحرم، والمثبت من أ، ب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢٠) ، ومسلم (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

ونزل نهيًا في مسلمات هاجرن ولهن أزواج فتزوجهن بعض المسلمين: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: عطف على (أمهاتكم).

القراءة: بفتح الصاد، أي الحرائر المزوجات؛ لأنَّ الزوج قد أحصنهن.

وقرئ: بكسر الصاد، أي أحصن أنفسهن بالتزويج.

ونزل فيمن سبين ولهن أزواج في دار الحرب ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: (كا) فالاستثناء متصل، المعنى: المزوجات محرمات عليكم إلا السبايا فهن حلال لكم وإن كان لهن أزواج.

وينصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: (كا) مصدر مؤكد، أي: كتب الله ما حرم عليكم كتابًا، وفرضه فرضًا، وروي كتب الله عليكم، جمع كتاب، وبالرفع أي هذه فرائض الله.

[القراءة أيضًا][(1)]: ﴿وَأَحِلَّ لَكُم﴾: بفتح الهمزة والحاء معلومًا معطوفًا على كتب المضمرة الناصبة لكتاب الله، تقديره كتب الله.

وأحل ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: أي: «من»، أو الذي سوى المذكور من المحرمات، يوضحه ما قرئ: (كتب الله عليكم)، و(أحل لكم) أيضًا.

القراءة: و﴿أُحل لكم﴾ مجهولًا عطفًا على (حرمت)، فلا يكفي الوقف على (عليكم).

---

(١) في جـ: تقديم وتأخير.

ومحل ﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾: أي تطلبوا النساء نصب مفعول له، ومنهم من يجعل (أن تبتغوا) بدلًا من ﴿مَّا﴾ في ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾.

وقوله: ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾: أي متزوجين حال من الفاعل في﴿تَبۡتَغُواْ﴾، وأصل الإحصان: الحفظ والحياطة، والمراد هنا العفة عن الوقوع في الحرام.

تلخيصه: بيَّن لكم الحرام من الحلال لأجل ابتغائكم بأموالكم في حال كونكم محصنين.

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾: زانين من سفح الماء صبِّه، وهو المَنِيُّ.

تلخيصه: لا تضيعوا أموالكم في الزنا، فيذهب دينكم ودنياكم، ولكن تزوجوا [النساء][1] فهو خير لكم.

﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾: أي فالذي انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح، أو [خلوة][2]، أو غير ذلك، وخبر الذي﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي مهورهن علىٰ الاستمتاع، فحذف للعلم به؛ لأنَّ المهر ثواب البضع، أو نزل هذا في نكاح المتعة، ثم نسخ لقوله ﷺ: «**يا أيها الناس كنت أذنت لكم في الاستمتاعِ من النساء، وإن الله حَرَّمَ ذلك إلىٰ يومِ القيامة**» وعن ابن عباس[3]: أنه رجع عن نكاح المتعة عند موته وقال: «**اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة**».

﴿فَرِيضَةٗۚ﴾: مصدر مؤكد، أو حال من الأجور.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ﴾: بأن تَهَبَ المرأةُ جميع مهرها أو بعضه لزوجها، أو يزيدها الزوج علىٰ أكثر منه.

﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾: (كا) المفروضة للزوجة.

﴿حَكِيمٗا﴾: (حس).

(١) في جـ: بالنساء، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: الخلوة، والمثبت من أ، ب.
(٣) لم أجده بهذا اللفظ.

﴿طَوْلًا﴾: أي: فضلًا، ونصبه مفعول ﴿يَسْتَطِعْ﴾، أو مفعول له.

ومحل ﴿أَن يَنكِحَ﴾: نصب بدل من (طولًا) بدل الشيء من الشيء، أو نصب بـ(طولًا).

القراءة: ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: و(محصنات) حيث حل ما عدا (والمحصنات من النساء) قبل بكسر الصاد، أي أحصن أنفسهن بالحرية، وبفتح الصاد أي أحصنهن غيرهن من زوج أو ولي، ومن شرط جوابه ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: المعنىٰ: من لم يجد طول حرة فليتزوج أَمَة مؤمنة[1].

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ تطييب القلوب بنكاح الإماء وأنَّ المطلوب إنَّما هو حفظ الفرج والإيمان فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾: (كا).

ثم نفي التفاخر فقال: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: في الدين، وأنَّكم جميعًا من آدم، فلا فخر مع الإيمان، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

تلخيصه: هن مثلكم.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: أي مواليهن.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن من غير مطل؛ لأنَّ التسليم إليهن تسليم إلىٰ مواليهن، أو تقديره فآتوا مواليهن مهورهن.

---

(١) في حاشية ب: في من وجهان:

أحدهما: هي زائدة، والتقدير: فلينكح ما ملكت.

الثاني: ليست زائدة، ومفعول الفعل المقدر محذوف، تقديره: فلينكح امرأة مما ملكت، ومن علىٰ هذا صفة للمحذوف.

وقيل: مفعول الفعل المحذوف ﴿فَتَيَٰتِكُم﴾ [النساء:٢٥]، ومن الثانية زائدة، والمؤمنات علىٰ هذه الأوجه صفة الفتيات، وقيل: مفعول الفعل المحذوف المؤمنات، والتقدير: من فتياتكم المؤمنات.

وموضع ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ إذا لم تكن من زائدة حال من الهاء المحذوفة في ﴿مَلَكَتْ﴾ [النساء:٢٥].

﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾: أي: عفائف حال من المفعول في (فآتوهن)، وتعطف علىٰ (محصنات).

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾: جمع خدن، وهو الصديق سرًّا.

المعنىٰ: لا يوجد منهن[ق/ ٩٢ب] الزنا سرًّا ولا جهرًا.

القراءة: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾: بفتح الهمزة والصاد،أي: حفظن فروجهن، أو أسلمن، وبضم الهمزة وكسر الصاد،أي زوجن.

﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾:أي: زنين.

﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحرائر الأبكار.

﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾: أي: الحد، كقوله:﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ [النور:٨] فحد الأمة إذا زنت خمسون جلدة، وفي التغريب قولان عند من يقول به، فإن [غرَّب][(١)] فنصف سنة، والعبد مقيس علىٰ الأمة، والجامع بينهما الرق، أكثرهم يوجب الحد علىٰ الرقيق إذا زنىٰ وهو غير متزوج، ولم يجعل التزويج شرطًا لوجوب الحد، بل للتنبيه علىٰ أن الرقيق وإن كان محصنًا فلا رجم عليه، وبعضهم لا يوجبه عليه.

﴿ذَٰلِكَ﴾:أي نكاح الأمة.

﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ﴾: أي: الزنا.

﴿مِنكُمۡۚ﴾: (كا) وأصل العنت الضيق والشدة، فالشافعي لا يجيز نكاح الأمة للحر إلا أن يكون عاجزًا عن طول حرة، وأن يخاف الوقوع في الزنا، وأن تكون واحدة احتجاجًا بظاهر الآية، وأبو حنيفة الغني والفقير عنده سواء في نكاح الأمة، ويحمل ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾علىٰ الفضيلة.

﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾: متعففين مبتدأ خبره ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ﴾:(كا).

تلخيصه: وصبركم عن النساء خيرلكم من نكاح الإماء؛ لئلا يخلق الولد

(١) في جـ: غربت، والمثبت من أ، ب.

رقيقًا، في الحديث: «الحرائر صلاح البيت، والإماء هلاك البيت»[(١)].

﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس).

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

ثم أومأ إلىٰ علة التحليل والتحريم فقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: بما شرع من التحليل والتحريم.

﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: شرائع الإسلام وأصله يريد أن يبين، ثم زيدت اللام؛ توكيدًا كزيادتها في «لا أبا لك» لتأكيد الإضافة إلىٰ الأب [توكيدًا][(٢)]، وبعضهم يجعلها غير زائدة [ق/ ٦٢ جـ]متعلقة بيريد، ويدل علىٰ زيادتها أن نصب ما بعد؛ عطفًا علىٰ (ليبين) وهو ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾: أي شرائع.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء والصالحين في التحليل والتحريم، فتقتدوا بهم فتتوبوا.

---

(١) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٢٨٩).

قال العجلوني: رواه الثعلبي بسند فيه أحمد بن محمد اليماني متروك عن يونس بن مرداس خادم أنس -وهو مجهول- أنه قال: كنت بين أنس وأبي هريرة، فقال أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يلقىٰ الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر» فقال أبو هريرة: سمعته يقول: «الحرائر صلاح البيت، والإماء فساد البيت» أو قال: هلاك البيت، وللجملة الأولىٰ طريق أخرىٰ في ابن ماجه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحرائر صلاح البيت» وما أَحْسَنَ ما قِيلَ:

ومن لم يكن في بيته قهرمانة فذلك بيت لا أبا لك ضائع

وقوله:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة تدبره ضاعت عليه مصالحه.

«كشف الخفاء» (١/ ٤٠٨).

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾: (كا) المعنىٰ: يوفقكم للتوبة، ويتجاوز عنكم إن تبتم. **تلخيصه**: يريد الله أن يوضح لكم مصالحكم [وطريق][(١)] الصالحين، فتقتدوا بهم، فتتوبوا فيتوب عليكم.

إنه﴿حَكِيمٞ﴾: (حس)، وتعطف علىٰ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾:إن وقع منكم تقصير.

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: هم الزناة وجميع أهل الباطل من اليهود والنصارىٰ والمجوس.

﴿أَن تَمِيلُواْ﴾: أي تعدلوا عن الحق فتكونوا مثلهم.

وقرئ: (يميلوا) بالياء،أي: يميل متبعوا الشهوات.

﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾: (حس).

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾: بنكاح الإماء واتباع الشريعة السمحة السهلة.

﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾: (تا) حال لا يصبر عن النساء، ولا عن الشهوات، ولا علىٰ الطاعات.

وقرئ: (وخلَق) بفتح اللام ونصب (الإنسانَ) مفعولًا، الفاعل الله تعالىٰ.

سعيد بن المسيب: ما أيس إبليس من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء، ولقد أتىٰ عليَّ ثمانون سنة، وذهبت إحدىٰ عيني [ق/ ٥٣أ]، وإني لأعشو بالأخرىٰ، وإنَّ أخوف ما أخاف عليَّ فتنة النساء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾

---

(١) في جـ: وطرائق، والمثبت من أ، ب

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: أي: الحرام كالقمار والسرقة، والاستثناء بعد منقطع.

القراءة: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾: رفعًا، فكان تامة أي إلا أن يقع تجارة، ونصبًا، فهي ناقصة، أي إلا أن تكون الأموال أموال تجارة، فحذفت أموال وأقيمت تجارة مقامها.

وقوله: ﴿عَن تَرَاضٍ﴾: صفة تجارة، أي: تجارة صادرة عن تراضٍ، والتراضي عند الشافعي: الافتراق عن مجلس البيع بتمامه، وعند أبي حنيفة ومالك: هو رضىٰ المتبايعين بما تعاقد عليه وقت الإيجاب والقبول، وخص التجارة بالذكر لأنَّها أغلب أسباب المكاسب.

تلخيصه: لا يجوز أكل الأموال بالحرام، ولكن يجوز بالحلال.

﴿مِّنكُمْۚ﴾: (حس).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ﴾: أي: لا تهلكوا.

﴿أَنفُسَكُمْۚ﴾: (كا) بأكل الأموال بالباطل، أو بالحرص عليها.

وقرئ: (يقتِّلوا) مشددًا، أو (لا يقتل بعضكم بعضًا).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: (حس) حيث لم يكلفكم ما كلف غيركم من التكاليف الشاقة.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي ما حرم قبل.

﴿عُدْوَٰنًا﴾: تجاوزًا للحد مصدر في موضع الحال، وتعطف علىٰ ﴿عُدْوَٰنًا﴾: ﴿وَظُلْمًا﴾.

تلخيصه: ومن يقتل لا خطأً ولا قصاصًا.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾: أي ندخله ﴿نَارًاۚ﴾: ليحترق.

القراءة: بضم النون.

وقرئ: بضم النون مشددًا.

وقرئ: بفتح النون مخففًا من صلاه يصليه شواه.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: (تا).

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾: عليّ[١]: الكبائر سبع: الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة.

وزاد ابن عمر[٢]: السحر واستحلال البيت الحرام، وزاد بعضهم: شهادة الزور. ابن مسعود: هن ثلاث: الكفر بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله.

وسأل رجل ابن عباس:أسبع الكبائر؟ فقال: هي إلىٰ سبعمائة أقرب، إلا أنَّه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار[٣].

وقرئ: (كبير ما تنهون عنه)، وجواب الشرط «نكفر».

﴿عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾: **القراءة:** نكفر ﴿وَنُدۡخِلۡكُم﴾: بالنون.

وقرئ: بالياء فيهما، وأصل التكفير إماطة المستحق من العذاب، قال ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»**[٤].

القراءة: ﴿مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾: (تا) هو الجنة بفتح الميم هنا والحج مكان أو مصدر، وبضمهما مصدر، أو مكان أيضًا.

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٣).

(٤) أخرجه مسلم(٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

ونزل نهيًا عن التحاسد ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾: (حس)، **تلخيصه**: لا يحسد أحدٌ أحدًا علىٰ ما أتاه الله تعالىٰ،فإنَّه﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ﴾: (كا).

﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾: (كا) فلا يعاقب أحد إلا بعلمه، ولا يجازىٰ إلا به.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي شئيًا.

﴿مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾: (كا) رزقه، المعنىٰ: اطلبوا أن يتفضل الله عليكم بشيء من [خيري][(1)] الدنيا والآخرة، ولا تحاسدوا.

القراءة: وسلوا الله إذا كان قبل السين واو أوفاء بحذف الهمزة وإلقاء حركتها علىٰ السين تخفيفًا، وبسكون السين والهمزة علىٰ الأصل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾: (حس).

والتنوين في ﴿وَلِكُلٍّ﴾: عوض[ق/ ٩٣ب] من محذوف،أي ولكل مال.

﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾: أي وراثًا جمع مولىٰ، وهو كل من يواليك.

وقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾: صفة المال المحذوف وتبيين له، المعنىٰ: ولكلٍ مال مما ترك.

﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ﴾: (حس) جعلنا وراثًا يرثونه.

تلخيصه: لكل موروث جعلنا وراثًا، أو تقديره لكل ناس جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان، فيكون ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ صفة لكل، والضمير الراجع إلىٰ (كل) محذوف، فالكلام مبتدأ وخبر، كقولك: لكل من خلقه الله إنسانًا من رزق،

---

(١) في جـ: خير، والمثبت من أ، ب.

أي: حظ من رزق.

كانوا في الجاهلية يتحالفون فيكون للحليف السدس، فنزل تأكيدًا لذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: أي: عاهدت أيديكم،ولمَّا كان الرجل يلزم بيمين معاهده نسب العقد إليها،(فالذين) مبتدأ مضمَّن معنىٰ الشرط جوابه ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: أي حظهم من الميراث، ثم نسخ الميراث بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[الأنفال/ ٧٥] وبقيت النصرة والرفد والنصيحة، كانوا يتوارثون بالتبني فنسخ بقوله:﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾وحسن وقف علىٰ (الأقربون) لرفعك (الذين عاقدت)مبتدأ، وكذلك إن نصبت (الذين)بفعل مضمر، يفسره الظاهر كقولك: زيدًا فاضربه، ولا يحسن علىٰ (الأقربون) إن عطفت (والذين) علىٰ (موالي).

القراءة: (عاقدت) و﴿عَقَدَتْ﴾ مخففًا.

وقرئ: (عقَّدت) مشددًا.

﴿شَهِيدًا﴾:(تا).

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: مسلّطون علىٰ تأديبهن.

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾: أي بتفضيل الله.

﴿بَعْضَهُمْ﴾: أي: الرجال ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: علىٰ النساء.

ثم تبين وجه التفضيل فقال: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾: **تلخيصه:** الرجال

مسلطون مفضلون على النساء بإنفاقهم عليهن.

وقرئ: (بالذي أنفقوا).

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعات لأزواجهن.

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾: أي لفروجهن وكل ما يجب حفظه من مال وغيره في غيبة الأزواج، في الحديث: «**خيرُ النساء امرأةٌ إن نظرتَ إليها سرَّتْك، وإذا غِبت عنها حَفِظَتْك في مالِها ونَفْسِها**»(١).

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾: (كا) بما حفظهن الله تعالىٰ، حيث أوصىٰ إليهن في كتابه الأزواج، وما مصدرية.

وقرئ: (حفظ اللهَ) نصبًا، فما موصولة، وتقديره بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله، وهو التعفف والشفقة علىٰ العيال.

وقرئ: فـ(الصوالح قوانت حوافظ للغيب).

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: أي: عصيانهن.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: أي فخوفوهن الله.

﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾: واجتنبوهن إن لم يرجعن عن نشوزهن.

﴿فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾: المراقد، فيوليها ظهره عند النوم، أو يعتزلها إلىٰ فراش آخر.

وقرئ: (في المضجع والمضطجع)، والمعنىٰ: اهجروهن؛ لأجل تخلفهن عنكم في المضاجع، والمراد: المجامعة؛ لأنَّ في المضاجع ظرف لاهجروهن.

﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾: (كا) إن لم يرجعن من الهجران ضربًا غير مُبَرِّحٍ، أي: شديد ولا شائن، ويجتنب الوجه، ولا يكسر [عظمًا](٢).

﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾: (كا) لا تطلبوا عليهن طريقًا إلىٰ

(١) : أخرجه الطيالسي (٢٣٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في جـ: عظمها، والمثبت من أ، ب.

ضربهن ظلمًا، فسبيلًا مفعول ﴿تَبْغُواْ﴾ و﴿عَلَيْهِنَّ﴾ حال من ﴿سَبِيلًاۗ﴾ مقدمة عليه، وإن جعلت ﴿تَبْغُواْ﴾ من البغي الظلم نصبت ﴿سَبِيلًاۗ﴾ بحذف الجار، والمعنىٰ: إن أطعنكم فأزيلوا عنهن ما يؤذيهن وتوبوا عليهن، ولا تنظروا إلىٰ ما كان منهن، فهو أعطف لهن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: (حس) لا يكلف العباد إلا ما يطيقون فاحذروه، ولا تكلفوهن إلا ما يطقن، وعن النبي ﷺ أنه رأىٰ أبا مسعود وقد رفع سوطًا علىٰ غلام له ليضربه، فصاح به: «**أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه**»، فرمىٰ السوط وأعتق الغلام[1].

ثم أمر الحكام فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: وأصله خفتم شقاقًا بينهما، ثم أضيف شقاق إلىٰ بين اتساعًا نحو: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[سبأ:٣٣]،أي: [مكرٌ][2] الليل والنهار، المعنىٰ: إذا علمتم أن كل واحد من الزوجين قد أخذ في شق غير شق صاحبه ولم يصطلحا.

﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا﴾: أي: رجلًا عدلًا يصلح للإنصاف.

﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: وخص الحكم بالأهل؛ لأنَّ الأقارب أعرف بأعراض أقاربهم، وأنصح لهم، وأسكن لنفوسهم غالبًا.

﴿إِن يُرِيدَآ﴾: أي الزوجان، أو الحكمان.

﴿إِصْلَٰحًا﴾: لحال الزوجين.

﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾: (كا) بين الزوجين، أو بين الحكمين بأن يظهر تعالىٰ مصلحة الزوجين بالتوفيق بين الحكمين، فإن رأيا الجمع جمعا، وإن رأيا التفريق فرقا، وتقول المرأة: رضيت بكتاب الله لي وعليّ، وكذلك يقول الزوج، وهل

---

(١) أخرجه مسلم(١٦٥٩) .

(٢) في جـ: مكر في، والمثبت من أ، ب.

يجوز بعث الحكمين بغير رضا الزوجين؟ قولان: أصحهما: أنَّه لا يجوز بغير رضاهما، فليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم الزوجة أن يختلع عنها إلا بإذنها كأبي حنيفة.

الثاني: يجوز بغير رضاهما كالحاكم [يحكم][1] بين الخصمين [ق/٦٣ جـ]،وأن يكون علىٰ وفق مرادهما، فيطلق حكم الزوج بغير إذنه، ويختلع حكم الزوجة بغير إذنها كمالك.

﴿خَبِيرًا﴾: (تا).

﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾: (كا) لأنَّك تنصب ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: بمضمر أي: فأحسنوا بهما.

﴿إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي الذي بينك وبينه قرابة.

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي: ذي القرابة.

﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: أي القريب المنزل منك.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: هي المرأة تكون معك، أو الرفيق في السفر، الذي يصحبك لطلب نفعك.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر، أو الضيف قال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم**

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، جـ.

الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتىٰ يحرجه » [1].

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: (كا) هو الرقيق، **تلخيصه**: أحسنوا إلىٰ جميع المذكورين تثابوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾: تياهًا متكبرًا [يفخر][2] علىٰ الناس، يحسن الوقف هنا إن رفعت ما نزل في حيي بن أخطب وأصحابه، حيث كانوا يبخلون ويأمرون الصحابة بالبخل،مبتدأ محذوف الخبر تقديره ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: يعذبون، أو خبر مبتدأ،أي: هم الذين يبخلون، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿فَخُورًا﴾إن نصبت ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾بدلًا مِنْ(مَنْ)، وجمع الذي علىٰ معنىٰ (مَنْ).

القراءة: بفتح الباء والخاء، وبضم الباء وسكون الخاء.

وقرئ: بضم الباء والخاء[ق/ ٩٤ب] وبفتح الباء وسكون الخاء لغات كلها.

ونزل فيمن كتم صفة النبي ﷺ، أو في كتم العلم: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: لا أحب الوقف علىٰ ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: شديدًا يهانون به؛ لأنَّ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: مفعول له، أو مصدر في موضع الحال مرائين عطف علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران:١٨٠]، ثم تعطف علىٰ ﴿يُنفِقُونَ﴾ ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: (تا) إن نصبت ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدلًا من (مَنْ)، وكذلك يتم الوقف علىٰ ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾: (تا) تمييز، المعنىٰ: فبئس الشيطان صاحب؛ لأنَّه هو حملهم علىٰ البخل والرياء وكل شئ، نزلت في المشركين المنفقين علىٰ عداوة النبىٰ ﷺ، أو المنافقين، أو اليهود، ثم

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

استفهم موبخًا فقال[ق/ ٥٤أ]:

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: أي يوم القيامة.

﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: (كا) المعنىٰ:أي: وبال عليهم في الإيمان بالله، والإنفاق في طاعته.

تليخصه: لو آمنوا وأنفقوا لم يضرهم ذلك، وهذا كما يقال للمنتقم: ما ضرك لو عفوت، مع العلم أنَّه لا مضرة في العفو، ولكنه ذم وتجهيل [مع العلم][1] بمكان المنفعة بالعفو.

ثم توعدهم فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾: (تا) وإن رفعت ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ عند الزجاج مبتدأ خبره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: (كا) فلا وقف بينهما إلا ضرورة، المعنىٰ: لا يظلمهم وزن نملة.

وقرئ: (مثقال نملة)، وعن ابن عباس أنَّه أدخل يده في التراب فرفعه، ثم نفخ فيه، ثم قال: كل واحدة منه ذرة، أو الذرة: واحدة أجزاء الهباء في الكوة، ولا وزن لها، وهذا نفي للظلم؛ لأنَّه إذا نفي القليل نفىٰ الكثير؛ لأنَّ القليل داخل في الكثير، دليله قوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس:٤٤].

تلخيصه: (لا ظلم ثَمَّ).

القراءة: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾: نصبًا، فكان ناقصة،أي: إن تك مثقال الذرة حسنة، وأنث مثقال لإضافته إلىٰ ذرة ورفعًا، فكان تامة، وحذفت النون (من تك)؛ تخفيفًا

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

لكثرة الاستعمال.

تلخيصه: لا ظلم ثَمَّ.

وإن [كان][1] وجدت حسنة ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾: الله.

وقرئ: (نضاعفها) بالنون، أي: نزيد عليها، فنجعلها أضعافًا كثيرة، في الحديث: «**الله يعطي لعبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة**»[2].

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ﴾: أي من عند الله من غير استحقاق.

﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾: (حس) لا يقدر قدره غير الله تعالىٰ لكثرته، وسماه أجرًا؛ لأنَّه تابع للأجر، والعامل في ﴿فَكَيۡفَ﴾: يصنع الكفار ﴿إِذَا جِئۡنَا﴾: إذا ظرف ليصنع الكفار المقدرة، المعنىٰ: كيف يصنعون وقت مجيئنا.

﴿مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾: يشهد عليها بعملها، وهو نبيها كقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المائدة:١١٧].

﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾: يا محمد.

﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المكذبين.

﴿شَهِيدٗا﴾: (كا) ولمَّا بلغ ابن مسعود في قراءته علىٰ النبي ﷺ من أول السورة إلىٰ هناك بكىٰ وقال: «**حسبك**»[3].

لا وقف هنا إن نصبت ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: ظرفًا لشهيدًا فيكون ﴿يَوَدُّ﴾: صفة ليومئذ، والعائد محذوف، أي فيه، وتقف علىٰ ﴿شَهِيدٗا﴾ إن نصبت (يومئذ) ظرفًا ليود ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ومحل ﴿وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾: نصب حال حالت بين ﴿يَوَدُّ﴾ ومفعولها وهو ﴿لَوۡ

---

(١) سقط من أ، جـ والمثبت من جـ.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٧٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ١٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٦٣)، ومسلم (٨٠٠).

﴿تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾: لو هنا بمعنىٰ «إن» المصدرية، والمعنىٰ: يودون أن دفنوا فتسوىٰ بهم الأرض كالموتىٰ، وأصل التسوية: العدالة، أي يكون كالأرض لا حساب عليها، أو يودون أن يصيروا كالبهائم إذا رأوها قد صارت ترابًا.

القراءة: بفتح التاء وتشديد السين، أصله: تتسوىٰ،ثم أدغمت التاء في السين بعد قلبها سينًا، وكذا كل مدغم يقلب من جنس المدغم فيه، وبفتح التاء وتخفيف السين علىٰ حذف تاء تتسوىٰ، وبضم التاء وتخفيف السين مجهولًا، المعنىٰ: يتمنون يوم القيامة أن يكونوا معدومين لهوله.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾: نصب حال من (يود)،أي يودون أن يدفنوا وهم لا يكتمون ﴿ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: (تا) شيئًا من صفة محمد ﷺ؛ لأنَّهم كتموها هنا فندموا ثَمَّ، أو يودون أنهم لا يكذبون في قولهم:﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]؛ لأنَّ جوارحهم تشهد عليهم بما كانوا عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

لمَّا صنع عبد الرحمن بن عوف طعامًا وجمع عليه جماعة من الصحابة، فأكلوا وشربوا الخمر فأخذت منهم، فقدموا واحدهم [فصلىٰ][1] بهم المغرب فقرأ قل: (يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) إلىٰ آخرها بحذف لا، فنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: لا تصلوا، أو لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد.

ومحل ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾: نصب حال من الفاعل في﴿تَقْرَبُواْ﴾، والسكر: اسم

---

(١) في جـ: يصلي، والمثبت من أ، ب.

لحالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يكون من الشراب، وقد يكون من العشق والنوم، ومنه قوله(١):

(سُكْران سكر هوىٰ وسكر مدام)

القراءة: بضم السين جمع سكران.

وقرئ: بفتحها.

وقرئ: بضمها وفتحها بلا ألف، فصاروا يجتنبون السكر وقت الصلاة.

﴿وَلَا جُنُبًا﴾: حال رجل جنب وامرأة جنب، يستوىٰ فيه الواحد والجمع، والذكر والأنثىٰ لأنَّه مصدر.

وقرئ: (جنبًا) بسكون النون، وأصل الجنابة البعد لبعده عن الصلاة، ومنه يقال: المغرب جنيب.

﴿إِلَّا عَابِرِى﴾: مجتازي.

﴿سَبِيلٍ﴾: (كا) حال أيضًا أي: لا تقربوا الصلاة في حال سكر، ولا في حال جنابة، إلا في حال السفر عبورًا في المسجد، وجوز بعضهم أن يكون إلا عابري سبيل وصفًا لجنب، تقديره: لا تقربوا الصلاة جنبًا غير عابري سبيل، أي: لا تقربوها غير مغتسلين.

﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾: (كا).

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾: مرضًا يضره مس الماء كالجدري، أو جراحة تخاف من مس الماء التلف أو زيادة ألم.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: طويلًا كان السفر أو قصيرًا، فالتيمم عند عدم الماء ولا إعادة.

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾: أي الحدث، والغائط: المطمئن من

---

(١) القائل: هو ديك الجن، والشعر في ديوانه» (ص/ ١١١)، والبيت بتمامه:

سُكْرانِ سُكْرُ هوًىٰ وسُكْرُ مُدامةٍ ... أَنَّىٰ يُفيقُ فَتًىٰ به سُكْران؟!

الأرض، فكانوا يتنزهون فيه، فكنىٰ به عن الحدث.

وقرئ: (من الغيط) مخفف غيط كهين من هين.

القراءة: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: هنا والمائدة بغير ألف من واحد، وبألف من اثنين، واللمس والملامسة واحد، وهو عبارة عن الجماع عند بعضهم، وأبو حنيفة لا ينقض الطهر عنده بالمس، وعند الشافعي ينقض بمس النساء، وعنده في مس المحارم قولان، (أو لا مستم) لِمَا دون الجماع، و(لمستم) للجماع، وجواب [ق/ ٩٥ب] الشرط متعلق بالمرضىٰ والمسافرين والمحدثين وأهل الجنابة وهو: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: اقصدوا.

﴿صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾: ترابًا طاهرًا.

ابن عباس: الصعيد: التراب(١)، الشافعي: لا يتيمم إلا [بتراب](٢) له [غبار](٣) يعلق بالوجه واليدين، وأبو حنيفة: يتيمم بكل ما صعد علىٰ وجه الأرض كالزرنيخ، فلو ضرب علىٰ صخرة لا تراب عليها فمسح وجهه ويديه أجزأه.

الزجاج: الصعيد: ما صعد علىٰ وجه الأرض صخرًا كان أو غيره.

والباء زائدة في ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾: (كا)، وفي الكلام حذف

---

(١) قال الطبري : وأما«الصعيد»، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه.

فقال بعضهم: هو الأرض الملساء التي لا نَبات فيها ولا غِرَاس.

وقال آخرون: بل هو الأرض المستوية.

وقال آخرون: بل«الصعيد»: التراب.

وقال آخرون:«الصعيد»: وجه الأرض.

وقال آخرون: بل هو وجه الأرض ذاتِ التراب والغُبَار.

قال أبو جعفر: وأولىٰ ذلك بالصواب قول من قال:«هو وجه الأرض الخالية من النبات والغُروس والبناء، المستوية» .

«تفسير الطبري» (٨/ ٤٠٨).

(٢) في جـ: بالتراب، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: غبارة، والمثبت من أ، ب.

تقديره: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، أو به يدل علىٰ ظهور منه في(وأيديكم منه) في المائدة، وزعم بعضهم أنَّ «من» في منه في المائدة لابتداء الغاية، وفيه نظر؛ لأنَّه لا يفهم من قول القائل: مسح برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا التبعيض.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: (تا).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: بقلبك، وفيه معنىٰ الانتهاء، ولذلك عدىٰ بإلىٰ، تقديره ألم ينته علمك.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم اليهود أعطوا حظًّا من التوراة.

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾:وهنا حذف،أي: يستبدلون الضلالة بالهدىٰ.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾:(كا) تخطئوا طريق السعادة أيها المؤمنون.

وقرئ: (تضلوا) بفتح الضاد من ضللت بالكسر.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾:(كا) منكم وتنصب ﴿وَلِيًّا﴾.

وقوله: ﴿نَصِيرًا﴾: تمييزًا،يحسن الوقف هنا إن استأنفت.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: مبتدأ وخبرًا،أي: هم من الذين هادوا فتنصب ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: حالًا من فاعل ﴿هَادُواْ﴾، أو تقديره من الذين هادوا قوم، [ق/ ٦٤ جـ] فقوم مبتدأ وما قبله خبره، و﴿يُحَرِّفُونَ﴾ نعته، وإن علقت ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ

هَادُواْ﴾ بـ(نصيرًا) لم يجز الوقف عليه إلا ضرورة، ومعنىٰ تحريفهم الكلم عن مواضعه تغييرهم صفة محمد ﷺ في التوراة، أو تغييرهم [آية][1] الرجم، وجعلهم الحد بدله، وذكر الضمير في مواضعه ردًا له إلىٰ جنس الكلم.

وقرئ: (الكلام).

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: حال أي غير مقبول منك، كانوا يقولون له ﷺ: اسمع، ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت.

﴿وَرَٰعِنَا﴾: ينسبونه ﷺ إلىٰ الرعونة، أو المعنىٰ: ارقبنا نكلمك.

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: مفعول له، أو مصدر في موضع الحال، أي لاوين ألسنتهم استهزاءً، وكذلك ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾: أي قدحًا فيه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ﴾: بدل ذلك ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾: أي انظر إلينا رحمة لنا.

﴿لَكَانَ﴾: ذلك القول: ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدهم عن الإيمان.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: (تا) والمراد بـ﴿قَلِيلًا﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه، ويجوز أن يراد بـ﴿قَلِيلًا﴾ ضعيفًا، وهو إيمانهم بموسىٰ وكفرهم بمحمد ﷺ، ويجوز أن يراد إيمانهم بألسنتهم مع كفرهم بقلوبهم، فيكون لقلة فائدته مع عدم التوبة.

ولمَّا لم يؤمنوا نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾: أي: القرآن.

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ﴾: أي نمحو.

﴿وُجُوهًا﴾: فنجعلها كخف البعير بلا أنف ولا عين ولا حاجب كالأقفاء، وهذا معنىٰ ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾، وأصل الطمس: إزالة الأثر بالمحو، أو المراد طمس القلوب.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من جـ.

والفاء في ﴿فَنَرُدَّهَا﴾: عن بصر الهدىٰ.

﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾: في الكفر والضلالة للتسبيب؛ أو للتعقيب فيكونوا قد عوقبوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر طمس القلوب، ثم ردها علىٰ أدبارها.

﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾: (تا).

ونزل لمَّا أحب وحشيّ التوبة بعد قتله حمزة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: وكفي الوقف هنا لاستئنافك ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾: (حس) مع التوبة، ويجوز أن يقال: إنَّه لا يغفر الشرك مع عدم التوبة لعظم الشرك، ويغفر ما دون الشرك مع عدم التوبة لبعض عباده رحمة منه لهم، ولو عطف (ويغفر) لصار الكلام نفيًا، فبعث بها إليه فقال وحشيّ: لَعَلِّي ممن لم يَشِأ الله؟ فنزل ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر:٥٣]، فبعث بها إليه فأسلم(١).

ثم تهدد المشركين فقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾: (تا) قال ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»(٢) وقال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات علىٰ ذلك إلا دخل الجنة**»(٣).

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٨٩)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ونزل فيمن زكىٰ نفسه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾[١]: (كا) فأنكر ذلك عليهم بصيغة الإضراب فقيل: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾: يطهر.

﴿مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: (حس) اسم لما يفتل من الوسخ بين الإصبعين، أو لما في شق النواة، وضمير الجمع في(تظلمون) يرجع إلىٰ معنىٰ (مَنْ).

ثم عجَّب تعالىٰ نبيه ﷺ فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾: أي بالافتراء، أو بالكذب.

﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾: (تا) خرج حيي بن أخطب مع أصحابه إلىٰ قريش ليحالفهم علىٰ النبي ﷺ، فقالوا: لا نفعل حتىٰ تسجدوا[ق/ ٥٥أ]لصنمنا فسجدوا فنزل[٢]: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: هما الصنمان المذكوران، أو الجبت: كل مطاع أو معبود دون الله تعالىٰ، والطاغوت: الشيطان.

تلخيصه: حُيي وأصحابه يؤمنون بغير الله ورسوله.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعنون: أبا سفيان وأصحابه.

﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يعنون محمدًا ﷺ وأصحابه.

﴿سَبِيلًا﴾: (حس) لاستئنافك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: (حس) ولا أحب الوقف علىٰ ﴿نَصِيرًا﴾: وإن رآه بعضهم؛ لأنَّ(أم) بعد منقطة بمعنىٰ بل، إضرابًا عن الأول والهمزة إنكارًا علىٰ اليهود، مشيرًا إلىٰ بخلهم وحسدهم ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ

---

(١) قال النحاس: قَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي رِجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَطْفَالِهِمْ وَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ. هَلْ عَلَىٰ أَوْلَادِنَا هَؤُلَاءِ مِنْ ذَنْبٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَالُوا: وَالَّذِي نَحْلِفُ بِهِ مَا نَحْنُ إِلَّا كَهَيْئَتِهِمْ، مَا مِنْ ذَنْبٍ نَعْمَلُهُ بِالنَّهَارِ إِلَّا كُفِّرَ عَنَّا بِاللَّيْلِ، وَمَا مِنْ ذَنْبٍ نَعْمَلُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا كُفِّرَ عَنَّا بِالنَّهَارِ، فهذا الذين زَكَّوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ.
«أسباب النزول» (ص/ ١٥٥).

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٥٦).

ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ وتقديره: بل أيكون ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾: أي: ملك الدنيا، أو ملك الله، المعنىٰ: لو كان لهم حظ مما يملك.

﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ﴾: أي أحدًا منهم.

﴿نَقِيرًا﴾: لبخلهم، والنقير: النقرة في ظهر النواة، أو هو نقرك الشيء، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

القراءة: لا يؤمنون بالأعمال إذن لأجل فاء العطف، فكأنَّه قيل: فلا يؤتون الناس نقيرًا إذن.

وقرئ: (فإذن لا يؤتوا) علىٰ إعمالها، ويجوز إعمال إذن مع الفاء، والنون فيها[ق/ ٩٦ب] أصل، وليست بتنوين، ولهذا تكتب بالنون، وأجاز الفراء كتبها [بالألف][(١)]، ولا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾: أي: اليهود.

﴿ٱلنَّاسَ﴾: العرب والنبي ﷺ.

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من النبوة والإسلام والتقدم عليهم كأم في ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾، أو المراد بالناس محمد ﷺ وحده، فحسدوه علىٰ ما أبيح له من كثرة النساء، المعنىٰ: إن حسدتم محمدًا علىٰ كثرة التزويج، والعرب علىٰ النبوة والخير والإسلام ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أي داود وسليمان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: الكتاب المنزل عليهما.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: أي: النبوة كان لسليمان ثلاثمائة [مهيرة][(٢)] وسبعمائة سُرِّيَّة،

---

(١) في جـ: بألف، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ب: مهرية، والمثبت من أ، جـ.

والمهيرة: الحرة، والجمع المهائر، وهي الحرائر ضد السراري «تاج العروس» (ص/ ٣٥٠٧).

ولداود مائة امرأة، ولم يكن للنبي ﷺ إلا تسع نسوة.

تلخيصه: إن حسدتم محمدًا والعرب على ما أوتوا فقد آتينا أسلافكم ﴿مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾: (كا) فلمَّا أخبروا بذلك سكتوا، زرع الناس وزرع إبراهيم فهلكت جميعًا إلا زرع إبراهيم، فكان يقول: من آمن بي أعطيه منه، ومن لم يؤمن أمنعه.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: أي بإبراهيم فأعطاه.

﴿وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾: (كا) أعرض عن إبراهيم فمنعه، أو المعنى: فمن اليهود من آمن بحديث إبراهيم فصدقه، ومنهم من كفر بحديثه فجحده، أو المعنى فمن اليهود من آمن بحديث محمد ﷺ كابن سلام وأصحابه، ومنهم من كفر بمحمد ﷺ ككعب بن الأشرف.

وقرئ: (صُدَّ) أي صرف.

ثم تهدد الصادين فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: (تا) بمعنى مسعرة للصادين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

القراءة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾: بضم النون.

وقرئ: بفتحها.

ومعنى ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾: بدلناهم إياها بأن غيرنا جلودهم من شكل إلى شكل، كقولك: صغت من خاتمي خاتمًا غيره، فالخاتم الثاني هو الأول، وإنما الصياغة اختلفت .

الفضيل: يجعل مكان النضيج غير نضيج.

ابن عباس(١): يبدلون جلودًا بيضاء مثل القراطيس.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٤٧).

وفي تبديل الجلود إيذان بدوام العذاب عليهم، يوضحه قوله تعالىٰ: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾: (كا) ليدوم لهم ذوقه، كقولهم: أعزك الله،أي أدام لك العز.

﴿عَزِيزًا﴾: شديد النقمة.

﴿حَكِيمًا﴾: (تا) لا يعذب ولا يرحم إلا لحكمة، يتم الوقف هنا إن استأنفت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:مبتدأ خبره﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: **وقرئ**: (سيدخلهم) بالياء، ولا أحبه علىٰ (حكيمًا) إن عطفت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ولا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾: حال من المفعول في ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾: (تا) دائمًا في نهاية اللذة والستر؛ لأنَّ﴿ظليلا﴾صفة مشتقة من الظل، يقال ذلك مبالغة كقولهم:ليل أليل ويوم أيوم.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

ونزل في أخذ عليّ المفتاح من عثمان الحجبي سادن الكعبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾(١): **وقرئ**: (الأمانة).

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾: فرد عليه المفتاح فأسلم، وهذا عام في كل من يؤتمن عليه من حقوق الله تعالىٰ والآدميين من أمانةٍ وعهدٍ وكتم سرٍّ، أنس:قلما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال:«**لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له**»(٢)، أو هذا أمر لجميع الولاة والعامل في إذا بعد محذوف، تقديره: يأمركم أن تحكموا ﴿وَإِذَا

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٤٠٦) ، وابن خزيمة (٢٣٣٥) ، وابن حبان(١٩٤) ، وأبو يعلىٰ (٢٨٦٣) ، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٠٦) ، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧٠٧٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقوله: ﴿أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ﴾: (كا) لا موضع لها من الإعراب؛ لأنَّها جملة مفسرة للمحذوف، والمحذوف يأمركم، ولا يعمل ﴿أَن تَحْكُمُواْ﴾ في ﴿إِذَا﴾؛ لأنَّ معمول المصدر لا يتقدم عليه.

وما في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾: نكرة منصوبة موصوفة بقوله: ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾: (كا)، والمخصوص بالمدح محذوف،أي: نعم شيئًا يعظكم به تأدية الأمانة والحكم بالعدل، أو موصولة مرفوعة المحل، فاعل «نعم» صلتها ما بعدها، والمخصوص بالمدح محذوف،أي نعم الشيء الذي يعظكم به تأدية الأمانة والحكم بالعدل.

﴿بَصِيرًا﴾:(تا).

ولمَّا أمر [الحكام](١) بالحكم بالعدل أمر الناس بطاعتهم فقيل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾: أي الولاة.

﴿مِنكُمۡۖ﴾: (كا) أي الولاة إذا أمروا [بطاعة الله](٢) تعالىٰ، قال ﷺ:«**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن يُطِع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني**» (٣).

وقال ﷺ:«**السمع والطاعة علىٰ المرء المسلم ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**» (٤).

وكان الخلفاء يقولون: أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم، أو المراد بأولي الأمر: العلماء المتقون الذين يعلمون الناس معالم دينهم، [ق/ ٦٥ جـ] أو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، أو [أمراء](٥) العدل كالخلفاء الراشدين، أو

---

(١) في جـ: الحاكم، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: بطاعته، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٧٩٦)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) في جـ: الأمراء، والمثبت من أ، ب.

المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾: أصل النزع الجذب؛ لأنَّ المتنازعين يجذب كل واحد منهما إلىٰ غير جهة صاحبه.

تلخيصه: إن اختلفتم أنتم وأمراء العدل ﴿فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: إلىٰ كتابه.

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: مدة حياته، [فإن][1] مات فإلىٰ سنته.

تلخيصه: اكشفوا ما أشكل عليكم بالكتاب أو السنة، أو بهما، في هذا دليل علىٰ وجوب الاجتهاد، أو الرد إلىٰ الله والرسول أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾: (كا).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الرد إلىٰ الكتاب والسنة.

﴿خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾: (تا) تمييز أجمل عاقبة ومرجعًا، أو أجمل من تأويلكم، كان بين بشر المنافق و[يهودي][2] حكومة، فطلب المنافق الحكومة إلىٰ ابن الأشرف، وطلب اليهودي الحكومة إلىٰ النبي ﷺ، فحكم ﷺ علىٰ المنافق، فلم يرض، فَأَتَيا عُمَرَ فقال اليهودي: إنَّ النبىٰ ﷺ حكم لي عليه فلم يرض، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقتله عمر فقال: هكذا أفعل بمن لم يرض بقضاء الله، وبقضاء رسوله فنزل:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ

(١) في جـ: فإذا، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: واليهودي، والمثبت من أ، ب.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[1]: **وقرئ**: (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) معلومًا، وسمي ابن الأشرف طاغوتًا لتجاوزه في الطغيان.

﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾: أي: [بالطاغوت][2].

وقرئ: (أن يكفروا بها)؛ لأنَّ الطاغوت يذكر ويؤنث.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي: ابن الأشرف، أو حقيقة الشيطان.

﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾: (حس) لا غاية له، فلا يهتدون[ق/ ٩٧ب].

القراءة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: للتحاكم بفتح اللام وأصلها تعاليوا.

وقرئ: بضمها، وحذف الألف من تعالىٰ تخفيفًا، ثم جاء بواو الضمير فضم اللام من أجلها، فصار ﴿تَعَالَوْاْ﴾ كتقدموا، وعليه تعالىٰ بكسر اللام للمؤنث،وأنشد[3]:

تعالِي أقاسِمْك الهمومَ تعالِي

﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾: (كا) مصدر.

ثم أومأ إلىٰ عاقبة أمرهم بقوله: ﴿فَكَيْفَ﴾: يكون حالهم.

﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: من قبل عمر للمنافق.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من التحاكم إلىٰ غيرك واتهامك في الحكم.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٦١).

(٢) في جـ: الطاغوت، والمثبت من أ، ب.

(٣) الشاعر هو أبو فراس الحمداني ، والشعر في «ديوانه» (ص/ ٢٤٦)، والبيت بتمامه:

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي أقاسمك الهموم تعالي

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾: أي يجيبونك يطلبون دية المقتول، ثم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ﴾: بالمحاكمة إلىٰ عمر.

﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾: في القول.

﴿وَتَوْفِيقًا﴾: (حس) بين الخصمين، والمعنىٰ: ما أردنا بالمطالبة بدم صاحبنا إلا الإحسان، وموافقة الحق.

تلخيصه: ما أردنا بذلك إلا خيرًا.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ كذبهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من النفاق.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم عليه.

﴿وَعِظْهُمْ﴾: بين الناس ليتوبوا.

﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: في الخلاء.

﴿قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: (تا) خوفهم الله وتوعدهم بالقتل إن لم يؤمنوا قالوا: هذا منسوخ بآية [القتال][1]، و﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ(قل لهم)، أو بـ(بليغا)، أي: قولًا بليغًا مؤثرًا في أنفسهم يغتمون به، وفيه نظر؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبلها.

ومحل ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾: نصب مفعول له، واللام في ليطاع متعلقة بأرسلنا.

---

(١) في جـ: القتل، والمثبت من أ، ب.

وانظر «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٣٤).

ومحل ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا) نصب حال من ضمير ليطاع، أو مفعول به بسبب أمر الله بأن أمر المبعوث إليهم أن يطيعوه؛ لأنَّ طاعته طاعة الله، ومعصيته معصيته، وزعم بعضهم أنَّه يقف علىٰ ﴿لِيُطَاعَ﴾ثم يبتدئ ﴿بِإِذۡنِ﴾،أي: بإذن الله يكون، فمعنىٰ بإذن الله بتيسيره وقضائه.

تلخيصه: وما أرسلنا رسولًا قط إلا ليطاع، وبطاعته يطاع الله.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾:بالتحاكم إلىٰ غيرك.

﴿جَآءُوكَ﴾: معتذرين إليك.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾: من فعلهم ونفاقهم.

ثم رجع من الخطاب إلىٰ الغيبة تعظيمًا للرسول ﷺ، وتنبيهًا أنه مجاب الدعوة فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾:(حس) يقبل توبة التائب مرارًا ويرحمه.

ولا في ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾: زائدة لتوكيد القسم، أو لتوكيد النفي بعد، وتقديره: فوربك.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: أو لا نفي[المحذوف][1]، تقديره: فلا يفعلون، فجوز بعضهم الوقف هنا،ثم قال: وربك لا يؤمنون ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: أي اختلط.

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: وأصل التشاجر الاختلاط والتنازع، ولا يجوز الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا﴾: أي ضيقًا عطف علىٰ يحكموك.

ومحل ﴿مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾: نصب صفة (حرجًا)، المعنىٰ: لا تضيق صدورهم بحكمك[ق/ ٥٦أ].

﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾: ينقادوا من سلّم نفسه وأسلمها لأمر الله تعالىٰ: جعلها خالصة له.

﴿تَسۡلِيمٗا﴾: (تا) مصدر مؤكدًا بطيب نفس.

(١) في جـ: بمحذوف، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: لا يؤمنون حتىٰ يمتثلوا أمرك طائعين راضين، أو نزلت هذه الآية في الزبير وحاطب بن أبي بلتعة حين اختصما إلىٰ النبي ﷺ في شراج من الحرة كان يسقيان بها النخل، فحكم ﷺ للزبير فغضب ابن أبي بلتعة(١).

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

ثم وبخهم علىٰ نفورهم من حكمة ﷺ فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾.

تلخيصه: لو أوجبنا علىٰ هؤلاء قتل النفس أو الخروج من الديار كما أوجبناه علىٰ بني إسرائيل حين طلبوا التوبة.

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾: أي: المكتوب عليهم يدل عليه ﴿كَتَبْنَا﴾.

القراءة: برفع قليل بدل من ضمير فعلوه،أي ما [فعله](٢)﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: وبنصبه علىٰ أصل الاستثناء، أو إلا فعلًا قليلًا، وقوله:(منهم): (كا) صفة قليل، والقليل جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وثابت بن قيس بن شماس، قالوا: والله لو أمرنا محمد ﷺ بذلك لفعلنا، فقال ﷺ: «**إن من أمتي لرجالًا، الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي**»(٣)، ثم زادهم توبيخًا بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: من الطاعة والرضا بالحكم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: ولا أختار الوقف هنا لأنَّ ﴿وَإِذًا﴾: جواب سؤال مقدر؛ لأنَّ «إذن» تكون جوابًا، وهو معطوف علىٰ ما قبله، تقديره: ماذا

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٦٣).

(٢) في جـ: فعلوه، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٦).

يكون لهم بعد التثبيت؟ فقيل: ولو تثبتوا إذن.

﴿لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: المفعول الثاني لآتيناهم.

﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: (تا).

ونزل في ثوبان مولى النبي ﷺ كان شديد الحب له حين قال للنبي ﷺ: إني أخشى ألّا أراك يوم القيامة لعلو منزلتك، أو في جماعة قالوا للنبي ﷺ: كيف نراك وأنت في الدرجات العلى في الجنة مع النبين ونحن أسفل منك؟

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾(١): المبالغين في الصدق.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: هم شهداء أحد، أو الذين استشهدوا في سبيل الله، أو الصدقين أبو بكر عمر وعثمان وعليّ.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (حس) قال ﷺ: **«المرء مع من أحب»** (٢).

تلخيصه: لا يفوت هؤلاء مجالسة الموصوفين بهذه الصفات.

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: (حس) تمييز، أو حال وفيه معنى التعجب، أي ما أحسن أولئك [رفيقًا](٣).

وقرئ: (وحَسْن) بفتح الحاء وسكون السين تخفيفًا، ثم أومأ إلى أنهم إنما نالوا

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في ب: رفقاء، وفي جـ: رفقاء لك، والمثبت من أ.

ذلك بفضل الله تعالىٰ فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ خبره.

﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: (كا) أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ صفته ﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾: (تا) بثواب الآخرة فإنَّه يعطيهم ما علمه لهم.

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: الحِذْر والحَذَر واحد، وهو: الاحتراز.

المعنىٰ: تيقظوا لعدوكم.

﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾: نصب حال جمع ثبة، وأصلها ثبوة، وتصغيرها ثبية، وأما الثبة وسط الحوض؛ لأنَّ الماء يثوب إليها، فأصلها ثوبة عوضوا الهاء من الواو المحذوفة [ق/ ٩٨ب] التي هي عين الكلمة، وأصل النفر: الانزعاج من الشيء، أو إلىٰ الشئ.

المعنىٰ: إذا أسرعتم الخروج إلىٰ الجهاد فانفروا سرية بعد سرية.

﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾: (حس) حال.

وقرئ: بضم فاء (انفُروا).

واللام في ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن﴾: للابتداء وفي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: جواب قسم، ومن بمعنىٰ الذي، والقسم وجوابه صلة الذي، والضمير الراجع إليه ما استكن في ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ بَطَّأَ وأَبْطَاَء وتباطأ واحد تأخر، وهذا خطاب لعسكر النبي ﷺ، وتقدير الكلام ومعناه: وإن منكم،أي ابن أبيّ وأصحابه للذي أقسم بالله ليتأخرن عن الغزو تثاقلًا، ويجوز أن يكون المعنىٰ: ليثقلن غيره عن الغزو، من بطؤ عن الشيء ثقل.

وقرئ: (ليبطئن) مخففًا من أبطأ.

﴿مُّصِيبَةٌ﴾: قتل، أو هزيمة.

﴿شَهِيدًا﴾: حاضرًا.

﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿فَضۡلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: سلامة وغنيمة.

القراءة: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: بفتح اللام حملًا علىٰ لفظ من.

وقرئ: بضمها حملًا علىٰ معنىٰ من.

القراءة: ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ﴾: بتاء مؤنثًا وبياء مذكرًا؛ لأنَّ المودة [ق/٦٦ ج-]والود واحد، وكأن لم تكن ﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾:أي معرفة اعتراض بين ليقولن ومفعولها، وهو﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾: (حس) آخذ حظًا وافرًا من الغنيمة، والمنادىٰ محذوف تقديره: يا قوم ليتني وأبو علي لا يجعله محذوفًا، ويدخل يا علىٰ ليت، وبعضهم يجعل ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ حالًا من ضمير الفاعل في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾.

القراءة: بنصب فأفوز جواب التمني.

وقرئ: برفعه مبتدأ وخبر،أي فأنا أفوز، والمعنىٰ إن أصاب عسكر المسلمين مصيبة فرح المنافقون بذلك وشكروا الله تعالىٰ بتخلفهم عنهم، وإن أصاب المسلمين غنيمة تمنوا أن يكونوا معهم،﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾

وهم ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾: أي: يشترون.

﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: (حس) المعني آمنوا أيها المنافقون وجاهدوا في سبيل الله، وإن نزلت في المؤمنين، فمعنىٰ ﴿يَشۡرُونَ﴾ يبيعون أي: يختارون الأخرىٰ علىٰ الدنيا.

﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ﴾: يستشهد.

﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾: يظفر بعدوه.

﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: (حس).

ثم استفهم موبخًا علىٰ ترك الجهاد فقال: ﴿وَمَا لَكُمۡ﴾: مبتدأ وخبره، ومحل ﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نصب حال العامل فيها الاستقرار نحو مالك قائمًا، وتعطف علىٰ اسم الله.

﴿والمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾: الذين بمكة صدهم المشركون عن الهجرة وآذوهم، أي: وفي سبيل هؤلاء، أو في خلاص هؤلاء، ولا وقف هنا إن جررت ما بعد صفة للمستضعفين، ويقف هنا إن رفعت أو نصبت مدحًا.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾:داعين.

﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ﴾: أي: التي ظلم ﴿أَهۡلُهَا﴾: بكفرهم وصدهم المسلمين عن الهجرة، وتنصب ﴿وَلِيّٗا﴾: مفعولًا وكذلك ﴿نَصِيرًا﴾: (تا)، المعنىٰ: ارزقنا من يتولي أمورنا، وينصرنا علىٰ أعدائنا، ففتحت مكة وولىٰ ﷺ عليهم عتَّاب بن أسيد، فكان ينصف المظلومين من الظالمين لدعائهم.

﴿أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾: (كا).

﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: (تا) واهنًا لا يثبت للحق، لم يكن القتال مفروضًا، فطلبه جماعة من الصحابة فقيل:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ
مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ
وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ
مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ

وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾: عن القتال، وقوله: ﴿إِذَا﴾: للمفاجأة وهيٰ ظرف مكان.

وقوله: ﴿فَرِيقٌ﴾: مبتدأ، ﴿مِّنْهُمْ﴾: صفته خبره ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾: أي: يخافون المشركين، ولا يجوز أن تكون زمانية؛ لأنَّ الزمانية يعمل فيها ما قبلها أو ما بعدها، فإذا عمل فيها ما قبلها كانت من صلته، وهذا فاسد؛ لأنَّ تقديره فلمَّا كتب عليهم القتال في وقت خشية فريق، وهذا يفتقر إلىٰ جواب لمَّا، ولا جواب لها، وإذا عمل فيها ما بعدها كان العامل فيها جوابًا لها، وإذا هنا ليس لها جواب، بل هي جواب لمَّا.

المعنىٰ: لما فرض عليهم القتال خشوا المشركين خشية شديدة.

﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾:أي: كخشيتهم الله، أو كخشية غيرهم الله وهذا من إضافة المصدر إلىٰ المفعول، ومحل الكاف نصب حال من ضمير ﴿يَخْشَوْنَ﴾، تقديره: يخشون الناس مثل خشية، أي مشبهين لأهل خشية الله.

ومحل ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: نصب عطف علىٰ محل الكاف، أو جر عطف علىٰ خشية، والذين ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: حتىٰ نموت بآجالنا هم المنافقون، أو قوم لم يكن الإيمان راسيًا في قلوبهم.

القراءة: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بالتاء والياء.

﴿فَتِيلًا﴾: (تا) محكمًا ما يفتل بين الإصبعين، أو ما يكون في شق النواة، المعنىٰ: لا يقع نقص في شئ من الحسنات ثَمَّ.

ثم أخبر أنَّ الحذر لا ينجي من القدر فقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾:و«ما» زائدة؛ لتوكيد معنىٰ الشرط ،وجواب الشرط ﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ﴾:أي وإن ﴿كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾: (كا) في حصون مجصصة مبنية بالشيد الجص، أو مرتفعة.

وقرئ: (يدركُكم) رفعًا علىٰ تقدير الفاء،أي. فيدرككم، أو استئناف تقديره ولا

تظلمون فتيلًا أينما تكونوا، فلا تقف علىٰ ﴿فَتِيلًا﴾، وتقف علىٰ ﴿تَكُونُواْ﴾ علىٰ هذا.

وقرئ: (مشيدة) من شدت البناء رفعته، أو عملته بالشيد.

وقرئ: (مشيدة) بكسر الياء علىٰ إضافة الفعل إليها مجازًا، كقولهم: قصيدة شاعرة.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾: أي: المنافقين ومن جرىٰ مجراهم.

﴿حَسَنَةٌ﴾: خصب وغنيمة وظفر يوم بدر.

﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدب وهزيمة يوم أحد.

﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ﴾: يا محمد أي: بسبب شؤمك، وهذه كقوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ [الأعراف:١٣١]، فقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: التنوين عوض من محذوف، أي كل شيء، وكل مبتدأ [ق/ ٩٩ب] خبره ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾: (كا) المعنىٰ: لا قدرة لأحد غيره.

ثم عجب من جهل هؤلاء بقوله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: (حس) لا يفهمون معاني القرآن، أو لا يتفكرون بعجزهم عن جلب نفع أو دفع ضر، فيعلمون أنَّ الكل من عند الله، في هذا دليل علىٰ وجوب الاجتهاد والعمل بالقياس.

القراءة: فما لهؤلاء وفمال للذين وفمال هذا بالوقف علىٰ فما دون اللام، وعلىٰ فمال منفصلة عما بعدها اتباعًا لخط المصحف، وليست هذه الوقوف بمختارة، ولذلك إذا وقف ينبغي أن يبتدئ بما قبل وقفه.

ثم خاطب النبي ﷺ والمراد غيره، أو خاطب غيره فقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾: أي: يا إنسان، فما [الموضعان][1] شرط ، و﴿أَصَابَكَ﴾ بمعنىٰ يصيبك.

(١) سقط من جـ، والمثبت من أ، ب.

﴿مِن سَيِّئَةٍ﴾: أي بلية وجوابها ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فَمِن نَّفۡسِكَ﴾: أي: بذنوبك كقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠].

عائشة[١]: ما من مسلم يصيبه نصب ولا وصب حتىٰ الشوكة يشاكها العبد وحتىٰ انقطاع شسع نعله إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر.

وقرئ: (فمن نفسك، وأنا كتبتها عليك).

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗا﴾:(كا) حال مؤكدة،أي ذا رسالة، أو مصدر أي إرسالًا.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾: (تا) شاهدًا يشهد عليهم، كان ﷺ يقول:«**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني فقد أحب الله**» فقال بعض اليهود: ما يريد محمد إلا أن يتخذ ربًا فنزل:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن طاعته[٢].

﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾:(حس) حال من الكاف،[ق/ ٥٧أ] و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ متعلق بـ﴿حَفِيظٗا﴾،أي حافظًا عليهم أمورهم بكل أمورهم إلىٰ الله تعالىٰ كقوله: ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى:٤٨] أو هذا نسخ بآية السيف[٣].

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾: خبر مبتدأ،أي: أمرنا وشأننا طاعة، المعنىٰ: شأننا أننا

---

(١) انظر « الكشاف»(١/ ٥٣٩).

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٦٦).

(٣) انظر «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ١٦)

نطيعك، ويجوز نصب (طاعة) لغة،أي أطعناك طاعة، ولا يقف هنا لأنَّهم لو قالوا: شأننا طاعة لا يزيدون معتقدين لكانوا موحدين، ولأنَّ الفائدة بعد لأنَّ المعنىٰ أنهم كانوا ينافقونك ويظهرون أنهم يطيعونك.

﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾: أي: خرجوا.

﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: **القراءة**: بإدغام التاء في الطاء؛ لاشتراكهما في المخرج، وبإظهار التاء مفتوحة؛ لأنَّه فعل ماضٍ، والتاء لام الكلمة وليست للتأنيث علىٰ القراءتين، وذكر الفعل لأنَّ الطائفة بمعنىٰ الفريق، ولأنَّ تأنيثها غير حقيقي، وأصل التبييت تدبير الشيء ليلًا، وكل مقدر مبيت، المعنىٰ: جماعة المنافقين [تظهر][1] في حضورك خلاف ما يضمر ويقول في غيبتك قولًا ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾: في مجلسك، أو المعنىٰ: أنَّ المنافقين يدبرون غير الذي تقول أنت لهم.

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾: في اللوح المحفوظ، أو تكتب الحفظة.

﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾: أي [يزورون][2].

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم، أو لا تخبر بالمنافقين.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فهو كافيك.

﴿وَكِيلًا﴾: (تا) أصل التدبير تأمل الشيء، والنظر في إدباره وعاقبته، المعنىٰ: لو اعتبروا القرآن لتيقنوا أنَّه من عند الله لعدم تناقضه.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾:تناقضًا ﴿كَثِيرًا﴾. وأما نحو ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢]، و﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]، فليس باختلاف، وإنما يكون السؤال في مكان دون مكان، لا أحب الوقف هنا لأجل واو العطف بعد.

---

(١) في جـ: يظهرون، والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: يدبرون، والمثبت من أ، ب.

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾

ونزل فيمن كان يغشىٰ ما يسمع لتضعف قلوب المؤمنين: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾: أذاع السرّ وأذاع به كقوله(1):

أذاعوا به في الناس حتىٰ كأنَّه   بعلياء نار أوقدت بثقوب.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾:أي: الخبر.

﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾: أصحاب الرأي من الصحابة.

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾: وأصل الاستنباط: الإخراج والتتبع، المعنىٰ: لوردوا ما سمعوا من الخبر إلىٰ هؤلاء لعلموا ما يفشىٰ فيفشىٰ وما يكتم فيكتم [ق/ ٦٧ جـ].

وقرئ: (لعلْمه) بإسكان اللام؛ تخفيفًا.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾:بالإسلام.

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: بالقرآن.

﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: أي لضللتم باتباعه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾:(كـا) منكم، والاستثناء من فاعل ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾، والمراد: الذين اهتدوا قبل النبي ﷺ كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل، أو من مات غير مكلف، أو الاستثناء من المستنبطين،أي لعلمه المستنبط إلا قليلًا منهم لم يعلمه، أو من أذاعوا به، أي: أذاعوه إلا قليلًا لم يذعه وهم المؤمنون، ولا وقف بين

(1) القائل هو: أبو الأسود الدؤلي، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٤٥).

المستثنىٰ والمستثنىٰ منه.

لمَّا أراد النبي ﷺ الخروج إلىٰ بدر الصغرىٰ لحرب أبي سفيان كره ذلك بعضهم نزل ما الفاء فيه عاطفة علىٰ ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أو علىٰ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أو علىٰ ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وهو ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

القراءة: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: فنفسك المفعول الثاني.

وقرئ: (لا تكلفْ) جزمًا نهيًا، ولا نكلف بنون وكسر اللام،أي: لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها، وأصل الكلف الإبلاغ بالشيء، كلف فلان بكذا أولع به، والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو بتصنع، فالمحمود منه ما فعل بمشقة حتىٰ ألف ففعل بمحبة كالعبادات، والمذموم منه ما يتعاطا تصنعًا ورياء، ومحل (لا يكلف) حال، المعنىٰ: قاتل المشركين وانصر المستضعفين بمكة ولو وحدك فإنك موعود بالنصر.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾:أي: صولة وحرب.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: (كا) وقد كف بتخلف أبي سفيان عن الخروج إلىٰ بدر الصغرىٰ تلك السنة.

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾: نصب تمييز من قريش.

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: (تا) عقوبة تمييز أيضًا، فخرج ﷺ بسبعين راكبًا، ولو لم يخرج معه أحد لخرج وحده امتثالًا لأمر الله تعالىٰ.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾: هي الإصلاح بين الناس، أو يقول [ق/ ١٠٠ب] فيهم خيرًا، أو يدعولهم، أو هي الشفاعة في دفع [شر][1] أوجلب نفع مع جوازها شرعًا، ويبتغي بها وجه الله تعالىٰ، ولا يوخذ عليها رشوة، وعن مسروق أنَّه شفع

(١) في جـ: ضر، والمثبت من أ، ب.

لإنسان في شيء فأهدىٰ له جارية، فغضب وردها، وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت بحاجتك، ولا أتكلم فيما بقي منها، والشفاعة السيئة خلاف الشفاعة الحسنة.

﴿كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: (كا) والكفل. الضعف من الشيء، وفرق بعضهم بين الكفل والنصيب فقال: النصيب الحظ، والكفل هنا مستعار من الكفل الردئ من الشئ، واشتقاقه من الكفل؛ لمشقة الركوب [عليها][1]، ثم صار متعارفًا للحمل علىٰ كل شدة كالسيساء للعظم الناتئ في ظهر الحمار[2]، [فيقال][3]: لأحملنه علىٰ الكفل وعلىٰ السيساء.

المعنىٰ: من يعين غيره في فعله حسنة يكن له منها حظ، ومن يعين غيره في فعلة سيئة يناله منها شدة، قال ﷺ: **«اشفعوا فلتؤجروا، [وليقض][4] الله علىٰ لسان نبيه ما شاء»**[5].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾: (حس) حافظًا وشاهدًا ومقتدرًا، وياؤه بدل من واو لأنَّه من القوت، لأنه يمسك النفس ويحفظها.

تلخيصه: الله قائم عليه يحفظه ويقيه.

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

أصل ﴿بِتَحِيَّةٍ﴾: تفعلة من الحياة، فنقلت حركة الياء إلىٰ الحاء، ثم أدغمت، ومعنىٰ حييت فلانًا قلت له: حياك الله،أي جعل الله لك حياة، وهذا إخبار متضمن

(١) في جـ: عليه، والمثبت من أ، ب.
(٢) انظر «لسان العرب» (٦/ ١٠٩).
(٣) في جـ فقال، والمثبت من أ، ب.
(٤) في جـ: ويقضي، والمثبت من أ، ب.
(٥) أخرجه البخاري (١٣٦٥)، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

معنىٰ الدعاء، والمراد بتحية هنا: السّلام عليكم.

وقوله: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾: عليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد مثلها.

ابن عباس[١] رضي الله عنه: انتهىٰ السّلام إلىٰ البركة.

وفي ﴿رُدُّوهَآ﴾: (كا) حذف مضاف، أي: ردوا مثلها، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا تخيير بين الزيادة والرد، والسّلام سنة علىٰ الكفاية، والرد فرض علىٰ الكفاية، إذا قاله بعض سقط عن كل، ولا يرد السّلام في الخطبة، وقراءة القرآن ومذاكرة العلم.

أبو يوسف: لا يسلم علىٰ لاعب النرد والشطرنج.

والمعنىٰ: والقاعد علىٰ الحاجة ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره من غير ضرورة.

ورأىٰ بعضهم السلام علىٰ الطهارة، وروي أنَّه ﷺ تيمم لردّ السّلام، وقالوا: يسلم [الرجل][٢] علىٰ زوجته، ولا يسلم علىٰ أجنبية، ويسلم الماشي علىٰ القاعد، والراكب علىٰ الماشي، وراكب الفرس علىٰ راكب الحمار، والصغير علىٰ الكبير، والأقل علىٰ الأكثر، ويبادر إلىٰ السّلام، ولا يبدأ أهل الذمة بالسّلام، ولا يصافحون، وجوز بعضهم البداية بالسلام إذا كان ثَمَّ ضرورة، ولا يقال لأهل الذمة: وعليكم بالواو؛ لأنَّها للجمع، قال ﷺ: **«إذا سلم عليكم أحد من اليهود فإنما يقول السام عليكم، فقل: عليكم»** [٣]، أي: عليك مثله، وقال ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا**

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٦٦٩).

(٢) في جـ: الزوج، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٠٢)، ومسلم (٢١٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فعلتموه تحاببتم أفشوا السّلام بينكم»[(١)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾: (تا) محاسبًا على السّلام وغيره.

واللام في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: لام قسم، تقديره والله ليحشرنكم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: سمي بذلك لقيام الناس فيه من قبورهم إلى الحساب.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:(كا) أي في ذلك اليوم.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾: (كا) بالصاد الخالصة، وبإشمامها الزاي، ولا حديث أصدق من حديث الله؛ لأنَّه تعالى منزه عن الكذب لقبحه؛ لأنَّه الإخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه.

﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾

ونزل فيمن أسلم ثم ندم ثم ارتد ﴿فَمَا لَكُمْ﴾: مبتدأ وخبر، [ونصب][(٢)] ﴿فِئَتَيْنِ﴾: حال كقولك: ما لك قائمًا، والمعنى: ما شأنكم اختلفتم وافترقتم فرقتين في قوم نافقوا ثم ارتدوا، ولم تقطعوا جميعًا بكفرهم.

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾:ردهم وعكسهم إلى الكفر.

وقرئ: (ركسهم).

﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾:(كا) بسبب كسبهم، وهو ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين.

---

(١) أخرجه مسلم(٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في جـ: ومحل، والمثبت من أ، ب.

ثم وبخ علىٰ طلب هداية الضال ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾: (حس)، المعنىٰ أتطلبون هداية من أضله الله.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: (كا) طريقًا إلىٰ الحق.

والكاف في ﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾: صفة مصدر محذوف، وما مصدرية.

﴿فَتَكُونُونَ﴾: عطف علىٰ (تكفرون)،أي: ودوا لو تكفرون كفرًا مثل كفرهم فتكونون سواءً،أي مستوين أنتم وهم في الكفر.

﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: وإن أظهروا الإيمان.

﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾: هجرة صحيحة لا يريدون بها إلا الله تعالىٰ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾:عن الهجرة والإيمان.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾: أي: أسروهم، ومنه الأسير أخيذ.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾: ولا يوقف علىٰ ﴿نَصِيرًا﴾: لأنَّ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾: استثناء من ضمير المفعول في ﴿ٱقْتُلُوهُمْ﴾.

ومعنىٰ ﴿يَصِلُونَ﴾: ينتسبون ويلتجئون بالحلف.

﴿إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: وهم قوم هلال بن عويمر الأسلمي، كان قد وادعه ﷺ قبل خروجه إلىٰ مكة ألَّا يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلىٰ هلال من قومه وغيرهم فله من الجوار مثل ما لهلال.

و﴿مِّيثَٰقٌ﴾ مرتفع بالظرف؛ لأنَّه وقع صفة أو مبتدأ، والجملة في موضع جر صفة ﴿قَوْمِۭ﴾، وتعطف ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ﴾: (كا) المعنىٰ ضاقت قلوبهم عن قتالكم وقتال قومهم، وهم الذين عاهدوا النبي ﷺ، أو هم بنو مدلج جاؤوا إلىٰ النبي ﷺ غير مقاتلين علىٰ صفة قوم، أي إلا الذين يصلون إلىٰ قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم، أو تعطف أو جاؤكم علىٰ صلة الذين، أي: إلا الذين يصلون إلىٰ قوم

معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم، أو تعطف ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ علىٰ صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أي إلا الذين يتصلون بالمعاهدين، أو الذين لا يقاتلونكم.

ومحل ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾، نصب حال، وقد مقدرة كقوله:

تصابىٰ وأمسىٰ علاه الكبر

أو صفة لموصوف محذوف، أو محذوف، أو جاؤوكم قومًا حصرت صدرورهم أو جر صفة قوم، يوضحه ما قرئ: (بينكم وبينهم ميثاق حصرت) بغير (أو جاؤكم) فتكون (أو جاؤكم) اعتراضًا.

وقرئ: (جاؤكم) بغير «أو».

وقرئ: (حضرة صدورهم) نصبًا حالًا وجرًّا صفة «قوم».

وقرئ: (حاصرات صدورهم)، و(حصرات صدورهم).

وقرئ: حصيرة صدورهم مبتدأ وخبر، ومحلها نصب حال.

تلخيصه: إن لم يأتوا بالإسلام كما ينبغي فاقتلوهم واجتنبوهم [ق/ ١٠١ب]، إلا المتصفين بهذه الصفات فاتركوهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾: لحكم يعلمها.

﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾: **وقرئ:** (فلقتلوكم) مخففًا ومشددًا[ق/ ٥٨أ].

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾: لم يتعرضوا لقتالكم.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصلح والانقياد.

وقرئ: بسكون اللام.

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: (حس) طريقًا بالقتل.

ونزل في أسد وغطفان ومن جرىٰ مجراهم، حيث أظهروا الإيمان وهم غير مؤمنين، فلمَّا رجعوا إلىٰ قومهم كفروا:

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن

لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ
وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن
قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾: بقولهم لكم: آمنا.

﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾: بكفرهم عند عودهم إليهم.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلىٰ الكفر وإلىٰ قتالكم.

﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ﴾:وقعوا في الفتنة أشد وقوع.

وقرئ: (ركسوا)، وأصل الركس قلب الشيء علىٰ رأسه.

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن قتالكم فاقتلوهم.

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ﴾: تمكنتم من قتلهم لأنَّا ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[ق/ ٦٨ جـ]: (تا) حجة ظاهرة بالقتل.

ونزل فيمن قتل مؤمنا خطًا : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾: وتنصب.

﴿إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾: استثناءً منقطعًا، كقوله:﴿إلا اللمم﴾، أي لكن أن تلموا، أو مفعولًا له، أي ما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا لعلة من العلل إلا للخطأ [أحسب](١)، أو حالًا أي لا يقتله في حال من الأحوال، إلا في حال الخطأ، والخطأ ما لم يتعمده الإنسان بأن يقصد شيئًا فيصيب غيره، أو أن يرمي شخصًا معتقد أنه كافر، فإذا هو مسلم.

---

(١) في ب، جـ: حسب، والمثبت من أ.

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـًٔا﴾: مصدر في موضع الحال، أو صفة محذوف، أي: قتلًا خطأ.

وقرئ: (خطاء) مدًّا، و(خطىٰ) كعمىٰ.

﴿فَتَحۡرِيرُ﴾: خبر مبتدؤه محذوف، وهما خبر من أي، فالواجب علىٰ القاتل عتق ﴿رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾: الرقبة والنسمة كناية عن الإنسان، والهاء لتأنيث اللفظة لا لتأنيث ذات الرقبة.

عطاء[1]: تجزئ كل رقبة كانت علىٰ حكم الإسلام، وعليه عامة العلماء.

وعن ابن عباس والحسن: أنه لا تجزئ إلا رقبة قد صلت وصامت، ولا تجزئ الصغيرة، قالوا: وفائدة ذلك أنَّه لمَّا أخرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار؛ لأنَّ إطلاقها كإحيائها لأنَّ الرقيق كالميت؛ لأنَّه ممنوع عن تصرف الأحرار، ولأنَّه لا حكم له في نفسه.

﴿وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ﴾: مؤداة.

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾: إلىٰ ورثة القتيل بدل النفس، والرقبة في مال القاتل، والدية علىٰ عاقلته، وهم عصبته، والهاء في دية عوض من الواو المحذوفة؛ لأنَّ أصلها ودية كعدة، فإن لم يكن له ورثة فلبيت المال.

والاستثناء في ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾: (كـا) منقطع، أو متصل، وأصله إلا أن يتصدقوا.

وقرئ بها، ومحل (أن يصدقوا) نصب حال من ﴿أَهۡلِهِۦٓ﴾، أي: إلا متصدقين، وأن يصدقوا متعلق بمسلمة،أي: يسلمها إليهم إلا حين التصدق عليه.

المعنىٰ: تلزمه الدية في كل حال، إلا في حال التصدق عليه بها.

﴿فَإِن كَانَ﴾: المقتول.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٦).

﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾: أي حرب للمسلمين لا عهد بينكم وبينهم.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾: (كا) ولا تُسلّم الدية إلىٰ أهله ؛ لأنَّهم كفار محاربون.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾: (كا) لأنَّ حكمه حكم المسلم.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الرقبة بألَّا يملكها، ولا يقدر علىٰ التوصل إلىٰ تحصيلها.

﴿فَصِيَامُ﴾: أي فعليه صيام.

﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: وتنصب ﴿تَوْبَةً﴾: أي قبولًا مصدرًا، أي: تاب الله عليكم توبة، أو مفعولًا له، أي شرع ذلك للتوبة، وقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: (كا) صفة (توبة).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بمن قتل.

﴿حَكِيمًا﴾: (حس) فيما حكم.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾

ونزل فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾: حال من ضمير القاتل، بأن يقصد قتله بنيته وفعله مع علمه بإيمانه.

﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾: مبتدأ خبره ﴿جَهَنَّمُ﴾: وهما خبر من ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾: حال مذهب الأكثر قبول توبة قاتل المؤمن عمدًا لقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [طه:٨٢]، ولقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، وقال ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة»** (١).

---

(١) تقدم تخريجه.

ويحملون الآية علىٰ من قتل مؤمنًا مستحلًا لقتله، وعن ابن عباس: أنَّ توبة قاتل مؤمن عمدًا غير مقبولة، وأنَّه يخلد في النار، وعنه أيضًا أنَّه إن لم يكن قتل يقال له: إنَّ الله لا يغفر لك لئلا يقدم علىٰ القتل، وإن كان قد قتل يقال له: يغفر الله لك لئلا يايئس.

﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾:(تا).

ونزل في أسامة بن زيد - لمَّا وجه في سرية، فسمع رجلًا يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فقتله واستاق غنمه، ورجع إلىٰ النبي ﷺ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾(١): أي سافرتم.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾: من البيان، و«تثبتوا» من الثبات، أي: تعرفوا حاله وتثبتوا في قتله.

القراءة: ﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾: بغير ألف وبألف لغتان بمعنىٰ السلام والتحية، أو السّلام المقادة والخضوع، وهو قوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

المعنىٰ: إذا رأيتم أمارة ظاهرة علىٰ إسلام شخص، فلا تقتلوه ولا تقولوا له: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: إنما تفعل هذا تقية لحفظ مالك ونفسك.

وقرئ: (مؤمنًا) بفتح الميم الثانية اسم مفعول من آمنته.

ومحل ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من الغنيمة الغنم حال من الفاعل، ثم ذكرهم أنعمه عليهم فقال: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾:تكتمون إيمانكم من المشركين.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بالهداية وإظهار الإسلام، فافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم.

وروي أنه ﷺ قال : «**أقتلتموه إرادة ما معه؟**» ووجد عليه، فقال أسامة:استغفر

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٧١).

لي يا رسول الله، فقال: «فكيف بلا إله إلا الله» مراراً، قال أسامة: فوددت أنِّي لم أكن أسلمت إلا يومئذ[1].

ثم كرر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: (كـا) أن تقتلوا مؤمنًا خطًا تأكيدًا وزجرًا عن الإقدام [ق/ ١٠٢ب] على القتل بغير تحقيق.

القراءة: بكسر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾: (تا) فلا تقدموا على القتل إلا بعد التحقيق استئناف.

وقرئ: بفتح (أن) معمولة (تبينوا).

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قالوا: لمَّا سمع ابن أم مكتوم وكان أعمى النبي ﷺ يملي على زيد بن ثابت ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾، ومحل ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: حال من ﴿ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ قال: يا رسول الله لو استطعت الجهاد لجاهدت فنزل ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[2]: أي: المرض وكل عاهة من عمى وزمن وغيرهما ضرر.

القراءة: بنصب ﴿غَيۡرَ﴾ استثناء من ﴿ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾، أو حالًا منهم ورفع صفة للقاعدين.

وقرئ: بجر (غيرِ) صفة للمؤمنين، ونفى التساوي بين [المجاهد][3] والقاعد بغير عذر وإن كان معلومًا توبيخًا للقاعد عن الجهاد، وتحريكًا له عليه كقوله:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٣).

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٧٥).

(٣) في جـ: المجاهدين، والمثبت من أ، ب.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] تحريكًا لطلب العلم توبيخًا على الرضا بالجهل، قال ﷺ لمَّا رجع من تبوك: «**إنَّ بالمدينة لأقوامًا ما سرتم من مسير ولا قطعتم من وادٍ إلا كانوا معكم فيه**»، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟! قال: «**نعم وهم بالمدينة، حبسهم حابس العذر**»[(١)]، وهؤلاء هم الذين صحت نياتهم، وتعلقت قلوبهم بالجهاد، وإنما منعهم من الجهاد الضرر.

﴿وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عطف على (القاعدون) ويتعلق ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: بالمجاهدين.

﴿وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾: (كا) عطف على (أموالهم)، وكفي الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعد جملة موضحة لنفي التساوي بين القاعد والمجاهد، كأنَّه قيل: ما لهم لا يستون؟ فقيل: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾: بالمال والنفس.

﴿عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾: عذرًا.

﴿دَرَجَةٗۚ﴾: نصب حال أي ذوي درجة أو مصدر، أي فضلهم تفضيلة كضربه سوطًا، أي: ضربه [ضربة][(٢)]، وفضَّل الله المجاهدين بالمال والنفس على القاعدين عذرًا درجة؛ لأنَّ المجاهد مباشر مع نية، [وللقاعد][(٣)] نية ولا مباشرة.

ثم أومأ تعالى إلى منته على الفريقين فقال: ﴿وَكُلّٗا﴾: نصب مفعول أول لقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: الثاني ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: المعنى: كل واحد من الفريقين وُعِدَ العدة الحسنى، وهي الجنة، ولا يكفي الوقف هنا وإن كان ما بعد أيضًا جملة موضحة لما قبل، لوجود حرف العطف في ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾: مطلقًا.

﴿عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾: مطلقًا، أو لغير عذر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٦١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ومسلم (١٩١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في جـ: بسوط، والمثبت من أ، ب.

(٣) في أ ،ب : والقاعد، والمثبت من جـ.

﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: نصب بفضل؛ لأنَّ «فضل» بمعنىٰ أجر، أي: آجرهم أجرًا، ولا [يوقف][(١)] هنا لأنَّ ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ﴾: نصب بدل من ﴿أَجۡرًا﴾.

﴿وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾: عطف علىٰ ﴿دَرَجَٰتٖ﴾، أو هما نصب بمضمر، أي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة.

تلخيصه: المجاهدون فضلوا علىٰ القاعدين لعذر درجة، وفضلوا علىٰ القاعدين بأمر النبي ﷺ لغير عذر درجات، قال ﷺ: «**من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا وجبت له الجنة**»، فعجب منها، ثم قال ﷺ: «**وأخرىٰ يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فقيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله**»[(٢)].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾: (تا).

ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر لمَّا كانت الهجرة واجبة، وخرج مع المشركين إلىٰ بدر فقتل كافرًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾: يجوز أن يكون ماضيًا، أي: توفتهم، ومستقبلًا، أي تتوفاهم ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: وتنصّب ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: حالًا، أي في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر، وترك الهجرة والمقام في دار الشرك، فثم الملائكة لهؤلاء المتوفين قبل نسخ وجوب الهجرة توبيخًا ﴿قَالُواْ فِيمَ﴾: أي في شيء؟

﴿كُنتُمۡۖ﴾: من أمر دينكم، فلمَّا وبخوا علىٰ ترك الهجرة معتذرين ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ﴾: أي عاجزين عن الهجرة.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: أرض مكة، فثم الملائكة موبخين ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾.

تلخيصه: كنتم قادرين علىٰ الخروج إلىٰ بعض البلاد، فلم تخرجوا.

---

(١) في جـ: وقف، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه مسلم(١٨٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: في هذا دليل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب، وعلم أنَّه يتمكن من إقامته في غيره [ق/ ٦٩ جـ] حقت عليه المهاجرة، في الحديث: «**من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبرًا من الأرض استوجب له الجنة، وكان رفيق إبراهيم ونبيه محمد عليهما السّلام**»(١)، ولا وقف هنا لأنَّ

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: استثناء من قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾، أو هو منقطع.

ومحل ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: حال من المستضعفين، ومحل ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: الجملة رفع استئناف، فيوقف على ﴿ٱلْوِلْدَٰنِ﴾، أو جر صفة ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾، وجاز وصف المستضعفين بالجمل وهي نكرات؛ لأنَّ الموصوف وإن وجد فيه حرف التعريف فليس بشيء يعرفه كقوله(٢):

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسبُّني

المعنى: هم عاجزون عن الهجرة لضعفهم وفقرهم.

﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾: (حس).

---

(١) قال الزيلعي: رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ فِي تَفْسِير سُورَة العنكبوت، أخبرنَا عبد الله بن حَامِد الْوزان ثَنَا أَحْمد بن مُحَمَّد بن شَاذان، ثَنَا جَعونَة بن مُحَمَّد التِّرْمِذِيّ ثَنَا صَالح بن مُحَمَّد عَن سُلَيْمَان ابن عمر عَن عبَادَة بن مَنْصُور النَّاجِي عَن الْحسن قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**من فر بِدِينِهِ من أَرض إِلَىٰ أَرض، وَإِن كَانَ شبرًا من الأَرْض اسْتوْجبَ الْجنَّة وَكَانَ رَفِيق إِبْرَاهِيم وَمُحَمّد عَلَيْهِمَا السَّلَام**».

«تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٥١).

(٢) القائل هو رجل من بني سلول، والبيت بتمامه:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿مُرَٰغَمًا﴾: متحولًا.

﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾: في الرزق، المعنىٰ: مكانًا يتحول إليه علىٰ رغم [ق/ ٥٩أ] أنفهم، أرغمت الرجل فارقته بكره منه لمذلة تلحقه بذلك، وأصل الرغم: لصوق الأنف بالرغام ذلًّا وهو التراب[١].

وقرئ: (مَرْغَمًا).

ونزل لما خرج جندع بن ضمرة من مكة محمولًا علىٰ سريره مهاجرًا إلىٰ المدينة، فمات في الطريق، فقال بعض المسلمين: لو وصل إلىٰ المدينة لكان أتم ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٢]، **القراءة**: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾: قبل بلوغه مهاجره جزمًا عطفًا علىٰ (يخرج).

وقرئ: برفع (يدركُه) استئنافًا، وبنصبه بإضمار «إن».

﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: أي وجب.

﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: (كا) بإيجابه تعالىٰ علىٰ نفسه.

﴿رَّحِيمًا﴾: (حس)

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: أي سافرتم.

---

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٥٥٦): مُراغَمًا مهاجرًا وطريقًا يراغم بسلوكه قومه، أي يفارقهم علىٰ رغم أنوفهم.
والرغم: الذلّ والهوان. وأصله لصوق الأنف بالرغام- وهو التراب- يقال: راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٧٨).

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: سفرًا يبلغ مسيرة ليلتين قاصدتين، وهو ستة وأربعون ميلًا بالهاشمي عند الشافعي، وعند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام بلياليهن.

﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: [ق/ ١٠٣ب] بأن تردوها من أربع إلىٰ اثنين، ولا يعتبر البطؤ والإسراع في جواز القصر، فلو سار مسيرة ثلاثة أيام في يوم قصر، وإن سار مسيرة يوم في ثلاثة [أيام][(١)] لم يقصر.

عن عطاء[(٢)]: أنَّه يردها إلىٰ ركعة.

ويجعل الخوف شرطًا لجواز القصر لقوله: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ﴾: أي: يقتلكم وينالكم بما تكرهون.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾:(كا) والصحيح أن الخوف ليس بشرط لما صح أنَّ النبي ﷺ سافر بين مكة والمدينة لا يخاف إلا الله، وكان يصلي ركعتين، فالشافعي يقصر ويتم، والقصر أفضل لقول عائشة[(٣)]: أول ما فرضت الصلاة ركعتان، فأقرت في السفر، وزيدت في الحضر.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾

القصر في السفر عند أبي حنيفة عزيمة؛ لأنَّه تعالىٰ نفي الجناح بقوله: ﴿فَلَيۡسَ

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢٤).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٣)، ومسلم (٦٨٥).

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ونفي الجناح إنَّما يكون في الرخص لا في الحتم.

وقرئ: (من الصلاة أنْ يفتنكم) بلا «خفتم»، تجعل (أن يفتنكم) مفعولًا له أي: كراهة أن يفتنكم، الأخفش: «من» زائدة. سيبويه: هي صفة محذوف،أي شيئًا من الصلاة.

﴿مُّبِينًا﴾:(حس) لمَّا أراد أن يتحيَّن المشركون غِرَّة المسلمين فيحملوا عليهم لاشتغالهم بصلاتهم نزل تعليمًا لهم: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: يا محمد حاضرًا في أصحابك.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾: مصلية، وطائفة وجاه العدو.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾:أي غير [المصلين][1]، ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾:فعلى هذا يأخذون ما شاؤوا من السلاح، أو المراد المصلون، فيأخذون ما لا يشغل عن [صلاة][2] كالخنجر والسيف؛ لأنَّ السّلاح كل ما يقاتل به، ويمتنع من الإسليح[3] نبت، وكان الراعية إذا أكلته سمنت فتمنعت عن النحر.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾:المصلون معك.

﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾: إذا صلوا حراسًا لكم.

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾: غير الذين صلوا.

ومحل ﴿لَمْ يُصَلُّواْ﴾: رفع صفة ﴿طَآئِفَةٌ﴾.

﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ﴾: أي الآتون، أو المصلون.

﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: ولمَّا كانوا آخذين بالحذر في كل موطن، حتى صار كأنَّه سلاح لهم جمعه معها، وهكذا ينبغي ألَّا يزال الإنسان حذرًا معتمدًا على الله سيما مع أعداء الدين.

---

(١) في جـ: مصلين، والمثبت من أ، ب.
(٢) في جـ: الصلاة، والمثبت من أ، ب.
(٣) الإسليح: بقلة تسليح المواشي إذا رعتها. «تاج العروس» (ص/ ٤٨١٦).

ثم أومأ إلىٰ زيادة تحذير فقال: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾: وقرئ: (وأمتعاتكم).

﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً﴾: أي فيقصدونكم بالسوء قصدة ﴿وَاحِدَةً﴾: (حس).

ولمَّا أمرهم بحمل السلاح رخص لهم بتركه لعذر فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: (كا) وإن لم تحملوا السلاح.

﴿مُّهِينًا﴾: (كا).

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: من فرغتم من صلاة الخوف.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بالتسبيح والتهليل والتمجيد وتنصب ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: (كا) أحوالًا.

تلخيصه: اذكروه في هذه الأحوال، أو معنىٰ قضيتم الصلاة: شرعتم فيها، فيكون المراد بقيامًا أي: مسايفين في الصلاة، وقعودًا جاثين علىٰ الركب، وعلىٰ جنوبكم مثخنين بالجراح، فالشافعي يوجب الصلاة علىٰ الخائف إذا كان أهلًا لها بكل حال، وأبو حنيفة [لا يجيزها، ويبطلها حالة القتال، فإذا أمن قضىٰ](1).

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: أي أمنتم.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: (كا) أي: أتموها أربعًا.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾: (حس) واجبًا مقدرًا وقتها، فلا تؤخر عنه، في هذا حجة للشافعي حيث يوجبها في كل حال.

﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

---

(١) في جـ: يعذره في حالة، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ﴾: (كا) لا تضعفوا في طلب الكفار، ثم شجعهم على ذلك فقال: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ﴾: تجدون ألم الجراح.

﴿فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾: **القراءة**: بكسر «إن» شرطًا.

وقرئ: بفتحها، أي لأن تكونوا.

وقرئ: (تيلمون) بكسر التاء وقلب الهمزة ياء.

تلخيصه: ذلك مشترك بينكم، ولكم عليهم مزية؛ لأنَّ حالكم أنَّكم ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من الجنة والثواب.

﴿مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾: لأنَّهم لا يؤمنون بالبعث.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: (تا).

سرق طعمة بن أبيرق درعًا من بني ظفر، وتركها عند زيد اليهودي، ثم حلف أنَّه ما سرق شيئًا، فظهرت الدرع عند اليهودي، فأراد النبي ﷺ قطع يد اليهودي فنزل ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾(١): بالحدود والأحكام.

﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾: (حس) بما علمك وأوحى إليك.

﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ﴾: أي طعمة وكل خائن.

﴿خَصِيمًا﴾: (تا) مخاصمًا مدافعًا عنه.

﴿رَّحِيمًا﴾: (حس).

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ١٠٩﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾: أي: لا تخاصم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ١٨١).

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾: (كا) هم طعمة وقومه، قالوا: هذا خطاب للنبي، والمراد غيره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾: (حس) مبالغة؛ لأنَّ طعمة بالغ في الخيانة باليمين الكاذبة والسرقة.

﴿يَسۡتَخۡفُونَ﴾: يستترون حياءً.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: وأصله طلب الخفاء.

﴿وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾: بعلمه وقدرته.

﴿إِذۡ يُبَيِّتُونَ﴾: أي: يدبرون ويقولون ليلًا.

﴿مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾: وهو حلف طعمة أنَّه ما سرق شيئًا.

﴿مُحِيطًا﴾: (حس).

﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾: يا قوم طعمه مبتدأ خبره.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: وما بعد جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرًا وهي ﴿جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ﴾: عن الخائنين في الدنيا.

وقرئ: عنه، أي عن طعمه.

﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ﴾: إذا عذبوا.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا﴾: (حس) محاميًا عنه.

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمًا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمًا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

ثم أومأ إلىٰ قبول التوبة فقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾: أي: سرقة، أو شركًا.

﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾: برميه البرئ، أو بذنب دون الشرك ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾: يتب.

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾: (حس).

﴿عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾: (تا).

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً﴾:هي سرقة الدرع.

﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾:ذنبًا وهو يمينه الكاذبة.

﴿ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾: والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ للإثم، أو جعل الخطيئة والإثم واحدًا؛ لأنَّهما بمعنى الذنب، المعنى: من سرق واتهم غيره، فقد ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾: أي تحمل.

﴿بُهۡتَٰنٗا﴾: أصله كل ما يبهت له الإنسان من ذنب غيره [ق/ ١٠٤ب].

﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾:(حس) ذنبًا ظاهرًا.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾: يا محمد بأن عصمك وأطلعك على أسرارهم.

وجواب لولا ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾:أي من الناس، أو من المنافقين، وهم قوم طعمة.

﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾: (حس) عن الحق، ويلبسوا عليك في الحكم.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ﴾: لأنَّ وبال ضلالهم راجع عليهم.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ﴾:(كا) لأنَّ الله تعالى يعصمك منهم.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: القرآن والقضاء بالوحي.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾: من الأحكام والغيب.

﴿عَظِيمٗا﴾: (تا).

﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ
ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾

ومحل ﴿مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾: أي تناجيهم وما يدبرونه بينهم جر صفة كثير، والمراد جميع الناس، المعنىٰ: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم.

﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ﴾: أي: إلا نجوىٰ من أمر، ومحله جر بدل من نجواهم، أو نصب استثناء منقطع، أي لكن من أمر.

﴿بِصَدَقَةٍ﴾: فأمره خير، ويجوز أن يقال: يأمر بالصدقة ويتصدق إن كان له مال، ويأمر بها إن لم يكن له مال، أو النجوىٰ الجماعة يتناجون كالشرب الجماعة يشربون.

﴿أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾: جميع أعمال البر معروف.

﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾: (حس) قال النبي ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والقيام؟»** [ق/ ٧٠جـ] قيل: بلىٰ، قال: **«إصلاح ذات البين، وإفساد ذات البين هي الحالقة التي تحلق الدين لا الشعر»** (١)، وقال ﷺ: **«كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا من أمر بمعروف أو نهىٰ عن منكر أو ذكر الله»** (٢).

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٩١)، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وأحمد (٢٧٥٤٨)، وابن حبان (٥٠٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٠٨٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ومعنىٰ قوله «وسوء ذات البين» إنما يعني: العداوة والبغضاء وقوله الحالقة يقول إنها تحلق الدين.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجة (٣٩٧٤)، والحاكم(٣٨٩٢)، وأبو يعلىٰ (٧١٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٤٣) حديث(٤٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٤) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس.

ثم حض علىٰ هذه الأشياء بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي المذكور ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: مفعول له، أي لأجل ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: أي: رضاه لا لسبب آخر لأنَّ الأعمال لغير الله لا تجوز.

القراءة: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾:بنون وياء قبل الواو، والمعنىٰ: من أخلص عمله أعطاه الله.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: (حس).

﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: أي يخالف.

﴿ٱلرَّسُولَ﴾: من بعد وضوح الدليل.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هو الكفر؛ لأنَّ سبيل المؤمنين الإسلام، المعنىٰ: من يكفر.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾: أي نجعله، والياء لما تولاه من الكفر في الدنيا.

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾: (كا) في العقبىٰ.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: (تا) قالوا: في هذا دليل أنَّ الإجماع حجة، لا يجوز مخالفته كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة؛ لأنَّه تعالىٰ جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط، وجعل جزاءه الوعيد، وكان اتباعهم واجبًا كموالاة الرسول.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: (حس).

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾: (حس) بعدت غايته عن كل خير، فلا يرجىٰ له الفلاح.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

ونزل في أهل مكة: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: جمع أنثىٰ، والمراد أصنامهم كمناة واللات والعزىٰ.

وقرئ: (أنثىٰ) مفرد و(أنثًا) جمع إناث، أو (أنيث)، و(وثنًا) و(أثنًا) مخففًا ومثقلًا، قلبوا الواو وهمزة و(أوثانًا) جمع وثن، قالوا: كان في كل وثن شيطان يكلم السدنة؛ فلذلك قال: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾: خارجًا عن الطاعة، أو المريد إبليس.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: (حس) إن استأنفت.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: أي طائفة أنهم يطيعوني وكل ما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه، وإن جعلت الواو للحال أو عاطفة لم تقف علىٰ (لعنه الله).

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: عن الحق بالتزيين والوسوسة.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: ألقىٰ في أمانيهم ركوب الأهواء وطول الآجال وأن لا جنة ولا نار.

﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: أي يقطعن.

﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: والمراد البحائر؛ لأنَّهم كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكر ويحرمون [ق/ ٦٠أ] الانتفاع بها.

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ﴾: ليبدلن.

﴿خَلْقَ ٱللَّهِ﴾: (حس) يعنىٰ دينه كقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، أو هو تحليل الحرام، أو تحريم الحال، أو هو الخصاء، جوزه بعضهم في البهائم لأنَّ فيه غرضًا صالحًا، وحرمه في الآدميين حتىٰ كره شراء الخصيان واستخدامهم، قال: لأنَّ الرغبة فيهم تدعو إلىٰ خصائهم، أو هو الوشم، أو التخنث، «لعن ﷺ

الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات المغيرات خلق الله»[(١)].

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾:(تا) باطلًا وهو ما يوسوسه من طول العمر ونيل الدنيا ومذام الأخلاق.

وقرئ: (يعدْهم) بسكون الدال تخفيفًا؛ لكثرة الحركات.

﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: (تا) معدلًا.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾:نصب مصدر مؤكد لما وعد به المؤمنون.

وقوله: ﴿حَقًّا﴾: (حس) حال من ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾، أو مصدر مؤكد أيضًا،أي وعدًا حقًا.

ثم بالغ في التأكيد ليترك مواعيد الشيطان ويطلب مواعيد الرحمن فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾: (حس) واسم ليس بعد مضمر فيها، والمضمر يعود إلىٰ سبب نزول الآية، وذلك أنَّ أهل الكتاب قالوا للمسلمين: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولىٰ بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي علىٰ الكتب، وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا، فنحن أولىٰ بالله منكم فنزل[(٢)]:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨٧)، ومسلم (٢١٢٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٨٢).

مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ ﴾

﴿لَّيۡسَ﴾: أي ليس ما ادعيتموه.

﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾: (حس).

تلخيصه: ليس الأمر بالأماني، وإنما الأمر بالعمل الصالح، وحسن الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا﴾: مبتدأ وهو شرط، جوابه ﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾: وهذه الآية عامة، في الحديث: «**من يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن يعمل سيئة فله سيئة واحدة**»[١]، فيسقط من الحسنات واحدة، وتبقىٰ له تسع، فويل لمن غلب آحاده علىٰ أعشاره، وكل ما يصيب المؤمن من نصب أو وصب يجازىٰ به، ويجوز أن تكون عامة في حق غير التائب.

﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾:(تا).

و«من» في ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:تبعيض،أي: يعمل بعض الصالحات.

و«من» في ﴿مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾: بيان للإبهام في (من يعمل).

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾: حال من الضمير في (يعمل)، أو (من الصالحات)،أي: كائنة، وخص الصالحون بالذكر تفضيلًا لهم،ولأنَّ في ذكر أحد الفريقين دلالة علىٰ الفريق الآخر.

القراءة: ﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: هنا ومريم والطول وفاطر بضم الياء مجهولًا، وبفتحها معلومًا، أي [يدخلون هم][٢].

﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾: (تا) أي قدر النقير، وهو النقرة في ظهر النواة.

ومحل ﴿مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾: أي [ق/ ١٠٥ب] انقاد بجملته وأخلص عمله.

﴿لِلَّهِ﴾: نصب بأحسن، قيل: كقولك زيد أفضل من عمرو، أي: يفضل عمرًا.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) في جـ: يدخلونهم، والمثبت من أ، ب.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: موحد.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾: (حس) مسلمًا حال من ﴿ٱتَّبَعَ﴾، أو من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، وبعث ﷺ على ملة إبراهيم، وزيدت له أشياء، حسن الوقف هنا لأنَّ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾:(تا) صفيًّا، وهو الذي لم يقع في مودته خلل، وهذا من المجاز، المعنى: أنَّه يمتثل أوامر الله تعالى ويوافق مراده كموافقة الخليل خليله، أوالخليل من تخللت محبته مسلك الحياة، الجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، جيء بها لتأكيد اتباع إبراهيم، وليست معطوفة، والخلة صفاء المودة من تخللت الشئ توسطته.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾: (حس).

ونزل في بنات كحة، أو يتيمة تكون عند الرجل فيرغب [عن][1] نكاحها لدمامتها، ويكره أن يزوجها غيره ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ﴾: الآية[2].

ومحل ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: رفع عطف على ضمير يفتيكم، أو على اسم الله تعالى،أي الله يفتيكم والمتلو يفتيكم، نحو يعجبني زيد وكرمه.

وفي ﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾:أي في اليتامى منهن يتعلق بيتلى، أو (ما يتلى)مبتدأ خبره محذوف، أي: والمتلو يبيّن لكم، أو خبره ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾:أي: القرآن،

---

(١) في جـ: في، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ١٨٤).

فتكون هذه الجملة اعتراضية.

وقرئ: (ييامىٰ) بياءين، أصله أيامىٰ قلبت الهمزة ياءً.

القراءة: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾:من الصداق والميراث.

وقرئ: (كتب الله لهن).

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾:أي عن نكاحهن في أن تنكحوهن لجمالهن، وعن عمر أنَّه كان يقول لمولىٰ اليتيمة إذا كانت جميلة غنية: زوجها غيرك، وإن كانت دميمة فقيرة: تزوجها أنت.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾: جر عطف علىٰ (يتامىٰ النساء)؛ لأنَّهم إنما كانوا يورثون الرجال دون النساء والأطفال.

ومحل ﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾: جر عطف أيضًا علىٰ (يتامىٰ)، **تلخيصه:** يفتيكم في يتامىٰ في النساء، وفي المستضعفين وفي القيام ﴿لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾: (حس).

﴿كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾: (تا).

ونزل في النشوز: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ﴾:رفع بمضمر يفسره ﴿خَافَتْ﴾: أي: توقعت ﴿مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾: أي: بغضًا، أو ترك مضاجعة.

﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: بوجهه ونفقته عنها، وقلة التفات إليها.

القراءة: ﴿أَن يُصْلِحَا﴾: بضم الياء وكسر اللام مخففًا من أصلح، وفتح الياء وتشديد الصاد مع فتحها، وبعد الصاد ألف بعدها لام مفتوحة.

وقرئ: (يصالحا) بمعنىٰ يتصالحا ويصطلحا.

﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: مصدر واصطلاحهما أن يتوافقا علىٰ ما تطيب به أنفسهما بأن يترك أحدهما شيئًا مما يستحقه علىٰ صاحبه طلبًا لصحبته.

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: (حس) من الفرقة والنشوز وسوء العشرة.

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾:(كا) نصب مفعول ثاني لأحضرت، الأول

﴿ٱلۡأَنفُسُ﴾، والشح بالحركات الثلاث للشين أشد البخل.

القراءة: بضم الشين، المعنىٰ أنَّ النفوس قد جبلت علىٰ الشح، فهي [حاضرته](١) لا تفارقه أبدًا؛ لأنَّ كل واحد من الزوجين يطلب ما فيه راحته، ومن (الصلح خير) إلىٰ هنا اعتراض.

﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾: العشرة مع نسائكم وإن كرهتموهن.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾: الفرقة، أو النشوز والأذىٰ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾: (حس) فيجازيكم.

﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ ﴾

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: في القسم والنفقة وميل القلب.

﴿وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾: (كا) علىٰ العدل بينهن والحرص شدة الإرادة.

﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾: إلىٰ التي تحبونها، ونصب كل مصدر لإضافته إلىٰ [مصدر](٢) ؛ لأنَّ حكمه حكم ما يضاف إليه.

﴿فَتَذَرُوهَا﴾: نصب جواب النهي، أو جزم عطف علىٰ ﴿تَمِيلُواْ﴾.

﴿كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾: (كا) المنوطة، المعنىٰ: تتركونها لا أيمًا ولا ذات بعل [ق/ ٧١جـ] أو كالمحبوسة.

وقرئ بها، كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه، ويقول: «**اللهم هذه قسمتي فيما**

---

(١) في ب: حاضرة، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: المصدر، والمثبت من أ، ب.

أملك، فلا تَلُمْني فيما تملك ولا أملك» (١) يعنىٰ حبه عائشة، وقال: **«من كانت له أمراتان فمال إلىٰ إحداهما جاء يوم القيمة وشِقُّهُ مائل»** (٢).

﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾: ما مضىٰ من ميلكم عنها بالتوبة والرجوع إليها.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾: الجور.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: (حس).

القراءة: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾: أي: الزوجان.

وقرئ: (يتفارقا)،أي يفارق كل واحد منهما صاحبه.

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾: أي كل واحد منهما.

﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾: (كا) رزقه بأن تتزوج غيره، ويتزوج غيرها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾: (تا) واسع الفضل، حكيم في القول والفعل، ويجب علىٰ الزوج التسوية بين نسائه في القسم والنفقة، فإن لم يفعل عصىٰ الله، وعليه

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٤٣)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٨٨٩١)، وابن ماجة (١٩٧١)، والدارمي (٢٢٠٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٤٥٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.
قال الترمذي: حديث عائشة هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقسم ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلا، أن النبي ﷺ كان يقسم، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة.
وقال الحافظ ابن حجر: أعله النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال. وقال أبو زرعة: لا أعلم أحدًا تابع حماد بن سلمة علىٰ وصله.
«التلخيص الحبير» (٣/ ١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٨٨٩٠)، وابن ماجة (١٩٦٩)، وأحمد (٧٩٢٣)، والدارمي (٢٢٠٦)، والحاكم(٢٧٥٩)، والطيالسي (٢٤٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٤٥١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القضاء للمظلومة، والشرط في القسم البيتوتة، أما الجماع فلا؛ لأنَّه يدور علىٰ النشاط وليس ذلك إليه.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾: (كا).

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اسم جنس للكتب السماوية.

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: متعلق بـ﴿وَصَّيْنَا﴾ وصينا، أو بـ«أوتوا».

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: عطف علىٰ (الذين أوتوا).

ومحل ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: نصب أو جر، وأن مصدرية،أي وصيناهم وإياكم بتقوىٰ الله، قال ﷺ:«**الإيمان والتقوىٰ والإسلام ها هنا**»، وأشار إلىٰ صدره ثلاث مرات (١).

﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾:عطف علىٰ (اتقوا).

تلخيصه: وصينا من تقدمكم ووصيناكم وأمرناهم وأمرناكم بالتقوىٰ، وقلنا لكم ولهم: إن تكفروا بما وصيتم به ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من الملائكة وغيرهم، فهم أطوع منكم، وهو غني عنكم، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

لأنَّ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: تكرير لتقرير ما هو موجب التقوىٰ ليتقي الله تعالىٰ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: (حس) مجيرًا فاتخذوه وكيلًا، ولا تتكلوا علىٰ غيره.

ثم تهدد الكفار فقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾:أي يعدمكم.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَيَأۡتِ﴾: أي: يوجد قومًا.

﴿بِـَٔاخَرِينَۚ﴾:(كا) أطوع له منكم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: علىٰ الإيجاد والإعدام.

﴿قَدِيرًا﴾: (تا).

ثم قبح العمل لغير الله تعالىٰ فقال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾: بعمله جزاء.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾: أي حطامها ولذاتها.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: (كا) فلا يطلب شئ إلا منه.

﴿بَصِيرًا﴾: (تا).

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾﴾

﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾: مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾: نصب [ق/ ١٠٦ ب] حال من ضمير (قوامين).

ابن عباس[1]: كونوا قوالين بالعدل في الشهادة علىٰ من [كانت][2].

ولو شهدتم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾: بأن تقروا عليها، فيكون إقراركم شهادة علىٰ أنفسكم، وقدم الأنفس علىٰ ﴿أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾: (تا).

تلخيصه: أقيموا الشهادة علىٰ هؤلاء؛ لأنه إذا أقر علىٰ نفسه لم يراع غير،

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٧١٢).

(٢) في جـ: كان، والمثبت من أ، ب.

وجمعت جمع القلة؛ لأنَّ النفوس المعترفة بالحق عليها قليل.

﴿إِن يَكُنْ﴾: المشهود له، أو عليه.

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: وقرئ برفع (غنيٌّ) و(فقيرٌ)، وكان تامة، وأو بمعنىٰ الواو عند الأخفش، أو تفصيل عند غيره، وثنىٰ الضمير في ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: ردًّا له إلىٰ ما دل عليه غنيًّا أو فقيرًا، وهما جنسا الغنىٰ والفقير، أو المشهود له والمشهود عليه.

المعنىٰ: اشهدوا علىٰ من كان، ولا تحابوا غنيًّا لغناه، ولا ترحموا فقيرًا لفقره، وكلوا أمرهما إلىٰ الله فهو أعلم بهم.

وقرئ: (أولىٰ بهم).

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: إرادة ﴿أَن تَعْدِلُواْ﴾: (حس) عن الحق من العدول، أو كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل، وعلىٰ التقديرين فإن تعدلوا مفعول له.

القراءة: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾: بواوين الأولىٰ مضمومة من لوىٰ يلوي: حرَّف، أي تحرفوا الشهادة، لتبطلوا الحق، وبواو واحدة قبلها لام مضمومة، أبدلت الأولىٰ همزة ثم ألقيت حركتها علىٰ اللام قبلها، ثم حذفت لسكونها وسكون ما بعدها، أو تلو من الولاية، أي: تلوا أمور الناس.

﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾: عن الشهادة فتكتموها، أو هذا خطاب مع الحكام وليهم الأشداق، فيكون أو تعرضوا عن أحد الخصمين.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: (تا) فيجازيكم به، ثم خاطب أهل الكتاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: بموسىٰ وعيسىٰ.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: محمد ﷺ.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: أي: القرآن.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾: (تا) المراد جنس الكتب المنزلة، وإن أريد جميع المؤمنين كان معنىٰ «آمنوا»: اثبتوا علىٰ الإيمان، والمراد برسوله جنس

الرسل، وإن أريد المشركون [ق/ ٦١أ] فتقديره: يأيها الذين آمنوا باللات والعزىٰ آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ.

القراءة: (نزل) مشددًا، و(أنزل) بضم أولهما وكسر زايهما مجهولان، وبفتح أولهما وزايهما معلومان.

وقرئ: (نَزَلَ) و(أَنْزَل) بفتحهما مخففان، وقال نزل علىٰ رسوله مضعفًا؛ لأنَّ القرآن نزل نجومًا في عشرين سنة، وقال: أنزل من قبل؛ لأنَّ الكتب لم تنزل كذلك، ثم قال متهددًا: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾:(تا) عن الهداية.

ثم قال متهدداً للمتعلبين بالدين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بموسىٰ عليه السلام.

﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾: بعبادتهم العجل.

﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾: بالتوراة.

﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾: بعيسىٰ عليه السلام.

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾: بمحمد ﷺ، أو نزلت فيمن ارتد، ثم آمن، ثم ارتد، ثم آمن.

عن عليّ[١]: إنَّ توبة مثل هذا لا تقبل، قال لقوله: ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾: (كا) طريقًا إلىٰ الحق، وأكثرهم علىٰ قبول التوبة، ويجوز أن يقال: إن تاب اختيارًا منه وندمًا علىٰ تفريطه قبلت توبته، وإن تاب اضطرارًا وخوفًا علىٰ نفسه أو ماله لم تقبل.

بعضهم: معنىٰ ﴿ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾: ماتوا عليه، إذا أسلم الكافر أول مرة ودام علىٰ الإسلام يغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له الكفر السابق الذي كان يغفر له لو دام علىٰ الإسلام.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣١٥).

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾

وكفي الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿بَشِّرِ﴾: يا محمدًا خبر.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: الجملة بيان لما قبل، ولا أحب الوقف هنا لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾: نعت المنافقين لأنَّهم اتخذوا ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: اليهود والنصارىٰ.

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾: (كا) ويحسن الوقف علىٰ ﴿أَلِيمًا﴾ إن رفعت أو نصبت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ذمًا، وكذلك إن رفعته مبتدأ خبره ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾: أي المعونة والظهور علىٰ محمد ﷺ، فلا يوقف علىٰ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾.

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾: أي القوة والغلبة لأولياء الله.

﴿جَمِيعًا﴾: (حس) لا للكافرين، ونصب جميعًا حال من الجار والمجرور.

القراءة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: بضم النون وكسر الزاي مشددًا، فتكون أن مخففة من الثقيلة بمعنىٰ الشأن أي أنَّه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾.

تلخيصه: إنَّ الشأن كذا، فمحل أن والمتصل بها رفع مفعول لم يسم فاعله، وبفتح النون والزاي مشددًا، فمحل أن والمتصل بها نصب مفعولًا صريحًا، وجواب إذا ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾: أي: مع المستهزئين والكافرين.

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾: (كا) عند بعضهم، ولا أحبه، المعنىٰ: اجتنبوهم حين يأخذون في حديث الاستهزاء بمحمد ﷺ والدين. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾: (حس) كفار إن قعدتم إليهم وسمعتم استهزاءهم، ورضيتم به؛ لأنَّ

الرضا بالكفر كفر.

ابن عباس[١]: دخل في هذه الآية كل مُحدِثٍ في الدِّين ومبتدع إلىٰ يوم القيامة.

ثم قال متهددًا الخائضين والمستمعين الراضين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جميعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

لا أحب الوقف هنا لجر ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: الدوائر نعتًا للمنافقين، أو بدلًا من الذين يتخذون، وإنْ رفعت أو نصبت الذين ذمًا كفىٰ، المعنىٰ: المنافقون ينتظرون هلاككم، ولمن تكون العاقبة لكم أو لعدوكم؟

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾: أي ظفر.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: في الجهاد وعلىٰ دينكم فلنا نصيب من الغنيمة.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾: وسمىٰ ظفر المسلمين فتحًا؛ لأنَّه متقبل ويثابون عليْه، فيفتح له أبواب السماء فهو دائم، وظفر الكافرين نصيبًا؛ لأنَّه حقير، لأنَّه فانٍ ويعاقبون عليه، المعنىٰ: إن غلب المسلمون طلب المنافقون نصيبهم من الغنيمة،وإن غلب الكافرون لهم ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: القياس: نستحذ ولم يستعمل القياس هنا: أي نستول.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: ونخبركم بعورة محمد وأصحابه، ونطلعكم علىٰ سره.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧١٤).

﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾: (حس) بأن نخذِّلهم عنكم، ونراسلكم بأخبارهم فتعتدوا لهم.

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾: أيها المؤمنون والمنافقون.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾: (تا) بالاستئصال، أو لا يجعل لهم عليهم سبيلًا بالشرع [ق/ ١٠٧ب]،[ق/ ٧٢جـ] يحتج بهذا من يقول: إنَّ الكافر لا يملك العبد المسلم.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: أي يعاملونه معاملة الخادعين بإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر.

ومحل ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾: يجازيهم جزاء خداعهم، أو أنهم يعطون نورًا يوم القيامة كالمؤمنين، فيمضي المؤمنون بنورهم علىٰ الصراط، ويطفأ نور المنافقين حال.

وكذلك ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: أي: متثاقلين.

تلخيصه: صلاتهم لغير الله.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: بفعلهم، المعنىٰ المرائي يُرِي الناس عمله وهم يرونه استحسانه، أو من رأت المرأة المرأة الرجل إذا أمسكتها؛ لتريه وجهها، يوضح هذا ما قرئ: (يرؤون) بحذف الألف وتشديد الهمزة وزن [يُرَعّون][(١)] أي: يبصرونهم أعمالهم.

﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ابن عباس[(٢)]: لا يصلون إلا رياءً، ولو أريد بالقليل وجه الله لكان كثيرًا، أو لا يذكرونه بالتسبيح والتقديس إلا نادرًا، وإنما يشتغلون بذكر الدنيا وحطامها، وإنما قل ذكر المنافق؛ لأنَّه غير متقبل، وكل متقبل كثير، أوالمراد بالقلة العدم، ولا وقف هنا إن نصبت ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾: أي

---

(١) في جـ: يدعون، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٧١٥).

مرددين، فكأن الشيطان رددهم.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:أي: بين الكفر والإيمان، أو بين المسلمين واليهود حالًا من ضمير ﴿يَذْكُرُونَ﴾، أو من ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾، وإن نصبته ذمًّا كفي الوقف على ﴿قَلِيلًا﴾.

وقرئ: (مذبذبين) بكسر الذال الثانية، أي: مرددين نفاقهم أو نفوسهم.

وقرئ: (مدبدبين) بدالين مهملين، أي أخذ بهم تارة في دبة، أي طريقة، وتارة في دبة لم يوخذ بهم في طريقة واحدة، وأصل الذبذبة: الاضطراب والميل.

تلخيصه: لا يثبتون على حال.

ولا وقف هنا لأنَّ محل ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: (حس) نصب حال من ضمير (مذبذبين)،أي يتذبذبون متلونين، قال ﷺ:«**مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين، تعير مرة إلى هذه، ومرة إلى هذه**»[1].

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾:(تا) طريقًا إلى الهدى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾: (كا).

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: (تا) حجة بينة في عذابكم؛ لأنَّ من ترك موالاة المؤمنين ووالى الكافرين، فقد قامت الحجة على تعذيبه.

القراءة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾: بفتح الراء وإسكانها لغتان، وهو أخفض مكان.

---

(١) أخرجه أحمد(٤٨٧٢)، والطيالسي (١٨٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: حال من الدرك العامل فيه معنىٰ الاستقرار.

ابن مسعود[1]: هم في توابيت من حديد مقفلة في النار، وعذاب المنافق أشد من غيره لكفره ونفاقه واستهزائه بالدين.

ولا يوقف علىٰ ﴿نَصِيرًا﴾: لاستثنائك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: من النفاق.

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: الفاسد من أعمالهم.

﴿وَٱعۡتَصَمُواْ﴾: وثقوا بالله.

﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾: بقلوبهم؛ لأنَّ النفاق كفر القلب، وهو في الشريعة: إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وأما تسمية من أتىٰ ما يفسق به منافقًا فمجاز وتغليظ لئلا يقدم عليه، كقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه كان منافقًا، وإن صام وصلىٰ وزعم أنَّه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[2].

تلخيصه: من تاب توبة نصوحًا.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾: (حس) في الجنة.

﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾: (تا) في الآخرة، وحذفت ياء يؤت خطًا اتباعًا للفظ، وحذفت لفظًا لالتقاء الساكنين.

ثم استفهم مقررًا أنَّه لا يعذب الشاكر المؤمن فقال: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾: فما منصوبة بـ«يفعل»، وبـ«عذابكم» متعلق بيفعل، أي أيّ شيء يفعل بعذابكم، أو «ما نافية، أي» لا يعذبكم.

﴿إِن شَكَرۡتُمۡ﴾: الله ﴿وَءَامَنتُمۡۚ﴾: به قالوا: تقديره آمنتم وشكرتم؛ لأنَّ الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، أو قدم الشكر لأنَّ العاقل إذا نظر إلىٰ ما أنعم عليه شكر

---

(١) أخرجه مجاهد في «تفسيره» (ص/ ٤٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩٨).

(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري (٢٥٣٦) ، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شكرًا مبهمًا، فإذا انتهىٰ به النظر إلىٰ معرفة المنعم شكر شكرًا مفصلًا، فكان الشكر مقدمًا علىٰ الإيمان.

﴿عَلِيمًا﴾: (تا).

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

ومحل ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: نصب بالجهر،أي لا يحب أن تجهروا بالسوء، ثم استثني من الجهر فقال: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾: (كا) أي إلا جهر من ظلم، المعنىٰ: لا يحب الجهر بالسوء إلا أن يظلم الشخص، فيدعو علىٰ الظالم فيقول: اللهم أعني عليه، اللهم خذ لي حقي منه، أو إن بدئ بالشتم رد مثله كقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الشورىٰ:٤١]، أو نزلت في الضيف ينزل بالقوم فلم يحسنوا إليه، فله أن يذكر ما فعلوا به.

فمحل ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ نصب علىٰ الأصل الاستثناء، أو رفع بدل من المحذوف؛ إذ التقدير لا يحب أن يجهر أحد بالسوء إلا المظلوم، نحو: ما جاءني زيد إلا عمرو بمعنىٰ ما جاءني إلا عمرو كقوله: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥]، أو إلا من ظلم استثناء منقطع.

وقرئ: (إلا من ظَلَم) معلومًا، فيكون متعلقًا بيفعل،أي: لكن الظالم مفسوح لمن ظلمه أن يجهر له بالسوء ويدعو عليه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾: لدعائكم.

﴿عَلِيمًا﴾: (تا) بأحوالكم.

ثم قال حاثًّا على ترك الانتصار واستعمل العفو مع الاقتدار: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾: أي: حسنة، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: أي الخير، ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾: أي: مظلمة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: (تا) يعفو مع القدرة، فاستنوا به وبرسوله.

ونزل إخبارًا عن اليهود وإيمانهم بموسى والتوراة وعزير، وكفرهم بعيسى والإنجيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: أي: الكفر والإيمان.

﴿سَبِيلًا﴾: (كا) دينًا بين الكفر والإيمان؛لأنَّ ذلك يقع بمعنى المفرد والتثنية والجمع، وهي هنا بمعنى التثنية ثم بيَّن تعالى أنَّ ما طلبوه كفر وأنَّ الكفر ببعض الرسل كفر بجميعهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾: مصدر مؤكد أي: الكاملو الكفر.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾: بجميع الرسل، أو بعضهم.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: (تا).

ولمَّا كان أحد يعبر به عن الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث جاء ببين فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: **تلخيصه**: من آمن بالله وجميع رسله.

﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ﴾: (كا) **القراءة**: (نؤتيهم) بالياء والنون.

﴿رَّحِيمًا﴾:(تا).

لما قال فنحاص وأصحابه للنبي ﷺ: إن كنت نبيًا كما تزعم فأتنا بكتاب من السماء كموسىٰ نزل تسلية له وتجهيلًا لهم: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: الآيات[1]، والجواب الذي في الآية [ق/ ١٠٨ب] شرط محذوف، تقديره: إن استكبرت سؤالهم إياك.

﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: أي سؤالك.

﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عيانًا.

وقرئ: بفتح الهاء.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾: عقابًا لهم، ونسب السؤال إلىٰ هؤلاء وإن وجد من آبائهم؛ لأنَّهم علىٰ مذهبهم، وراضون بذلك، ويجوز أن يراد جنس أهل الكتاب [ق/ ٦٣أ].

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾:إلهًا بعد ذلك.

﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾: **تلخيصه**:تاب أولئك فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم فنعفوا عنكم.

﴿سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾:أي: حجة ظاهرة.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل.

﴿بِمِيثَـٰقِهِمْ﴾: أي بسبب نقضهم الميثاق.

﴿سُجَّدًا﴾: حال.

القراءة: ﴿لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: باصطياد الحيتان بفتح العين وتشديد الدال، وباختلاس حركة العين مع التشديد، أصله: لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال بعد أن ألقيت حركتها علىٰ العين، فمن اختلس أراد أن يعرف أن حركتها غير لازمة،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٥٦).

وبإسكان العين والتخفيف وزن تذهبوا، وأصله تعدوا؛ لأنَّه من عدا يعد.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾:(كا).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

وما زائدة في ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: والباء متعلقة بمحذوف، أي فبنقضهم.

﴿مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ﴾: لا تعي كلامك يا محمد فعلنا بهم ما فعلنا فيكون ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾: أي: بسبب كفرهم اعتراضًا.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾: إلا إيمانًا.

﴿قَلِيلًا﴾: أو القليل عبد الله بن سلام وأصحابه، أو الباء متعلقة بحرمنا بعد، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا﴾:مصدر العامل فيه القول؛ لأنَّه بعضه، أو مصدر في موضع الحال، أي: مباهتين.

﴿عَظِيمًا﴾:هو رميها بالزنا عطف على ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾، وكرر الكفر؛ لأنَّ الأول كفر بالله والثاني بعيسىٰ، أو أراد أنهم كفروا كفرًا بعد كفر؛ تقبيحًا لحالهم،ولأنَّهم كفروا بموسىٰ ثم بعيسىٰ ثم بمحمد عليهم الصلاة والسّلام أجمعين، ولا أحبّ الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾: عطف علىٰ (وكفرهم) وتنصب ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: عطف بيان للمسيح وتنصب ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: عطف بيان أيضًا، أو وصفة وإن نصبت ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بأعني، كفىٰ الوقف بعد مريم وسمّوه رسول الله؛ استهزاءً، به وفائدة العاطف أنهم استحقوا العذاب بمجموعها.

المعنىٰ: فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسىٰ عاقبناهم.

تلخيصه: عذبناهم لذلك.

ثم أكذبهم تعالىٰ في دعواهم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾: المقتول؛ لأنَّ وما قتلوه يدل عليه، لا أحب الوقف بعد ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، ولا علىٰ ﴿شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ وإن قال به بعضهم؛ لأنَّه كلام صادر عن مخبر واحد، فلم يتخلل كلامه وقف إلا ضرورة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾: أي: عيسىٰ.

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ﴾: لأنَّ طائفة من اليهود قالوا: نحن قتلناه، وطائفة من النصارىٰ: نحن قتلناه[ق/ ٧٣جـ] وقالت طائفة منهم: ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء، بل رفع إلىٰ السماء.

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾:(حس) استثناء منقطع، المعنىٰ: المختلفون في قتل عيسىٰ لا يتيقنون ذلك، لكن يتبعون ظنهم.

ثم قال مؤكدًا كذبهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾:أي عيسىٰ قتلًا ﴿يَقِينَۢا﴾: (تا) أو ﴿يَقِينَۢا﴾ حال، أي: متيقنين في وصفهم بالشك، وهو عدم ترجيح أحد الجائزين، ثم بالظن وهو ترجيح أحدهما إيذان بأنهم كانوا شاكين لا يعلمون قط شيئًا، ولكن إن ظهرت لهم علامة ترجيح ما فذاك ظنهم.

ابن عباس[1]: ما قتلوا ظنهم يقينًا، كقولهم: قتلته علمًا،أي علمته علمًا، أو يقينًا بمعنىٰ حقًّا إن جعلت الهاء في ﴿قَتَلُوهُ﴾ لعيسىٰ تم الوقف علىٰ ﴿يَقِينَۢا﴾ وتبتدئ مضربًا عن الأول ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾: (كا) عند بعضهم وإن جعلتها للظن تم الوقف علىٰ (وما قتلوه) وتبتدئ ﴿يَقِينَۢا بَل رَّفَعَهُ﴾.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٧٧)

﴿حَكِيمًا﴾: (حس) وتقدم معاني هذه الآيات في البقرة، وقصة عيسىٰ وصلبه في آل عمران.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَإِن﴾: أي وما.

ومحل ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: رفع خبر مبتدأ محذوف،أي: وما منهم أحد.

﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾:أي: بعيسىٰ، الجملة جواب قسم محذوف واقعة صفة لمحذوف، تقديره: والله ما من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ أحد إلا ليؤمنن بعيسىٰ.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: أي موت عيسىٰ بعد نزوله من السماء لم يبق أحد إلا آمن به حتىٰ تكون الملة [ملة][1] واحدة، وهي الإسلام، أو الهاء في (موته) للكتابي.

المعنىٰ: كل كتابي قبل موته بيسير يؤمن بعيسىٰ حين لا ينفع الإيمان، يوضح هذا التأويل ما قرئ: (إلا ليؤمنُن به قبل موته) بضم النون الأولىٰ سواء احترقوا أو غرقوا أو قتلوا بالسيف، لابد أن يؤمنوا.

ابن عباس[2]: لا يخرج نفسه حتىٰ يحرك بها شفتيه، أو الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ لله تعالىٰ، أو لمحمد ﷺ.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾:عيسىٰ.

﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: (كا)أو صالح، فيشهد علىٰ اليهود أنهم كذَّبوه وقذفوه وأمه، ويشهد علىٰ النصارىٰ أنهم ادعوا فيه الألوهية.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٧٨)

والباء في ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: متعلقة بقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: والطيبات هي ما حرم عليهم في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ...﴾ الآية [الأنعام:١٤٦]، المعنىٰ: بظلم صدر من اليهود حرمنا عليهم ذلك.

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي عن دينه.

﴿كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾: حال، ﴿وَأَخْذِهِمُ﴾ عطف علىٰ ﴿بِصَدِّهِمْ﴾، وكذلك ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: (كا) بالرشىٰ في الحكم، وبصدهم متعلق بحرمنا.

تلخيصه: لمجموع هذه الأشياء حرمنا عليهم تلك الطيبات.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: (تا) قالوا بإجماع من الوقفة، وفيه نظر؛ لعود الضمير مما بعد إلىٰ ما قبل، ولأجل الاستدراك بعد وهو

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: مبتدأ.

﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾: متعلق بالراسخون، ومحل ﴿مِنْهُمْ﴾: أي: من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه نصب حال من ضمير ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: من أهل الكتاب، أو المهاجرون والأنصار عطف علىٰ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ وخبر ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: أي القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: (حس) أي جميع الكتب.

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: نصب مدح، فيحسن الوقف علىٰ ﴿مِن قَبْلِكَ﴾، وهذا كثير جدًّا، ومن زعم أنَّه لحن فقد أخطأ، وما نقل عن [ق/ ١٠٩ب] عائشة وعثمان أنَّ في المصحف لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها، فلا اعتداد به؛ لأنَّه لم

يصح، ولو صح فرضًا؛ فلا اعتداد به أيضًا[(١)]؛ لأنَّه أخبار آحاد فلا يؤثر فيما ثبت بالتواتر، وهو الكتاب العزيز، أو مجرور عطف على ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، أي يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، وهم الأنبياء عليهم السّلام، فلا يحسن الوقف على ﴿مِن قَبۡلِكَۚ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص/ ١٢٠).

قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ : قال الحافظ أبو عمرو الداني: ولا يجوز عندنا أن يرى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيئا في المصحف يخالف رسم الكتابة مما لا وجه له فيها، فيقره على حاله ويقول: إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها، ولو جاز ذلك لم يكن للكتابة معنى ولا فائدة، بل كانت تكون وبالا؛ لاشتغال القلوب بها، ثم قال: وعلة هذه الحروف وغيرها من الحروف المرسومة في المصحف على خلاف ما جرى به رسم الكتاب من الهجاء - الانتقال من وجه معروف مستفيض إلى وجه آخر مثله في الجواز والاستعمال، وإن كان المنتقل عنه أكثر استعمالا. انتهى.

والأثر فقد رواه الحافظ أبو بكر بن أبي داود بألفاظ مضطربة مختلفة، وكلها منقطعة لا يصح شيء منها، وكيف يصح أن يكون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول ذلك في مصحف جعل للناس إماما يقتدى به، ثم يتركه لتقيمه العرب بألسنتها ويكون ذلك بإجماع من الصحابة حتى قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو وليت من المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل.

وأيضا فإن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يأمر بكتابة مصحف واحد، إنما كتب بأمره عدة مصاحف، ووجه كلا منها إلى مصر من أمصار المسلمين، فماذا يقول أصحاب هذا القول فيها؟ أيقولون: إنه رأى اللحن في جميعها متفقا عليه، فتركه لتقيمه العرب بألسنتها، أم رآه في بعضها؟

فإن قالوا في بعض دون بعض، فقد اعترفوا بصحة البعض ولم يذكر أحد منهم ولا من غيرهم أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءات وليس ذلك بلحن.

وإن قالوا: رآه في جميعها لم يصح أيضا، فإنه يكون مناقضا لقصده في نصب إمام يقتدى به على هذه الصورة، وأيضا فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم سادات الأمة وعلماؤها، فكيف يقيمه غيرهم؟!.

«النشر في القراءات العشر» (١/ ٤٥٩).

وقرئ: (والمقيمون الصلاة رفعًا).

﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: عطف على (الراسخون)، أو على الضمير في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وتعطف على ما قبل ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: (حس) إن جعلت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ خبره ﴿سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: (تا) **القراءة**: بالنون والياء، وإن جعلت ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فلا وقف بينهما.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

ونزل جوابًا لليهود حيث قالوا للنبي ﷺ: إن كنت نبيًّا حقًّا فأتنا بكتاب من السماء كموسىٰ، وإعلامًا لهم أنه ﷺ في شأن الوحي، كمن تقدمه من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ﴾: محل الكاف نصب صفة مصدر محذوف و«ما» مصدرية، أو بمعنىٰ الذي، فيكون مفعولًا به،أي: أوحينا إليك مثل الذي أوحيناه.

﴿إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: من التوحيد والإيمان وبدأ بنوح تخصيصًا؛ ولأنَّه أول النذر.

ومحل ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾: (كا) نصب حال متعلق بأوحينا.

تلخيصه: الموحىٰ إليك كالموحىٰ إلىٰ جميع الأنبياء.

القراءة: ﴿دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾:بضم الزاي جمع زبر، كدهر ودهور بمعنىٰ مزبور كنسج اليمن، أي: منسوجة والمراد: الكتاب المزبور، وجمع وهو مصدر لوقوعه موقع الاسم،أي: آتيناه صحفًا مزبورة أي مكتوبة، وبفتح الزاي اسم لكتاب داود

عَلَيْهِ السَّلَامُ كان فيه التمجيد والتحميد والثناء علىٰ الله تعالىٰ، وكان يبرز إلىٰ البرية فيقوم العلماء خلفه، ويجتمع إليه الجن والإنس والدّواب والطير لحسن صوته، قالوا:فلمَّا قارف الذنب لم ير ذلك، فقيل له، قال: ذلك حلاوة الطاعة، وهذا وحشة المعصية.

﴿وَرُسُلًا﴾:نصب بمضمر [يفسره](١) ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾: وقرئ: (ورسل قد)، (ورسل لم) بالرفع فيهما.

قالوا: لمَّا ذكر الأنبياء في الآية ولم يذكر موسىٰ قالت اليهود: أكلم الله موسىٰ أم لا؟ نزل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾: (حس) مصدر مؤكد، قالوا: وخص موسىٰ بالتكليم وإن كلم غيره؛ لأنَّه كلمه وأوحىٰ إليه من غير واسطة.

الحسن: كلمه بكلام لم يبلغه إلىٰ قومه، ولا أمره بتبليغه، وهو ما أوحي به إليه.

قالوا: قد جعله بعض الجهلة من الجرح، أي: جرح الله موسىٰ بالمحن والبلايا، وفتنه فتونًا بالمصائب.

وقرئ: (وكلم اللهَ) نصبًا (موسىٰ)الفاعل، يحسن الوقف هنا إن نصبت مدحًا.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾:حالان، وغير جائز إن نصبت ﴿رُّسُلًا﴾ بدلًا من ﴿رُّسُلًا﴾ الأول.

ثم علل الإرسال فقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾: يقال أو تسمع.

﴿بَعْدَ﴾:إرسال ﴿ٱلرُّسُلِ﴾: إليهم فيقولوا: ما أرسلت إلينا، فكيف تعذبنا؟ وأرسل إليهم مع ما ركب فيهم من العقل الدال [علىٰ](٢) معرفة الله تعالىٰ نفيًا لكل حجة، ولأنَّ أكثر الكفار لم يعرفوا الله إلا بالرسل، ولم ينظروا فيما يلزمهم

---

(١) في ب: تفسيره، والمثبت من أ، جـ.

(٢) في جـ: إلىٰ، والمثبت من أ، ب.

ابتداءً، فبعثه الرسل أدفع للحجة، وأقرب إلىٰ الإيمان، كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

﴿حَكِيمًا﴾: (تا).

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

قالوا: ونزل لمَّا قال المشركون: إنا سألنا عنك اليهود فلم يعرفوك، وقوله ﷺ لليهود: «**والله إنَّكم لتعلمون أنّي علىٰ الحق**»، قالوا: ما نعلم ذلك ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾(١): من الوحي والقرآن بأن جعله معجزًا مع مرور الأزمان أنك علىٰ الحق وإن كذبوك وجحدوك.

وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ﴾: جملة مفسرة للمنزل، ومحل ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾: حال أي: أنزله معلومًا بما فيه من البلاغة والإعجاز، أو المعنىٰ: أنزله وهو عالم بأنك أهلٌ لإنزاله عليك وأنك تبلغه، أو أنزله بما يعلم من مصالح العباد.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾: أيضًا علىٰ صدقك.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: (تا) لو لم يشهد غيره.

﴿كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾: جمعوا بين الكفر والصد.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن طريق الهدىٰ بكتم نعت محمد ﷺ.

﴿بَعِيدًا﴾: (تا).

﴿كَفَرُوا۟﴾: بالله، ﴿وَظَلَمُوا۟﴾: بكتم نعت محمد ﷺ.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: من الطرق.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسره» (٩/ ٤٠٩).

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾: وهو دين الكفر استثناء من (طريقًا) الأول؛ لأنَّه بمعنىٰ العموم.

تلخيصه: لم يجعلهم مسلمين بل جعلهم كافرين، وهذا فيمن سبق حكمه تعالىٰ أنهم لا يؤمنون.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: (تا).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾

ومحل ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾: أي محمدٌ ﷺ [ق/ ٦٣أ] ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بالشرع حال، وتنصب ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: مفعولًا به، أي: اقصدوا خيرًا؛ لأنَّه لمَّا أمرهم بالإيمان أراد إخراجهم من أمر وإدخالهم فيما هو خير منه، أو صفة مصدر محذوف، أي إيمانًا خيرًا، أو خبر لكان المحذوفة، تقديره: يكون الإيمان خيرًا لكم، والبصري لا يجيز حذف كان واسمها وإبقاء خبرها إلا ضرورة، أو ﴿خَيْرًا﴾ حال.

ثم قال متهددًا مظهرًا غناه عن خلقه: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿حَكِيمًا﴾: (تا).

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟﴾: لا [تتجاوزوا][1] الحد.

﴿فِى دِينِكُمْ﴾: بزيادة ولا نقصان ولا تشركوا.

---

(١) في جـ: تجاوزوا، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: (كـا) نـصب بتقولـوا، لا تقولـوا هنـا بمعنـىٰ تذكروا، أو تعتقدوا، أي ولا تقولوا إلا القول الحق فغلت النصارىٰ في حق عيسىٰ، فجعله بعضهم ثالث ثلاثة آلهة عيسىٰ ومريم والله، وبعض هو الله، وبعض ولده، وقالت اليهود: هو ولد زنا، وكذبوا كلهم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ﴾: مبتدأ.

وقرئ: (المسيح) وزن السكيت.

﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: عطف بيان أو بدل منه.

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: خبر المبتدأ.

﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾: وهي قولـه لعيسىٰ: كن، فكان من غير أب، عطف علىٰ ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

ومحل ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: أي أخبرها بها كقولك: ألقيت إليك كلمة حسنة نصب حال وقد معه مقدرة، تقديره: إذ كان ألقاها [ق/ ٧٤جـ] فـ«إذ» ظرف للكلمة، وكان تامة، و﴿أَلْقَىٰهَآ﴾ حال من فاعل كان، ونحوه: ضرَّ بي زيدًا قائمًا، وتعطف قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: (كـا) علىٰ رسول، وسمىٰ عيسىٰ روحًا؛ لأنَّه ذو روح وجسد كغيره، وأضيف إلىٰ الله تشريفًا له [ق/ ١١٠ب]، أو الروح نفخة جبريل في درع مريم، وسميت روحًا؛ لأنَّها خرجت من ذي روح، والمعنىٰ: لا نسبة ولا اتصال بين الله وعيسىٰ، وليس بجزء منه، إلا أنَّه رسوله؛ لأنَّ عيسىٰ مركب، والله تعالىٰ منزه عن التركيب، وإنما هو ابن مريم وهو جزء منها خلق من غير أب؛ لأنَّه مركب مثلها.

تلخيصه: ليس عيسىٰ إلا بعض أمه لا غير؛ لأنَّ إنَّما للحصر، قال ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسىٰ عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾: خبره مبتدأ، أي: لا تقولوا الآلهة ثلاثة.

﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾:(كا) نصبها كـ«آمنوا خيرًا لكم» قبل.

﴿ٱللَّهُ﴾:مبتدأ خبره.

﴿إِلَٰهٞ﴾: توكيده ﴿وَٰحِدٞۖ﴾: (كا) أو صالح.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيهه مصدر مضاف، أي أسبحه تسبيحًا عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾: (تا) وقرئ: (إن يكون) بكسر الهمزة ورفع النون،أي: سبحانه ما يكون له ولد، فيكون الكلام جملتان، وعلىٰ القراءة الكلام جملة واحدة.

تلخيصه: هو منزه عن الولد.

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (كا).

﴿وَكِيلٗا﴾: (تا).

﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ ﴾

لمَّا قال وفد نجران للنبي ﷺ:إنك تسب عيسىٰ، تقول: إنَّه عبد الله؟ فقال:إنَّه لا يأنف من ذلك نزل ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾[1]: نكف واستنكف أنف وتعظم، وأصله التنحية من نكفت الشئ نحيته، والمعنىٰ لن يأنف عيسىٰ.

﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾: وتعطف ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾: (حس) علىٰ المسيح، المعنىٰ: لا يأنف عيسىٰ أن يكون عبيدًا لله، ولا حملة العرش يأنفون أن يكونوا عبيدًا لله، ويدل علىٰ عبيداً المحذوف قوله: ﴿ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾، ويستدل بهذا من يفضل الملائكة علىٰ البشر؛ لأنَّه ذكر عيسىٰ، ثم ارتقىٰ إلىٰ الملائكة،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٥).

والارتقاء إنما يكون إلىٰ الأعلىٰ، فلا يقال: لا يستنكف زيدٌ من هذا ولا عبده، ومن لا يفضلهم يقول: لم يذكر الملائكة تفضيلًا لهم علىٰ البشر، بل ردًّا علىٰ الذين يقولون: الملائكة آلهة كما رد علىٰ النصارىٰ، ثم قال متهددًا: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾.

القراءة: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: (كا) بضم الشين.

وقرئ: بكسرها، **وقرئ:** بالنون.

تلخيصه: من يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبون، وأما المؤمنون ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: (كا) من الحسنات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: (تا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: حجة عليكم، وهو محمد ﷺ.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾: (كا) وما بيَّن فيه لهم.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: (تا) دين الإسلام.

جابر: عادني ﷺ فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت، فقلت: يا رسول الله لمن الميراث؟ إنما يرثني كلالة فنزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾[1]: (كا) الآية تقدم الكلام في الكلالة.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٣).

وترفع ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ﴾: بمضمر يفسره ﴿هَلَكَ﴾.

ومحل ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: رفع وصف أي امرؤ غير ذي ولد، أو حال من الضمير في ﴿هَلَكَ﴾ والمراد بالولد الابن يدل عليه ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ﴾: من أبيه أو من أبيه وأمه وجواب الشرط ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾: لأنَّ الابن يسقط الأخت والبنت لا تسقطها إلا عند ابن عباس؛ لأنَّ الله تعالىٰ فرض لهذه الأخت النصف وجعل أخاها عصبة لها فقال: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾: (حس) ابن؛ لأنَّ البنت لا تسقط الأخ ويسقطه الابن، ولم يذكر الوالد؛ لدلالة الولد عليه، قالوا: لأنَّه إذا ورث الأخ عند انتفاء الولد وهو أقرب فأولىٰ أن يرث عند انتفاء الوالد وهو أبعد.

﴿فَإِن كَانَتَا﴾: أي الأختان.

﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: فصاعدًا ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ﴾.

ومحل ﴿مِمَّا تَرَكَۚ﴾: (حس) حال من الثلثان وحسن الوقف هنا وعلىٰ الولد لأنَّ ضمير كانتا وكانوا قبل الذكر تقديره عند الأخفش إن كان من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بها رجالًا ونساء وثنىٰ ضمير «من» وجمع؛ لعمومها المفرد والتثنية والجمع، ولا أحب الوقف علىٰ ولد إن جعل ضمير كانتا للأختين لدلالة الأخت عليه وجيء باثنتين تأكيدًا لترث الصغيرة كالكبيرة ولا علىٰ مما ترك إن جعل ضمير كانوا للورثة لدلالة ما تقدم عليه.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾: أي: الورثة.

﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾: أي ذكورًا وإناثًا.

﴿فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾: (حس) منهم.

ومحل ﴿أَن تَضِلُّواْۗ﴾: (كا) نصب مفعول به أي: يبين لكم ضلالكم، أو مفعول له أي: يبين لكم مخافة أن تضلوا، ومفعول ﴿يُبَيِّنُ﴾ محذوف أي يبين لكم الحق.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾: (تا).

روي أن آخر آية نزلت ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ...﴾، أو ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١] وروي أنَّ ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ... ﴾ نزلت في طريق حجة الوداع فسميت آية الصيف[١]، وروي أنَّه ﷺ ما عاش بعد نزول ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١] إلا أحدًا وعشرين يومًا[٢].

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٧).

فهرس الجزء الأول

سورة آل عمران